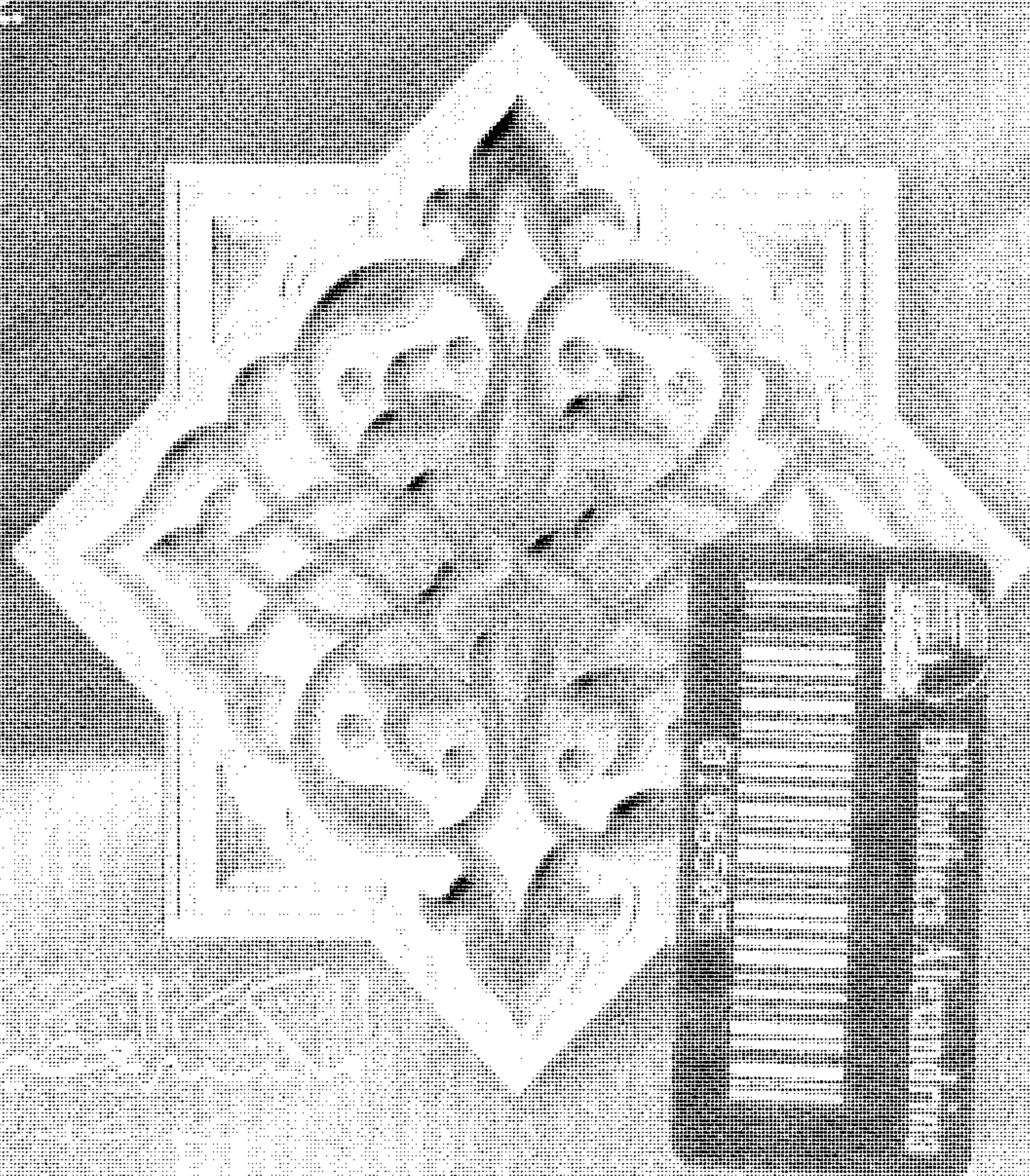


البلاغة الشعرية

في
كتاب البيان والنبين
للجراح

د. محمد علي زكي صباغ

إشراف ومراجعة
د. ياسين الأيوبي



البلاغية الشعرية
في
كتاب البيان والبيان

الْبَلَاغَةُ الشَّعْرِيَّةُ

فِي

كُتَابِ الْبَيَانِ وَالنَّبِيَّانِ

لِلْجَاهِظِ

د. مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ زَكِي صَبَّاحٌ

إِشْرَافٌ وَمَرَاجَعَةٌ
د. يَاسِينَ الْأَيُّوبِيَّ

مَلِكُ بْنُ الْعَصِيَّةِ
مَسِيدَةُ بَيْرُوتَ

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

شركة إنشاء شريف للإنتاج والنشر والتوزيع للطباعة

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار للنشر والتوزيع المطبعة العصرية للنشر

بيروت - ص ١١/٨٣٥٥ - تليفاكس ٠٠٩٦١١٦٥٥٠١٥
صيدا - ص ٢٢١ - تليفاكس ٠٠٩٦١٧٧٢٠٣١٧

إلى من شغفني حُبُّه، وملاً حياتي عطفه وعطرَ
أنفاسي ذكره، فكَبَّلَنِي بِحَنَانِهِ، وأَحَاطَنِي بِعَطَائِهِ،
ثم عاشَ في ذاتي، فعشتُ معه أحلامي،
ولم ييارحْ خيالي، مُتَعَلِّقاً بهواه تَعَلُّقَ الْجَسَدِ بِالرُّوحِ.
إلى الْعِصَامِيِّ الْمُكَافِحِ، الصَّامِتِ التَّقِيِّ الصَّابِرِ،
الذي زرع ولم يحصد، وأسعدني ولم يسعد...
إلى روح والدي الطاهرة، بِجِوَارِ رَبِّهَا نَاضِرَةً،
كَرَّمَهَا اللَّهُ بِعَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ وَغَفْرَانِهِ، وَمَتَّعَهَا
بِجَنَاتِ النِّعَمِ الْخَالِدِ.
أهدي كتابي هذا وفاءً لِدَاتِهِ، وَتَخْلِيداً لِذِكْرِهِ

رحمه الله

المؤلف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين. نَحْمَدُه تَعَالَى حَمْدًا يَبْلُغُ رِضَاهُ
وَنَسْتَعِيذُ بِهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَلْهُمُ الْعَفْوَ وَالْعَوْنَ وَالْعَافِيَةَ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكَرَامِ أَجْمَعِينَ.

منذ أكثر من ثلاثة عقود، وخلال دراستنا الثانوية، قَيَّضَ اللهُ لَنَا أَسْتَاذًا
أَصِيلًا، مُخْلِصًا أَمِينًا، حَبَّبَ إِلَيْنَا الْأَدَبَ وَالْأَدْبَاءَ، وَبِالشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ، فَضْلًا عَنْ
الْتِمَسْكِ بِالْفُضَيْلَةِ وَالْأَخْلَاقِ، هُوَ الْأَسْتَاذُ نَشْأَةً مُرَادٌ، الَّذِي تَدَرَّجْنَا عَلَى يَدَيْهِ،
وَتَعَرَّفْنَا عَلَى شَخْصِيَّةِ أَبِي عَثْمَانَ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ كِتَابِهِ «الْبُخْلَاءُ».

وَمِنْ ذَلِكَ الْحِينِ، شَدَّنِي الْجَاحِظُ إِلَيْهِ وَسَحَرَنِي بِأُسْلُوبِهِ وَعِلْمِهِ وَفُكَاهَتِهِ،
فَعَاهَدْتُ نَفْسِي عَلَى الْإِحَاطَةِ بِتَنَاجِيهِ.

أَمَّا مَوْضُوعُ هَذِهِ الْكِتَابِ فَهُوَ سَبَقُ مِنْ حَيْثُ الْمَضْمُونِ، لَا مِنْ حَيْثُ
الشَّكْلِ، لِأَنَّهُ أَحَدًا لَمْ يُظْهَرْ، حَسَبَ عِلْمِنَا، دَوْرَ الشُّعْرِ وَأَهْمِيَّتِهِ فِي تَحْقِيقِ غَايَاتِ
الْجَاحِظِ الْبَلَاغِيَّةِ فِي «الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ»، حَتَّى إِنَّا لَمْ نَطَّلِعْ عَلَى عَمَلٍ مُشَابِهِ.

كَثِيرٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ تَنَاولُوا شَوَاهِدَ الشُّعْرِ فِي «الْبَيَانِ» لِلْجَاحِظِ، لَكِنْ عَمَلَهُمْ
لَمْ يَقْتَصِرْ إِلَّا عَلَى إِطَارِ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ الْعَامِ، وَاسْتَشْهَادَاتِهِمْ مِنْهُ، بِقَوْلٍ، أَوْ فِكْرَةٍ
أَوْ جُمْلَةٍ، أَوْ بَيْتٍ، أَوْ تَعْرِيفٍ، لِإِثْبَاتِ آرَائِهِمْ، وَهِيَ بَعِيدَةُ الصَّلَةِ بِغَايَاتِ
الْجَاحِظِ الْبَلَاغِيَّةِ.

فَعَمَدْنَا إِلَى إِظْهَارِ دَوْرِ الشَّعْرِ، وَبَيَّنَّا أَهْمِيَّتَهُ بِإِيجَازٍ، تَارِكِينَ الْإِحَاطَةَ الشَّامِلَةَ لَشَوَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ فِي «الْبَيَانِ» لِلْمُسْتَقْبَلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَقَدْ اشْتَمَلَتْ دِرَاسَتُنَا، فَضْلاً عَنْ مَوْضُوعِهَا الرَّئِيسِ، عَلَى: الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ وَالنَّقْدِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالفِكَاهَةِ وَالشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ وَغَيْرِهِمْ

وَيَرْجِعُ الْفَضْلُ فِي هَذَا الْغِنَى إِلَى مَوْسُوعَةِ «الْبَيَانِ» الَّتِي تَجَلَّتْ فِيهَا وَحْدَةُ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَشُمُولِيَّتِهَا .

إِنَّ هَذَا الْمَعْرُضَ الثَّقَافِي الَّذِي زَخَّرَ بِهِ «الْبَيَانُ» هُوَ مَظْهَرٌ لِحَقِيقَةٍ لَيْسَتْ خَافِيَةً عَلَى الْمُشْتَغَلِينَ بِعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ :

وَهِيَ أَنَّ نَشْوءَ عِلْمِ الْبَلَاغَةِ الَّذِي يُعْتَبَرُ «بَيَانُ» الْجَاحِظِ أَوَّلُ مُؤَلَّفٍ قِيَمَ مَعْرُوفٍ فِيهَا، قَدْ اسْتُخْدِثَ لِلْمُسَاعَدَةِ عَلَى تَفْسِيرِ آيِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، بَعْدَ أَنْ تَحَدَّى مُحَمَّدٌ ﷺ الْعَرَبَ فِي أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مُشَابِهَةٍ لِلْقُرْآنِ . وَلَا نَعْجَبُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُضْمَّنَ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ التَّفْسِيرِ هُوَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي ت ٦٠٦هـ / ١٢١٠م . مُقَدِّمَةُ تَفْسِيرِهِ الْمَعْرُوفِ «بِمَفَاتِيحِ الْغَيْبِ» أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِينَ عِلْماً يَحْتَاجُهَا الْمُقَسِّرُ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِي مُقَدِّمَتِهَا عِلْمُ الْبَلَاغَةِ .

فَكَيْفَ نَعْجَبُ، فِي فِتْرَةٍ تَدَاخَلَتْ فِيهَا الْعُلُومُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِبُلُورَةِ عُلُومِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنْ يَحْتَوِيَ «الْبَيَانُ» عَلَى فَيْضٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالشَّوَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ لشرح غَايَاتِهِ؟ فَقَدْ اعْتَمَدَ الْجَاحِظُ الشَّعَرَ وَسِيلَةً أُسَاسِيَّةً لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ فِي نَهْجِهَا لِتَحْقِيقِ غَايَاتِهِ الْبَلَاغِيَّةِ، وَغَيْرِ الْبَلَاغِيَّةِ خُصُوصاً وَأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنَ الْأَوَائِلِ الَّذِينَ شَرَّعُوا عُلُومَ الْبَلَاغَةِ وَأَغْرَاضَهَا .

وَقَدْ قَسَمْنَا كِتَابَنَا إِلَى بَابَيْنِ :

يُضْمُّ الْأَوَّلُ ثَلَاثَةَ فُصُولٍ، تُشْتَمِلُ عَلَى تَرْجُمَةِ لِلْجَاحِظِ وَالْإِحَاطَةَ بِعَصْرِهِ وَآرَائِهِ وَكُتُبِهِ، وَتَعْرِيفَ بِكِتَابِ «الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ» وَالْغَايَةَ مِنْ تَأْلِيفِهِ، ثُمَّ مَفْهُومَهُ لِلأَدَبِ وَالشَّعْرِ وَالفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ وَعُلُومِهَا .

وَيُضْمُّ الثَّانِي سِتَّةَ فُصُولٍ: تُشْتَمِلُ عَلَى مَا يَمْنَعُ الْبَيَانَ مِنْ عَيُوبِ اللفظ

ودراسة لعلوم البيان، والمعاني، والبديع، وعرض لبعض أغراض الجاحظ، غير البلاغية، أثبتنا بعض شواهدا الشعرية لنرى اعتماده عليها في تحقيق غاياته؛ ثم عالجنا في الفصل الأخير آراءه في الشعر والشعراء.

ولا يعلم إلا الله سبحانه وتعالى، مدى المعاناة الطويلة للوصول إلى ما رسمنا وخططنا.

فقد تخطينا كل العوائق واهتدينا، بفضل المصادر الكبرى التي جاوزت أكثر من مائتين وخمسين علماً. فعلوم البلاغة تحتاج إلى تأمل وصبر كبيرين لكثرة ما توسع في مفهومات العلماء وما طرحوا من آراء ولا يجرؤ على التعاطي معها إلا من توافرت فيه العزيمة على دراسة التراث، وتقديم أسامي الخدمات للغة وأمته.

اجتهدنا في تصوير العصر بعلومه ومشكلاته، وجهدنا في استحداث تعريفات أو اختصارات أو ترجيحات، وصوبنا ما استطعنا من معلومات، واستنتجنا ما ألهمنا إليه، وعالجنا خلافات في الرأي، وأثبتنا رغم قلة المصادر والمراجع، مائتين وثمانية وعشرين مَصْنُفاً من كتبه. توخينا المتعة والإفادة، فعُنيّا بالطريف وتجنبنا الغريب والفاحش، وحاولنا رسم طريق سهل لتنظيم شواهد أبي عثمان الشعرية التي تُحَقِّقُ غاياته البلاغية وغير البلاغية. ورغم ذلك فإن عملنا جاء مختصراً، على رحابته؛ ونطمح إلى تنظيم أدق وإحاطة أشمل لكل غايات الجاحظ في «البيان» إن شاء الله.

بلغت أشعار «البيان» الثلاثة آلاف بيت تقريباً، أصحابها مزيج من الجاهليين والأمويين والعباسيين، ويمكن أن تشكل كل غاية من غايات الجاحظ في «البيان» كتاباً مستقلاً بحد ذاته.

نشكر الله تعالى على تحقيق ما صوبنا إليه، بفضل العزيمة والإرادة والحب والواجب، معذرين عن الخطأ أو السهو، لأن النقص صفة ملازمة للإنسان، معترفين بمساهمة أصحاب الفضل الذين مدّوا إلينا يد العون والنصح والمساعدة. ويقضي الوفاء الاعتراف بفضل أساتذتنا بينهم الدكتور محمد

الخطيب أستاذ الحضارة الإسلامية، الذي نَقَّح كثيراً من الآراء التي غَفَلْنَا عنها، والدكتور المشرف ياسين الأيوبي، حامل لواء التراث العربي بأعلامه وشعرائه؛ فقد فتح لنا قلبه وبيته ومكتبته، وكان عظيماً في صبره، أميناً في نصحه وقلمه وإليه يعود الفضل في إنجاز هذا الكتاب . .

إليهم جميعاً وافر امتناني وإكباري، وخالص العرفان، لما توصلت إليه وحققته! اللهم لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، واغفر لنا وارحمنا، واكتبنا ربنا مع المتقين.

محمد علي زكي صباغ

طرابلس - لبنان

٣٠ كانون الثاني ١٩٨٩

الباب الأول

الجاحظ في عصره وسيرته وحضوره البلاغي

الفصل الأول: ترجمة للجاحظ وعصره.

- ١- عصره.
- ٢- سيرته وحياته.
- ٣- آثاره.
- ٤- أسلوبه ونقده.
- ٥- مذهبه وآراؤه.
- ٦- آراء في الجاحظ.

الفصل الثاني: كتاب «البيان والتبيين».

- ١- تعريفه.
- ٢- الغاية من تأليفه.
- ٣- مضمونه.

الفصل الثالث: آراء الجاحظ البلاغية والنقدية.

- ١- بين الفصاحة والبلاغة.
- ٢- مفهوم الجاحظ، للأدب والشعر والبلاغة وعلومها.

الفصل الأول

ترجمة للجاحظ وعصره

١ - صورة عن عصره

تقتضي دراسة الجاحظ، القيام بجولة تاريخية مُقتضبة، نرسم فيها صورة العصر العباسي الذي ولد فيه الجاحظ ونشأ، نُوضّح فيها معالم هذا العصر ودوره التاريخي، فتتعرّف إلى البيئة الجديدة التي تصارعت فيها الأفكار، وامتزجت في داخلها العادات، ممهدة لقيام نهضة فكرية وعلمية عالية.

لقد عُمّرت الدولة العبّاسية خمسة قرون، وانتهت بسقوط العاصمة بغداد على يدي هولاكو سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م^(١).

وساست الدولة العباسية العالم، سياسةً ممزوجةً بالدين والحكمة، فمن كان تقياً ورعاً، صالحاً أطاعها تديناً، ومن كان غير ذلك أطاعها رهبة.

أول خلفائها أبو العباس عبد الله الملقّب بالسّفاح^(٢)، حَكَمَ قرابة أربع

(١) «التاريخ العباسي والأندلسي» د. سعد زغلول عبد الحميد. مكتب كريدية إخوان بيروت ١٩٧٦ ص ٥٦.

(٢) نميل إلى الاعتقاد بأن هذا اللقب اشتهر به، لأنه دعا نفسه به في خطبة الخلافة: «فأنا السفاح المبيح، والثائر المبير «تاريخ الطبري» محمد بن جرير الطبري تحق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ٤ دار المعارف القاهرة ١٩٦٧. ج ٧. ص ٤٢٦. «والكامل في التاريخ». لابن الأثير. تحق نخبة من العلماء ط ٣ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٠. ج ٤ - ص ٣٢٥.

سنوات وتولى الخلافة سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م^(١).

وكانت الهاشمية، التي بناها بالعراق، مقر خلافته^(٢)، اختلف في يوم وفاته وبيته، ولكنه اتفق على تاريخ وفاته: ١٣٦هـ / ٧٥٤م^(٣)، وبأنه كان مهيباً يشجع العلم والأدب والغناء، ويجزل العطاء للشعراء، ويحب مسامرة الرجال، ويغض البخل والشح، ويتحلى بالحزم والحلم^(٤).

ففي عهده كانت البلاد مضطربة، والنفوس ثائرة، والاستقرار غير مستتب^(٥). خلفه أخوه أبو جعفر عبد الله، الملقب بالمنصور، سنة ١٣٦هـ / ٧٥٤م^(٦). ويعتبر المؤسس الحقيقي للأسرة العباسية^(٧)، نقل مركز الخلافة من الهاشمية إلى بغداد^(٨)، التي أشرف على بنائها بنفسه «وقدر المدينة ووضع أول لبنه بيده سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م»^(٩).

-
- (١) «التاريخ العباسي والأندلسي» د. سعد زغلول عبد الحميد ص ٥٦.
و«تاريخ الإسلام» السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: د. حسن إبراهيم حسن. ط ٧. دار إحياء التراث العربي. القاهرة ١٩٦٤ ج ٢ ص ٢١ و ٢٢ و ٢٧.
- (٢) «مآثر الإنافة في معالم الخلافة»: القلقشندي. تحق. عبد الستار أحمد فراج. ط ١. عالم الكتب بيروت ١٩٦٤. ج ١. ص ١٧١.
- (٣) «تاريخ الطبري». محمد بن جرير الطبري - ج ٧ - ص ٤٧٠؛ «الكامل في التاريخ»: لابن الأثير - ج ٤ ص ٣٤٦؛ «تاريخ الإسلام»: حسن إبراهيم حسن - ج ٢ - ص ٢٧.
- (٤) «تاريخ الإسلام»: حسن إبراهيم حسن ج ٢ - ص ٢٤.
- (٥) «التاريخ العباسي والأندلسي» د. سعد زغلول - ص ٥٩.
- (٦) «تاريخ الإسلام» حسن إبراهيم حسن. ج ٢ - ص ٢٧.
- (٧) «التاريخ العباسي والأندلسي». سعد زغلول - ص ٥٩.
- (٨) وتعرف أيضاً باسم بغداد وبغداد وبغذاذ. وهو اسم فارسي معناه عطية الله. وسماها المنصور مدينة السلام أو دار السلام، لأن نهر دجلة الذي بنيت عليه بغداد، يقال له وادي السلام. وهذا الاسم لا يوجد إلا في الوثائق الرسمية، وعلى النقود. وربما سميت بالمنصورية نسبة إلى بانيها، أو بالزوراء لازورار نهر دجلة عند مروره بها أو لازورار قبلتها. «معجم البلدان» ياقوت الحموي. دار صادر بيروت ١٩٥٧ - مادة بغداد ج ١ ص ٤٥٧. «الكامل في التاريخ»: ابن الأثير. ج ٦ ص ٤.
- «التاريخ العباسي والأندلسي» سعد زغلول: ص ٧٤ - ٧٦.
- (٩) «تاريخ بغداد» للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي - دار الكتاب العربي - بيروت - ج ١ - ص ٧ و ٦٧.
- «معجم البلدان» ياقوت الحموي - مج ١ - ص ٤٥٧.

وفرغ أبو جعفر من بنائها ونزلها مع جنده وسَمَّاهَا مدينةَ السلام سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م^(١). وقال الخطيب الحافظ: بلغني عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال: قد رأيت المُدُنَّ العِظامَ، والمذكورة بالإثقان والإحكام، بالشامات وبلاد الروم وفي غيرهما من البلدان، فلم أَرِ مدينةً قَطُّ أرفعَ سمكاً، ولا أجود استدارة، ولا أنبل ثُبلاً، ولا أوسع أبواباً، ولا أجود فصيلاً، من الزوراء.

وهي مدينة أبي جعفر المنصور. كأنما صُبَّت في قالب وكأنما أُفرغت إ فراغاً، والدليل على اسمها الزوراء^(٢) قول سَلَم الخاسر^(٣).

أَيْنَ رَبُّ الزوراءِ قَدْ قَلَّدَتْهُ الـ مُلْكُ عشرون حجةً واثنتان^(٤)

توفي المنصور ١٥٨هـ / ٧٧٥م. وهو في طريقه إلى الحج بعد أن كان قد عهد لابنه المهدي بولاية العهد^(٥).

(١) «تاريخ بغداد». الخطيب البغدادي - مج ١ - ص ٦٧.

(٢) زوراء تأنيث الأزور وهو المائل. والإزورار عن الشيء العدول عنه والانحراف، ومنه سميت القوس لميلها وبه سميت دجلة بغداد الزوراء.

«معجم البلدان» ياقوت الحموي - ج ٣ - ص ١٥٦ - ١٥٧.

«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي - ج ١ - ص ٧٧.

(٣) سَلَم الخاسر بن عمرو مولى بني تميم بن مرة، مولى آل أبي بكر الصديق رضوان الله عليه. شاعر بصري مطبوع، متصرف في فنون الشعر، من شعراء الدولة العباسية، وراوية بشار بن برد ومن بحرته اغترف. لُقِّب بالخاسر لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً. وقيل بل خلف له أبوه مالا فأنفقته على الأدب والشعر. قال له بعض أهله: إنك خاسر الصفقة، فلقب بذلك. توفي سنة ١٨٦هـ / ٨٠٢م.

له مدائح في المهدي والرشيد والعباسيين، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية. شعره رقيق. «الأغاني»: لأبي الفرج الأصفهاني. تحق عبد الستار أحمد فراج - دار الثقافة بيروت ١٩٦٠ - ج ١٩ - ص ٢١٤.

«الأعلام الزركلي». - دار العلم بيروت ١٩٨٤ ط ٦. ج ٣ - ص ١١٠ - ١١١.

(٤) حجة: سنة. قَلَّدَتْهُ المُلْكُ: رَكَّبَتْهُ المُلْكُ.

البيت من قصيدة مَطْلَعُهَا:

عجباً للذي نعى الناعيانِ كيف فاهت بموته الشفتان

«تاريخ الطبري» محمد بن جرير الطبري - ج ٨ - ص ١٠١.

(٥) «التاريخ العباسي والأندلسي» د. سعد زغلول - ص ٨٤.

لقد ثَبَّت المنصور دعائم الدولة فاستقرت في أيامه، فكان أريباً ومُقَدِّماً في علم الكلام^(١).

جاء المهدي سنة ١٥٨هـ / ٧٧٥م^(٢)، فامتد نفوذ الدولة، وبدأت تظهر ثمار ما بذره المنصور، وأصبحت بغداد المحطة الرئيسية لتجارة الهند، وبفضل عنايته انتعشت الصناعة وازدهرت^(٣) وغدت الموسيقى والشعر والحكمة والأدب من مميزات هذا العصر^(٤).

توفي المهدي بماسبذان، وصلى عليه الرشيد، وله ثلاث وأربعون سنة^(٥). أي في سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م.

خلف الهادي أباه. وكانت مدة خلافته سنة واحدة وأربعة وأربعين يوماً، توفي في بغداد ليلة الجمعة، لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وعمره أربع وعشرون سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م^(٦).

خلفه أخوه هارون الرشيد، التقي الورع، المُجِيب للعلماء، والذي بُويع بالخلافة في الليلة التي مات فيها أخوه الهادي، وتوفي ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ١٩٣هـ / ٨٠٩م، وعمره خمس وأربعون سنة وخمسة أشهر، بطوس من بلاد المشرق^(٧).

بَلَغَتْ بغداد في عهده درجة لم تصل إليها من قبل، فأصبحت مركز التجارة، وكعبة رجال العلم والأدب^(٨).

(١) «البيان والتبيين» عمرو بن بحر الجاحظ. تحق عبد السلام هارون. دار الفكر بيروت ط ٤ ج ٣ - ص ٣٦٧.

(٢) «تاريخ الطبري»: محمد بن جرير الطبري. ج ٨ - ص ١١٤.

«تاريخ الإسلام»: حسن إبراهيم حسن. ج ٢ - ص ٤٠.

(٣) «التاريخ العباسي والأندلسي»: د. سعد زغلول - ص ٩٢.

(٤) «تاريخ الإسلام»: حسن إبراهيم حسن. ج ٢ - ص ٤٣.

(٥) «تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي. ج ٥ - ص ٤٠١.

(٦) «مآثر الإنافة في معالم الخلافة» للقلقشندي مج ١ - ص ١٩٠.

«الكامل في التاريخ»: لابن الأثير. ج ٥ - ص ٧٩.

(٧) «مآثر الإنافة في معالم الخلافة» للقلقشندي ج ١ - ص ١٩٢ و ١٩٣.

(٨) «تاريخ الإسلام»: حسن إبراهيم حسن ج ٢ - ص ٥٠.

خَلَفَ الْأَمِينُ أَبَاهُ (١٩٣ - ١٩٨ هـ / ٨٠٨ - ٨١٣ م). وتوفي وعمره تسع وعشرون سنة، وكانت مدة خلافته أربع سنين وثمانية أيام^(١).

خَلَفَهُ شَقِيقُهُ الْمَأْمُونُ (١٧٠ - ٢١٨ هـ / ٧٨٦ - ٨٣٣ م)^(٢). وتوفي بالبديدون وسنّه ثمان وأربعون سنة. ودُفِنَ بطرطوس^(٣).

وكان عَصْرُهُمَا امتداداً لعصر الازدهار والسؤدد والمجد، الذي كان عليه عصر الرشيد، وتوالت الانتصارات العسكرية في خلافة المعتصم بالله، ثامن خلفاء بني العباس، الذي بويح له يوم مات أخوه المأمون، لثمان خلون من رجب، سنة ثمان عشرة ومائتين (٢١٨ هـ / ٨٣٣ م)^(٤). وبقي حتى توفي بمدينة سامرا سنة سبع وعشرين ومائتين: (٢٢٧ هـ / ٨٤٢ م)، وسنّه ثمان وأربعون سنة، ومدة خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومان^(٥).

وفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين فَتَحَ عَمُورِيَّة، من بلاد الروم^(٦)، التي نَظَمَ فيها أبو تمام بائيته الشهيرة مادحاً فيها المعتصم، ومطلعها:

السيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكِتَابِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ^(٧)

(١) «تاريخ الإسلام»: د. حسن إبراهيم حسن. ج ٢ ص ٦٣.

«مآثر الإنافة في معالم الخلافة»: للقلقشندي. ج ١ - ص ٢٠٤.

(٢) «معجم المؤلفين». لعمر رضا كحالة. دار إحياء التراث العربي - بيروت - ج ٦ - ص ١٦١.

«تاريخ الإسلام»: حسن إبراهيم حسن مج ٢ - ص ٦٦.

(٣) «مآثر الإنافة في معالم الخلافة»: للقلقشندي. ج ١ - ص ٢١٠.

(٤) «تاريخ الإسلام»: حسن إبراهيم حسن مج ٢ - ص ٧٤.

(٥) «مآثر الإنافة في معالم الخلافة»: للقلقشندي. ج ١ - ص ٢١٩ و ٢٢٠.

(٦) المصدر نفسه. ج ١ - ص ٢٢٠ - ٢٢٢.

(٧) كان المنجمون قد حكموا أن المعتصم لا يفتح عمورية، وراسلته الروم بأننا نجد في كتبنا أنه لا تفتح مدينتنا، إلا في وقت إدراك التين والعنب وبيننا وبين ذلك الوقت شهر يمنعك من المقام بها البرد والثلج، فأبى أن ينصرف وأكب عليها ففتحها فأبطل ما قالوا.

والحد الأول في البيت للسيف والحد الثاني: هو الذي يفصل بين الشيئين، أي أن السيف إذا استعمل فقد برى الأمر من الهزل. «ديوان أبي تمام» بشرح الخطيب التبريزي. تحقق محمد عبده عزام. ط ٤ - دار المعارف - مصر - ص ٤٠.

وظلّت الدولة في قوّة وازدهار، مُطّردين، في عهد الواصل (٢٢٧هـ/ ٧٤٢م - ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م)^(١) والمتوكل على الله عاشر الخلفاء العبّاسيين (٢٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٨٤٧ - ٨٦١م)^(٢).

وهكذا عاصر الجاحظ اثني عشر من خلفاء بني العبّاس^(٣)، ذكرنا أهمهم، وكان ميلادُه متزامناً مع ميلاد النهضة السياسية والفكرية والأدبية للعصر العبّاسي^(٤).

والعصر العبّاسي يُعدُّ عصراً ذهبياً، انتقلت فيه سُدّة الحكم، من الشام إلى العراق^(٥). كما أن الدعوة العبّاسية شيعة الأصل، قامت باسم آل البيت، فأظهرت العبّاسيين بمظهر الورثة الطبيعيين لخلافة النبي ﷺ، فوجدت في خراسان أرضاً خصبة وسنداً.

أما دمشق التي كانت على حدود بادية العرب، فكان خلفاؤها وجُنُدها وقوادها وقضاتها وسائر رجال حكومتها عرباً.

وأما الدولة العبّاسية فقد نصرها الفرس وناصروها، واتخذت سائر رجالها منهم كما جعلت قَصَبَتَها ببغداد^(٦).

ومما لا شك فيه أن هذا التغيير شجع على ظهور العديد من العصبية، ووسع نواحي الثقافات، وتوّع تركيب المجتمع. فبعد أن كان الشّعْر مثلاً،

(١) «مآثر الإنافة في معالم الخلافة»: للقلقشندي ج ١ - ص ٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه. ج ١ - ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٣) «أبو عثمان الجاحظ»: د. محمد عبد المنعم خفاجي ط ١ - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧٣ - ص ١٧.

(٤) المرجع نفسه. ص ١٧.

(٥) «تاريخ الشعوب الإسلامية»: بروكلمان. نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي. ط ١٠ - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٤ ص - ١٧٧ - ١٧٨.

(٦) «تاريخ آداب اللغة العربية»: جرجي زيدان. مراجعة شوقي ضيف. دار الهلال - القاهرة ١٩٥٧ - ج ٢ - ص ٢١ - ٢٢.

مقصوراً على العرب وحدهم، أصبح فُزسانُ القول فيه مُنقسمين بين عرب وأعاجم^(١).

وقبل أن يجعلَ العبّاسيون من بغداد عاصمةً مُلكهم الزاهرة، كانت البصرةُ حاضرة العلم والتجارة، وكان سوقُها (المزبد) مُلتقى التجار والمثقفين واللُغويين والشُعراء، يتبارون فيها، ويتبادلون الرأي والسلع.

وكانت بسايتُها الخضراء تستهوي الأثرياء فيؤثّمونها انتجاعاً للراحة واللّهو كما كانت مركزاً ثقافياً كبيراً تتنازعُ والكوفة الإمامة الفكرية واللغوية. فيها نشأت القَدريّة التي أكملتُها المعتزلة، وفيها ظهرت مدرسة اللغويين التي اعتمدت الاستقراء الأسلوبى والقياسي^(٢).

ولكن دَوْرَها أخذَ يضعف تدريجياً بعد ظهور بغداد، التي استحوذت بالاهتمام الأكبر والمقام الأول.

وهكذا أصبحت بغداد، مدينة السلام، أم الدنيا تتهاذى أمام العالم بِخِيلاء، فيتقاطر إليها الناس، وتلتقي فيها النزعات، وتتنافر الأهواء، وتتلاقى روافد المعرفة.

ومما زاد في تشجيع ذلك أولو الأمر أنفسهم الذين أجزلوا العطاء والهبات... ثم تعددت البدعُ الدينية والفرقُ الإسلامية... كما انتصر المأمون للمعتزلة في القول بخلق القرآن الكريم^(٣).

«لقد استقرت دعائم المملكة العباسية منذ عصر الرشيد وابنيه من بعده، الأمين، والمأمون، استقراراً عظيماً وأزسيّت قواعدها على أساس قوي متين،

(١) «الشعر والشُعراء في العصر العباسي»: د. مصطفى الشكعة. دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٣ - ص ٧.

(٢) «الجاحظ في حياته وأدبه وفكره»: د. جميل جبر - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٥٩ - ص ٧ - ٨.

(٣) «تاريخ آداب اللغة العربية». جرجي زيدان. ج ٢ - ص ٢٣.

وأصبحت هذه الإمبراطورية الإسلامية الشاسعة تفيضُ بحياة رفيعة يظللها الإسلام وتقومُها لغة القرآن^(١).

وبمثل هذه التسميات وصف الدكتور بلبع الدولة الإسلامية، فدعاها بمملكة وإمبراطورية، فاشترك مع كثير من الأدباء والمؤرخين في ارتكاب ما يُسمى بالخطأ الشائع، لأننا لم نلحظ في تاريخ الدولة الإسلامية ونظامها شيئاً اسمه المملكة الإسلامية أو الإمبراطورية الإسلامية. فالمملكة من الملوك، والإمبراطورية من الإمبراطور، وكلاهما في مصطلح الغرب: حكم استبدادي فردي يقوم على الاعتقاد بنظرية الحق الإلهي المقدس للملوك^(٢).

فالإسلام مترفع عن هذا المعنى، يستمد أصوله من القرآن والسنة والإجماع والقياس، عرفنا فيه الإمامة والإمارة والخلافة، وكل منها يساوي الآخر في المضمون، وإن استحدثت معاوية تقليداً جديداً غير به سنة السلف، وتشبه بملوك الفرس والبيزنطيين، وحول الخلافة - كما قال الجاحظ - إلى «ملك كُسرَوي وعَصَب قيصري»، وإن أصبحت الخلافة في العصر العباسي وراثية تماماً^(٣).

فاللفظتان المذكورتان في سياق الدكتور بلبع ليستا من الإسلام في شيء، وأفضل رد على قائلهما قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٤).

(١) «النثر الفني وأثر الجاحظ فيه»: د. عبد الحكيم بلبع. ط ٣. مط. الاستقلال الكبرى مصر ١٩٧٥ - ص ١٨١.

(٢) «الوسيط في القانون الدستوري». د. ادمون رباط. دار العلم للملايين بيروت ط ١ ١٩٦٤. ج ١ - ص ٢١١ - ٢٢٢ - ٢٥٣ - ج ٢ - ص ١٢٣ - ٢٨٩ - ٢٩١.

(٣) «النظم الإسلامية»: د. صبحي الصالح. دار العلم للملايين - ط ٥ بيروت ١٩٨٠ - ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٤) سورة النمل، الآية: ٣٤.

فالحكم الاستبدادي للملوك نظرية اخترعها ملوك أوروبا أنفسهم للوقوف في وجه باباوات رومة الذين كانوا يطمعون بضم السلطة الزمنية إلى سلطتهم الدينية. مما عرف تاريخياً بالنزاع بين الإمبراطورية والبابوية. هي نظرية ليست من الفكر الديني المسيحي في شيء. =

لم تبلغ الدولة الإسلامية قمة مجدها في التآلق والثروة مرتبة أعلى مما بلغت في العصر العباسي، ولم تصل في تاريخها الطويل إلى عصر أزهى وأمنع. «وكان من أثر هذه الانتصارات التي أحرزها المهدي أن هابة الملوك. وقد أرسل إليهم رسلاً يدعوهم إلى الطاعة، فدخل أكثرهم في طاعته»^(١) كما «استولى الرشيد على هرقلة وطوانة وغيرهما من أممات مدين الروم، وأسّر عشرة آلاف، كما أخذ جزية قدرها عشرون ألف قطعة من العملة الذهبية»^(٢) وقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن جند المعتصم بلغ خمسمائة ألف. فخرج به و«تابع المسير في أراضي آسيا الصغرى حتى وصل إلى عمورية فحاصرها،... وتركها للهب والتدمير، وافتدى أشرافها ونبلاؤها بأنفسهم بأموال كثيرة»^(٣).

سار الخلفاء العباسيون على سياسة حكيمة ترمي إلى عدم إرهاب المزارعين بالضرائب^(٤)، فنشطت الزراعة والتجارة والصناعة وانتشرت العلوم.

«وقد ميّز كتاب المسلمين بين العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم وبين العلوم التي أخذها العرب عن غيرهم من الأمم. ويطلق على الأولى العلوم النقلية أو الشرعية، وعلى الثانية العلوم العقلية أو الحكيمة. وتشمل العلوم النقلية: علم القراءات، وعلم التفسير، وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، واللغة، والبيان، والأدب.

وتشمل العلوم العقلية: الفلسفة والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والطب والسحر والكيمياء والتاريخ والجغرافيا»^(٥).

=وجدت بالذكر أن الأباطرة والملوك وسائر تسمياتهم وقف القرآن الكريم منها موقفاً واضحاً «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها... أي أن الفساد ملازم الملكية. من محاضرة للدكتور محمد الخطيب ألقاها في كلية الآداب، الفرع الثالث، قسم الدبلوم في ٧/١٩٨٦.

(١) «تاريخ الإسلام»: د. حسن إبراهيم حسن. ج ٢ - ص ٢٤٥.

(٢) نفسه: ج ٢ - ص ٢٤٦.

(٣) نفسه: ج ٢ - ص ٢٤٩.

(٤) نفسه: ج ٢ - ص ٣٠٥.

(٥) نفسه: ج ٢ - ص ٣٢٣.

كذلك ظهرت الاستنتاجات الأدبية مما دفع الأدباء والمفكرين إلى نشر أخبار الزُّهْدِ والحِكْمَةِ وَسِيَرِ رجال العدل والحزم التي يترتب عليها العظة والاعتبار . . . فأخذوا يجمعون ذلك في كتب الأدب^(١) .

كما أخذوا يجمعون شتات أخبار العرب، فوضحت وَجْهَةُ الأدب في نظر الأدباء، وشَعَّتْ أضواء علمية في كل المجالات . . .^(٢) .

أما البيئة الاجتماعية في ذلك العصر، فكان أبرز ما يميّزها اختلاط الشعوب وتعدّد العناصر . وقد أدى الاستقرار السياسي إلى الازدهار الاقتصادي الذي وَلَّد بدوره حُبَّ البَذْخِ والجشع . . .

إنها النتيجة الحتمية لليُسْرِ في الأمم، وقد وصلت إليها كل الدول في ذروة مجدها^(٣) .

وجملَةُ القول: إن العصر العباسي، عصر المرحلة الرابعة من تاريخ الإسلام، عَتَيْنَا بذلك الاستقرار والازدهار برغم الفتوحات الكبيرة والانتشار، أو قُلْ: عصر تفرع العلوم والمذاهب، وامتزاج الثقافات والترجمة والتدوين وصهر الحضارات، عن طريق التفكير الحُرِّ والمُعَالَجَةِ الشاملة. فيه انكب الناس على التأدُّب والتعليم^(٤)، وغدا التأدب طريقاً إلى المجد والسؤدد، وما زال ذكر معظم متأدبي ذلك العصر خالداً بعد فناء أجسادهم. صَدَّرَ المسلمون ما طَوَّروه إلى الدنيا، فسعدت البشرية بالحضارة الإسلامية وعلومها.

(١) «تاريخ آداب اللغة العربية» جرجي زيدان. ج ٢ - ص ١٩٣.

(٢) «الشعر والشعراء في العصر العباسي»: د. مصطفى الشكعة. ص ٧.

(٣) «الجاحظ» في حياته . . . : د. جميل جبر. ص ١٥.

(٤) التعليم في صدر الإسلام والدولتين (الأموية والعباسية) لم يكن حرفة أو صناعة.

ولم يكن العلم بالجملة صناعة، إنما كان نقلاً لما سُمِعَ مِنَ الشارع، وتعليماً لما جُهِلَ مِنَ الدين على جِهَةِ البلاغ.

«مقدمة ابن خلدون» تحق حجر عاصي. دار الهلال - بيروت ١٩٨٣ ص ٢٩.

ولا ندرى ما الذي دفع بعض الباحثين للتأكيد بأن العلم في العصر العباسي كان صناعة ومصدر عيش.

هذا هو باختصار، إطار العصر العباسي العام، حيث نشأ الجاحظ فيه
وشب، فمن هو الجاحظ؟ وكيف ترعرع؟

٢ - سيرته وحياته

تقع حياة الجاحظ في عهدين متميزين: عهد بَصْرِي، وعهد بغدادِي. في
العهد الأول استقبل الحياة وأسبابها، وفي العهد الثاني تألَّق في العالمين: الأدبي
والعلمي.

وكان الأول عهد تحصيل ومراقبة، أما الثاني فكان عهد إنتاج وشهرة، بعد
أن برزت شخصيته^(١).

والبصرة مدينة خالدة في تاريخ الفكر الإسلامي والحضارة الإنسانية. ففي
سنة أربع عشرة من صَفَر، بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب^(٢) رحمه الله،
عُتْبَةَ بن غَزْوَان^(٣) إلى العراق في ما يقارب الخمسمئة رجل، وقال له: سِرْ على

(١) «الجاحظ» حياته وآثاره. د. طه الحاجري. ط ٣. دار المعارف. مصر ١٩٧٦ ص ٧٨.

(٢) ينتهي نسب عمر بن الخطاب إلى كعب بن لؤي القرشي العدوي. اشتهر بنو عدي، وهم بطن من
قريش بالمجد والشرف، وكانت لهم مواقف مشهورة في الإسلام. منهم زيد بن عمرو، الذي
رفض عبادة الأوثان في الجاهلية والتزم الحنيفية وابنه سعيد أخذ العشرة المبشرين بالجنة، ويجتمع
نسبه مع نسب الرسول عليه السلام في الجد السابع، ويجتمع معه من أمه في الجد السادس. كنيته
أبو حفص وقيل سماه الرسول الفاروق وأمه حَتْمَةُ بنت هاشم... أسلم في السنة الخامسة
للدعوة. توفي ليلة الأربعاء لثلاث خلون من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين. وكان، رحمه الله،
حريصاً على كرامة المسلمين، عادلاً، زاهداً، متواضعاً، وأكثر الصحابة شجاعة وجراً. «تاريخ
الطبري»: محمد بن جرير الطبري. ج ٣ - ص ٤٢٨ - ٤٣١ وج ٤ - ص ١٩٣.
الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني. دار الكتاب العربي. بيروت. ج ٢ - ص ٤٤٨ -
رقم ٥٤١٣ حرف العين.

«تاريخ الإسلام». د. حسن إبراهيم حسن. ج ١ - ص ٢٠٧ - ٢٥٢.

(٣) عُتْبَةُ بن غَزْوَان (٤٠ ق هـ - ٧٧ هـ / ٥٨٤ - ٦٣٨ م). ابن وهيب الحارثي المازني، أبو عبد الله، هاجر
إلى الحبشة ثم رجع مهاجراً إلى المدينة رفيقاً للمقداد وشهد بدرأ وما بعدها، ثم شهد القادسية مع
سعد بن أبي وقاص وجهه عمر إلى أرض البصرة والياً عليها وكانت تسمى «الأبلة» أو «أرض
الهند» فاخْتُطِّها عُتْبَةُ ومَصَّرَها. وقدم المدينة لأمر خاطب به أمير المؤمنين عمر، ثم عاد، فمات في
الطريق. وكان طويلاً جميلاً من الرماة المعدودين. رَوَى عن النبي ﷺ أربعة أحاديث. =

بركة الله، واتفق الله ما استطعت واحكم بالعدل، وصلّ الصلاة لوقتها، وأكثر ذكر الله، حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم، فأقيموا. فأقبلوا حتى إذا كانوا بالمربد وجدوا هذا الكَذَّان^(١).

قالوا: ما هذه البصرة؟ - والبصرة كل أرض حجارتها جصّ - وأمر لهم بنهر يجري من دجلة، فساقوا إليها نهراً للشَّفة، وكان إيطان أهل البصرة، البصرة اليوم، وإيطان أهل الكوفة، الكوفة اليوم، في شهر واحد. فأما أهل الكوفة فكان مقامهم قبل نزولها المدائن إلى أن وطّنها، وأما أهل البصرة فكان مقامهم شاطئ دجلة^(٢).

ويقول الخطيب البغدادي في تاريخه:

لما افتتح المسلمون السواد^(٣) قالوا لعمر بن الخطاب: أقسّمه بيننا فأبى..

فقالوا: إنا افتتحناها عُتوة. قال: فما نقول لمن جاء بعدكم من المسلمين؟ فأخاف أن تفسدوا بينكم في المياه وأخاف أن تقتلوا. فأقر أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤوسهم الضرائب - يعني الجزية - وعلى أرضهم الطُّسُق^(٤) - يعني الخراج - ولم يقسمها بينهم^(٥).

= «الإصابة في تمييز الصحابة»: العسقلاني - ج ٢ - ص ٤٤٨ - رقم ٥٤١٣ حرف العين.

«الأعلام»: خير الدين الزركلي ج ٤ - ص ٢٠١.

(١) الكَذَّان: جمع مُفْرَدَه كَذَّانة وهي حجارة رخوة كأنها المَدَر وقيل: حجارة رخوة إلى بياض. «لسان العرب»: لابن منظور الأفريقي المصري. دار صادر بيروت. مادة كذن. مج ١٣ - ص ٣٥٧.

(٢) «تاريخ الطبري»: محمد بن جرير. مج ٣ - ص ٥٩١ - ٥٩٢.

(٣) السواد: مقصود بها العراق وتسمى أرض السواد.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة سود. مج ٣ - ص ٢٢٥.

(٤) الطُّسُق: بالفتح. ويلحن البغادّة فيكسرون: وهو مكيال أو ما يوضع من الخراج على الجربان. أو شبه ضريبة معلومه وكأنه مولّد أو معرب.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة طسق ج ١ - ص ٢٢٥.

(٥) «تاريخ بغداد»: للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي مج ١ - ص ٧.

لقد تعرضت البصرة والكوفة معاً لأسباب متشابهة وظروف متقاربة، وتكوّن شعباهما من جماعات إسلامية ترجع إلى أصول متحدة، وأصاب هذه من أحداث التاريخ الإسلامي ما أصاب تلك، فكان ما يحدث في البصرة يتردد صدها في الكوفة، وما يكاد ينجم رأي أو مذهب في واحدة حتى تتجاوب معه الأخرى.

«حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة، فيعلم فيها أهل البصرة قبل المساء»^(١)، كما يحكي الجاحظ وقد عزي ذلك إلى المزاج العقلي، لأن البصرة والكوفة ما كان لهما أن تلتقيا: فالأولى تمثل الطابع العقلي، والثانية تمثل الطابع الباطني أو السري. (فعلى قدر ما بين هذين الطابعين من خلاف كان الأمر بينهما في شتى نواحي الحياة العقلية فذلك هو تأويل هذه الخصومة العنيفة الدائمة المتصلة بين البلدين. وهو تأويل يجد مصداقه في جميع الاتجاهات العقلية لهما)^(٢).

فالنحو البصري مثلاً، مظهر من مظاهر الطابع العقلي الغالب على البصرة، أما الكوفة فلم تطق هذا النمط من التنظيم واستنباط القوانين والنظرة الشاملة التي هي أقرب إلى تجريد الفلاسفة، إذ كان يعوزها هذا الطابع.

ويضيف الحاجري: وإذن نستطيع القول مطمئنين في الإجابة على ما تساءلنا عنه بأن ذلك الطابع كان هو الأغلب على البصرة قبل الإسلام، كما كان الطابع الباطني هو الأغلب على الكوفة^(٣).

هذه البصرة المشهورة، هي مسقط رأس الجاحظ، ودائرة نشأته.

فمن هو الجاحظ؟ وكيف كانت سيرة حياته؟

هو عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ^(٤).

(١) «الحيوان»: للجاحظ. تحق عبد السلام هارون - ط ٢ - مط - الحلبي القاهرة ١٩٤٩ - ج ١ - ص ٩٧.

(٢) «الجاحظ حياته وآثاره»: د. الحاجري - ص ٣٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٧.

(٤) «تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي - ج ١٢ - ص ٢١٢ - ٢١٣.

وعند محبوب هذا توقف كُتّاب التراجم ومحرّرو الأنساب ولم يتابعوا نسبه! . اختلف في سنة ميلاده، قيل ولد بالبصرة سنة ١٦٠هـ / ٧٧٦م^(١). وقال ياقوت: إن الجاحظ قال عن نفسه إنه أسنُّ من أبي نواس بسنة. يعني أنه ولد سنة ١٥٠هـ / ٧٦٦م. وهذا ينافي الآراء التي حدّثت ميلاد أبي نواس ١٤٦-١٤٥هـ. وذكر يوسف أسعد داغر أن ميلاد الجاحظ هو ١٦٣هـ / ٧٧٥م^(٢).

ونرجّح سنة ولادته ما بين مائة وخمس وخمسين للهجرة ومئة وستين. ومما يقوي هذا الرأي أن كفة المئة والستين أو ما يقاربها قد رجحت عند أكثر الباحثين^(٣).

ثم تضاربت الآراء بشأن أصله، ف قيل بأنه كنانى صليبة وقيل مولى^(٤). ويرجح الدكتور أحمد أمين بأنه كنانى بالولاء، لا كنانى صليبة، فقريب الجاحظ (ابن بنت أخت الجاحظ أو ابن أخته، على خلاف في ذلك)^(٥) - وهو يموت بن المزرع يقول: الجاحظ خال أمي. وكان جدُّ الجاحظ أسود يقال له فزارة، وكان جملاً لعمر بن قلع الكنانى^(٦).

وربما اكتفى بعضهم باسمه واسم أبيه. وقد أسند السمعاني هذا الوصف إلى محبوب نفسه جدّ الجاحظ الأول فقال: إن عمرو بن قلع هذا كان أحد النسأة^(٧). أي أنه كان حياً قبل إبطال النسب في السنة التاسعة للهجرة.

(١) «الجاحظ» د. جبر. ص ١٧.

(٢) «مصادر الدراسة الأدبية»: يوسف أسعد داغر. ط ٢. مط دير المخلص. صيدا لبنان ١٩٦٢ ج ١. ص ١٣٧.

(٣) «ضحى الإسلام» أحمد أمين. ط ١ دار الكتاب العربي. بيروت. ج ١ ص ٣٨٧.

«أمراء البيان»: محمد كرد علي. مط. لجنة التأليف والنشر. القاهرة ١٩٣٧ مج ١. ص ٣١٥.

(٤) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي. ج ١٢. ص ٢١٣.

(٥) «الجاحظ» د. الحاجري. ص ٧٩.

(٦) «ضحى الإسلام» أحمد أمين. ج ١. ص ٣٨٦.

(٧) نساء الشيء ينسؤه: أخره. والنسب: التأخير ويكون في العمر والدين. ورجل ناسيء وقوم نسأة: مثل فاسق وفسّقه، وذلك أن العرب كانوا إذا صدروا عن منى يقوم رجل منهم من كنانة فيقول: أنا الذي لا أعاب ولا أجاب ولا يُردُّ لي قضاء، فيقولون: صدقت! أنسئنا شهراً أي =

فمن غير المحتمل أن يدرك جَدُّ الجاحظ ذلك العهد البعيد^(١). وقال بعضهم إنه ليثي من بني كِنانة بن خزيمة، والد النضر أبي قريش، وبنو كِنانة بطن من مضر يقال لهم كِنانة طلحة^(٢).

وزاد بعضهم على ذلك: والليثي نسبة إلى الليث بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة بن خزيمة بن مدركة، وإلى هذه القبيلة ينتسب أبو عثمان الجاحظ فهو عربي كِناني^(٣). ويقول جرجي زيدان: بأنه كِناني ليثي بالولاء^(٤).

ويروي المبرّد أشياء كثيرة عن الجاحظ ويسميه عمرو بن بحر ولا يزيد على نسبه^(٥). ويقرر الدكتور جميل جبر أن قول حسن السندوي في كتابه «أدب الجاحظ» نشأ أبو عثمان في بيت من أَجَلْ بيوتات العرب ومن أعرقها في المجد والشرف»، قول قد دحضته الوقائع^(٦). والراجح عندنا، على تضارب الآراء، أن أبا عثمان، كان عربي الدم والنسب، لأن الرجل - كما هو معلوم - كرّس جهده وحياته لخدمة العرب والعربية، وتَزَعَّم أكبر حَرَكة قامت في وجه الشعوبية حتى هدمتها وقضت عليها. ولو كان غير ذلك لسمعت الشكوك من الخصوم تُبرق وتدوي. فهو على الأرجح رجل يغلي في عروقه الدم العربي الزكي، وتفور في نفسه العزة العربية الصحيحة^(٧).

= آخر عنا حُرمة المحرّم واجعلها في صفر وأحلّ المحرّم، لأنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم، لا يغيرون فيها لأن معاشهم كان من الغارة فيحلّ لهم المحرم، فذلك الإنساء. انظر «لسان العرب»: لابن منظور مادة نساء. مج ١. ص ١٦٦-١٦٧.

- (١) «الجاحظ» د. الحاجري - ص ٧٩.
- (٢) «أمراء البيان» لمحمد كردعلي - ج ٢ - ص ٣١٥.
- (٣) «أبو عثمان الجاحظ»: د. محمد عبد المنعم خفاجي - ص ٥٣.
- (٤) «تاريخ آداب اللغة العربية»: جرجي زيدان - ج ٢ - ص ١٩٣.
- (٥) «الكامل في اللغة والأدب»: لأبي عباس محمد بن يزيد المبرّد - مكتبة المعارف - ج ١ - ص ١٢٢ و ١٤٥ وج ٢ - ص ٦٦.
- (٦) «الجاحظ في حياته وأدبه وفكره» د. جميل جبر - ص ١٧.
- (٧) «النثر الفني وأثر الجاحظ فيه» د. عبد الحكيم بلبع - ص ١٨٣.

٣ - نشأته

ولد الجاحظ في بيت فقير ومات أبوه منذ حدثته، فأصبح يتيماً، ولكن اليتيم وحده لم يكن المنعص الوحيد في حياة هذا الطفل، بل - أجمعت المصادر أنه - كان جاحظ العينين بارزهما، ناتئهما، ولذلك لُقّب بالجاحظ، والحدقي؛ كان مشوه الخلقة، بشعاً، دميم الوجه قصير القامة، ضرب المثل ببشاعته حتى قيل فيه:

لو يُمسَخُ الخنزيرُ مَسَخاً ثانياً ما كان إلا دون قُبْحِ الجاحظ^(١)

وهذه في نظرنا، مُنْغَصَاتٌ كثيرة صادفت طفولة الجاحظ. إذ أن رؤيته لنفسه ومقارنته مع الآخرين، تبعثان فيه شعوراً بالنقص أو بما يؤثر على مستقبله... ومن ناحية أخرى، سماعه ما يقولون عنه في بيئته، حتى ليخيل إليه أنه ليس مثلهم، من البشر.

وكان يأنف من لُقْبِ الجاحظ ويعتز باسم عمرو، فألّف لذلك رسالة فيمن يسمى من الشعراء عمراً^(٢). ولكن بشاعته الطبيعية اكتست ثوباً من الدعابة الممزوجة بالجد، أنست الناس ما هو عليه. فكان خفيف الروح، حسن العشرة، يتهافت الناس على الاستمتاع بنوادره وأدبه وقد قال عن نفسه: ما أخجلني إلا امرأتان: رأيت إحداهما في العسكر^(٣)، وكانت طويلة القامة، وكنت على طعام، فأردت أن أمارحها، فقلت: «انزلي كلي معنا!» فقالت: «اصعد أنت حتى ترى الدنيا». - معرّضة بقصره -. وأما الأخرى فإنها أتتني، وأنا على باب داري، فقالت: «لي إليك حاجة وأنا أريد أن تمشي معي». فقمتم معها إلى أن أتت بي إلى صائغ يهودي، فقالت له: «مثل هذا!» وانصرفت.

(١) «الجاحظ» د. جميل جبر - ص ١٦.

(٢) «أبو عثمان الجاحظ» د. عبد المنعم خفاجي - ص ٥٥.

(٣) العسكر: مجتمع الجيش. وعسكر أبي جعفر المنصور: يراد به مدينته التي بناها ببغداد. وكذلك عسكر أبي جعفر. يطلق على قرية بالبصرة. وقيل: مكان في سامراء، راجع «معجم البلدان» ياقوت الحموي مج ٤ - ص ١٢٢ - ١٢٤.

فسألت الصائغ عن قولها. فقال: «إنها أتت إليّ بفصّ وأمرتني أن أنقش عليه صورة شيطان، فقلت يا سيدتي، ما رأيت الشيطان. فأنت بك»^(١).

لم يحدثنا الرواة عن طفولته بشيء، ولم ينقلوا إلينا ما يفتح الطريق أمامنا فلا نستنتج إلا آثاراً ضئيلة نتلمسها تلمساً، تكاد لا تهدينا إلى شيء، كما لم يبحثوا عن المؤثرات الوراثة الخاصة التي ورثها عن آبائه، حتى نكاد لا نعرف عن أمه وأبيه شيئاً إلا اسمهما. ما عدا خبراً ضئيلاً عن أمه، وهو أنها يوم توفي والده كفلته وأعانتة على الحياة. ولكن هذه الكفالة ما كانت لتغفیه من تحمّل أعباء الحياة برغم صغر سنّه، ومما يدل على وعيه المبكر وبُعْد نظره ورجاحة عقله، بيعه الخبز والسمك بنهر سيحان^(٢) بالبصرة. أو بسيحان إحدى جهات البصرة^(٣)، ليعين نفسه وأمه على أسباب الحياة.

حالت الأقدار بين هذا الطفل وبين حنان الأبوة، ولكنه كما أثبتت الأيام تخطى واقعه، وعمل لمستقبله، ونجح، بعقل متفتح ورؤية صافية.

لقد أنسانا صورته الخارجية، وأظهر لنا صورته الحقيقية. فلم نعد نرى فيه سوى صورة الرجل الكامل، والعقل المفكر المدبّر، والأديب العالم، والمحدث الفكه، لقد جعل من بشاعته جمالاً، ومن ضعفه قوة، ومن قصره طولاً، ومن يئمه أبوة، واعتاض من كل ضروب النقص بنوع من الكمال والتفوق والاستعلاء حتى ردّدنا مع الشاعر:

وعينُ الرضى عن كل عيب كليلَةٌ ولكن عينُ السُخْطِ تُبدي المساويا
رَهْفَتْ مشاعر هذا الطفل، وابتدأ بتعلم القراءة والكتابة، مستعيناً بتطلعه

(١) «أدب الجاحظ» حسن السندويي. ط ١ - مط الرحمانية القاهرة ١٩٣١ - ص ١٦٦ - ١٧٠.

«الجاحظ» د. جبر - ص ١٦ - ١٧.

(٢) «معجم الأدباء» ياقوت الحموي - دار المأمون - القاهرة. مج ١٦ - ص ٧٤ «النثر الفني وأثر الجاحظ فيه» د. بليغ - ص ١٨٢.

(٣) «الجاحظ»: د. الحاجري - ص ٩١.

الشديد وذكائه المتوقّد. «ويظهر أنه أتيح له في ذلك العهد، عهد الكُتّاب، من المعلمين من كان في طبقة فوق طبقة عامتهم، فشحذ طبعه وألهب تطلّعه، كأبي الوزير وأبي عدنان المعلمين»^(١).

فهل قاد هذان المعلمان الطفل إلى عالم أوسع يتوق إليه الجاحظ بكلّيته؟

الظاهر أنهما أثرا فيه تأثيراً بليغاً، لِسعة علمهما وخلاصة منطقيهما. لأن الجاحظ كان يَكُنُّ لهما وُدّاً وتقديراً. وربما هما اللذان دفعاه ونبهاه وأثارا فيه الرغبة القوية المُليّحة إلى تَلَمُّس طريقه بَعْدَ الكُتّاب، إلى مسجد البصرة ومربدها ودور العلم المتوافرة فيها. «أخذ يتردد على حلقات العلم في مسجد البصرة الجامع، ويتلقى الفصاحة شِفاهاً عن العرب في المريد ويستمتع من القصاص إلى أحداث الفتوح وسير الغزاة وأطوار الزُهّاد والناسكين»^(٢). «لقد كان هذا المسجد وذلك المريد يعملان على تخريج رجالات الدولة وزعماء الأدب وأئمة الدين... إذ كانا من الأماكن العامة التي لا يحظر على أحد غشيانها والتلقي عنها»^(٣).

وهكذا عاش الجاحظ في خلافة المنصور (١٥٠هـ / ١٥٨م) وجزء من خلافة المهدي، وبذلك أمضى الشق الأول من حياته كما قَسَمْنَا، مُقبلاً على التعلّم، مثابراً على التحصيل حتى بلغ مرحلة الشباب^(٤). ولم تكن آفاق البصرة، على رَحبتها، لتكفي أبا عثمان، فانصرف عنها إلى بغداد - عاصمة العالم الإسلامي في ذلك العصر -؛ فأفاد كثيراً من وجوده فيها وتابع درسه في مجالس أعلامها - وهي مرحلة متطورة من حياة الجاحظ - قُدِّر له فيها أن يتصل

(١) الجاحظ: د. الحاجري - ص ٩٣. «والبيان والتبيين» تحقّ هارون. ج ١ - ص ٢٥٢. أبو عدنان وأبو الوزير، تركا أثراً في نفس الجاحظ من جراء تعليمهما إياه.

(٢) «أبو عثمان الجاحظ». خفاجي - ص ٥٧.

(٣) «الجاحظ». الحاجري - ص ٩٤.

(٤) «أبو عثمان الجاحظ». خفاجي - ص ٥٧.

بأساطين اللغة وعظمائها، ومن هؤلاء كل من الأصمعي^(١)، وأبو زيد الأنصاري^(٢)، وأبو عبيدة مَعْمَر بن الْمُثَنَّى^(٣)، فأخذ عنهم اللغة والأدب. كما أخذ النحو عن الأخفش^(٤)،

(١) الأصمعي: (١٢٢ - ٢١٦هـ / ٧٤٠ - ٨٣١م). عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته بالبصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحفظ بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. وكان الرشيد يسميه «شيطان الشعر». قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي. وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظاً. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة. «معجم المؤلفين»: كحالة. ج ٦ - ص ١٨٧ - ١٨٨. «الأعلام»: الزركلي. مج ٤ - ص ١٦٢.

وتجد له أقوالاً وأخباراً في العقد الفريد وتاريخ الطبري.

(٢) أبو زيد الأنصاري (١١٩ - ٢١٥هـ / ٧٣٧ - ٨٣٠م). هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري. ابن قيس بن يزيد النعمان الأنصاري البصري. من أهل البصرة. لغوي، أديب. نحوي. أخذ عن أبي عمرو بن علاء، وأخذ عنه أبو عبيدة وغيره.... كان يرى رأي القدرية. وهو من الثقات في اللغة. قال ابن الأنباري: كان سيبويه إذا قال: «سمعت الثقة» عَنَى أبا زيد. من مصنفاته الكثيرة: القوس والترس، الإبل، بيوتات العرب، اللغات، خلق الإنسان، الشجر، الغرائز، غريب الأسماء وغيرها.... توفي بالبصرة. «معجم المؤلفين»: كحالة. مج ٤ - ص ٢٢٠. «الأعلام»: الزركلي. مج ٣ - ص ٩٢.

(٣) أبو عبيدة، مَعْمَر بن الْمُثَنَّى (١١٠ - ٢٠٩هـ / ٧٢٨ - ٨٢٤م) التيمي بالولاء، بصري نحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده ووفاته بالبصرة. استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨هـ / ٨٠١م، وقرأ عليه أشياء من كتبه. قال الجاحظ لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. وكان إباحياً شعوبياً، من حُفَاظ الحديث.

قال ابن قُتيبة: كان يبغض العرب وصُتِف في مثالبهم كتباً كثيرة. ولمّا مات لم يحضر جنازته أحد لشدة نقده لمعاصريه، وربما أنشد البيت فلم يُقم وزنه، ويخطيء إذا قرأ القرآن نظراً. له نحو مائتي مؤلف. من تصانيفه: معاني القرآن، نقائض جرير والفرزدق، أخبار قضاة البصرة.... وغيرها.... «معجم المؤلفين»: كحالة. مج ١٢ - ص ٣٠٩ - ٣١٠.

«الأعلام»: الزركلي. مج ٧ - ص ٢٧٢.

(٤) الأخفش: ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م. هو سعيد بن سعدة المجاشعي بالولاء، البلخي. أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط. نحوي، لغوي، عروضي، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ. سكن البصرة وأخذ العربية عن سيبويه. من تصانيفه الكثيرة: كتاب الأوسط في النحو، تفسير معاني القرآن، الاشتقاق، العروض، معاني الشعر، كتاب الملوك، وزاد في العروض بحر (الخبب) وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر، فأصبحت ستة عشر. «معجم المؤلفين»: كحالة. مج ٤ - ص ٢٣١. «الأعلام»: الزركلي. مج ٣ - ص ١٠١ - ١٠٢.

والكلام عن النّظام^(١)، والحكمة عن أبي جناح^(٢). وكان هؤلاء أئمة الناس في اللغة والشعر وعلوم العرب، لم يُعرف قَبْلَهُمْ ولا بعدهم مثلهم، عنهم أُخِذَ جُلُّ ما في أيدي الناس من هذه العلوم^(٣).

وقد وصف الجاحظ النّظام فقال: إنه ما رأى أحداً أعلم بالكلام والفقه منه. ثم زاد: إنه وجد عند أدباء الكتاب كابن وهب^(٤) وابن الزيات^(٥) ما لم

-
- (١) النّظام: ت ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م. وقيل توفي بضع وعشرين ومائتين. هو إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري، أبو إسحاق النظام. تبخر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها وقد انفرد بآراء خاصة تابعت فيها فرقة من المعتزلة سميت «النّظامية» نسبة إليه وبين هذه الفرقة وغيرها مناقشات طويلة، وقد ألّفت كتب خاصة للرد على النّظام وفيها تكفير له وتضليل. أما شهرته بالنّظام فأشياءه يقولون إنها من إجادته نظم الكلام، وخصومه يقولون إنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة. وفي كتاب «الفرق بين الفرق» أن النظام عاصر في زمان شبابه قوماً من الثنوية وقوماً من السمنية وخالط ملاحدة الفلاسفة وأخذ عن الجميع. وفي شرح الرسالة الزيدونية أن النظام لم يخل من سقطات عُدّت عليه لكثرة إصابته. وقيل إنه كان شاعراً أديباً بليغاً متهماً بالزندقة. وذكروا أن له كتباً كثيرة في الفلسفة والاعتزال. «لسان الميزان»: لابن حجر العسقلاني. ط ٢. منشورات الأعلمي. بيروت ١٩٧١. مج ١ - ص ٦٧ رقم ١٧٣. «الأعلام»: الزركلي. مج ١ - ص ٤٣.
- (٢) لم نجد تعريفاً له، وربما كان صالح بن جناح وهو شاعر دمشقي من الحكماء الذين أدركوا التابعين. «الأعلام»: الزركلي مج ٣ - ص ١٩٠.
- (٣) «أمراء البيان»: محمد كرد علي. ج ٢ - ص ٣١٧.
- (٤) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن قنان بن متى. أبو علي. كاتب من الشعراء. فصيح كان معاصراً لأبي تمام، وله معه أخبار. وكان وجيهاً، استكتبه الخلفاء، ومدحه أبو تمام. كتب لمحمد بن عبد الملك الزيات وولي ديوان الرسائل. من آثاره: ديوان رسائله، وشعر بمائة ورقة. توفي نحو ٢٥٠ هـ / ٨٦٥ م. «الأعلام»: الزركلي. ج ٢ - ص ٢٢٦.
- «معجم المؤلفين» كحالة. مج ٣ - ص ٣٠٢.
- (٥) محمد بن الزيات (١٧٣ - ٢٣٣ هـ / ٧٨٩ - ٨٤٧ م). ابن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر المعروف بابن الزيات. أديب، كاتب، شاعر، نحوي، لغوي، وزير المعتصم والوائق والمتوكل. نشأ في بيت تجارة في الدسكرة قرب بغداد ولمّا عرض الواثق عمل ابن الزيات على تولية ابنه وحرمان المتوكل، فلم يفلح. وولي المتوكل فنكبه، وعذبه إلى أن مات ببغداد. وكان من العقلاء والدهاء وفي سيرته قوة وحزم. له ديوان رسائل وديوان شعر. وكانت وفاته سنة ٢٣٣ هـ / ٨٤٧ م. «الأعلام»: الزركلي. مج ٦ - ص ٢٤٨. «معجم المؤلفين»: كحالة. مج ١٠ - ص ٢٥٤.

يجده عند مشايخه الذين أخذ منهم الشعر والأدب، وبهم عَرَفَ ماهية الشعر، وقام بحق الأدب والكتابة^(١)، ومن غيرهم من أئمة ذلك العصر. ولم يكن اتصاله بهؤلاء العلماء في تلك البيئات العامل الوحيد في تكوين شخصيته وعقليته أو توجيهه تلك الوجهة التي نلمسها في أدبه. ولا يجوز أن نقفَ عند المسجد والميربد والشيخ أو الأعراب أو دكاكين الوراقين التي كان يكثرها وينام فيها للنظر في ذخائرها، بل هناك إلى جانب ذلك كله بيئة تختلف عن هذه البيئات، هي التي كَوَّنَتْ في نفس الجاحظ شخصيته وترَكَتْ فيه أبعاد الأثر، ألا وهي بيئة الحياة العاملة الكادحة التي حمل الجاحظ عليها ليجد فيها أسباب حياته المادية فقاده إلى أسباب العبقرية الفنية^(٢).

وامتزج الألم بالفقر، بالعلم، بالتفكير السديد، بالصبر، بالإيمان الشديدين، ليصل إلى المُبتَغى. لا خَوْفاً من الفاقة والعَوَز بل حُباً بالحياة. تَدْفَعُهُ رغبة صادقة وحب وأمنيات. لقد أحب الجاحظ العلم والكتاب محبة عجيبة، حتى إنه كان يُعَدُّ الظَّفَرَ بكتاب ما شيئاً عظيماً.

قال محمد بن سلمان الجوهري: كُنَّا نصحب الجاحظ على سائر أحواله من جد وهزل، فخرجنا يوماً للنزهة، فبينما نحن على باب جامع البصرة، ننتظر شيئاً أردناه، إذ عارضت امرأة معها أوراق مقطعة، فعرضت علينا ذلك، فلم نجد فيها طائلاً فتركناها، وتخلَّفَ معها أبو عثمان ونحن ننتظره، فأطال. ثم رأيناه قد وزن لها شيئاً، وأخذ الأوراق ومضى بها إلى منزله، فلما عاد أخذنا نهزأ به، فقال: «أنتم حمقى والله إنَّ فيها ما لا يوجد إلا فيها، ولكنكم جهال، لا تعرفون النفيس من الخسيس»^(٣).

ويحدث أبو هفان عنه فيقول: لم أَرَقُطْ ولا سمعت مَنْ أَحَبَّ الكُتُبَ

(١) «أمراء البيان» محمد كردعلي. ج ٢ - ص ٣١٧.

(٢) «أمراء البيان»: مجد كردعلي. ج ٢ - ص ٣١٧.

«الجاحظ»: الحاجري. ص ٩٦.

(٣) عن «أبو عثمان الجاحظ»: للخفاجي - ص ٦٠.

والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان^(١).

ويحدثنا الحاجري عن أسباب عبقريته فيقول: إن الحياة العاملة تضم بين جوانحها شتى الأجناس البشرية تقريباً ولكل جنس منها خلقه ومزاجه وطابعه في تفكيره وتصرفاته ولم تكن طبيعة الحياة فيها لتجعل من هذه الأجناس المختلفة فصائل تعيش مستقلة متميزة، وإنما هي في اتصال دائم، ومنافسة مستمرة، فتحتك الطبائع، وتتلاقح الأمزجة، وتزداد بذلك تعقداً والتواء^(٢). وأسواق البصرة صورة من أعنف أشكال التنافس، فكان الجاحظ يتلمس منها رزقه اليومي، فاتخذ من هذه الحياة اليومية ينبوعاً لأدبه. كما اتخذ من طابع الناس وغرائزهم ومنازعاتهم موضوعات لتأليفه.

ولعل المرید أقرب البيئات إلى بيئة الحياة العاملة، فهو سوق البادية أو أحد أسواق البصرة التي يغشاها أخلاط من الناس يختلفون في الجنس والمنزلة والعمل، يتلمسون تجارة أو تسوقاً أو تفرجاً. لقد كان حلقة اتصال بين الحياة العربية الصحيحة والحياة العراقية الجديدة، فاحتل مكاناً خطيراً في الحياة الأدبية العلمية، فكان لا بد للمتأدب من غشيانه، ليتلقى فيه اللغة حيّة نابضة من أفواه أصحابها، من الأعراب، وليستعين على فهم الأدب والشعر والنقد.

اتخذ الجاحظ منه مدرسة تلقى فيها أصول البيان العربي بأذنه وقلبه وعقله. فكان ذا أثر بليغ في تفتيح عقله الناشئ، وتثقيف ذوقه الفني^(٣).

أما مسجد البصرة فيمكن اعتباره بيئة مركزة تتمثل فيها الصورة العقلية والنزعات النفسية والتيارات الاجتماعية لما حوله.

لقد تنوع الجمهور الذي يؤمه، وتنوعت مسائل العلم فيه. حلقات مختلفة

(١) أبو عثمان الجاحظ: د. خفاجي - ص ٦٠ - ٦١.

(٢) «الجاحظ»: الحاجري - ص ٩٦.

(٣) «الجاحظ»: الحاجري - ص ١٠٠ - ١٠٢.

الألوان، متعددة المذاهب، مجالس، للقرآن، للوعظ. حلقات الأخبار والنوادر. مجالس للمذاهب السياسية والدينية. يضاف إليها مجالس لا تتقيد بفن أو علم، وإنما تتألف من طوائف من الناس طال غشيانهم للمسجد حتى نسبوا إليه، فكانوا يُدْعَوْنَ بالمسجدين، وهم خليط من الشعراء والرواة والحكماء، يفيضون في شتى الأحاديث والمزاح والسمر. بيئات مختلفة كانت له عوناً على تكوين شخصيته^(١).

ومن جملة الحياة العاملة أيضاً، مجالس العلم العامة في مساجد الأحياء وفي أفنية الدور والأندية المنتشرة هنا وهناك، أفاد منها الجاحظ كثيراً، كما أفاد من دكاكين الوراقين للكتب المدونة والمترجمة، وهي أوسع البيئات مجالاً وأكثرها مساهمة للنزعات المختلفة. فلا جرم أن يكون أثرها عظيماً في تكوين شخصية جاحظنا العجيب.

كان يمضي حياته الأولى بين مطالب العيش في أسواق البصرة وما وراءها، ومطالب المجد الأدبي الذي يراود خياله الخصيب.

وما زال مُقَسِّمَ القلب مثقل الضمير، حتى أتيح له نبيل من نبلاء البصرة، المشغوفين بالعلم والأدب وحماية المعوزين من ضيق الحياة، ذلك هو موسى بن عمران^(٢) أحد أخطر الشخصيات التي اتصل بها، وكان من أصحاب النظام ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م. ومن خلال هذا الاتصال اكتشف النظام عبقرية الجاحظ فساعدتها على النمو.

الأستاذ لا يصنع العبقریات ولكنه يكتشفها وينمّيها. (وهكذا أصبح الجاحظ معتزلاً على غرار أستاذه)^(٣).

وابتدأت الصورة المُستقبَّحة بين الناس تختفي، ليحل محلها صورة

(١) الجاحظ: الحاجري. ص ١٠٢ - ١١٣.

(٢) من بخلاء الناس في عصر الجاحظ، ومن أصحاب النظام. قيل إنه أبخل أهل زمانه (انظر الحيوان للجاحظ ٥/ ٤٦٨...).

(٣) «الجاحظ»: الحاجري. ص ١٦٣ - ١٧٥.

الأديب الأريب الظريف، الفكيه، الرائع الحُجَّة، الفصيح اللسان، تُحدِّق إليه
الأبصار دهشة، وتُصغي إليه الأسماع منتشية، فهل يكفيه ذلك ويشفي غليله
وطموحه^(١)؟

كان كُتَّاب ذلك العصر وأدباؤه يتميزون في ضروب العلم وأصنافه. وهُم
كل منهم الاختصاص بضرب واحد أو ضربين من أنواع العلوم والمعارف، أو
يعد نفسه ليكون كاتب ديوان الخراج، أو مُتَرَسِّلاً في ديوان الإنشاء. وكانت
معارفهم لا تخرج عن حدود حفظ كتاب الله الكريم، وأحاديث نبيّه
المصطفى ﷺ، بالإضافة إلى معلومات عن الشعر الجاهلي، والمُصَفَّى من كلام
الأعراب، بعد أن يُخَكِّموا علوم النحو والصرف وأساليب اللغة، واشتقاق
ألفاظها، وإجادة التعبير بها.

أما إذا أضاف أحدهم إلى ذلك كله شيئاً من العلوم والآداب التي
استحدثت كالمنطق والفلسفة وغيرها، فقد صار حُجَّةً يُزَجُّعُ إليه في عظام
الأمور.

فلما برز الجاحظ واستكحمت مواهبه لم تقف همته عند إحدى تلك
الغايات التي بلغها الكُتَّاب والأدباء ممن تقدمه أو عاصره، بل عاهد نفسه على
أن يَبْدُئَهُم جميعاً، ويكون فكرُهُ دائرة معارف وخزانة علوم، وقد فعل^(٢)؛ فكان
أول من اتخذ التأليف صناعة يُبْرِزُ بها نفسه، وهو القائل: وليس الكِتَابُ إلى
شيء أحوج منه إلى إفهام معانيه، حتى لا يحتاج السامع لما فيه من الرويَّة،
ويحتاج من اللفظ إلى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السُفْلَةِ والحشو^(٣). ويحطُّه من
غريب الأعراب ووحشيِّ الكلام، وليس له أن يهذِّبه جداً، ويُنقِّحه ويُصَفِّيه
وَيُرْوِّعه، حتى لا يَنْطِقَ إلا بلبِّ اللَّبِّ، وباللفظ الذي قد حُذِفَ فُضُولُهُ، وأُسْقِطَ

(١) «أبو عثمان الجاحظ» د. خفاجي، ص ٦٢.

(٢) «البيان والتبيين» تحق السندوبي. ط ٤، مط الاستقامة. القاهرة ١٩٥٦. ج ١. ص ٥ - ٦.

(٣) الحشو من الكلام: الفضل الذي لا يُعتمد عليه كذلك هو من الناس. وحُشوة الناس: رذالتهم.
والمعنى صغار الناس وأسقاطهم. «لسان العرب» ابن منظور (حشو): مج ١٤ - ص ١٨.

زوائده، حتى عاد خالصاً لا شوب فيه، فإنه إن فعل ذلك، لم يفهم عنه إلا بأن يجدد لهم إفهاماً مراراً وتكراراً، لأن الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام، وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم إلا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها^(١).

من أجل هذا أصبحت كتب الجاحظ أغزر مصدر لدارس الحياة الاجتماعية في عصره. فطارت شهرة صاحبها في البصرة والكوفة وبغداد وفي عواصم العالم الإسلامي، وبين العلماء والأدباء والمفكرين.

وقد رأى أبو عثمان ما رأى من عظمة الخلافة العباسية في عصر الرشيد وشاهد مصرع البرامكة وما انطوت عليه الأحداث، وأدرك وفاة الرشيد والصراع بين الأمين والمأمون، ومقتل الأمين وجلوس المأمون على عرش الخلافة في المحرم من ١٩٨هـ / ٨١٤م^(٢).

وفي هذه الفترة، وهي الشق الثاني من حياته، تبدلت حياة أبي عثمان من الحرمان والفاقة إلى الغنى والثراء، وبعد أن كان يشكو الفقر أصبحت له ضيعة تُنسب إليه، واقتنى مالاً وبيتاً وعني بأبواب بيته فاختر لتركيبها أمهر النجارين^(٣).

وفي خلافة المأمون، بلغت الحياة الاجتماعية أقصى درجة من الرخاء والحضارة.

وكان الجاحظ على صلة فكرية بالمأمون، الذي كان يقدره لعبقريته واعتزاله، والجاحظ بدوره كان يجلّ الخليفة لسعة ثقافته وميوله الاعتزالية.

وعندما أمر المأمون العلماء بالكتابة في الإمامة، استجاب له الجاحظ، وألّف كتابَ الإمامة^(٤).

(١) «الحيوان» للجاحظ. تحقّ هارون مج ١ - ص ٨٩ و ٩٠.

(٢) «أبو عثمان الجاحظ»: خفاجي - ص ٦٤.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

(٤) «الجاحظ»: د. الحاجري - ص ١٨٢.

قال الجاحظ: ولما قرأ المأمون كتبي في الإمامة فوجدها على ما أمر به، وصرت إليه وقد كان أمر اليزيدي^(١) بالنظر فيها ليخبره عنها.

قال لي: قد كان بعض من يُرتضى عقله ويُصدق خبره خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة، فقلنا له: قد تُربي الصُفة على العيان، فلما رأيتها رأيتُ العيانَ قد أربى على الصُفة، فلما فليتها أربى الفليُّ على العيان كما أربى العيان على الصُفة.

وهذا كتاب لا يحتاج إلى حضور صاحبه، ولا يفتقر إلى المُحتَجِّين عنه، قد جَمَعَ استقصاء المعاني، واستيفاء جميع الحقوق، مع اللفظ الجَزُل والمَخرج السَّهْل، فهو سوقي مُلوَكِّي، وعامي خاصي^(٢). قال الجاحظ: فوالله لما أفدته من تَعَلَّمَ صِفة هذا الكتاب أثر عندي من الكتاب^(٣).

وعاصر الجاحظ محنة القولِ بِخَلْقِ القرآن، واشترك في تفاصيلها، لذلك أَسَدَ إليه الخليفةُ رئاسة ديوانه، فصَدَعَ على كره منه بالأمر، ولكنه سرعان ما اعتذر للخليفة ما وسعه الاعتذار عن قبول المنصب فأعفاه منه بعد ثلاثة أيام. وكان سهل بن هارون يقول: «لو ثبت الجاحظ في هذا الديوان لأفل نجم الكتاب»^(٤).

ثم تولى المعتصم بن الرشيد عام ٢١٨هـ / ٩٣٣م عرش الخلافة العباسية

(١) اليزيدي ت ٢٠٢هـ / ٨١٦م. يحيى بن المبارك بن المغيرة، أبو محمد العدوي المعروف باليزيدي. وقيل له اليزيدي لأنه كان منقطعاً إلى يزيد بن منصور الحميري، خال ولد المهدي يؤدَّب ولده فنسب إليه، ثم اتصل بالرشيد فجعل المأمون في حجره وأدبه. وكان ثقة. سكن بغداد. وكان أحد القراء الفصحاء عالماً بلغات العرب أخذ عن أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد. كان يجلس في أيام الرشيد مع الكسائي ببغداد في مسجد واحد يُقرئان الناس. فكان الكسائي يؤدب محمد الأمين وكان اليزيدي يؤدب عبد الله المأمون.

«تاريخ بغداد» الخطيب البغدادي. مج ١٤. ص ١٤٦ - ١٤٨ رقم ٧٤٦٥.

(٢) «البيان والتبيين» تحق هارون. ج ٣. ص ٣٨٤ - ٣٧٥.

(٣) «أدب الجاحظ»: السندوبي - ص ١٢١. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٦٦ - ٦٧.

(٤) «معجم الأدباء» ياقوت الحموي ج ١٦. ص ٧٩.

بعد المأمون^(١). إلا أن الجاحظ كان في بغداد، فأصبح في سامرا، منذ انتقلت الدولة إليها وقد اتخذ داره في عسكرها. في جوار ابن الزيات، وسنه تجاوزت الستين^(٢). وكان وزير المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات صديقاً حميماً للجاحظ، وهذا الوزير هو الذي قرّب أحمد بن أبي دؤاد إلى الخليفة وقرّب الجاحظ أيضاً ليُصبح ذا حُظوة عند المأمون. وفي أيامه مات الشاعر أبو تمام ٢٣١هـ / ٨٣٥م بالموصل^(٣). وكان الجاحظ في هذه الفترة كثير المال عظيم النفوذ.

ولما تربّع المتوكل على عرش الخلافة (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٦-٨٧٦م)، أمر بترك النظر والجدل وأنهى مِحنة القولِ بخلق القرآن. وبعد أشهر من خلافته قَتَلَ وزيره ابن الزيات ٢٣٣هـ / ٨٤٧م. ورفع منزلة أبي دؤاد، فخاف الجاحظ وهرب إلى البصرة، فقليل له: لم هربت؟ فقال: خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور، وأمر ابن أبي دؤاد أن يُؤتى بالجاحظ من البصرة، فجيء به مُقيّدَ الرجلين، مغلولَ العنق بسلسلة، في قميص سَمَل، فدخل على ابن أبي دؤاد، فلما وقع نظره عليه قال: والله ما علمتك إلا متناسياً للنعمة، كفوراً للصنيعة مُعدداً للمساوىء، وما فُتني باستصلاحي لك، ولكن الأيام لا تُصلحُ منك لفساد طويّتك ورداءة داخلتك، وسوء اختيارك، وتَقَالِبِ طَبْعِكَ. فقال له الجاحظ: خَفُضْ عليك - أَيْدَكَ الله - فوالله لَأَنْ يَكُونَ لَكَ الْأَمْرُ عَلَيَّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي عَلَيْكَ، وَلَأَنْ أَسِئَءَ وَتُحْسِنَ، أَحْسَنُ عَنْكَ مِنْ أَنْ أُحْسِنَ فَتُسِئَءَ، وَأَنْ تَعْفُو عَنِّي فِي حَالِ قُدْرَتِكَ أَجْمَلُ مِنَ الْإِنْتِقَامِ مِنِّي. فعفا عنه^(٤).

(١) «تاريخ الخلفاء»: السيوطي تحقق محي الدين عبد الحميد. ط ١. مط. السعادة مصر ١٩٥٢ - ص ٣٣٥.

(٢) «الجاحظ»: الحاجري - ص ٢٦٠.

(٣) يجعل ابن الأثير وفاة أبي تمام سنة ٢٢٨هـ / ٨٤٢م. ويجعلها صاحب الخزنة ٢٣٢هـ / ٨٤٦م. «الكامل في التاريخ» ابن الأثير. مج ٥ - ص ٢٦٩. «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي. ط ١. دار صادر - بيروت - مج ١ - ص ١٧٢. «أبو عثمان الجاحظ» د. خفاجي - ص ٧٣.

(٤) «معجم الأدباء» ياقوت الحموي. مج ١٦ - ص ٧٩. «أبو عثمان الجاحظ» خفاجي - ص ٧٦ - ٧٧.

وفي هذه الأثناء عاش الجاحظ أيضاً في نعمة وبحبوحة. ولما مات المتوكل، شاهد بعده أبو عثمان عهود ثلاثة من الخلفاء هم: المنتصر (٢٤٧- ٢٤٨هـ / ٨٦٠ - ٨٦١م) والمستعين (٢٤٨ - ٢٥٢هـ / ٨٦١ - ٨٦٥م). والمعتز بن المتوكل (٢٥٢ - ٢٥٥هـ / ٨٦٥ - ٨٦٨م)^(١).

كانت سنُّ الجاحظ متقدمة، عندما أخذت الأيامُ تُدَوِّب من قوته، فأثقله المرض، وألزمه الفراش، نسأل الله العافية وحسن الختام.

كان مرضه فالجاً نصفياً، ويروى عنه أنه كان (بسر من رأى) عندما دخل أبو معاذ الطبيب يعوده وقد فلج، فلما أخذ مجلسه، أتى رسول الخليفة يطلبه، فقال الجاحظ. وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل، ولعاب سائل، أحد الشقين لو غرز بالمسال ما أحسَّ والآخر يمر به الذباب فيُعَوِّثُ، وأكثر ما أشكوه الثمانون وأنشد يومئذ أبياتاً من قصيدة عوف بن مُحَلِّم الخزاعي، أبو المنهال ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م، ومنها:

إن الثمانين - ويُلَغِّثُهَا قد أحوجت سمعي إلى ترجُمان^(٢)
ويروى عن أبي العباس المبرِّد تلميذه وصديقه أنه قال: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج لو حَزَّ بالمناشير ما شعر به، ونصفه الآخر مُنْقَرَسٌ، لو طار الذباب بقربه لآلمه. وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها ثم أنشد:

أَتَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَأَنْتَ شَيْخٌ كما قد كنت أيام الشباب
لقد كَذَّبْتُكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ثَوْبٌ دَرِيسٌ كَالْجَدِيدِ مِنَ الثِيَابِ^(٣)

وحدَّث يموت بن المزروع قال: دخل إلى خالي أناس من البصرة في العلة التي مات فيها، فسألوه عن حاله فقال:

عَلِيلٌ مِنْ مَكَانِينَ مِنْ الْأَسْقَامِ وَالْدِينِ

(١) «أبو عثمان الجاحظ» د. خفاجي. ص ٨٠.

(٢) عن المرجع نفسه ص ٨٣.

(٣) معجم الأدباء: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١١٣.

ثم قال: أنا في هذه العلل المتناقضة التي يتخوف من بعضها التلذذ وأعظمها نَيْف وتسعون سنة. قال يموت: كان يطلي نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته، والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما شعر من خدره وبرده^(١). وقيل عن علته أيضاً: إنه كان في وليمة فأكل اللبن والسمك معاً ففلج من ليلته^(٢).

وأكبر الظن أن هذه القصة من صنع الأطباء الذين أعلن الجاحظ الخصومة عليهم، ثم هَبَّت رياح الموت على تلك الشعلة المُتَّقِدَة فأطفأتها، فمات الجاحظ. سواء من قصة الكتب التي وقعت عليه أو من علته، وما أسرع ما ذاع خبر موته واضطرب به جو العراق.

وكانت وفاة الجاحظ سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩ م بإجماع المؤرخين^(٣). رحمه الله. لن ننهي حياة الجاحظ وسيرته قبل تناول مُشكلة زواجه التي تعرض لها حسن السندوبي في مقدمة كتاب «البيان والتبيين». قال: لم يشأ اتخاذ زوجة تشاركه بأساء الحياة وضراءها. بل انصرف إلى اتخاذ الجواري والفتيات... وقيل كان عقيماً...

فالأصل في الإنسان أن يكون ولوداً، وما العُقمُ إلا عارض، وقد يكون هذا النقص حاصلًا في الخلق والتكوين، وقد يأتي حادثاً... ولم ير مانعاً من القول بأن الجاحظ لم يَلِدْ لِتَقْصِصِ كان به، لأنه كان معروفاً بقوته البدنية، حتى إن الفالج لم يحل بينه وبين التفكير والكتابة والتأليف.

(١) «مروج الذهب»: لأبي الحسن المسعودي - تحقق محي الدين عبد الحميد ط٤. المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - ١٩٦٥ - ج ٤ - ص ١٩٥ - ١٩٧.

(٢) «الجاحظ» د. الحاجري - ص ٤٤٧.

(٣) «تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي» مج ١٢ - ص ٢٢٠.

«الكامل في التاريخ» ابن الأثير. مج ٥ - ص ٣٥١.

«ضحى الإسلام» أحمد أمين - ج ١ - ص ٣٨٧.

«أدب الجاحظ» السندوبي - ص ١٨٧.

«تاريخ آداب اللغة العربية» - زيدان. ج ٢ - ص ١٩٣.

ثم قال: «لم أقف على رأي في علة إعراضه عن التزوّج واكتفائه بالتسرّي. وهل كان يوجب الزواج أو كان يذهب إلى الامتناع عنه! غير أن حالته التي درج عليها طوال أيام حياته تُبيّن عن أنه كان يؤثر التسرّي، ويرى فيه مُتعة، كما يُخال أنه كان يرى في الزواج ربة»^(١).

ونحن نرى رأي السندوبي ونذهب إلى ما ذهب إليه لأننا لم نستطع العثور على السبب الحقيقي الذي جعل الجاحظ يعرض عن الزواج ويكتفي بالتسرّي.

٤ - آثاره

وَرَّثَ^(٢) أبو عثمان أمّته، وأمّم العالم، مؤلفات عديدة، قلّما نجد رجلاً مثله في تعدّد طاقاته، خَلَفَ مثلها. وهذه التركة^(٣) ثروة للناطقين بالضاد، ولوحة مُتَقَنَّة، مُبْدِعَة، صادقة، لصورة العصر الذي عاش فيه. طاوَلَتْ^(٤) عيناه كل شيء تقريباً، فلم يدع باباً إلا ولجّه^(٥)، ولا موضوعاً إلا طَرَقَه^(٦). انقادت^(٧) إليه اللغة انقياداً، وأطاعته ألفاظها، فأحسن قيادتها وتديرها^(٨).

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحق السندوبي. ج ١ - ص ١٣ - ١٤.
- (٢) وَرَّثَهُ توريثاً: أدخله في ماله على وَرَثَتِهِ، وتوارثوه كابراً عن كابر. وورث في ماله: أدخل فيه من ليس من الوراثة. «لسان العرب» ابن منظور. ورث. مج ٢ - ص ٢٠٠.
- (٣) تركة الرجل: ما يبقى من تراثه المتروك بعد موته. «لسان العرب» ابن منظور. ترك. مج ١٠ - ص ٤٠٥.
- (٤) طاوَلَنِي فطلّته، أي كنت أشد طولاً منه. قال الشاعر:
تطاوَلْتُ كي يبدو الحَصِيرُ فما بدا لعيني، ويا ليت الحَصِيرَ بداليا
«لسان العرب» ابن منظور [طول] مج ١١ - ٤١٢.
- (٥) الولوج: الدخول. «لسان العرب» ابن منظور. ولج. مج ٢ - ص ٣٣٩.
- (٦) أَصْلُ الطَّرْقِ الضَّرْبُ، وتَطَرَّقَ إِلَى الأمر: ابتغى إليه طريقاً.
«لسان العرب» ابن منظور. طرق. مج ١٠ - ص ٢١٥ و ٢٢١.
- (٧) انقاد انقياداً: خضع خضوعاً. تقول قدته فانقاد واستقاد لي إذا أعطاك مقادته.
«لسان العرب» ابن منظور. قود. مج ١٣ - ص ٣٧٠.
- (٨) التدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إلى عاقبته. والتدبير: التفكير فيه.
«لسان العرب» ابن منظور. مج ٤ - ص ٢٧٣.

كانت غاياته نبيلة، وبواعثه نظيفة حميدة، فاعتبر الكتابة شيئاً مستقلاً عن الذات لا تابع لها. لعلّه أول من فهم الأدب فهماً صحيحاً وأنزله من أبراجه العالية إلى العامة. رأى الكلام نابعاً عن رغبة في النفس وحاجة ملحة لراحته. ولكن تفيضُ النفس عند امتلائها - فذاب في الواقعية، مدرسة مستقلة جاحظية، عالج فيها الأمور بموضوعية، ومزجها بالجدّ والهزل، فجاءت جديدة عصرية، وانتشرت بين الناس، حتى ملأت الأرجاء، وأخاله ابتدع طريقة خاصة ليُبْعِدَ القارئ عن العصبية، ويُسَوِّقه إلى الرغبة الفورية، فضاقت قاعات العلوم على رخبها برؤاؤه ومُحِبِّي أدبه وظرفه، وزخرف المكتبات والمتاحف العالمية والعربية بمخطوطاته ومؤلفاته التي لم يبقَ منها، مع الأسف، إلا القليل.

ونستطيع القول: إن آثار الجاحظ على جانب كبير من الأهمية في تاريخ الفكر العربي، لأنها صورة واقعية لعصره.

فمن الأقوال المأثورة: أربعة لم يُلْحَقوا ولم يُسَبِّقوا: أبو حنيفة في فقهه، والخليل في أدبه، والجاحظ في تأليفه، وأبو تمام في شعره^(١).

كان الجاحظ عبقرياً، شق طرق المعرفة بلا حدود، ومعلّمة فريدة جمع فأوعى، ومعجزة بقيت، فشمخ الدهر بها وزها...

قدّر سبط بن الجوزي^(٢)، مؤلفات الجاحظ بثلاثمائة وستين مؤلفاً، وذكر ياقوت في معجمه مائة وثمانية وعشرين مُصَنَّفاً^(٣).

(١) «أبو عثمان الجاحظ»: خفاجي. ص ٢٨٥.

(٢) يوسف سبط بن الجوزي: (٥٨١ - ٦٥٤ هـ / ١١٨٥ - ١٢٥٦ م). هو يوسف بن قُز أوغلي (أي ابن البنت) بن عبد الله البغدادي، تركي رحل إلى دمشق وعاش قرابة نصف قرن. يلقب بأبي المظفر شمس الدين. محدث، حافظ، فقيه مفسر، مؤرخ، واعظ، ولد ببغداد وتوفي بمنزله في سفح جبل قاسيون في دمشق.

«معجم المؤرخين الدمشقيين»: د. صلاح الدين المنجد. ط ١ - دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧٨ - ص ٩٠ - ٩٤.

(٣) «معجم الأدباء» ياقوت الحموي. ج ١٦ - ص ١٠٦ - ١١٠ وفيه تقدير ابن الجوزي لمؤلفات الجاحظ.

وأحصى الدكتور خفاجي مئة وسبعة وثمانين كتاباً^(١).
وعَدَ الدكتور جميل جبر حوالى مائة وأربعين كتاباً^(٢).
كما أحصى السندويي مائة وسبعة وستين كتاباً من مؤلفات الجاحظ^(٣).
وذكر الجاحظ من مُصَنَّفاته في مُقَدِّمة «الحيوان» عدداً أقل من ذلك^(٤).
والحقيقة أن مؤلفات الجاحظ غير المتوافرة لدينا لا تعيننا، بقدر ما يعيننا
البحث في مؤلفاته المتوافرة، ولا شك في أن الرجل بلغ من التأليف درجة لم
يضاهه فيها أحد لا من قبل ولا من بعد، على ما نعلم، ولم يَطْرُق باباً إلا وُفِّحَ
له.
وَبُودُنَا لو نُذِرُجُ هذه الآثار إدراجاً كاملاً بحسب تأليفها، لكن أحداً لم
يفعل ذلك حتى الآن، بسبب ضياع عدد كبير منها من جهة، واختلاف تواريخ
تأليفها من جهة ثانية.
فانبرى كل باحث ومحقق بترتيبها بأشكال مختلفة حسب تقديره،
وترجيحه، واستقرائه، واستنتاجه. ثم مضت أقلام الأدباء تتناقل أسماءها كما
وضعت. وحاولنا أن نُسِّدَ شيئاً من الفراغ، فعمدنا إلى إثبات أكبر عدد من
مؤلفاته دفعة واحدة، مما لم نلاحظه في أي من المراجع التي عدنا إليها، مُتَّبِعِينَ
الترتيب الهجائي في أسمائها.
وهذه هي قائمة آثاره . . .

(١) «أبو عثمان الجاحظ» د. خفاجي - ص ٢٨٥ - ٣٠٨.

(٢) «الجاحظ» د. جميل جبر - ص ٢٩ - ٧٠.

(٣) «أدب الجاحظ» السندويي - ص ١١٦ - ١٥٨.

(٤) «الحيوان» تحق هارون. المقدمة.

الهمزة

١ - كتاب (الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه)

ذكره الجاحظ في مقدمة كتاب «الحيوان»^(١). وذكره ياقوت باسم (نظم القرآن) ومثلها فعل الحاجري وجبر، وأورده السندوبي باسم (الاحتجاج لنظم القرآن) فقط. ونعتقد أن جميع الأسماء هي لمسمى واحد.

نَقَّده الباقلاني في التمهيد فقال: وقد صَنَّفَ الجاحظ في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى^(٢). ونستطيع أن نتمثل بعض الشيء صِفَةً هذا الكتاب في حديث الجاحظ: أنه لم يَدْعُ فيه مسألة لرافضي ولا لحديثي ولا لحشوي ولا لكافر ولا لمنافق مقموع ولا لأصحاب النِّظام وَلَمَنْ نجم بعد النِّظام ممن يزعم أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة. لم ينشر الكتاب^(٣).

٢ - كتاب (آي القرآن)

قال الجاحظ «ولي كتاب جَمَعْتُ فيه آيَا مِنَ الْقُرْآنِ، لتعرف بها فضل ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذي كتبه لك في باب الإيجاز وترك الفضول. فمنها قوله تعالى: حين وصف خمر الجنة: ﴿لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾^(٤).

(١) «الحيوان»: تحق عبد السلام محمد هارون. ج ١ - ص ٩.

(٢) «أدب الجاحظ»: السندوبي. ص ١١٧.

(٣) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. ج ١٦ - ص ١٠٧.

«الجاحظ»: حياته وآثاره. الحاجري. ص ٣٢١.

«أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي. ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

«الجاحظ»: د. جميل جبر. ص ٦٩.

(٤) سورة الواقعة، الآية: ١٨.

وهاتان الكلمتان قد جمعتا عيوب خمر أهل الدنيا.

وقوله عز وجل حين ذكرنا فاكهة أهل الجنة فقال: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾^(١). جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني. وهذا كثير قد دللناك عليه فإن أردته فموضعه مشهور^(٢). وهو كتاب غير منشور.

٣ - رسالة في (إثم السكر). كتاب في الأحكام. لم يُنشر^(٣).

٤ - كتاب (أحدوثة العالم). يبحث في الاعتزال والكلام. لم ينشر^(٤).

٥ - كتاب (إحالة القدرة على الظلم). في الاعتزال والكلام. لم ينشر^(٥).

٦ - كتاب (الأخبار) ومنه قطعة في (المنية والأمل) للمرئضي. وذكر ياقوت كتاباً بعنوان (الأخبار وكيف تصح) وكتاباً بعنوان (تصحيح الأخبار). ونعتقد أن العنوانين الأخيرين لكتاب واحد لا يختلف عن (الأخبار) وهو كتاب في المعارف العامة. لم ينشر^(٦).

٧ - رسالة إلى (أبي النجم وجوابه)، قد تكون نفس رسالة الجاحظ إلى (أبي النجم في الخراج). ذكرهما الباحثون على أنهما متغايران. والرسالة كتاب

(١) سورة الواقعة، الآية: ٣٣.

(٢) «الحيوان»: للجاحظ تحقق هارون ج ٣. ص ٨٦. «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي. ص ١١٧. «الجاحظ»: جبر. ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي. ص ٢٨٦. «الجاحظ»: الحاجري ص ٣٢٦.

(٣) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٧. «الجاحظ»: جبر. ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٧.

(٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٨. «الجاحظ»: جبر. ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٧.

(٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٧. «الجاحظ»: جبر. ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٧.

(٦) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧ - ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٨. «الجاحظ»: جبر. ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

يبحث بما يعرف بِزَمَنِنا المعاصر، بعلم الاقتصاد. لم ينشر^(١).

٨ - كتاب (آل إبراهيم بن المدبر في المكاتب): كتاب في أحكام عتق العبيد. لم ينشر^(٢).

٩ - كتاب (الإخوان): يبحث في الأخلاق والمجتمع. لم ينشر^(٣).

١٠ - كتاب (أخلاق الملوك): يبحث في الأخلاق والمجتمع. لم ينشر.

يقول الدكتور جبر: إن هذا الكتاب يُسمَّى (التاج في أخلاق الملوك) نُشر في القاهرة سنة ١٩١٤ ونقله «بلا» إلى الإفرنسية، تضمن طائفة من أنظمة الدولة العباسية ومن مشاهد حياة الخلفاء والعظماء في حفلاتهم الرسمية وما اقتبسوه منها عن الفرس. تَعَرَّضَ لأحوالِ أمراء المؤمنين وسادات المسلمين في مجالسهم الخاصة وفي أُنديتهم العامة، وفي سَحَرِهِمْ وطَرَبِهِمْ ومراتعِ لَهْوِهِمْ ومجالسِ مُنادمتهم ومباسطاتهم ومناظرتهم.

لم يُشِرْ أحد من المتقدمين إلى هذا الكتاب. أما أسلوبه فليس بالأسلوب الجاحظي المعهود^(٤) قال زيدان: هو كتاب في جملة مخطوطات كتب زكي (باشا) وقد قام على طبعه، وترجمة الجاحظ في ابن خلكان. ج ١ - ص ٣١٨،

-
- (١) «أبو النجم هلال الأنباري»: مولى بني سليم من أهل بغداد، وكان من الكُتّاب المترسلين. «معجم الأدباء» ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي - ص ١١٧. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٥.
- (٢) آل المدبر هم: أحمد ومحمد وإبراهيم. وكلهم كاتب بليغ وشاعر مجيد وما منهم إلا من ولي الولايات الجليلة، وعَمِلَ للسلطان الأعمال النافعة في عهد العباسيين من المعتصم والمعتضد. وإبراهيم كان صديقاً للجاحظ.
- «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٧. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٦.
- (٣) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٤.
- (٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٤.

وطبقات الأدباء ص ٢٥٤^(١).

١١ - كتاب (أخلاق الشُّطَّار): يبحث في الأخلاق والمجتمع. لم ينشر^(٢).

١٢ - كتاب (أخلاق الفُتيان وفضائل أهل البطالة): يبحث في الأخلاق والمجتمع. وقد ذكره الجاحظ في كتاب «التاج» المنسوب إليه. وكتاب «أخلاق الفتيان...» لم ينشر^(٣).

١٣ - كتاب (الاستبداد والمشاورة في الحرب): يبحث في تفرد القائد برأيه أو مشاورة أعوانه في أيام الحرب. لم ينشر^(٤).

١٤ - كتاب (الأخطار والمراتب والصناعات): يبحث فيما يسمى بزماننا بعلم الاقتصاد. لم ينشر^(٥).

١٥ - كتاب (الأسد والدُّب): يبحث في الحيوان. لم ينشر^(٦).

-
- (١) «تاريخ آداب اللغة العربية» زيدان مج ٢ - ص ١٩٦. وفيه عدد وافر من المراجع في الحاشية.
- (٢) فلان شاطر: معناه أنه أخذ في نحو غير الاستواء. ولذلك قيل له شاطر لأنه تباعد عن الاستواء.
- «لسان العرب»: ابن منظور. شطر. مج ٤ - ص ٤٠٨.
- «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١١٠. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٧١.
- «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٣.
- ومعنى الشاطر في اصطلاح العصر العباسي هو اللص، ومنها جاءت تسمية الشاطر حسن.
- (٣) الفتى: الحديث السين، والفتية مؤنثه، أي الشاب والشابة وجمعه فتيان. ويأتي بمعنى الكامل الجزل من الرجال أو بمعنى الغلام أو بمعنى المملوك.
- «لسان العرب»: ابن منظور. فتا. ج ١٥ - ص ١٤٥ - ١٤٨.
- وفي معناه الاصطلاحي: كانت الفتوة تنظيماً، وهي مأخوذة من قول الرسول الكريم لا فتى إلا علي.

- «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٨. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٣.
- (٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١١٠. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٨.
- «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٤.
- (٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٨.
- «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٥.
- (٦) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١١٠. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٩.
- «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٢.

- ١٦ - كتاب (أصحاب الإلهام): سماه ياقوت «الرّد على أصحاب الإلهام». يبحث في الفرق والآراء. لم ينشر^(١).
- ١٧ - كتاب (افتخار الشتاء والصيف): يبحث في الجغرافيا. لم ينشر^(٢).
- ١٨ - كتاب (أفعال الطبائع): يبحث في الاعتزال والكلام. لم ينشر^(٣).
- ١٩ - كتاب (أقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات): يبحث بما يعرف في عصرنا بعلم الاقتصاد والتجارة. لم ينشر^(٤).
- ٢٠ - كتاب (الاستطاعة وخلق الأفعال): من الكتب التي وضعت في تقرير مذهب الاعتزال. لم ينشر^(٥).

٢١ - كتاب (الاعتزال وفضله): لعله كتاب (فضيلة المعتزلة) أو كتاب (الاعتزال وفضله على الفضيلة). والأرجح ثلاثة أسماء لكتاب واحد. وقد ردّ عليه ابن الراوندي^(٦) بكتاب أسماه (فضيحة المعتزلة). وكتاب الجاحظ يبحث

-
- (١) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٩.
- (٢) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٠. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٣.
- (٣) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٧.
- (٤) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٥.
- (٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٧.
- (٦) ابن الراوندي ت ٢٩٨هـ / ٩١٠م. هو أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسين. فيلسوف من سكان البصرة، جاهر بالإلحاد. وأحد مشاهير الزنادقة. اختلفوا في سبب إلحاده فقيل: فاقه لحقته، وقيل تمنى رئاسة ما نالها فارتد. كان من المعتزلة، فعندما انسلخ عن الدين وأظهر إلحاده وزندقته، طردته المعتزلة، فوضع كتباً كثيرة في مخالفة الإسلام. وهو الذي صنّف كتاباً سماه «فصائح المعتزلة»: فنقضه أبو الحسين ويسمى النقض: الانتصار. قال القاضي: ويقال إنه تاب في آخر عمره. قال الحاكم: لكني رأيت عن أبي الحسين إنكار ذلك. استعان المعتزلة عليه بالسلطان فهرب ولجأ إلى يهودي في الكوفة. قيل إنه مات في بيته.
- «فرق وطبقات المعتزلة»: القاضي عبد الجبار الهمداني. تحقق د. النشار وغيره. دار المطبوعات الجامعية بالقاهرة ١٩٧٢ - ص ٩٧ - ٩٨.
- «لسان الميزان»: العسقلاني. ج ١ ص ٣٢٣ - ٣٢٤ «الأعلام»: الزركلي. ج ١ ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

في الاعتزال والكلام . لم ينشر^(١) .

٢٢ - كتاب (الأئس والسلوة): ذكره الدكتور خفاجي باسم (الأنس والسلوى) بالألف المقصورة. قيل إنه يبحث في الأدب . لم ينشر^(٢) .

٢٣ - كتاب (الأوافق والرياضيات): لم ينشر^(٣) .

٢٤ - كتاب (أصول الفُتيا والأحكام): سماه ياقوت كتاب (الفُتيا). يبحث في الأحكام الشرعية . لم ينشر^(٤) .

٢٥ - رسالة في (الأمل والمأمول): تبحث في الأدب . لم ينشر^(٥) .

٢٦ - رسالة في (امتحان عقول الأولياء): بحث بها الجاحظ إلى أبي الفرج بن نجاح بن سلمة . لم ينشر^(٦) .

٢٧ - كتاب (الأمثال): يبحث في الأدب . لم ينشر^(٧) .

(١) انظر «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٧ - ١٠٨ . و«أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٠ . و«الجاحظ»: جبر - ص ٦٩ . و«أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٢٨٧ .

(٢) السُّلوة والسُّلوة: السُّلوة . يقال هو في سُلوة من العيش أي في رَغْدٍ منه ، واسقني سلوة من نفسك: أي رأيت منك ما سلوت به عنك . السُّلوى: كل ما يُسْلِيكَ .

«المنجد في اللغة والأعلام»: ط ٢٢ - دار المشرق بيروت ١٩٧٣ - ص ٣٤٨ .

«معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٩ . «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٥ . «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩ . «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٢٩٦ .

(٣) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٥ . «الحيوان»: للجاحظ . تحق هارون ج ١ ص ٧ ، «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٣٠٠ .

(٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٧ . «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٠ . «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٢٨٧ .

(٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٩ . «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٤ . «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠ . «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٢٩٦ .

(٦) ليس المقصود بالأولياء: أولياء الله أو أولياء الأمر . وإنما المقصود العلماء . ولم نجد ضمن مراجعنا ترجمة لأبي الفرج :

انظر «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٩ . «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٤ . «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩ . «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٢٩٦ .

(٧) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٩ . «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٤ . «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩ . «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٢٩٦ .

٢٨ - كتاب (الأمصار): ذكره الدكتور خفاجي باسم (الأمصار وعجائب البلدان) وقال: ربما هو كتاب (الأوطان والبلدان). الذي تحدث فيه الجاحظ عن مكة والمدينة، ويقال له كتاب (البلدان). وكتاب الجاحظ هذا يبحث في الجغرافيا^(١).

٢٩ - كتاب (أُمّهات الأولاد): لم ينشر^(٢).

٣٠ - رسالة في (استنجاز الوعد): منشورة ضمن (مجموعة رسائل) ومطبوعة بمصر سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م. ومنشورة أيضاً ضمن (الفصول المختارة). المطبوعة بهامش كتاب (الكامل). موجودة في المتحف البريطاني (ثاني ١١٢٩ : ٢١)^(٣).

ومن وحي العنوان نرى أنه استنجاز وعد الله سبحانه بنصره المؤمنين، كما في آيات الوعد في القرآن الكريم.

٣١ - كتاب (استطالة الفهم): ذكره القاضي شهاب الدين الخفاجي^(٤)، في كتابه (طراز المجالس). قال: صَنَّفَ الجاحظ كتاب (الاستطالة) وجمع فيه بُدْأً

(١) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٤. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٣.

(٢) يقول الدكتور خفاجي أن هذا الكتاب يبحث في الإنسان والأجناس، ونرى أن العنوان يوحي بمعنى فني (لأمّهات الأولاد) في ذلك العصر. وهن الإماء اللواتي وَلَدْنَ من أسيادهن، وكانت لهن أحكام خاصة.

«معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٤. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٤.

(٣) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٩ «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٦.

(٤) هو الشيخ أحمد بن محمد بن عمر. قاضي القضاة، شهاب الدين الخفاجي المصري ت ١٠٦٩هـ / ١٦٥٨م. أحد العلماء الأفاضل وصاحب التصانيف البارعة في العلم والأدب ولي قضاء بلاد الروملي، ثم قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر. وعنه عُزِلَ ورحل إلى الروم، ثم أعيد منفيّاً إلى مصر وبها عُيِّنَ قاضياً. له مؤلفات عديدة، ورسائل ومقامات وأشعار. توفي في مصر عن نيف وتسعين عاماً. وهو صاحب كتاب «شفاء الغليل فيما من كلام العرب عن الدخيل»: تحقق محمد عبد المنعم الخفاجي الصادر في القاهرة عام ١٩٥٢.

«أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١١٩ «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٦.

«الأعلام»: الزركلي. ج ٣ ص ١٧٧.

من كلام الحكماء والشعراء . يبحث كتاب الجاحظ في الأدب ولم ينشر .

٣٢ - كتاب (الأصنام) : وضعه الجاحظ في ذكر أصنام الجاهلية ، وقيل إنه صحح فيه نسب الضر بن كنانة جد النبي ﷺ ، وهو من الكتب الفنية التي ظهرت لموضوع واحد^(١) .

٣٣ - كتاب (الإمامة على مذهب الشيعة) : هل هو الرسالة التي طبعت بمصر سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م . ضمن «مجموعة الرسائل» ؟ أم هو بعنوان آخر «بيان مذاهب الشيعة» ؟ أم هو «الإمامة عن الشيعة» ؟ هذا ما يتساءل عنه الباحثون . وأغلب الظن أن هذه العناوين لكتاب واحد . وهو كتاب يبحث بما يعرف اليوم بعلم السياسة . لم ينشر^(٢) .

٣٤ - كتاب (إمامة معاوية بن أبي سفيان)^(٣) : كتاب ، بما يسمى اليوم ، بعلم السياسة . لم ينشر . يقول الحاجري : لعله كتاب (بني أمية) . أو (الناطقة) .

الأصل في وضع هذا الكتاب هو التشيع لمعاوية وآله . يقول المسعودي :

(١) «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٧ . «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١١٩ . «الجاحظ» : جبر - ص ٦٩ . «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٣٠٨ .

(٢) «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٢٠ . «الجاحظ» : جبر - ص ٦٩ . «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٢٩٢ . «الجاحظ» : الحاجري - ص ٢٠٥ - ٢١٠ .

(٣) معاوية بن أبي سفيان : (٢٠ ق هـ - ٦٠ هـ / ٦٠٣ - ٦٨٠ م) . ويسمى صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي : مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وأحد دهاة العرب . كان حليماً وفوراً . ولد بمكة وأسلم يوم فتحها ٨هـ / ٦٠١ م . وتعلم الكتابة والحساب فجعله الرسول ﷺ في جُملة كتّابه ، ولما ولي أبو بكر ، ولأه قيادة الجيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان فكان على مقدمته في فتح صيدا وعُرقَة وجبيل وبيروت . ولما ولي عمر ، جعله والياً على الأردن ، ورأى فيه حزماً وعلماً فولاه دمشق بعد موت يزيد . وجاء عثمان ، فجمع له الديار الشامية ، وجعل ولاية أمصارها تابعين له . قُتل عثمان وولي علي بن أبي طالب ، فوجه لفره بعزل معاوية . وكان معاوية قد علم بالأمر قبل وصوله ، فسارع ونادى بشار عثمان واتهم علياً بدمه . نُشِبَتْ حروب طاحنة بينهما وانتهى الأمر بخلافة معاوية في الشام وإمامة علي في العراق . ثم قُتل عليّ وبريع بعده الحسن ابنه ، فسلم الخلافة لمعاوية سنة ٤١هـ . الذي سماه أهل السنة بعام الجماعة . مات معاوية في دمشق عن ثمانين عاماً .

«تاريخ الخلفاء» : للسيوطي تحقيق محي الدين عبد الحميد - ص ١٩٤ - ٢٠٥ .

كتاب (إمامة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان)، في الانتصار له من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشيعته الرافضة، يذكر فيه رجال المروانية (نسبة إلى مروان بن الحكم) ويؤيد فيه إمامة بني أمية وغيرهم^(١) في مسار مذهب المعتزلة الذين يرى بعضهم جواز إمامة كل الناس سواء كانوا قرشيين أو غيرهم من المسلمين.

٣٥ - كتاب (إمامة ولد العباس)^(٢): صَنَّفَ الجاحظ هذا الكتاب، يَحْتَجُّ فيه لإمامة ولد العباس، ويذكر فعل أبي بكر^(٣) في فَذَكِ^(٤) وغيرها. وقصته مع فاطمة رضي الله عنها ومطالبتها إياه بإرثها من أبيها صلى الله عليه وسلم،

- (١) «مروج الذهب»: المسعودي ج ٣. ص ٢٥٣.
وانظر «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧ «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٠ - ١٢١ «الجاحظ»: جبر - ص ٦٢ و ٦٩ «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٠ - ٢٩٢.
«الجاحظ»: الحاجري - ص ١٨٧ - ١٩٣ «الأعلام»: الزركلي مج ٧ ص ٢٦١ - ٢٦٢.
(٢) هو العباس بن عبد المطلب ت ٣٢هـ / ٦٥٢م. عم الرسول ﷺ، وإليه ينتهي نسب العباسيين. كان طويلاً أبيض. وكانت إليه في الجاهلية، السقاية في زمزم والعمارة، ثم دفعهما النبي إليه عام الفتح. كان يوم عقبة مع النبي ﷺ. فعقد له على الأنصار، وقد كُفَّ بصره عن تسعة وثمانين سنة مات في خلافة عثمان بالمدينة المنورة.
«الإصابة في تمييز الصحابة»: العسقلاني. مج ٢ ص ٢٦٣ رقم ٤٥٠٧.
(٣) أبو بكر الصديق ١٣هـ / ٦٠٦م. الخليفة الأول لرسول الله ﷺ. واسمه عبد الله بن أبي قحافة. بويح بالخلافة يوم سقيفة بني ساعدة، وقام بالبيعة له عمر بن الخطاب، فحسم بذلك أسباب الخلاف بين المهاجرين والأنصار. نهض بأعباء الخلافة خير نهوض، ونهد لحروب الردة فكان فيها من الموفقين. مزيداً من أخباره في «تاريخ الخلفاء»: السيوطي ص ٢٧ - ١٠٧.
(٤) فَذَكِ: قرية بالحجاز قرب المدينة، كانت من الأملاك الخاصة لرسول الله ﷺ. وذلك أن النبي بعث، بعد منصرفه من خيبر إلى أهل فَذَكِ، مُحِيصَه بن مسعود يدعوهم إلى الإسلام، فوجدهم في خوف، صالحه أهلها على نصف الأرض بتربتها، فقبل ذلك منهم وأمضاه رسول الله، فكان خالصاً له دون سائر المسلمين لأنه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب. فلما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى، وقام بعده بالأمر أبو بكر، طالبت فاطمة بحقها في الميراث فلم يورثها. ولمتكلمي الشيعة والمعتزلة في هذا الشأن مجالات ومناظرات... غير أن عمر لما تولى الخلافة دفعها إلى بني هاشم فكانت في يد علي والعباس. فلما ولي معاوية أقطعها مروان بن الحكم ثم وجهها لعبد العزيز وعبد الملك ابنه ثم جمعها عمر بن عبد العزيز وردها على بني هاشم. ثم دفعها المأمون إلى بني فاطمة...
«معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ - ص ١٠٧ انظر الحاشية.

واستشهادها ببعليها وابنيها وأم أيمن^(١)، وما جرى بينها وبين أبي بكر من المخاطبة، وما كثر بينهما من المنازعة، وما قالت وما قيل لها عن أبيها عليه الصلاة والسلام من أنه قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»^(٢)، وما احتجّت به عليه من قوله عز وجل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾^(٣).

على أن النبوة لا تورث فلم يبق إلا التوارث...

قال المسعودي: كتاب صنفه عمرو بن بحر الجاحظ وهو المترجم بكتاب «إمامة ولد العباس»...

ولم يصنف الجاحظ هذا الكتاب، ولا استقصى فيه الجحاج للراوندية، وهم شيعة ولد العباس. لأنه لم يكن مذهبه ولا كان معتقده ولكن فعل ذلك تماجناً وتطرباً^(٤).

وقد يُظن أنه كتاب «العباسية» وربما هو غيره، أو هو كتاب «إمامة بني العباس». يبحث فيه الجاحظ إثبات حق العباسيين في الخلافة من ناحية الوراثة ومناقشة الآراء المختلفة التي كانت تثيرها هذه المسألة. لم ينشر^(٥).

٣٦ - رسالة في (أمر الحكمين وتصويب رأي علي):^(٦) لم تنشر.

لعلها نفس الكتاب الذي ذكره ياقوت بعنوان (تصويب علي في تحكيم الحكمين). تبحث الرسالة في أحكام شرعية عقائدية يبرز الجاحظ فيها اعتزاله بمناهضة الخوارج.

(١) هي جارية، تسمى بركة، كانت لأم رسول الله، ورثها منها وأعتقها، تزوجها رجل من الخزرج يسمى عبيد، فولدت له أيمن. ثم تزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن يزيد.

«معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ - ص ١٠٧.

(٢) ورد الحديث في «مروج الذهب»: بحرفيته. «مروج الذهب»: المسعودي ج ٣ ص ٢٥٣.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٦.

(٤) «مروج الذهب»: المسعودي. ج ٣ - ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢١/

١٢٤. «الجاحظ»: للحاجري ص ١٩٣ - ١٩٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»:

د. خفاجي ص ٢٩٢.

(٦) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٠.

- ٣٧ - كتاب (الاسم والحكم) : قيل هو كتاب في الأدب . لم ينشر^(١) .
- ٣٨ - كتاب (أديان العرب) : يبحث في عبادة العرب القديمة . لم ينشر^(٢) .
- ٣٩ - كتاب (الإبل) : يبحث في الحيوان . لم ينشر^(٣) .
- ٤٠ - كتاب (أطعمة العرب) : يبحث في أصناف الأطعمة عند العرب . لم ينشر^(٤) .

٤١ - رسالة في (استحقاق الإمامة) : هذه الرسالة تتناول الشيعة في فرعيها: الزيدية والرافضة . تحفل بحجج الزيديين التي تؤيد الإمام علي . ويحاول أبو عثمان أن يُبين أن الإمامة ضرورية لِمَنع الضُعفاء من الناس من الجنوح عن جادة الحق وأن وحدة الإمام ضرورية لتنسيق الأمور العامة^(٥) . ويؤلف ذلك رأي المعتزلة فيمن يستحق أن يكون إماماً .

الباء

٤٢ - كتاب (البُخلاء) :

من أروع كتب الجاحظ ، وأنفعها وأوفاهها معالجة لموضوعه جمع فيه أخباراً تتصل ببخلاء عصره ، تناول فيه المتكلمين والمعتزلة . ولا ندري هل قيمة الكتاب في الجمال اللفظي أم في استقامة المعنى أم في خصب الخيال؟ أم في هذا التصوير الدقيق الذي لا يقاس إليه تصوير أو يدانيه؟ تصوير حياة البصرة وبغداد في عصر الجاحظ^(٦) .

-
- (١) «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٢٩٦ .
- (٢) ومنه نسخة خطية بمكتبة أحمد تيمور بدار الكتب المصرية .
- «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي - ص ٣٠٨ .
- (٣) يقول ياقوت : إنه ليس من كلام الجاحظ ولا يقاربه . (يعني منسوب إليه) . «معجم الأدباء» ياقوت الحموي ج ١٦ - ص ١٠٦ . «أدب الجاحظ» : السندوبي - ص ١٤٥ . «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي - ص ٣٠٣ .
- (٤) «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي - ص ٣٠٨ .
- (٥) «الجاحظ» : جبر - ص ٦٣ .
- (٦) «الأدب والنقد» : المجموعة الكاملة لطف حسين . ط ١ . دار الكتاب اللبناني - بيروت . ١٩٧٣ . مج ٥ - ص ١١٨ .

نشره فان فلوتن سنة ١٩٠٠ ، ونَشَرَ رِشْرَ قِسْماً منه ، ونشر وليم مارسية تصحيحات له ، فطبع في عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٤م ، وأُعيد طبعه عام ١٩٣٨م من قِبَل لجنة من أعضاء المجمع العلمي العربي ، بتحقيق: العوامري والجارم وبتعليق وليم مارسية . ونشره طه الحاجري في القاهرة عام ١٩٤٨م . ثم نشرته دار صادر في بيروت عام ١٩٥٨م بشروح وَبِتَبْويّيات .

وقد تُرجم هذا الكتاب إلى الألمانية ونُشر سنة ١٩٣٠م ثم إلى الإفرنسية سنة ١٩٥١ بواسطة شارل بلا^(١) .

٤٣ - كتاب (بصيرة غنام المرتد) : لم ينشر^(٢) .

٤٤ - كتاب (البيان والتبيين) : كتاب في البلاغة والإعجاز . سنعرض له في حينه من هذه القائمة . إن شاء الله .

٤٥ - رسالة في (بيان مذاهب الشيعة)^(٣) .

٤٦ - (البلدان)^(٤) .

٤٧ - (البلاغة والإعجاز) : يبدو أنه كتاب فني في البلاغة . لم ينشر^(٥) .

٤٨ - (البغال ومنافعها) : كتاب في الحيوان . نشره شارل بلا^(٦) .

(١) «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ - ص ١٠٧ .

«أدب الجاحظ» : السندوبي - ص ١٢٥ .

«تاريخ آداب اللغة العربية» : جرجي زيدان مج ٢ - ص ١٩٥ .

«الجاحظ» : جبر - ص ٣٤ - ٣٩ .

«البخلاء» : للجاحظ تحق طه الحاجري - دار المعارف بمصر ١٩٦٣ . المقدمة .

«أبو عثمان الجاحظ» : خفاجي ص ٢٩٧ و ٣٠٩ و ٣١٥ «الجاحظ» : طه الحاجري ص ٦١٨ .

(٢) يعلق الدكتور خفاجي في حاشيته : بأن هذا الكتاب أُخْرِقَ لِرِدْثِهِ .

«أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٢٥ «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٢٨٩ .

(٣) راجع الرقم ٣٣ من قائمة آثار الجاحظ .

(٤) راجع الرقم ٢٨ من القائمة .

(٥) «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي - ص ٢٩٧ .

(٦) وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة الموصل ١٤ و ٢٦٥ .

انظر «الجاحظ» : جبر ص ٦٨ «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٣٠٣ .

التاء

٤٩ - رسالة (التربيع والتدوير): هي موضوع فلسفي بحث وإن كساه الجاحظ من بلاغته وأسلوبه الأدبي الرفيع. كتبه أبو عثمان في مائة وخمسين صفحة، يَتَنَدَّرُ به على صاحبه أحمد بن عبد الوهاب، الذي هو إلى الرفض أميل، ويصف ما هو عليه، من دمامة وقصر وبشاعة وجهل رداً على ادعاءاته المزيفة.

لقد أراد الجاحظ فُضِّحه بالهُزءِ منه، فعرض له مائة مسألة، وطلب إليه الجواب عنها، وبعد أن بسط جهله أحاله في جواب كل مسألة إلى كتاب من كتبه ليعرف الجواب «فإن أردت أن تعرف حق هذه المسائل وباطلها وما فيها من خرافة وما فيها من محال، وما فيها من صحيح، وما فيها من فاسد، فالزم نفسك قراءة كتبي ولزوم بابي، وابتدئ بنفي التشبيه والقول بالبداء، واستبدل بالرفض الاعتزال^(١)».

وهذه المسائل تتعلق بالعلوم والآداب والتاريخ والأنساب والطبيعة والفلسفة، قد عني بها المؤرخون وفلاسفة اليونان. حتى إذا فرغ الجاحظ، كَتَبَ فصلاً في المُزاح يصل منه إلى الاعتذار، ثم يعود ليسخر فيمدح صاحبه بالجمال الأخاذ ويخبره أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو أدركه لصنع به أعظم مما صنع بنصر بن حجاج^(٢).

(١) تُلطف بالرجوع إلى «الجاحظ»: الحاجري - ص ٢٧٥ - ٢٨٤. وإلى «الفن ومذاهبه في الشعر العربي»: شوقي ضيف. دار المعارف مصر ط ٥ ص ١٧٧ - ١٨٨.

(٢) نصر بن حجاج بن عَلاط السلمي. شاعر من أهل المدينة. كان جميلاً. قالت إحدى نساء المدينة:

يا ليت شعري عن نفسي، أزهقه مني، ولم أقض ما فيها من الحاج
هل من سبيل إلى خمر فأشربها؟ أم من سبيل إلى نصر بن حجاج؟
عندئذ طلبه عمر بن الخطاب وحلق رأسه ثم نفاه إلى البصرة. «الأعلام»: الزركلي ج ٨ - ص ٢٢.
«الأدب والنقد طه حسين». المجموعة الكاملة. مج ٥ - ص ٦٠٨ - ٦١٣.

وهذه الجرأة وعدم الخوف من أحد، يجينا عنها ياقوت بقوله :

قيل لأبي هفان : لم لا تهجو الجاحظ وقد ندّد بك وأخذ بِمُخَنِّقِكَ؟ فقال :
أمثلي يُخدعُ عن عقله ، والله لو وَضع رسالة في أرنبة أنفي لما أَمَسْتُ إلا بالصين
شُهرةً ، ولو قلت فيه ألف بيتٍ لما طُنَّ منها بيتٌ في ألف سنة^(١) .

فإن دَلَّت الرسالة على شيء فإنما تدل على قُدرة الجاحظ في التّفنُّن
بأسلوبه الأدبي وهضمه للفلسفة اليونانية القديمة وما انضاف إليها من فلسفات
حتى عصره .

طبعت الرسالة (التربيع والتدوير) في لندن ١٩٠٣م وقيل، نشرها
المستشرق فان فلوتن بليدن ١٩٠٧م وقيل : إنها نُشرت في اسطنبول ١٣٢٤هـ/
١٩٠٥م . كما قيل : إنها نشرت في نفس العام في مصر ضمن (مجموعة
رسائل) . ثم نشرها السندوبي في كتابه (رسائل الجاحظ) سنة ١٩٣٣م ثم نشرها
المستشرق شارل بلاّ بعد ترجمتها إلى الإفرنسية في طبعة علمية واضعاً حواشيها
ومقدماتها سنة ١٩٥٥م^(٢) .

٥٠ - (تصويب علي في تحكيم الحكيمين) : هو كتاب سياسي ، مُهدى إلى
أبي حسان^(٣) وقد عثر السندوبي على البقية الباقية من هذا الكتاب ، وفيه صورة
عن الطريقة التي اتّبعتها الجاحظ في الاعتذار لعلّي كَرَم الله وجهه في قبوله

(١) المخنق : موضع الخنق من العنق ، أو هو العنق . أخذ بمخنقه : ضيق عليه وشدد «معجم
الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ - ص ٩٩ و ١٠٧ «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٢٧
«الجاحظ» : جبر - ص ٥٣ «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٢٩٨ / ٣٢٣ .

(٢) يقول الدكتور خفاجي : هناك نسخة خطية للرسالة موجودة في المتحف البريطاني (ثاني ١١٢٩ :
٣) .

«أدب الجاحظ» : السندوبي - ص ١٢٧ «الجاحظ» : جبر ص ٥٣ - ٥٥ . «أبو عثمان الجاحظ» : د .
خفاجي - ص ٢٩٨ .

(٣) «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٧ . «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٢٧ -
١٢٨ . تُلطف بالرجوع إلى «الجاحظ» : جبر ص ٦٨ - وإلى الرقم ٣٦ من القائمة .
و«أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٢٩٠ مع الحاشية .

التحكيم. قال الجاحظ: مَنْ عرفه (يعني الإمام علي) عرف أنه غير ملوم في الانقياد معهم إلى التحكيم، فإنه مَلَّ من القتل وتجريد السيف ليلاً ونهاراً حتى مَلَّت الدماء من إراقته لها، وقَلَّت الخيل من تقَحُّم الأهوال بها، وضجر من دوام تلك الخطوب الجليلة والأرزاء العظيمة واستلاب الأنفس، وتطاير الأيدي والأرجل بين يديه، وأكلت الحرب أصحابه وأعداءه، وعطلت السواعد، وخُذِّرَت الأيدي التي سلمت من وقائع السيوف بها، ولو أنَّ أهل الشام لم يستعفوا من الحرب ولم يستقيلوا من المقارعة والمصادمة، لأدت الحال إلى قعود الفيلقين معاً، ولزومهم الأرض وإلقائهم السلاح فإن الحال أفضت بعظمتها وهولها إلى ما يعجز اللسان عن وصفه.

٥١ - كتاب (تحصين الأموال): يبحث بما يعرف اليوم بعلم الاقتصاد. لم ينشر^(١).

٥٢ - (تفضيل النطق على الصمت): كتاب في أدب الجدل والمناظرة. طبع بمصر ضمن (مجموعة رسائل) سنة ١٣٢٤^(٢).

٥٣ - (تفضيل البطن على الظهر): كتاب في الجنس^(٣).

٥٤ - (تفضيل بني هاشم على من سواهم): كتاب سياسي^(٤).

٥٥ - (تفضيل صناعة الكلام)^(٥).

٥٦ - (تنبيه الملوك والمكاييد): يُشكُّ في نسبته إلى الجاحظ^(٦).

(١) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٧.

«الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٥.

(٢) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٨. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٥ ومنه نسخة في المتحف البريطاني (ثاني ١١٢٩/٢٢).

(٣) مخطوط في المتحف البريطاني (١١٢٩: ١٧ ثاني). «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٥.

(٤) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٢. «الجاحظ»: الحاجري ص ٢٨٨.

(٥) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٨.

(٦) يقول الخفاجي: ومنه نسخة خطية بكويرلي ١٠٦٥ ولها مصورة شمسية بالقاهرة ثاني ٦٩ برقم

٢٣٥٤. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٥٢.

«أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠١.

٥٧ - (تهذيب الأخلاق): يبحث في الأخلاق والمجتمع^(١).

٥٨ - (التمثيل): كتاب في الأدب. لم ينشر^(٢).

٥٩ - (التفاح): كتاب في الثمار. لم ينشر^(٣).

٦٠ - (التفكر والاعتبار)^(٤).

٦١ - (التبصّر بالتجارة): يبحث بما يسمى اليوم بعلم الاقتصاد. نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (١٢، ٣٢١-٣٥٥)^(٥).

٦٢ - (التسوية بين العرب): ذكر كتاب (العرب والعجم) وكتاب (الموالي والعرب) وكتاب (العرب والموالي) ونعتقد أن هذه التسميات لمصنف واحد. يبحث بالطعن على الشعوبية العرقية المتعصبة ويدعو إلى التسوية الإسلامية ونصرة العرب. لم ينشر^(٦).

٦٣ - (جمهرة الملوك): كتاب في الأسر المالكة. لم ينشر^(٧).

٦٤ - (الجوابات): لم ينشر^(٨).

(١) الظاهر أنه منحول، وأنه من تأليف أحد المسيحيين، وقد يكون عدي بن يحيى الذي نشر الكتاب في القاهرة باسمه، كما نُشر فيها أيضاً باسم محي الدين بن عربي. تُلطف بالرجوع إلى «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٤.

(٢) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٨.

(٣) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠١.

(٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.

(٥) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٥ مع الحاشية.

(٦) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٤. «الجاحظ»: الحاجري ص ٢٣٣.

(٧) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٩. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٨.

(٨) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٩.

- ٦٥ - (جوابات كتاب المعرفة): لم ينشر^(١).
- ٦٦ - (الجواري): قد يكون كتاب (مفاخرة الجواري) أو (مفاخرة الغلمان والجواري). يبحث في الجنس والشذوذ. لم ينشر^(٢) ويؤكد استاذنا الدكتور محمد الخطيب أنه رآه مطبوعاً في مصر.
- ٦٧ - (جوابات في الإمامة): سياسي. لم ينشر^(٣).
- ٦٨ - (الجِدِّ والهَزْل): يوحى عنوانه بأنه كتاب أدب^(٤).

الحاء

- ٦٩ - رسالة (الحاسد والمحسود): كتاب في الأخلاق والمجتمع^(٥).
- ٧٠ - (حانوت عطار)^(٦): يوحى عنوانه بمقام العطار والعطارة في ذلك الوقت.

- ٧١ - (الحُجَّات)^(٧): ربما تعني الأدلة.
- ٧٢ - (الحُجَّةُ في تثبيت النبوة)^(٨): يبدو أنه شبيه بكتاب القاضي الفاضل عبد الجبار المعتزلي البغدادي واسمه (تثبيت دلائل النبوة) وهو في إثبات النبوات على مذهب المعتزلة.

-
- (١) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٩. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٨. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٨.
- (٢) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٨ - ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٠.
- (٣) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٢.
- (٤) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي. ص ٣٠٥ «الجاحظ»: الحاجري ص ٢٦٧ - ٢٧٥.
- (٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٤.
- (٦) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٩. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.
- (٧) ذكره القاضي شهاب الدين الخفاجي في كتابه (طراز المجالس). راجع «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٩.
- (٨) نفسه ص ١٢٩.

٧٣ - (الحجر والثبوة): لم ينشر^(١). ولم تُضبط كلمة الحجر.

٧٤ - (الحزم والعزم): لم ينشر^(٢). يبدو أنه كتاب في أدب العقيدة استناداً إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٣) والفرق بين العزم وبين الحزم.

٧٥ - (حكاية قول أصناف الزيدية): ذكر الخفاجي (أصحاب) بدل أصناف^(٤).

يبحث في مرد اهتمام الجاحظ بالزيدية الذين كانوا على المذهب المعتزلي الصريح، «دون أكثر فرق الرافضة وأصناف الشيعة».

٧٦ - رسالة (الحلية): ذكرها السندوبي والخفاجي بالباء المُعجمة وياقوت بالياء^(٥).

٧٧ - (حيل اللصوص): كتاب في فن القصة. لم ينشر.

٧٨ - (حيل المكدين): كتاب في فن القصة. لم ينشر^(٦).

(١) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٩. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. وانظر «الذرة عند المتكلمين في كتاب (أهم الفرق السياسية والكلامية) د. البيرنصري نادر. ط ٢. مط. الكاثوليكية - بيروت ص ١٢١ - ١٧١.

(٢) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٩. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٠. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٠.

(٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٠. «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٠.

(٦) قال البغدادي. وأما كُتبه (يعني الجاحظ) المزخرفة فأصناف. منها كتاب في «حيل اللصوص»: وقد علّم بها الفسقة وجوه السرقة... وفي «حيل المكدين»: ذريعة للمحتالين يجتلبون بها ودائع الناس وأموالهم. وكتاب «حيل اللصوص» مخطوط بالموصل ٢٦٤٠.

انظر «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي - تحقق محي الدين عبد الحميد. مط.

المدني القاهرة ص ١٧٧. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٣ الحاشية.

«أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٠.

- ٧٩ - (الحنين إلى الأوطان): كتاب في المعارف العامة. لم ينشر^(١).
- ٨٠ - (حجج النبوة): مطبوع في رسائل الجاحظ، يشير فيه إلى التحدي وخلق القرآن وامتحان ابن حنبل عام ٢١٩هـ / ٨٣٣م^(٢). (راجع الرقم ٧٢ من القائمة).
- ٨١ - (الحجاب وذمه): طبع في (رسائل الجاحظ). جمع السندوي^(٣)، وموضوعه ما يسمى اليوم بالسياسة.
- ٨٢ - (حجج النصارى على المسلمين): يبحث في مقارنة الأديان^(٤).
- ٨٣ - (الحول والعور) يبحث في بعض العلل البشرية. لم ينشر^(٥).
- ٨٤ - (الحيوان): كتاب كبير. أنشأه أبو عثمان في سبعة أجزاء وقدمه إلى

-
- (١) الظاهر أنه منحول. أنظر «أدب الجاحظ»: السندوي ص ١٥٣.
- «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠١.
- (٢) من أئمة المذاهب أحمد بن حنبل ١٦٤ - ٢٤١هـ. لقي كثيراً من ألوان الشدة والعنت في عهد المأمون والمعتصم لعدم اتفاقه مع المعتزلة في القول بخلق القرآن، فامتنح في هذه المسألة، وسجن وعذب وبقي كذلك إلى عهد المتوكل الذي ترك القول بخلق القرآن، وأطلق سراح ابن حنبل الذي توفي ببغداد، ويقول بروكلمان. وتفصيل ذلك أنه بينما كان المأمون معسكراً بطرطوس في إحدى غزواته للبيزنطيين اعتقل ابن حنبل في بغداد وسبق إلى مقر قيادته مصفداً بالأغلال. ووافى المنون الخليفة قبل أن يبلغ العالم الأسير مقر القيادة... فأعيد إلى بغداد ولكن اضطهاده لم ينقطع.
- «الكامل في التاريخ»: ابن الأثير. ج ٥ - ص ٢٢٢ - ٢٢٦.
- «تاريخ الشعوب الإسلامية»: كارل بروكلمان - ص ٢٠٧ - ٢٠٨.
- «تاريخ الإسلام»: حسن إبراهيم حسن ج ٣ - ص ٣٤٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٤. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٥.
- (٣) قال ابن خلدون: إن حظ السلطان من الملك إنما هو جلوس السرير وإعطاء الصفقة وخطاب التهويل والقعود مع النساء خلف (الحجاب). وإن الحل والربط والأمر والنهي ومباشرة الأحوال الملوكية وتفقدتها من النظر في الجيش والمال والثغور إنما هو للوزير، (مقدمة ابن خلدون) تحق حُجر عاصي - ص ١٢٧.
- (٤) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي - ص ٢٩٠.
- (٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١١٠. «أدب الجاحظ»: السندوي ص ١٣١.
- «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٥.

الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، فأجازه عنه بخمسة آلاف دينار. يُعدُّ من أهم كتب الجاحظ وأشهرها، كما يُعدُّ أثراً من آثار السنن والتجربة، حَفَلَ بمختلف صفوف المعارف وضروب الآداب.

هو أول كتاب عربي جامع في علم الحيوان، ألفه في سنين متقدمه، قال: وقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه^(١). وكان من أهداف أبي عثمان أن يُبين ما في الحيوان من الحِجَج على حكمة الله، سبحانه، العجيبة وقدرته الباهرة.

طبع بمصر عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م. ثم حققه هارون ونشره بمصر عام ١٩٤٥م^(٢).

الخاء والذال

٨٥ - (خلق القرآن): بحث في القرآن الكريم على رأي المعتزلة. لم ينشر^(٣).

٨٦ - رسالة في (الخراج إلى أبي النجم): تلطف بالرجوع إلى الرقم ٧ من هذه القائمة.

٨٧ - (الدلالة على أن الإقامة فرض): لعله كتاب (استحقاق الإمامة) أو رسالة (وجوب الإمامة) يبحث، بما يسمى اليوم، بعلم السياسية. لم ينشر^(٤).

٨٨ - (الدلائل والاعتبار على خلق الآثار): منسوب إلى الجاحظ. عثر

(١) «الحيوان»: للجاحظ. تحقق هارون. ج ١ ص ١٤ و ٢٥ و ٢٧ وج ٤ ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٢) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٠ - ١٣١. «تاريخ آداب اللغة العربية»: جرجي زيدان ج ٢ ص ١٩٥. «الجاحظ»: جبر - ص ٣٠ - ٣٣. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٢. «الجاحظ»: الحاجري - ص ٣٩٧ - ٤٢٣.

(٣) «الجاحظ»: الحاجري - ص ٣٣٤. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣١. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٦.

(٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٢. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٢.

عليه محمد راغب الطباخ الحلبي وطبعه منسوباً إلى الجاحظ ١٩٢٨م. ولعله للهارث بن أسد المحاسبي أحد أفاضل الزهاد^(١).

٨٩ - (الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير): لعله نفس الكتاب السابق^(٢).

الذال

- ٩٠ - (ذم النبيل): كتاب في الأحكام الشرعية. لم ينشر^(٣).
- ٩١ - (ذم الزنا): كتاب في الأحكام الشرعية. لم ينشر^(٤).
- ٩٢ - (ذم اللواط): كتاب في الأحكام الشرعية. لم ينشر^(٥).
- ٩٣ - (ذم القواد): ذكره الشهابي في (طراز المجالس) يبحث في الأحكام الشرعية. لم ينشر^(٦).
- ٩٤ - (ذم أخلاق الكتاب): ذكر باسم (ذم الكتاب). عثر على هذه الرسالة في مكتبة نور الدين بك مصطفى. ثم طبعت بالمطبعة السلفية ضمن (ثلاث رسائل للجاحظ) سن ١٣٤٤ هـ^(٧).

(١) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٥٣.

(٢) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٨.

(٣) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٢. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٧.

(٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٢. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.

(٥) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٧.

(٦) قاد - يقود - قائد وجمعها قواد. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة قود ج ٣ ص ٣٧٠ وربما كان للقواد في عصر الجاحظ مصطلح فني.

«أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٧.

(٧) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٢. «الجاحظ»: جبر - ص ٥٩.

٩٥ - (ذم العلوم ومدحها): لم ينشر^(١). يبدو أنه في ذم العلوم الصناعية وقيودها.

٩٦ - (ذم الوراقة): ذكره ياقوت باسم (الوزاق). لم ينشر^(٢).

٩٧ - (ذوي العاهات): لم ينشر^(٣).

٩٨ - (ذكر ما بين الزيدية والرافضة): ويتفق مع رسالة (استحقاق الإمامة) كتاب في الفرق والآراء. لم ينشر^(٤).

٩٩ - (الرّد على من ألحد في كتاب الله عز وجل): كتاب في الجدل والمناظرة. لم ينشر^(٥).

١٠٠ - (الرّد على الجهمية): كتاب في الاعتزال والكلام. لم ينشر^(٦).

(١) العلوم: صنفان: طبيعي، ونقلي، الأول: يهتدي إليه بفكره والثاني يأخذه عن وضعه. أنظر البحث: في «مقدمة ابن خلدون»: تحقق حجر عاصي ص ٢٧٦ - ٢٧٧. وكتاب الجاحظ مخطوط في مكتبة الفاتح باسطنبول ٣٨٩٨. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٥.

(٢) انظر فصل في صناعة الوراقة في (مقدمة ابن خلدون) تحقق حجر عاصي ص ٢٦٨ - ٢٦٩ و«معجم الأدباء» ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٢ «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٦.

(٣) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١١٠. «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠.

(٤) برزت الرافضة بعد زمان علي رضي الله عنه، وهي أربعة أصناف: زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة. والزيدية من الرافضة، فمعظمها ثلاث فرق وهي الجارودية والسليمانية، والبثرية. وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أيام خروجه. وكان ذلك في زمن هشام بن عبد الملك. «الفرق بين الفرق»: البغدادي. ص ٢١ - ٢٢ - ٢٣.

«الملل والنحل»: الشهرستاني. تحقق محمد سيّد كيلاني دار المعرفة بيروت ١٩٨٠ ج ١. ص ١٣٦. وانظر «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٢. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٠.

(٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٣. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٦.

(٦) الجهمية أتباع جهم بن صفوان، الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال... وزعم أن الجنة والنار تفتيان. وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط... مزيد من المعلومات في «الفرق بين الفرق»: البغدادي ص ٢١١ - ٢١٢ وانظر «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٢ «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٨.

- ١٠١ - (الردّ على القولية): كتاب في الاعتزال والكلام. لم ينشر^(١).
- ١٠٢ - (الرد على من زعم أن الإنسان جزء لا يتجزأ): كتاب في الفلسفة على رأي المعتزلة. لم ينشر^(٢).
- ١٠٣ - (الرد على أبي إسحاق النظام وأشباهه): كتاب في الجدل داخل مذهب المعتزلة. لم ينشر^(٣).
- ١٠٤ - (الرد على اليهود): يبحث في مقارنة الأديان. لم ينشر^(٤).
- ١٠٥ - (الرد على النصراني واليهودي): يبحث في مقارنة الأديان. لم ينشر^(٥).
- ١٠٦ - (الرد على المُشَبَّهة): ذكره جبر باسم (الرد على التشبيه)، ينتقد الجاحظ فيه النابتة التي تحرف آيات القرآن الكريم^(٦).

-
- (١) ربما المقصود بالقولية بالذين قالوا إن يد الله مغلولة غُلت أيديهم. «الفرق بين الفرق»: البغدادى ص ٢٧٢-٢٧٦.
- «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١١٠. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٢.
- «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٨.
- (٢) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٣.
- «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٨.
- (٣) ومنه نسخة خطبة في المتحف البريطاني ثاني ١١٢٩.
- انظر «الفرق بين الفرق»: البغدادى ص ١٣١-١٣٢.
- و«أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٨.
- (٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٣.
- «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٩. «الجاحظ»: الحاجري ص ٣٦٦.
- (٥) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٩.
- (٦) المُشَبَّهة صنفان: صنف شَبَّهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخرون شَبَّهوا صفاته بصفات غيره. وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى.
- «الفرق بين الفرق»: البغدادى ص ٢٢٥-٢٣٠.
- والنابتة أو (بني أمية): هو التشيع لمعاوية وآله. انظر الرقم ٣٤ من هذه القائمة.
- وانظر «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٣. «الجاحظ»: جبر - ص ٦١. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٩. «الجاحظ»: الحاجري - ص ٣٩٩.

١٠٧ - (الرّد على النصارى): يبحث في مقارنة الأديان^(١). راجع الرقم

٨٢.

١٠٨ - (الرّد على العثمانية): كتاب في الفرق والآراء. لم ينشر^(٢).

١٠٩ - (الرسائل الهاشميات): كتاب فيما يسمى اليوم بعلم السياسة. لم ينشر^(٣).

١١٠ - (رسائل الجاحظ): وعددها اثنتا عشرة^(٤). نشرت

١١١ - (الرّد على أصحاب الإلهام): راجع الرقم ١٦ من القائمة.

الزاي

١١٢ - (الزراع والنخل والزيتون والأعناب): أهداه أبو عثمان إلى إبراهيم بن العباس الصولي رئيس ديوان الرسائل في عهد المأمون، فأجازه عليه بخمسة آلاف دينار. كتاب في النبات والأشجار^(٥).

(١) طبع في المطبعة السلفية ١٣٤٤هـ ضمن ثلاث رسائل ونشره فنكل في ثلاث رسائل بالقاهرة عام ١٩٢٦. ومنه نسخة خطية بالمتحف البريطاني ثاني ١١٢٩/٦، انظر «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٢. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٩. «الجاحظ»: الحاجري ص ٣٥٩.

(٢) العثمانية نسبة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه. يحكي الكتاب حُجج العثمانية من ناحية الخصومة بينهم وبين العلويين وإبطالهم الخصائص التي ينسبها هؤلاء لعلي. فمثلاً: فليس على أول الناس إسلاماً فأولهم في ذلك أبو بكر. انظر «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧ و«أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٣. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩١. «الجاحظ»: الحاجري ص ١٨٥ - ١٨٧.

(٣) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٣. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩١.

(٤) «تاريخ آداب اللغة العربية»: زيدان ج ٢ ص ١٩٥ الحاشية.

«أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٩.

(٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٦. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٣. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٢.

السين

- ١١٣ - (السلطان وأخلاق أهله): كتاب في السياسة . لم ينشر^(١) .
- ١١٤ - (السودان والبيضان): لعله كتاب: (رسالة فخر السودان على البيضان)^(٢) مطبوع .
- ١١٥ - (سحر البيان): كتاب في البلاغة والأدب^(٣) .
- ١١٦ - (سلوة الخريف بمناظرة الربيع والخريف): يقال إنه منحول^(٤) .
- ١١٧ - (الشارب والمشروب): كتاب في الأحكام الشرعية^(٥) .
- ١١٨ - (الشعوبية): كتاب في العصبية العرقية^(٦) .

الصاد

- ١١٩ - (صناعة القواد): ربما هو كتاب (القواد) نفسه أو (القواد وأسباب الصناعات)^(٧) .
- ١٢٠ - (الصرحاء والهجناء): كتاب في علم الأنساب^(٨) . لم ينشر .

- (١) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٨ . «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٣ . «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩ . «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٢٩١ .
- (٢) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٨ . «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٦ .
- (٣) ومنه نسخة خطية في كوبريلي ١٢٨٤ .
- «تاريخ آداب اللغة العربية»: جرجي زيدان مج ٢ ص ١٩٥ .
- «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٢٩٩ .
- (٤) طبع ونشر في اسطنبول بمطبعة الجوائب ١٣٠٢ هـ وفي بيروت ١٣٢٠ هـ .
- «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٥٣ «تاريخ آداب اللغة العربية»: جرجي زيدان ج ٢ ص ١٩٥ .
- «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٣٠٣ .
- (٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ٢٠٧ . «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٢٨٦ . «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٣ .
- (٦) ذكر في «البخلاء»: الجاحظ تحق الحاجري ص ٢٦٣ . وانظر «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٢٩٠ «الجاحظ»: الحاجري ص ٣٠٠ .
- (٧) «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٣٠٠ وتلطف بالرجوع إلى الرقم ٩٣ من هذه القائمة .
- (٨) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٨ . «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩ . «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٤ . «الجاحظ»: الحاجري ص ٢٤٠ .

- ١٢١ - (صناعة الكلام): لعله كتاب (تفضيل صناعة الكلام)^(١).
 ١٢٢ - (الصّوالجة)^(٢).

الطاء

- ١٢٣ - (الطفيليون): لم ينشر^(٣).
 ١٢٤ - (طبقات المغنين): يبحث في أصوات المغنين^(٤).

العين

- ١٢٥ - (العبر والاعتبار): راجع الرقم ٦٠ و ٨٨ و ٨٩.
 ١٢٦ - (العُثمانية): تعرّض فيه للإمام عليّ بالنقد ورّد عليه علماء من الشيعة^(٥). راجع الرقم ١٠٨.
 ١٢٧ - (رسالة في العفو والصفح): تبحث في الأخلاق. لم ينشر^(٦).
 ١٢٨ - (عناصر الأدب): كتاب في الأدب. لم ينشر^(٧).

- (١) تلتطف بالرجوع إلى الرقم ٥٥ من هذه القائمة.
 ذكره ياقوت باسم صياغة. «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧.
 (٢) الصولجان: العود المِعْوَج. فارسي معرّب والجمع صوالجة: وهو ما يعطف طرفها، وإذا كانت غير معوجة فتسمى عصا. «لسان العرب»: ابن منظور صليح ج ٢ ص ٣١٠.
 «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٤.
 «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.
 (٣) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٤.
 «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠١.
 (٤) رسالة في طبقات المغنين ومنه قطعة طبعت بمصر عام ١٣٢٤. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٤.
 «الجاحظ»: الحاجري ص ٢٤٥.
 (٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٤.
 «الجاحظ»: جبر - ص ٥٦ و ٦٨. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩١.
 (٦) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٥.
 «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٤.
 (٧) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٦.
 «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٩.

- ١٢٩ - (العِرافَةُ والزَّجَرُ والفِرَاسَةُ على مذهب الفرس)^(١) .
- ١٣٠ - (العُرُسُ والعُروسُ): كتاب في المعارف العامة^(٢) .
- ١٣١ - (العِشْقُ والنِّسَاءُ)^(٣): نشر .
- ١٣٢ - (العرب والعجم): راجع الرقم ٦٢ من هذه القائمة .
- ١٣٣ - (العرب والموالي): أو (فضل الموالي على العرب)^(٤) .
- ١٣٤ - (عصام المريد)^(٥) .
- ١٣٥ - (العالم والجاهل)^(٦) .
- ١٣٦ - (العُرجان والبُرْصان)^(٧): وقد نشر مؤخراً تحت عنوان «البُرْصان والعُرجان والعميان والحوْلان» بتحقيق محمد مرسي الخولي . مؤسسة الرسالة بيروت ط ١ . ١٩٧٢ و ط ٢ . ١٩٨١ . وعدد صفحاته ٤٤٥ ص . ونشر أيضاً بدار الاعتصام للطبع والنشر القاهرة - بيروت . طبع في مطابع الأهرام التجارية ١٩٧٢ ونشرته وزارة الثقافة العراقية بنفس العنوان سنة ١٩٨٢ ، تحق محمد عبد السلام هارون ، وعدد صفحاته ٦٨٦ ص .
- ١٣٧ - (العَبَّاسِيَّة): راجع الرقم ٣٥ من هذه القائمة .
-
- (١) ومنه نسخة في ليدن أو ١٢١٠ «تاريخ آداب اللغة العربية»: جرجي زيدان . ج ٢ ص ١٩٥ . «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٣٠٠ .
- (٢) «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٣٠٠ .
- (٣) طبعت هذه الرسالة في رسائل الجاحظ . وهي أصل (رجوع الشيخ إلى صباه) . ومنه نسخة خطية في المتحف البريطاني ثاني (١١٢٩ : ٦) .
- (٤) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٥ . «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٣٠٠ .
- (٥) هكذا ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد»: ابن عبد ربه الأندلسي . تحق أحمد أمين وغيره . دار الكتاب العربي - بيروت ط ٣ . مج ٢ ص ٧٤ .
- (٦) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٥ . «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٣٠٤ .
- (٧) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٧ . «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩ .
- (٨) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١١٠ . «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٤ . «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠ .
- (٩) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٧ . «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٥ . «الجاحظ»: جبر - ص ٦٨ . «أبو عثمان الجاحظ»: د . خفاجي ص ٣٠٠ .

الغين

١٣٨ - (غِش الصناعات): كتاب يبحث فيما يسمى اليوم بعلم الاقتصاد. لم ينشر^(١).

١٣٩ - (الغلمان)^(٢).

١٤٠ - (الغناء والمُغنون والصفة): يبحث في المعارف العامة^(٣). وخاصة في أنواع الأصوات الغنائية وطبقاتها وأسمائها.

الفاء

١٤١ - (الاعتزال وفضله): راجع الرقم ٢١ من هذه القائمة.

١٤٢ - (فضيلة الكلام): كتاب في الاعتزال والكلام^(٤).

١٤٣ - (فرط جهل الكندي): كتاب في الجدل والمناظرة^(٥).

١٤٤ - (الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم): كتاب في المناظرة. لم ينشر. ويسميه السندوبي: فخر عبد شمس ومخزوم^(٦).

(١) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١١٠. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٦. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٨. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٥.

(٢) «الجاحظ»: جبر ص ٦٨.

(٣) ألفه الجاحظ سنة ٢١٥هـ ويسمى أيضاً (طبقات المغنين) راجع الرقم ١٢٤ من هذه القائمة وانظر «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠١.

(٤) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٨ «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٩.

(٥) الكندي: فيلسوف عربي ٢٥٣هـ / ٨٦٦م. ويسميه ياقوت (فرط جهل يعقوب بن إسحاق الكندي) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٠.

(٦) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٦. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٢. «الجاحظ»: جبر ص ٦٩.

- ١٤٥ - (فخر هاشم وعبد شمس): كتاب في المنافرة^(١).
- ١٤٦ - (الفصل ما بين العداوة والحسد): كتاب في الأخلاق^(٢).
- ١٤٧ - (الفرق في اللغة)^(٣).
- ١٤٨ - (فضل اتخاذ الكتاب): وذكر «الكتب» بدل «كتاب»، لأن الجاحظ مدح فيها الكتب وحث على جمعها^(٤).
- ١٤٩ - (فضل العلم): كتاب في المعارف العامة^(٥).
- ١٥٠ - (فنون شتى مستحسنة): كتاب في المعارف العامة^(٦).
- ١٥١ - (فضائل الترك): يبحث في فضائل العرق التركي^(٧).
- ١٥٢ - (فخر السودان على البيضان)^(٨): انظر الرقم ١١٤ من هذه القائمة.
- ١٥٣ - (فرق ما بين الجن والإنس)^(٩): يبحث في المخلوقات المرئية وغير المرئية.
- ١٥٤ - (فرق ما بين الجن والملائكة)^(١٠): يبحث في الفرق بين النوعين.
-
- (١) هو كتاب (فضل هاشم على عبد شمس) «أدب الجاحظ»: السندوي ص ١٣٦ «الجاحظ»: جبر ص ٦٦. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٢.
- (٢) «الجاحظ»: جبر ص ٦٤. «الجاحظ»: الحاجري ص ٣٧٣. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٤.
- (٣) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٩.
- (٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوي ص ١٣٧. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٩.
- (٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوي ص ١٣٧. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٠.
- (٦) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠١.
- (٧) ومنه نسخة مطبوعة في آيا صوفيا سنة ١٨٩٨.
- «تاريخ آداب اللغة العربية»: جرجي زيدان ج ٢ ص ١٩٥.
- (٨) «أدب الجاحظ»: السندوي ص ١٣٦ «الجاحظ»: جبر ص ٦٢. «الجاحظ»: الحاجري ص ٢٤١. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٤.
- (٩) «أدب الجاحظ»: السندوي ص ١٣٧. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٥.
- (١٠) «أدب الجاحظ»: السندوي ص ١٣٧. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٥.

١٥٥ - (فرق ما بين النبي والمتنبي)^(١) : أو كتاب (النبي والمتنبي) يبحث في القصائد.

١٥٦ - (فضل ما بين الرجال والنساء)^(٢) .

١٥٧ - (فضل الفرس على الهملاج)^(٣) .

١٥٨ - (فضائل سلالة النبي)^(٤) : يبحث في فضائل السادة الأشراف .

١٥٩ - (الفتيان)^(٥) .

١٦٠ - (فخر القحطانية والعدنانية)^(٦) : في المناقرة والعصبية .

١٦١ - (الفتيا)^(٧) : راجع الرقم ٢٤ من هذه القائمة .

القاف

١٦٢ - (القحاب)^(٨) .

١٦٣ - (القحطانية والعدنانية)^(٩) : راجع الرقم ١٦٠ من هذه القائمة .

-
- (١) بالإضافة إلى المرجعين السابقين للسندوبي والخفاجي : انظر «الجاحظ» : جبر ص ٦٨ .
- (٢) «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٣٠٦ . «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٣٧ .
- (٣) الهملاج : هو البرذون السهل القياد . ذكره ياقوت (فضل الفرس) . (وعلى الهملاج) «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٩ . «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٣٧ . «الجاحظ» : جبر - ص ٦٩ . «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٣٠٦ .
- (٤) «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٣٠٨ .
- (٥) «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٧ . «الجاحظ» : جبر - ص ٦٩ .
- (٦) «الجاحظ» : جبر - ص ٦٩ .
- (٧) «الفرق بين الفرق» : البغدادي ص ١٧٧ . وفيه يقول إن الكتاب مشحون بطعن أستاذه النظام على أعلام الصحابة .
- «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٧ . «الجاحظ» : الحاجري ص ٣١١ .
- (٨) قحب، يقحُب، قُحَاباً إذا سعل وأصله في الأبل . والقَحْبة تقال للبعث لأنها كانت في الجاهلية تؤذن طلابها بقحَابها وهو سُعالها . وقيل : الفاجرة .
- «لسان العرب» : ابن منظور قحب مج ١ ص ٦٦١ - ٦٦٢ . وذكره الخفاجي باسم (القحاب والكلاب واللاطة) لأن البغدادي في «الفرق بين الفرق» : ذكره بهذا الاسم في ص ١٧٧ .
- (٩) «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٣٨ . «الجاحظ» : الحاجري ص ٢٣٠ .

١٦٤ - (القضاة والولاة)^(١) : يبحث في التنظيم القضائي والإداري .

١٦٥ - (القلم)^(٢) : رسالة في الأدب . لم تنشر .

١٦٦ - (القواد)^(٣) : انظر الرقم ٩٤ من هذه القائمة .

١٦٧ - (القيان)^(٤) : رسالة متخصصة في القيان .

١٦٨ - (القرآن)^(٥) :

الكاف

١٦٩ - (الكبير المستحسن والمستقبح)^(٦) : يبحث في المعارف العامة .

١٧٠ - (كتمان السر وحفظ اللسان) : ذكره ياقوت باسم (كتمان السر) يبحث في الأخلاق والمجتمع^(٧) .

١٧١ - (الكرم) : رسالة بعث بها الجاحظ إلى أبي الفرج بن نجاح . تبحث في الأخلاق والمجتمع^(٨) .

-
- (١) «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١١٠ . «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٣٨ . «الجاحظ» : جبر - ص ٧٠ . «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٣٠٨ .
- (٢) «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٩ . «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٣٨ . «الجاحظ» : جبر - ص ٦٩ . «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٢٩٩ .
- (٣) لعله الكتاب الذي نشره القاضي شهاب الدين الخفاجي في كتاب طراز المجالس باسم (القواد وأسباب الصناعات) «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٧ . «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٣٩ . «الجاحظ» : جبر - ص ٦٩ .
- (٤) «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٣٩ . «الجاحظ» : جبر - ص ٥٨ . «الجاحظ» : الحاجري ص ٢٥١ . «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٢٩٤ .
- (٥) «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٤٠ .
- (٦) «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٩ . «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٣٩ . «الجاحظ» : جبر - ص ٦٩ . «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٢٩٤ .
- (٧) «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١٠٩ . «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٣٩ . «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٢٩٤ .
- (٨) «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي . مج ١٦ ص ١١٠ . «أدب الجاحظ» : السندوبي ص ١٣٩ . «الجاحظ» : جبر - ص ٧٠ . «أبو عثمان الجاحظ» : د . خفاجي ص ٢٩٤ .

- ١٧٢ - (الكيمياء): رسالة في المعارف العامة. لم تنشر^(١).
١٧٣ - (الكلاب)^(٢): ذكره البغدادي باسم (القحاب والكلاب واللاطة).
راجع الرقم ١٦٢ من هذه القائمة.

اللام

- ١٧٤ - (اللصوص)^(٣): متخصص باللصوص. ذكره البغدادي باسم (حيل اللصوص) راجع الرقم ٧٧ و ٧٨ من هذه القائمة.
١٧٥ - (اللاشي والمتلاشي)^(٤): زعموا أنه في الاعتزال والكلام.

الميم

- ١٧٦ - (المُعْتُون): لعله كتاب (طبقات المغنين). راجع الرقم ١٢٤ من هذه القائمة.
١٧٧ - (المحاسن والأضداد): قيل إنه منسوب إلى الجاحظ^(٥).
١٧٨ - (مناقب الترك وعامة جند الخلافة)^(٦).
١٧٩ - رسالة في (مَنْ يُسَمَّى مِنَ الشُّعْرَاءِ عمراً): لم تنشر^(٧).

-
- (١) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١١٠. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٩.
«الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠١.
(٢) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٩.
(٣) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.
(٤) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٨.
(٥) «ما زال الجدل قائماً حول نسبته». «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٥٥ - ١٥٨. «تاريخ آداب اللغة العربية» جرجي زيدان. ج ٢ ص ١٩٥. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٦ - ٣٠٧.
(٦) ذكره ياقوت باسم (مناقب جند الخلافة وفضائل الترك). وربما هو كتاب (فضائل الترك) نفسه راجع الرقم ١٥١ من قائمتنا. وضعه الجاحظ لإرضاء المعتصم الذي اتخذ من الترك عامة الجند وولاهم، إرضاءً لأُمّه التركية، حتى كاد ديوان الجند في عهده يخلو من اسم عربي. «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧/١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٢. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٥. «الجاحظ»: الحاجري ص ٢٩٣. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٤.
(٧) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٣. «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠.

- ١٨٠ - رسالة في (موت أبي حرب الصفار البصري): لم تنشر^(١).
- ١٨١ - (المُختار من كلام الجاحظ وحكم علي)^(٢).
- ١٨٢ - رسالة في (الميراث): تبحث في علم الفرائض والمواريث. لم تنشر^(٣).
- ١٨٣ - (المخاطبات في التوحيد): كتاب يبحث في علم الكلام. لم ينشر^(٤).
- ١٨٤ - (مدح التجارة وذم عمل السلطان): كتاب يبحث في ما يسمى اليوم بعلم الاقتصاد. نشر عام ١٣٢٤هـ^(٥).
- ١٨٥ - (مدح الكتاب): لم ينشر^(٦). وهو غير كتاب (ذم الكتاب) المشار إليه تحت رقم ٩٤ من هذه القائمة.
- ١٨٦ - (مدح النبذ): رسالة في الأحكام الشرعية^(٧). وهو غير كتاب (ذم النبذ). راجع الرقم ٩٠ من قائمتنا.

-
- (١) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٣. «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٨.
- (٢) «تاريخ آداب اللغة العربية»: جرجي زيدان. ج ٢ ص ١٩٥. من الواضح أن شخصاً قد اختاره من نفائس كلام الجاحظ والإمام علي، ولا يجوز لزيدان أن ينسبه للجاحظ كمؤلف قائم بذاته.
- (٣) انظر آية الميراث: (فريضة من الله) سورة النساء، الآية: ١١.
- و«معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١١٠. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٣. «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٦.
- (٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٣٩. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٩.
- (٥) وذكر باسم (مدح الثجار).....
- «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٠. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٥. «الجاحظ»: الحاجري ص ٢٨٤. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٥.
- (٦) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٠. «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠.
- (٧) رسالة أهداها الجاحظ إلى الحسن بن وهب.
- «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٠. «الجاحظ»: جبر - ص ٦١. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٦.

١٨٧ - (مدح الوراقة): متخصص في الوراق. انظر الرقم ٩٦ من قائمتنا^(١).

١٨٨ - (المزاح والجِد): لم ينشر^(٢).

١٨٩ - (مسائل القرآن): بحث في القرآن الكريم. لم ينشر^(٣).

١٩٠ - (المسائل): كتاب في الاعتزال والكلام^(٤).

١٩١ - (مسائل العثمانية)^(٥): انظر الرقم ١٢٦ من هذه القائمة.

١٩٢ - (مسائل كتاب المعرفة): كتاب في الاعتزال والكلام. لم ينشر^(٦).

١٩٣ - (المضاحيك): أو (مضاحيك البغدادي)^(٧) كتاب في فن

الأقصوصة.

١٩٤ - (المعاد والمعاش)^(٨): كتاب يبحث فيما يسمى اليوم «علم

الاقتصاد».

(١) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٠.

«الجاحظ»: جبر - ص ٧٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٦.

(٢) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٠.

«الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.

(٣) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «الجاحظ»: الحاجري ص ٣٢٦. «أبو عثمان

الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٦. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.

(٤) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٠. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٩.

(٥) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٠.

(٦) ويطلق عليه اسم (المعرفة). انظر (أدب الجاحظ) السندوبي ص ١٤٠.

«معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي

ص ٢٨٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.

(٧) «الفرق بين الفرق»: للبغدادي ص ١٧٣. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤١. «أبو عثمان

الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٤.

(٨) ويسميه الخفاجي (المعاد والمعاش في الأدب وتدير الناس ومعاملتهم). راجع «معجم الأدباء»:

ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤١. «أبو عثمان الجاحظ»:

د. خفاجي ص ٢٩٥. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٨. «الجاحظ»: الحاجري ص ٣٢٧.

- ١٩٥ - (المعادن): كتاب متخصص في المعادن^(١).
- ١٩٦ - (معارضة الزيدية): كتاب في الجدل والمناظرة^(٢).
- ١٩٧ - (المعرفة): راجع الرقم ١٩٢.
- ١٩٨ - (المعلمون): كتاب في الفضائل والأدب^(٣).
- ١٩٩ - (المُغنون والغناء والصنعة): راجع الرقم ١٤٠ و ١٧٦. ويسميه
ياقوت (المُقَيَّنِينَ)^(٤).
- ٢٠٠ - (مفاخرة السودان والحمران): راجع الرقم ١١٤.
- ٢٠١ - (مفاخرة المسك والرماد): كتاب في الأدب^(٥).
- ٢٠٢ - (الملح والطرف): كتاب في فن الأقصوصة^(٦).
- ٢٠٣ - (الملوك والأمم السالفة والباقية): كتاب في التاريخ. لم ينشر^(٧).
- ٢٠٤ - (المعارف): راجع الرقم ١٩٧.
- ٢٠٥ - (مسائل وجوابات المعرفة): كتاب في الاعتزال والكلام^(٨).
- ٢٠٦ - (المودة والخلطة): رسالة موجهة إلى أبي الفرج الكاتب - تبحث
في الأخلاق الاجتماعية^(٩).

-
- (١) ويسميه الخفاجي (المعادن والقول في جواهر الأرض). «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٥. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤١.
- (٢) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٠. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤١.
- (٣) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٠. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤١. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.
- (٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤١. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٨.
- (٥) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤١. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٦.
- (٦) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤١. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٤.
- (٧) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٢. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠.
- (٨) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٨.
- (٩) «ومنه نسخة خطية بالمتحف البريطاني (ثاني ١١٢٩ : ١١). انظر «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٥.

- ٢٠٧ - (مائة مثل من أمثال علي): كتاب في الأدب^(١).
- ٢٠٨ - (مقالات الزيدية والرافضة): راجع الرقم ٩٨.
- ٢٠٩ - (مناظرة بين الخوولة والعمومة): كتاب في الأدب^(٢).

النون

- ٢١٠ - رسالة في (نفي التشبيه): تبحث في الاعتزال والكلام^(٣).
- ٢١١ - رسالة في (الناطقة): راجع الرقم ٣٤.
- ٢١٢ - (النُّبْلُ والتَّنْبِيلُ وذم الكبر): كتاب في الأخلاق الاجتماعية^(٤).
- ٢١٣ - (النواميس في حيل أهل الغش والتدليس): كتاب يبحث في ما يسمى اليوم، بعلم الاقتصاد وغش الصناعات^(٥).
- ٢١٤ - (النرد والشطرنج): كتاب في المعارف العامة. لم ينشر^(٦).
- ٢١٥ - (النُّغْل): كتاب في المعارف العامة^(٧).
- ٢١٦ - (نوادير الحَسَنِ): كتاب في القصص. لم ينشر^(٨).
- ٢١٧ - (النُّبُوات): كتاب في الجدل^(٩).

(١) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٩.

(٢) نفسه ص ٣٠٦.

(٣) نفسه ص ٢٨٨.

(٤) نفسه ص ٢٩٤.

(٥) نفس ص ٢٩٦.

(٦) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠١. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٣. «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠.

(٧) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٦. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠١. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٣.

(٨) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٤. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.

(٩) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٥.

٢١٨ - (نقضُ الطب): كتاب في نقض المسلمات الطبية بطريقة أدبية. لم ينشر^(١).

٢١٩ - (النساء): لعله كتاب (العشق والنساء). راجع الرقم ١٣١.

٢٢٠ - (الناشي والمتلاشي): لعله كتاب (اللاشي والمتلاشي). لم ينشر راجع الرقم ١٧٥^(٢).

٢٢١ - (النواميس)^(٣).

٢٢٢ - (النصراني واليهودي)^(٤): يبحث في مقارنة الأديان.

الواو

٢٢٣ - (وجوب الإمامة)^(٥): يبحث في العقائد وعلم السياسة.

٢٢٤ - (الوعد والوعيد): سمّاه ياقوت (بالوعيد). يبحث في المعارف العامة^(٦).

٢٢٥ - (الوكلاء والموكّلين): ويسمى كتاب (الوكلاء). يبحث في الاقتصاد. لم ينشر^(٧).

٢٢٦ - (وصف العوام): رسالة في الأخلاق والمجتمع^(٨).

(١) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩ «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٣٠٦ «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.

(٢) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٣. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.

(٣) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٤.

(٤) المرجع نفسه ص ١٤٣.

(٥) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٤. «الجاحظ»: الحاجري ص ١٩٨.

(٦) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٨. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٤.

(٧) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٧. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٦. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٨. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٤.

(٨) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٥.

الهاء والياء

٢٢٧ - (الهدايا): منحول^(١).

٢٢٨ - (اليثيمة): رسالة في السياسة. لم تنشر^(٢).

هذه المؤلفات الكثيرة المتنوعة، حصلنا على أسمائها من مراجعنا المتوافرة. قيل: إن مؤلفات أبي عثمان بلغت حدود الثلاثماية والستين مؤلفاً^(٣). ولم نوفق إلا بالأسماء التي أثبتناها في قائمتنا، ذلك يعني جهل أسماء أكثر من مئة واثنين وثلاثين كتاباً أو مصنفات.

وقد ضاع أيضاً معظم الكتب التي عرفنا أسماءها، ولم يبق إلا القليل الأقل؛ وهذا الأقل حفظ لأبي عثمان، مكانته المتفوقة حتى اليوم، مما يعني، أنها تحوي، غزارة العلم وتنوعه، وطول باعه في معالجة فنون الكلام، والجدل والوصف والنقد والتحليل والاستطراد... تناول كل شيء تقريباً فهو مرآة عصره وديوان فكره ونتاجه الحضاري.

وقد يجف القلم عند الكلام عن الجاحظ، لأن كتبه تجدد شبابها مع كل جيل لتكون هادية ومعلمة ومثقفة ومربية.

وإذا رأينا في القائمة التي أثبتناها، كتباً متشابهة في الأسماء أو معادة ومكررة، فإثباتها ضروري، في رأينا، من باب التحقيق والبحث العلمي الأمين خوف الضياع واللبس. وما هي إلا باب فتحناه أمام من ينشد البحث للبحث، وتجدر الإشارة إلى أن نسبة ما نشر من كتب الجاحظ المعروفة لا تتعدى العشرة في المئة. وإليك ثبناً بأسمائها وأرقامها حسب ورودها في قائمتنا:

(١) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٥٨. «الجاحظ»: جبر - ص ٦٩.

(٢) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ١٠٩. «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٩٢. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٤٤. «الجاحظ»: جبر - ص ٧٠.

(٣) «الحيوان»: الجاحظ تحق عبد السلام هارون ج ١ ص ٥ مقدمة المحقق.

الرقم في القائمة	اسم الكتاب	الرقم في القائمة	اسم الكتاب
١٠	أخلاق الملوك	٨٨	الدلائل والاعتبار على خلق الآثار
٣٠	رسالة في (استنجاز الوعد)	٩٤	ذم أخلاق الكتاب
٤٢	البخلاء	١٠٧	الرد على النصارى
٤٤	البيان والتبيين	١١٠	رسائل الجاحظ
٤٨	البغال ومنافعها	١١٦	سلوة الخريف بمناظرة الربيع والخريف
٤٩	رسالة الترييع والتدوير	١٢٤	طبقات المغنين
٥٢	تفضيل النطق على الصمت	١٣١	العشق والنساء
٥٧	تهذيب الأخلاق	١٣٦	العرجان والبرصان
٦١	التبصر بالتجارة	١٥١	فضائل الترك
٨٠	حجج النبوة	١٦٦	القواد
٨١	الحجاب وذمه	١٨٤	مدح التجارة وذم السلطان
٨٣	الحيوان		

٥ - أسلوبه ونقده

لكل أديب تصور ذهني يترجمه بألفاظ وجمل وتراكيب ذات معان، يرتاح لها، حتى يوصل أفكاره إلى القارىء. وهذه الطريقة تدعى بالأسلوب.

فالأسلوب لغة هو الطريق والوجهة^(١)، وهو خطة الأديب التي يشد بها القارىء ليبسط له ما يريد ويقصد. (وينقل أحمد الشايب في كتابه «الأسلوب»، نصاً لابن خلدون، يؤكد فيه هذا الأخير علاقة كل من اللفظ والمعنى

(١) كل طريق ممتد هو أسلوب، وقيل هو الوجهة والمذهب. وأساليب القول: أفانيته. وفي رأينا طريقة عرض الكاتب ما في نفسه وأفكاره إلى الناس، نهج وطريق. هو أسلوب. راجع «لسان العرب»: ابن منظور مادة سلب. مج ١ ص ٤٧٣.

بالأسلوب . وأهم من ذلك كله «أن الأسلوب في الأصل صورة ذهنية تتملأ بها النفس وتطبع الذوق، من الدراسة والمِزان، وقراءة الأدب الجميل، وعلى مثال هذه الصورة الذهنية تتألف العبارات اللفظية الظاهرة التي اعتدنا أن نسميها أسلوباً لأنها دليله وناحيته الناطقة الفصيحة»^(١).

وسمّي الأسلوب كذلك، لأنه يسلب (يأخذ) من الكاتب شخصيته ولون نفسه ليسطها إلى الناس . لذلك قيل: الأسلوب هو الرجل أو (الشخصية)، من هنا نرى الفرق بين الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي، وبالتالي الفرق بين العالم والأديب والفرق بين الأدب الإنشائي والأدب الوصفي، لأن الأدب الإنشائي، من روايات وقصص ومسرح وشعر بألوانه، ونثر بفنونه، يكون موضوع الأدب الوصفي ونقده.

«والنقد، كلمة تستعمل عادة بمعنى العيب» - كما يقول الدكتور أحمد أمين^(٢) وأصلها من نقد الدراهم أي معرفة جيدها من رديئها، فهو إذاً تمييز جيد الشيء من رديئه . وهو يلي الأثر الأدبي لأنه يتخذ موضوعاً له؛ فيقوم بتقديره وبيان قيمته ومستواه، بين أمثاله من الآثار الأدبية . وقد وجد النقد منذ وجد الأدب، فلم يكِد الشاعر الأول أو الخطيب الأول، يلقي بكلماته حتى بانّت على وجه السامع انطباعات وملامح، هي صدى تأثره، ولم يلبث أن أبدى استحسانه أو استهجاناً بشتى الوسائل . وهذه أولى خطوات النقد الأدبي .

ولا يخفى أننا لا نعني بالنقد الذم والاستهجان، ولا المدح والاستحسان بل تقويم المؤلفات الفكرية، بالكشف عن مواضع الجمال وتحليلها وتعليلها وهو روح كل دراسة أدبية، لأنه يعلل ويحلل الجمال .

لذلك قال سانت باف (Sainte Beuve): الناقد من يحسن القراءة ويحسن

(١) عن كتاب «صفي الدين الحلي»: للدكتور ياسين الأيوبي . ط ١ دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧١ - ص ١٦٩ .

(٢) «النقد الأدبي»: أحمد أمين . ج ١ ط ٤ دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧ ج ١ ص ١٧ .

تعليمها للغير^(١). فالكاتب موضوعه الحياة والناقد موضوعه الحياة من خلال ما كتب الأديب. وبمقدار ما يكون الناقد ناجحاً، يمكن أن يتحرر من عواطفه. من هنا صعوبة وجود الناقد الناجح.

ويعتبر النقد الأدبي عاملاً بعيداً الأثر في حياة الأديب وبعثها من سكونها إن كانت ساكنة، وتوجيهها إلى الأهداف الإنسانية السامية، من خير وحق وجمال إن حاولت الانحراف.

كما يتناول النقد الأدبي كل ما يتصل بالنص الأدبي وما فيه من معان وأسلوب فيُعنى بالجزئيات اللغوية والنحوية، كما يُعنى بالأفكار وأهدافها القريبة والبعيدة، ومدى قدرة النص واستعداده لتحقيق هدفه.

ثم ينتقل النقد إلى وزن الأثر الأدبي، فيبحث في قيمته، وصلته بعقل كاتبه وعواطفه، ومزاجه، وموهبته وبيئته وعصره وثقافته، فيضيء الأثر الأدبي ويظهر محاسنه، أو يساعد على تخليصه من الشوائب. وعند ذلك نحسن الحكم ونطمئن إلى التقدير.

وينبغي لمن يتولى هذه المهمة أن لا يكتفي بأدوات الناقد القديم، من معرفة باللغة والنحو والبلاغة فحسب، لأنه بذلك يكشف عن خطأ اللفظة أو اكتشاف ركابة العبارة، بل عليه أن يتسلح بثقافة عامة تجعله في مستوى يؤهله فهم الأثر الأدبي حتى لا يغيب عنه جانب من جوانبه، وإلى جانب هذه البديهيات، يجب عليه أن يكون ذا شخصية تتمتع بالذوق والذكاء والشجاعة، وتُلم بعلم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة والمنطق، وتاريخ الفكر، وتعتمد

(١) ترجم الدكتور أحمد أمين كلمات سانت باف على الشكل التالي: أن تعرف كيف تقرأ كتاباً قراءة جيدة دون أن تتوقف عن مواصلة تذوقه، ذلك هو كل فن النقد تقريباً... ويعقب الأستاذ أمين: إن الميزة الكبرى التي يمتاز بها باف ذكرها بنفسه شارحاً: وهي أن المهمة الأولى والأخيرة للناقد هي أن يقرأ فيفهم، فيُحب، فيقدّر، ثم يُسهّل للآخرين ما قرأه وما فهمه وما أحبه. «النقد الأدبي»: أحمد أمين ج ٢ ص ٣٦٧ - ٣٧٠.

على علم الجمال وإلى غيره من العلوم، لتهدي القراء إلى الآثار الخالدة.

غير أن مفهوم النقد الأدبي قد تغير عما كان عليه في زمن الجاحظ، بحيث كان الحكم على الآثار الأدبية، يعتمد مقاييس أخرى ويسلك سبلاً أكثر بساطة. كانوا يحصرون نظرتهم في العبارات نفسها، هل تتكون من ألفاظ فصيحة وجمل صحيحة ذات معان واضحة؟ وهل تدل على طبع أو تكلف؟ أو على جدّة أم تقليد؟

النقد يومئذ كان فناً يمارسه الكتّاب على هواهم. مستعينين بخبرتهم الشخصية وفهمهم الذاتي، لذا يُعَدُّ الجاحظ مؤسس علم البلاغة العربية التي يقوم النقد على كثير من أصولها.

فهو أول من جمع ما يتصل به من كلام سابقه ومعاصريه وبسطه بعد أن أضاف عليه ما عَنَّ له من آراء، وقلّما نجد بلاغياً أو ناقدًا لم يفد من توجيهاته وكتابات.

(كان الجاحظ شيخاً للنقاد وإماماً للأدباء، وأستاذًا للمتكلمين، وفيلسوفاً من فلاسفة الإسلام، لا ينكر أحد فضله على النقد الأدبي وتأسيس مبادئه ووضع أصوله، فاضل بين الشعراء وتكلم في الطبع والتكلف، وبين أقدار الألفاظ والمعاني وتحدث عن العاطفة وأولية الشعر، والتوليد فيه، وصنّف مذاهب الشعراء بعبارات تنم عن وقع الشعر في نفسه)^(١).

كانت غاية الجاحظ الدفاع عن العرب ضد الشعوبية. وطريقته في الكتابة قادت إلى البحث البياني والبلاغي والشعر والخطابة.

ففي تضاعيف كتاب «البيان والتبيين» وغيره، نجد آراءه في النقد الأدبي ولكنها لا تشكل على الغالب إطاراً شافياً لأنها نقداً عابرة.

(١) عن كتاب (في النقد الأدبي عند العرب) د. درويش دار المعارف مصر ١٩٧٩ - ص ١٥٢ عن كتاب «أرسطوطاليس في الشعر»: ص ٢٤٨.

وسنذكر شيئاً من آرائه بإيجاز، دون أن نتعرض لها بالتوسع، تاركين ذلك لحينه إن شاء الله .

وأول ما نراه، يمكن أن نسميه بالأدب الجيد. لأنه يرى أنَّ المعاني في متناول الجميع، ولا يكفي المعنى أن يكون شريفاً حتى يكتسب به الكلام صفة البلاغة، وإنما الأسلوب المحكم بكل عناصره هو الذي يجلوه ويضفي عليه من نعوت البلاغة، وبالتالي يحدث تأثيره في النفوس^(١).

لقد أراد أن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال. وهذا من أصول البلاغة^(٢). فالجاحظ حريص على الطبع نفور من التكلف، لا يحب أن يكون اللفظ ساقطاً سوقياً أو وحشياً غريباً^(٣). ولكنه يرى أن الإعراب (بالكسر) يفسر نواذر المولدين كما أن اللحن يفسر كلام الأعراب (بالفتح)^(٤).

والحقيقة أن الألفاظ خدم للمعاني، وضعت للدلالة على الأفكار. فلو لا الفكرة ما كان اللفظ. وحسن اللفظ يستلزم حسن المعاني. والجاحظ لم يرجح جانب الألفاظ من حيث هي ألفاظ، وإنما يرجحها من حيث اتلافها مع معانيها وانسجامها مع ضخماتها، وهذا ما عبّر عنه أحياناً بالسبك وأحياناً بالصياغة^(٥).

ويُعَدُّ الجاحظ من أوائل من تطرق إلى السرقات الشعرية بعين الناقد البصير. وفي معرض رأيه في الشعر يرى شعر العرب أفضل من شعر المولدين، كما نقد النحويين الذين لا يهتمون إلا إلى إعراب الكلمة^(٦). وقد حاول التحقيق

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: د. عبد العزيز عتيق. ط ٣ دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤ ص ٣٢٧.

(٢) انظر «الحيوان»: تحق هارون. مج ٤ ص ٩٠.

(٣) «القاضي الجرجاني والنقد الأدبي»: د. عبده قلقيله. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ - ص ١٤٤.

(٤) «الحيوان»: مج ١ ص ٢٨٢.

(٥) «في النقد الأدبي عند العرب»: د. درويش ص ١٥٧ - ١٥٨.

(٦) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٤ ص ٢٤.

الأدبي. وذلك في خطبة لمعاوية نسبها إلى علي بن أبي طالب وأقام عليها الحُجَّة^(١).

والتحقيق الأدبي، كما هو معلوم، فرع من فروع النقد الأدبي. سار الجاحظ في حديثه عن أولية الشعر، كما سار في كلامه على المنتحل، ليصل في النهاية إلى طريقة تُصَوِّرُ مَنهجَه في نقض بعض الآراء الأدبية العامة^(٢).

ونَبَّه إلى العاطفة وأثرها في الأدب، وذلك عند تحدّثه عن المراثي. كما دعا إلى البعد عن الهوى والمحاباة في النقد الأدبي^(٣)، حتى يكون النقد موضوعاً معلاً بعيداً عن التعصب والتزام الحياد بين آراء القدماء وآراء المعاصرين له. لا يحب (الجاحظ) التكلف، وخاصة بالشعر، لأنه يعدّه افتعالاً للفظ والموضوع. وهذا أقرب إلى الزيف منه إلى الصدق الفنيين، ولم يخلط بينه وبين التجويد الفني^(٤).

وربما استعمل كلمة بديهة مرادفة لكلمة الارتجال:

«وكانوا أُمّيين لا يكتبون ومطبوعين لا يكلفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وهم عليه أقدر»^(٥).

فاستعمال اللفظتين بمعنى واحد غير مستحب، لأن بينهما فرقاً دقيقاً بيّناً، الارتجال غير معدّ ذهنياً والبديهة تتصف بالروية والتفكير^(٦).

ونحمل قوله على التغليب لا التعميم. ونراه يهتم بالأسلوب وقصر الصور

(١) المرجع نفسه مج ٢ ص ٥٩ - ٦١.

(٢) «الحيوان». تحقق هارون مج ٦ ص ٨٩ و ٩٠.

و«في النقد الأدب عند العرب»: د. محمد طاهر دوريش ص ١٥٤.

(٣) «القاضي الجرجاني والنقد الأدبي»: د. فلقيلة ص ١٤٦.

(٤) «الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم»: د. عثمان قوافي. ط ٢. دار المعرفة الجامعية. مصر ١٩٨٤ ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٥) «البيان والتبيين»: تحقق هارون ج ٣ ص ٢٨.

(٦) «لسان العرب»: ابن منظور ج ١٣ ص ٤٧٥ ج ١١ ص ٢٧٠.

البلاغية على العرب . لم يستطع الجاحظ أن يتخلى عن عصره لأنه كان ينظر إلى الأثر الأدبي نظرة جزئية . فهو يحكم على الشاعر من خلال بيت ، ويهتم بالأسلوب أكثر من المعنى . وبمعنى آخر لم يميز بين النقد والبلاغة والبيان ، فهي مترادفات تدل على معنى واحد عنده . اشترط في فصاحة الكلمة سلامتها من تنافر الحروف ، واهتم بالبيان اهتماماً واضحاً ، لكنه لم يثبت له على تعريف واحد ، ويعرض لبعض مباحثه بمعناه الاصطلاحي ويطلق عليه اسم البديع^(١) ، كما يعرض للتقسيم^(٢) ، ويرى أن الاستعارة تكسب الكلام طلاوة وتلبس الأسلوب خيالاً^(٣) .

وأفصح عن الكتابة^(٤) ، وعَرَّف الإيجاز^(٥) ، وذكر المجاز^(٦) وغير ذلك من فنون البلاغة ، التي سنعرفها في حينه إن شاء الله .

واهتدى إلى مبدأ : أن اللفظ لا يسقط والمعنى لا يبور حتى يصلح لمكان من الأماكن^(٧) .

كَتَبَ الجاحظ إلى الناس جميعاً ، على اختلاف ثقافتهم ومداركهم لا إلى طائفة مختصة فهو عامي خاصي .

وإذا قرأت شيئاً من علومه حسبت أنه واضع هذا العلم ومُخْرِجُه ، يتلاعب بقارئه كما يشاء ، بلغة متينة صحيحة جزلة صافية ، وجملة قصيرة موجزة ، وبلاغة فذة مستحدثة ، وبيان ناصع سهل . يشد القارئ إليه شداً لأنه لا يُحس

(١) «البيان والتبيين» : تحق هارون مج ١ ص ٥١ وج ٤ ص ٥٥ .

(٢) المصدر نفسه . ج ١ ص ٢٤٠ .

(٣) حين جعل للسحاب عينين وجعل المطر بكاءً للسحاب على طريق الاستعارة .

انظر «البيان والتبيين» : تحق هارون مج ١ ص ١٥٢ .

(٤) المصدر نفسه . ج ١ ص ٨٨ .

(٥) «الحيوان» : تحق هارون ج ٣ ص ٨٦ .

(٦) سألتني عن أناس أكلوا شرب الدهر عليهم وأكل

وهو كلمة مجاز «الحيوان» : هارون ج ٥ ص ٢٨ .

(٧) «القاضي الجرجاني والنقد الأدبي» : د . قلقيلة ص ١٤٨ .

في جملته عسراً، بل يجد يسراً في الفهم ومرونة وفوقها موسيقى تلذ العقل والشعور والأذن معاً وجملة تناسب الموضوع^(١).

يثقف قارئه ويطربه ثم يضحكه ويرهبه، وتارة ييكيه ويخشيّع فؤاده، ثم يُرجعه إلى الجِدِّ ويدفعه إلى التفكير والتأمل من جديد حتى إذا أنهكه بسط له نادرة أو فكاهة تريح أعصابه.

وهذا الأسلوب المحدث لم يكن معروفاً بين كتاب عصره أو فيمن سبقوه. فالعمل الأدبي أساسه الدقة في اختيار الكلمة ووضعها في موضعها. وكل كلمة من كلمات الجاحظ لها إحياء معين لا تنسجم إلا معه، ونكهة خاصة مميزة يحسن اختيارها من بحر، ليتم رسم صورته الزاهية، كما يختار الفنان ألوانه.

إنشاؤه سلس، على متانة في السبك، بعيد عن التصنع غالباً، ولا يهتم بالتزويق اللفظي والتنميق البلاغي.

قال بديع الزمان الهمذاني ت ٣٩٨هـ / ١٠٠٨م في وصف كلامه: «فهو بعيد الإشارات قليل الاستعارات، قريب العبارات، منقاد لُغْرِيان الكلام يستعمله، نفور من مُغتاصبه يُهْمِلُه، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة أو كلمة غير مسموعة»^(٢).

وأسلوب الجاحظ في كل ما كتب صورة لجلال ذوقه الأدبي. وضع فيه الألفاظ في مواضعها، وأسبغ على الجملة روعة البلاغة وحسن النظم. وكان هدفه الإفهام والوضوح بأداء فني جليل بعيد عن الخشونة والغرابة والتعقيد. شعاره: لكل مقام مقال.

(١) النقد الأدبي: طه حسين من «المجموعة الكاملة»: ط ١٠. دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٣ - مج ٥ - ص ٦١٥.

(٢) «مقامات بديع الزمان الهمذاني»: تحق الشيخ محمد عبده. المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٨ - ص ٧٥-٧٦.

«نقد النثر»: قدامة بن جعفر البغدادي. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠ ص ٣-٨.

فليس هو بالرجل الخيالي، وليس أدبه مرتبطاً بعاطفة تتحكم فيه، لأنه رجل الفكر والمنطق. تعابيره تنفذ إلى القلوب وتمتلك المشاعر، ببيان ساحر، فهو أديب نادر. أَفْتَنَ الكثيرين وسيُفْتِنُهُم أكثر بسهولة لفظه واستطراداته وتوازنه وقصر عباراته. فتح باب البلاغة والبيان على مصراعيه أمام الأجيال التي لحقته^(١).

ومن واقع الحياة أيضاً، راح يرقب أثر الأدب في القلوب والعقول. وأخذ يسجل نتائج تجربته، وأفاد من هذا في حديثه عن التلقي وصور التعبير الأدبي. إن سطحية الدرس البلاغي المتأخر وجفافه يرجعان إلى أصحابه، الذين بدأوا الحديث فيه من فراغ وليس عن تجربة ولأنهم عنوا فيه بالشكل دون المضمون^(٢).

قال ثابت بن قُرّة (٢٢١ - ٢٨١هـ / ٨٣٦ - ٩٠١م)^(٣): ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس فإنه:

عَقِمَ النساءُ فلا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ إنِ النِّساءَ بِمِثْلِهِ عُثِمُ
فَقِيلَ: أَخْصِي لَنَا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ قَالَ: أولَهم عمر بن الخطاب، وثانيهم الحسن البصري، وثالثهم أبو عثمان الجاحظ^(٤).

وجملة القول، إن إمام النُّقاد، نقل موضوع الأدب والنقد من معناه الضيق إلى أوسع معانيه، فكان يدرك أن العمل الأدبي مستمد من الحياة نفسها. لقد فتن أسلوبه الكثيرين وما زال، ويتمنى كل من جاء بعده أن يكون تلميذه. ولا نجد كلاماً يفیه حقه أكثر من القول: إنّه أسلوب جاحظي.

(١) «تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي»: أنيس المقدسي ط٦. دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩ ص ١٦٨ - ١٧٨.

(٢) «البلاغة والنقد بين التاريخ والفن»: د. مصطفى الصاوي الجويني. الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية ١٩٧٥ ص ٢٣٣.

(٣) «الأعلام»: الزركلي. مج ٢ ص ٩٨.

(٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ٩٥ - ٩٧.

٦ - مَذْهَبُهُ وَآرَأُوهُ

المَذْهَبُ هو المعتقد الذي يُذْهَبُ إليه^(١).

والرأي هو الحديث أو الفكر الذي يؤخذ به ويتَّبَعُ، وجمعه آراء^(٢). وقد جمع العلماء بين معنى الدين والمِلَّة والشريعة والمذهب، قال الشريف الجرجاني الحنفي: الدين والمِلَّة مُتَّحِدَان بالذات، ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث أنها تطاع تسمى ديناً، ومن حيث إنها تُجْمَع تسمى مِلَّةً، ومن حيث إنها يُرْجَع إليها تُسمى مذهباً. وقيل الفرق بين الدين والمِلَّة والمذهب، أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والمِلَّة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد^(٣).

والمقصود بمذهب الجاحظ وآرائه، ميله إلى الاعتقاد بآراء مُعَيَّنَةٍ مُحدَّدة، هي مذهب الاعتزال.

هي قضايا ألزم نفسه بها، وجنَّد لأجلها قلمه، فكساها حُلَّة أدبية بلاغية لإبرازها.

وقد درس الاعتزال بالبصرة على يد النظام^(٤)، وبشر بن المعتمر^(٥)،

(١) المذهب - مَفْعَل - من الذهاب.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة ذهب مج ١ ص ٣٩٤.

(٢) الرأي: الاعتقاد. اسم لا مصدر له، والجمع آراء. قال سيبويه: لم يُكسَّر على غير ذلك.

«لسان العرب»: ابن منظور. رأي ج ١٤ ص ٣٠٠.

(٣) «التعريفات»: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني. مط. القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ ص ٩٤ و ٩٥.

(٤) من أقوال النظام. إبطال الجزء الذي لا يتجزأ، ثم بنى عليه قوله بالطرفة التي لم تُسبق إليها وهم أحد مثله. وأخذ من الثنوية: بأن فاعل العدل لا يقدر على فعل الجور والكذب وأنكر معجزات الرسول عليه السلام. وقال بتكفير بعض شيوخ المعتزلة. لمزيد من المعلومات أنظر «الفرق بين الفرق»: عبد القاهر البغدادي ص ١٣١ - ١٥١. وتلطف بالرجوع إلى ص ٣٢ من هذا الكتاب حيث قمنا بترجمته.

(٥) بشر بن المُعْتَمِر (ت ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م). الهلالي البغدادي. أبو سهل. فقيه معتزلي مناظر. من أهل الكوفة. وتنسب إليه الطائفة البشرية. كان من أفضل علماء المعتزلة وهو الذي أحدث ==

وُثُمَامَة^(١)، وغيرهم انفرد الجاحظ من بين المعتزلة بآراء خاصة به، وسمى أتباعه أنفسهم «بالجاحظية»^(٢) نسبة إليه.

فما الاعتزال؟ وكيف نشأ؟ وما آراء الجاحظ فيه؟

حديث طويل مُعَقَّد، سَنَعْرِضُ مُوجِزاً له لإتمام سياق البحث.

لَمْ يُتَخَ للمسلمين التَّخَلُّصُ مِنْ بِدْعَةِ التَّفَرُّقِ، رغم يُسْرٍ ووضوح الإسلام الحنيف، منذ بداية انقسام آرائهم، إلى فِرْقٍ ونحلٍ. وبدايةً هذا الانقسام كان يومَ أشار عمرو بن العاص على معاوية، برفع المصاحف، أمام أصحاب علي بن أبي طالب، قصد التحكيم، في صِفَّين^(٣). وثانيه، يوم أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد، وخرج عن أمر الشورى^(٤).

القول بالتولد وأفرط فيه عن أصحابه بمسائل ست. مات ببغداد.

«الفرق بين الفرق»: البغدادي ص ١٥٦ - ١٥٩.

«الملل والنحل»: السهرستاني مج ١ ص ٦٤.

«الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ٥٥.

(١) ثُمَامَة بن أشرس النميري (ت ٢١٣هـ / ٧٢٨م). أبو معن من كبار المعتزلة وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد ثم بالمأمون. وكان ذا نواذر ومُلَح.

ويُسمى أتباعه الثُمَامِيَّة نسبة إليه. كان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق. وقيل إنه هو الذي أغوى المأمون بأن دعاه إلى الاعتزال. انفرد عن سائر أسلاف المعتزلة ببدعتين أكفرتهم الأمة كلها فيهما.

«الفرق بين الفرق»: البغدادي ص ١٧٣ - ١٧٥. «تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي ج ٧. «لسان

الميزان»: العسقلاني مج ٢ ص ٨٣. «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٦١.

«الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ١٠٠.

(٢) الجاحظية هم أتباع الجاحظ، تبعوه في مسائل انفرد بها عن المعتزلة، ونسبوا أنفسهم إليه. وسنعرض لهذه الفرقة في حينه إن شاء الله.

«فرق وطبقات المعتزلة»: القاضي عبد الجبار الهمداني. تحق علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي. دار المطبوعات الجامعية. الإسكندرية ١٩٧٢ ص ٢١٦ - ٢١٧.

«الفرق بين الفرق»: البغدادي ص ١٧٥.

«الملل والنحل»: السهرستاني مج ١ ص ٧٥.

(٣) «تاريخ الخلفاء»: للسيوطي ص ١٧٤.

(٤) نفسه ص ١٩٦.

ويقف علماء الكلام، من حديث رسول الله ﷺ، عن افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، ثلاثة مواقف. فأما أحدها، فألا يتعرضوا له بنفي ولا إثبات^(١)، وهم أهل السنة والجماعة.

قال البغدادي، بعد السند، قال رسول الله ﷺ:

«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة. وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»^(٢).

ثم أورد الحديث مسنداً بشكل آخر: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، تزيد عليهم ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا يا رسول الله وما الملة التي تغلب؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي^(٣).

ثم أورد الحديث، بشكل ثالث، معنعناً: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»^(٤).

ثم يعلق البغدادي في الحاشية قائلاً: أعلم أن العلماء يختلفون في صحة هذا الحديث فمنهم من يقول: إنه لا يصح من جهة الإسناد. . . ومنهم من اكتفى بتعدد طرقه. . . ثم أعلم أن الاختلاف المقصود بهذا الحديث هو الاختلاف في أصول العقيدة. . . فاعرض كل ما تسمع على كتاب الله وما صح من قول رسوله، فإن وافقتهما فهو الحق الذي يجب أن تعض عليه بالنواجذ ولا تفارقه أو تميل عنه^(٥).

وأورد المرتضى الحديث المذكور، بشكل مغاير، كما أوردته المعتزلة معنعناً:

(١) مقدمة محقق كتاب «الفرق بين الفرق»: محمد محي الدين عبد الحميد ص ٦.

(٢) «الفرق بين الفرق»: البغدادي ص ٥.

(٣) نفسه ص ٦.

(٤) نفسه ص ٧.

(٥) نفسه. الحاشية ص ٧ - ٨.

«ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أبرها وأتقاها الفئة المعتزلة»^(١).

ظهرت المعتزلة في أواخر القرن الأول للهجرة النبوية الشريفة، عندما افترق المسلمون في آخر خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، إلى شيعة وخوارج ومرجئة^(٢). ولكل منهم رأيه في الخلافة والسياسة، مستنداً إلى النصوص التي تتعلق بها. ثم تحور النزاع إلى مسائل كلامية مع المعتزلة. والمعتزلة فرقة من الأزارقة، والأزارقة فرقة من الخوارج، يسمون أنفسهم أصحاب العدل (العدلية) والتوحيد أو (الموحدة)، ويلقبون بالقدرية والعدلية^(٣). أما سبب تسميتهم بالمعتزلة. يقول البغدادي: فقد حَدَثَ في أيام الحسن البصري^(٤) خلاف واصل بن عطاء^(٥) الغزال في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين وانضم إليه عمرو بن عبيد بن باب^(٦) في بدعته، فطردهما الحسن عن مجلسه،

(١) «باب ذكر المعتزلة»: من كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل: لأحمد بن يحيى المرتضى. تحقق. توما أرندل. دار صدار بيروت عن مطابع حيدرآباد ص ٢.

(٢) «أهم الفرق الإسلامية»: السياسية والكلامية. د. البير نصري نادر. ط ٢ المطبعة الكاثوليكية. بيروت. التمهيد ص ٧٠.

«أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ١٣٤.

(٣) أصحاب العدل: لقولهم بعدل الله تعالى وحكمته.

أصحاب التوحيد: لقولهم لا قديم مع الله.

القدرية: لفظ يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

«باب ذكر المعتزلة»: للمرتضى ص ٢.

«الملل والنحل»: الشهرستاني مج ١ ص ٤٣.

(٤) الحسن البصري (ت ١١٠هـ / ٧٢٧م). يكنى أبا سعيد، واسم أبيه يسار مولى لأمرأة من الأنصار. إمام أهل البصرة. مات وله تسع وثمانون سنة.

«مروج الذهب»: المسعودي. ج ٣ ص ٢١٤. «الأعلام»: الزركلي ج ٢ ص ١٨٥.

(٥) واصل بن عطاء (٨٠ - ١٣١هـ / ٧٤٨م). البصري المتكلم. كان يجلس في سوق الغزالين. فلُقِبَ بالغزال. كان يلثغ بالراء ونقل عنه أنه تجنبها في خطابه، سمع عن الحسن البصري.

«لسان الميزان»: العسقلاني. ج ٦ ص ٢١٤.

(٦) عمرو بن عبيد (ت ١٤٤هـ / ٧٤٨م). أبو عثمان. كان شيخ المعتزلة في وقته ومفتيها. بصري زاهد. عابد، معتزلي. قَدَرِيٌّ. مات وهو في طريقه إلى مكة، ودُفِنَ بمران على ليلتين من مكة

وصلى عليه سليمان بن علي، ورثاه أبو جعفر المنصور.

«مروج الذهب»: المسعودي. ج ٣ ص ٣١٤ - ٣١٥.

فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد البصرة، فقبل لهما ولأتباعهما «معتزلة» لاعتزالهم قول الأمة في دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر^(١).

تناولت المعتزلة مسائل الله والإنسان والعالم بالنظر العقلي الخالص.

قال القاضي الهمداني: ولقد اتفق المعتزلة في آرائهم وعلى أصولهم الخمسة وهي: التوحيد والعدل، ولهذين الأصلين تُردُّ الأصول الخمسة، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد. ولقد ظهر الاعتزال أول ما ظهر بالبصرة ثم ببغداد^(٢).

وقبل أن نعرض، موجزاً، لأصول ومفاهيم المذهب المعتزلي، لا بد لنا من إثبات نبذة ابن النديم في فهرسه، عن عبد الله بن محمد بن كلاب القطان، الذي هو من بابية الحشوية، وله مع عبّاد بن سليمان المعتزلي مناظرات.

كان ابن كلاب، يقول: إن كلام الله هو الله، وكان عبّاد يقول: إنه نصراني بهذا القول.

(١) «الفرق بين الفرق»: البغدادى ص ٢٠ - ٢١.

وانظر «فرق وطبقات المعتزلة»: القاضي عبد الجبار الهمداني. تحقق النشار وغيره. دار المطبوعات الجامعية - الإسكندرية ١٩٧٢ ص ١٣١.

(٢) ثم يورد القاضي الهمداني اتفاق المعتزلة وإجماعهم على المسائل الآتية:

١ - نفي صفات الباري تعالى.

٢ - كلام الله مخلوق.

٣ - إن أفعال العباد مخلوقة لهم، وأفعال الحيوانات خارجة عن قدرة الله.

٤ - حال الفاسق. منزلة بين المنزلتين.

٥ - وجوب كثير من الأشياء على العبد من غير أن يكون من أمر الله تعالى فيه أمر. مثل: النظر والاستدلال، وشكر المُنعم.

٦ - إنكار مفاخر زائدة لرسول الله، زائدة على الأنبياء: كالشفاعة والمعراج.

٧ - إنكار عذاب القبر.

وتفرّعت مدرسة المعتزلة فرعين هما: فرع بغداد وفرع البصرة.

وعُدَّ الجاحظ من فرع البصرة.

انظر «فرق وطبقات المعتزلة»: القاضي عبد الجبار الهمداني ص ١٣٣ - ١٣٤.

قال أبو العباس البَغَوِيُّ^(١): دخلنا على فيثون النصراني وكان في دار الروم بالجانب الغربي فجري الحديث، إلى أن سأله عن ابن كلاب فقال: رحم الله عبد الله، كان بجنبي فيجلس إلى تلك الزاوية، وأشار إلى ناحية من البيعة، وعني أخذ القول. ولو عاش لَنَصَّرْنَا المسلمين. قال البغوي: وسأله محمد بن إسحاق الطالقاني فقال: ما تقول في المسيح؟ قال: ما يقوله أهل السنة من المسلمين في القرآن^(٢).

قصد فيثون الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٣) فانبرى المعتزلة للقول بأن القرآن حادث مخلوق وليس أزلياً، وعندهم أن من أثبت معنى وصفة قديمة، فقد أثبت الهين^(٤).

من هنا نرى أن أصل الخلاف في الرأي، لم يكن بين المسلمين أنفسهم، ولكنه كان رداً على النصارى.

قال المأمون: «وضاهاوا (أي المسلمون القائلون بقديم القرآن) به قول النصارى في ادعائهم في عيسى ابن مريم أنه ليس بمخلوق، إذ كان كلمة الله، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ وتأويل ذلك أنا خلقناه^(٥) لهذا أفتي بأن القرآن لا يترجم، ولكن معانيه هي التي تترجم.

أما أصول المعتزلة فهي:

التوحيد وهو عند المعتزلة أن الله تعالى واحد في ذاته، لا قسمة ولا صفة له، وواحد في أفعاله لا شريك له. فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له في أفعاله.

(١) أحمد البغوي (١٦٠ - ٢٤٤هـ / ٧٧٧ - ٨٥٩م). محدث أصله من مرو الروذ، رحل وجمع

وصنف المسند وحديث. «معجم المؤلفين»: كحالة مج ٢ ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٢) «الفهرست»: لابن النديم دار المعرفة بيروت ١٩٧٨ - ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

(٤) «فرق وطبقات المعتزلة»: القاضي عبد الجبار الهمداني ص ١٣٧.

«أهم الفرق الإسلامية»: د. البير نصري نادر ص ٧٣ - ٧٤.

(٥) «أهم الفرق الإسلامية»: د. البير نصري نادر ص ٧٥. والآية المذكورة هي الثالثة من سورة الزخرف.

ومحال وجود قديمين ومقدور بين قادرين، وذلك هو التوحيد.

والتوحيد عند أهل السنة: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له^(١).

العدل عند المعتزلة هو ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة.

ومعناه عند أهل السنة: وضع الشيء موضعه، وهو التصرف في الملك على مقتضى المشيئة والعلم، والظلم، بضده، فلا يتصور منه جور في الحكم وظلم في التصرف.

والله تعالى عدلٌ في أفعاله، بمعنى أنه متصرف في ملكه وملكه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد^(٢).

وعرّف القاضي الهمداني العدل: بأنه كلام يرجع إلى أفعال القديم تعالى جلّ وعزّ، فالعدل مصدر عدل يعِدُّ عدلاً. ثم قد يُذكر ويراد به الفعل وقد يذكر ويراد به الفاعل^(٣)...

لقد اضطرب المعتزلة في حق الذات الإلهية، بتعريفهم العدل، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو موجد العقل ومحدث الحكمة.

«ومعنى الوعد والوعيد عند المعتزلة: أن لا كلام في الأزل، وإنما أمر ونهى، وعد وأوعد، بكلام محدث، فمن نجا فبفعله استحق الثواب، ومن خسر فبفعله استوجب العقاب، والعقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك.

(١) «الملل والنحل»: الشهرستاني مج ١ ص ٤٢. ولأجل الاطلاع على شروحات وردود تفصيلية عليك بالرجوع إلى كتاب (شرح الأصول الخمسة): القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني. القاهرة ص ٥٧ - ٦٥ - ١٥٥ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٧ - ٢٢١ - ٢٨٤. «فرق وطبقات المعتزلة»: للقاضي عبد الجبار الهمداني ص ١٣٧ - ١٨٢.

(٢) «الملل والنحل»: لشهرستاني مج ١ ص ٤٢.

«فرق وطبقات المعتزلة»: للقاضي عبد الجبار الهمداني ص ١٨٣.

(٣) «شرح الأصول الخمسة»: القاضي عبد الجبار الهمداني ص ٣٠١.

ومعناه عند أهل السنة: كلامه الأزلي، وعد على ما أمر، وأوعد على ما نهى، فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده، وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده، فلا يجب عليه شيء من قضية العقل^(١).

والأصل الرابع هو المنزلة بين المنزلتين: وهو، عند المعتزلة، الإقرار بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر.

قال الحسن البصري: الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سُمي المرء مؤمناً وهو اسم مدح، والفاسق لم يستجمع خصال الخير، فلا يستحق اسم المدح فلا يسمى مؤمناً وليس هو بكافر أيضاً، لأن الشهادة وبعض أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لإنكارها لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالداً فيها إذ ليس في الآخرة إلا الفريقان: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٢).

لكنه يُخَفَّفُ عليه العذاب وتكون دركته فوق ذرَّة الكفار^(٣).

والأصل الخامس هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤).

وأما من خالف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلاً وقال: إن الله تعالى لم يكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلاً فإنه يكون كافراً، لأنه رد ما هو معلوم ضرورة من دين النبي ﷺ ودين الأمة. فإن قال: إن ذلك مما ورد به التكليف ولكنه مشروط بوجود الإمام فإنه يكون مخطئاً^(٥).

(١) «فرق وطبقات المعتزلة»: القاضي عبد الجبار الهمداني ص ١٨٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٧.

(٣) «باب ذكر المعتزلة»: من كتاب «المنية والأمل»... للمرتضى ص ٣ - ٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٥) «شرح الأصول الخمسة»: القاضي عبد الجبار الهمداني ص ١٢٦.

ويعلق الدكتور محمد الخطيب على موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله: وأياً كان رأي العلماء فأنني أقول أنه لا معروف أعرف من العدل ولا منكر أنكر من الظلم وعلى هذا يجب إزالة الظلم بأي شكل من الأشكال وطريق من الطرق فالقيام بالظلم والإقرار له والسكوت عليه لا رخصة فيه مطلقاً لا في كبير الأمر ولا في صغيره. ورأس الأمر وسنامه بعد الإيمان بالله تعالى وتوحيده وهو أعدل العدل الأمر بالعدل والنهي عن الظلم^(١).

هذه هي باختصار أصول المعتزلة الأساسية، التي حيكت حولها المناظرات. ونرى أن وجود المعتزلة، كمذهب وأشخاص، قد انتهى منذ عهد بعيد، بالرغم من أن أفكارهم ما زالت معروضة في طيات القراطيس، لأن شمل المسلمين التأم على الحق، بعد أن بهرت الفلسفة الدخيلة عقول بعض المسلمين وفرقتهم.

نحن لا ننكر فضل العقل ورجاحته على الإنسان، لأنه بسببه ميّزه الله تعالى على سائر مخلوقاته، ولكننا لا نحب أن يكون العقل أداة تفرقة بدل أن يكون أداة جمع ووعي وتألف.

من هنا نصل إلى لبّ موضوعنا ونسأل ما هي آراء الجاحظ المعتزلية؟ الجاحظ من شيوخ المعتزلة، وليس في مقدورنا أن نعرف تماماً وجهة نظره وآرائه الاعتزالية بمجملها، لأن أكثر كتبه في هذا الموضوع قد فقد. غير أن بعض الرواة والمؤرخين روا له آراء في هذا المذهب سنلقي عليهم تبعة أقوالهم.

فخلاصة مذهب الجاحظ في الاعتزال تقوم على النقاط التالية:

الصدق والكذب

إن جمهور العلماء يرى أن الخبر ينقسم إلى صادق وكاذب. والراجح عندهم أن صدق الخبر مطابقة حكمه للواقع، وكذبُه: عدمها.

(١) «دستور الحكم في الإسلام والمبادئ الأساسية التي قام عليها» أطروحة دكتوراه غير منشورة إعداد محمد أكرم الخطيب، جامعة الأزهر في القاهرة ١٩٨٠ مج ٢ ص ٥٦٣.

وقال غيرهم: إن صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر، صواباً كان أم خطأ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، وهذا هو مذهب النظام^(١) أستاذ الجاحظ.

ويزعم أبو عثمان أن الخبر ثلاثة أقسام. صادق - كاذب - غير صادق ولا كاذب^(٢).

فالصادق عنده: هو مطابقة الخبر للواقع مع اعتقاد المخبر بالخبر أنه مطابق له.

والكاذب: هو عدم مطابقته للواقع مع اعتقاد المخبر أنه غير مطابق له.

أما الخبر الذي ليس بصادق ولا كاذب فليس نوعاً واحداً^(٣).

فالصدق في الخبر عند الجاحظ هو مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده، والكذب عدم مطابقته مع اعتقاده.

أما الجمهور فاقصر على الواقع، والنظام اقتصر على الاعتقاد^(٤).

مذهب المعرفة

اختلف في المعارف إن كانت ضرورية أو نظرية. ومذهب الجاحظ بالقول إن المعارف كلها ضرورية وهي تستتبع العمل^(٥).

قال الشهرستاني: «إن المعارف كلها ضرورية طباع، وليس شيء من ذلك

(١) ترجمته في ص ٣٢. من هذا الكتاب.

(٢) «عُقود الجَمَان في علم المعاني والبيان»: عبد الرحمن السيوطي مط الشرفية مصر ١٣٠٥هـ ص ٩.

«علم المعاني»: د. عبد العزيز عتيق. ط ٢ دار النهضة العربية بيروت ١٩٧١ ص ٤٤.

(٣) نفسه ص ٤٤.

(٤) «التلخيص»: في علوم البلاغة: للإمام جلال الدين القزويني. تحق عبد الرحمن البرقوقي. ط ٢ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٣٢ ص ٣٩ - ٤٠.

«أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٥) «الحيوان»: تحق هارون مج ٢ ص ٩٧.

من أفعال العباد وليس للعبد كسب سوى الإرادة، وتحصل أفعاله منه طباعاً^(١).
والمعرفة، في رأي الجاحظ، ليست من فعل الإنسان لأنها متولدة إما من اتجاه
الحواس أو من اتجاه النظر. لذلك قال: إن الإنسان في تحصيل معارفه ليس له
إلا توجيه الإرادة، وما يحدث بعد ذلك فاضطرار وطبيعة^(٢). وهذا ما دفع
المعتزلة إلى النظر والمجادلة في مسألتين:

هل الإنسان يخلق أفعال نفسه، أو يخلقها الله فيه؟ ثم هل الأفعال المتولدة
من فعل تنسب إلى الفاعل أو لا تنسب؟

واتفق المعتزلة على أن الإنسان يخلق أفعال نفسه، لأنه إذا قال بسيطرة
الإنسان على إرادته لم يخالف المبدأ العام، وإن قال إن ما تولد بعد ذلك طبع
وضرورة^(٣).

آراؤه الأخرى:

عَوَّلْنَا على جمع بعضها من المراجع التي توافرت لدينا، لأن كتب
الجاحظ، التي تبحث في مثل هذه المواضيع فقدت كما نَوَّهْنَا.

- الخلق كلهم عقلاء عالمون بأن الله تعالى خالقهم، وعارفون بأنهم
محتاجون إلى نبي، وهم محجوبون بمعرفتهم. وهم صنفان: عالم بالتوحيد
وجاهل به فالجاهل مغدور، والعالم محجوج^(٤).

- الكفار بين معاند، وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه، فهو لا يشكر
بما عنده من المعرفة بخالقه، ويصدق رسله^(٥).

- المسلم الذي يعتقد أن الله تعالى ليس بجسم ولا صورة ولا يرى

(١) «الملل والنحل»: للشهرستاني مج ١ ص ٧٥.

(٢) «ضحى الإسلام»: أحمد أمين مج ٣ ص ١٣٢ - ١٣٥.

(٣) المرجع نفسه مج ٣ ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٤) «الملل والنحل»: للشهرستاني مج ١ ص ٧٥.

(٥) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٠٥.

بالأبصار، وأنه عدل لا يجور، ولا يريد المعاصي، ثم أقر بذلك كله فهو مسلم حقاً، وإن عرف ذلك كله ثم جحدته وأنكره وقال بالتشبيه والجبر، فهو مشرك كافر حقاً، وإن لم ينظر في شيء من ذلك كله واعتقد أن الله تعالى ربه، وأن محمداً رسول الله، فهو مؤمن لا لوم عليه، ولا تكليف عليه غير ذلك^(١).

- ليس للإرادة أصل، ولكنها جنس من الأعراض. إذا انتفى السهو عن الفاعل وكان عالماً بما يفعله، فهو المريد على التحقيق. وأما الإرادة المتعلقة بفعل الغير فهي ميل النفس إليه^(٢).

- محال أن يعدم الله الأجسام بعد وجودها، وإن أوجدها بعد عدمها، ولا يمكن البتة إفناؤها إلا أن يُرَقِّقها، ويُفَرِّق أجزاءها فقط، فالأعراف تتبدل، والجواهر يستحيل عليها الفناء^(٣).

- إن القدر خيرُه وشرُّه من العبد، وتقول طائفة أخرى: كل شيء بقضاء وقدر، وتقول ثالثة: كل شيء بقضاء وقدر إلا المعاصي.

ويندد الجاحظ بمن ذهب في قول: إن الإيمان والكفر مخلوقان في الإنسان مثل العمى والبصر، وأن الله يعذب الأبناء ليغيظ الآباء^(٤).

- جائز أن يوصف الله تعالى بأنه مريد، بمعنى أنه لا يصح في حقه السهو في أفعاله، ولا الجهل بها، ولا يجوز أن يُغلب أو يُقهر^(٥).

- لا يُدْخِلُ الله النار أحداً، ولكن النار هي التي تجذب أهلها إليها بطبيعتها، ثم تمسكهم فيها عن الخلود، وليس معنى الخلود أن يصلوا فيها عذاباً أبداً، وإنما هم يصيرون إلى طبيعتها^(٦).

(١) «الملل والنحل»: للشهرستاني مج ١ ص ٧٥-٧٦.

(٢) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٠٥-١٠٦.

(٣) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٠٥ و«أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ١٥١.

(٤) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٠٦ و«أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ١٥١.

(٥) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٠٦.

(٦) المرجع عينه ص ١٠٦ وانظر «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ١٥٠.

ومذهب الجاحظ في ذلك مذهب الفلاسفة في نفي الصفات، ومذهبه في إثبات القَدَرِ خيره وشره من العبد هو مذهب المعتزلة^(١).

إن اتصال المسلمين بورثة الحضارات اليهودية والمسيحية والفارسية والهندية، أثار كثيراً من المُشكلات الفكرية . . .

وكان من الواجب أن يحارب مفكرو الإسلام على عدة جبهات في آن واحد وهكذا تميز المعتزلة . . . باتجاههم العقلي في معالجة العقائد والقضايا الفلسفية التي تدور حولها^(٢).

والجاحظ من معتزلة بغداد، جمع بين العقل والمنطق والفلسفة والعلم والأدب . . . ومهما تكن الآراء المروية عنه، فليس بحاجة إلى من يَدْفَعُ عنه تهماً .
ويكفيه من العَمَزِ، أنه صَحَّحَ نَسَبَ الرسول الأعظم ﷺ^(٣)، ودافع، دفاعاً مجيداً، عن العرب ضد الشعوبية^(٤). كما جَوَّدَ في مسائل كثيرة.

وعلى الجملة، فإن آراء الجاحظ مِنْهَجُ شَكٍّ في دراسة مُشكلة الحياة وتفسيرها، وربما كان واضح «عِلْمُ الشَّكِّ المنهجي» الذي نادى به ديكارت فيما بعد بقرون عدة.

الشك عند ديكارت أول وسيلة إلى اليقين العلمي، وعنده، أنه لا ينبغي أن نؤمن بمدركات العقل لأن العقل كثيراً ما يُخطئ بالاستدلال. فما دام الإنسان يشك فهو يفكر وما دام يفكر فهو موجود.

والجاحظ قبله بسبعة قرون دعا إلى الشك: فاعرف مواضع الشك

(١) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ١٥١.

لمزيد من معرفة آراء الجاحظ انظر «فرق وطبقات المعتزلة»: القاضي الهمداني ص ٢١٦ - ٢١٧
و«الفرق بين الفرق»: البغدادي ١٧٥ - ١٧٨.

(٢) «أهم الفرق الإسلامية»: د. ألبير نادر ص ٦٩.

«دراسات في الفلسفة الإسلامية» د. محمود قاسم. ط ٥ دار المعارف مصر ١٩٧٣ ص ١٠.

(٣) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٣١٠.

(٤) نفسه مج ٣ ص ٢٩.

وحالاتها الموجبة له لتعرف مواضع اليقين والحالات الموجبة له، وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلماً... (١).

فهل كان الجاحظ دليل ديكرت إلى نظريته؟ لا نشك في ذلك، وإن كان يعوزنا البرهان القاطع.

لقد اتسعت دائرة المعارف العامة في عصر الجاحظ، بما أضفى عليها من علوم وآداب وأكسب مَنْ تلاه الأصالة والمعرفة.

٧- آراء في الجاحظ

إنها آراء وأحاديث متفرقة، جَمَعْنَا بَعْضُهَا ولم نُعَلِّقْ عليها، وَأَمَلْنَا فَتَحَ المجال لمن أراد الاستزادة والبحث. مما قيل فيه:

- أول من بحث في طبائع الأشياء كالحَيوان والنبات والمعادن، وأقام أركان بحثه واستقرائه على المشاهدة والتجربة والاختبار. ورحل، في سبيل تحقيقه العلمي والطبيعي، إلى كثير من الأقاليم والأقطار. وهذه الطريقة هي مفخرة علماء أوروبا وأميركا وإنكلترا في هذا العصر (٢).

- ولقد صدق القاضي الفاضل في قوله: ما منا معاشر الكتاب إلا مَنْ دخل من كتب الجاحظ الحارة، وشَنَّ عليها الغارة، وخرج وعلى كتفه منها كارة (٣).
- كان عقل الجاحظ قوياً قَلَّ أَنْ يَقْبَلَ الأوهام، بل يهزأ بمن يقبلها، يعتمد على التجربة، ويبني على ضوئها أحكامه، ويشك ويدعو إلى الشك حتى تثبت النظرية، وَيَسْتَغْرِب الإنسان اليوم من صحة منطقته، وسَبْقِهِ إلى نظرات في منهج البحث لم تُعرف إلا في العصر الحديث، وسَبْقِهِ إلى اتجاهات قيِّمة في سيكولوجية الحيوان (٤).

(١) «الحيوان»: تحق هارون مج ٣ ص ٣٥.

(٢) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٩٩.

(٣) نفسه ص ٢٠٢.

(٤) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ١٦٧.

- الجاحظ من أئمة النقد، والسابقين إلى وضع أصوله ومناهجه ومختلف مذاهبه وطرقه^(١).

- نَقَدَهُ المسعودي المؤرخ^(٢) صاحب مروج الذهب فقال عن كتابه (الأمصار). هو كتاب في نهاية الغثاثة، لأن الرجل لم يسلك البحار، ولا أكثر الأسفار، ولا تعرف الممالك والأقطار وإنما هو حاطب ليل، ينقل عن كتب الوراقين^(٣).

- واتهمه (رينان) المفكر الفرنسي، وتبعه (كارأدي فو): بأنه كبقية علماء العرب الإسلام في الاعتماد على الحفظ، لا على البحث، وأن الطابع الأدبي لا العلمي، هو الغالب على كتب الجاحظ^(٤).

- وقال ابن أبي دؤاد^(٥) لمحمد بن منصور، وكان حاضراً:

أنا أثق بِظَرْفه ولا أثق بِدِينه^(٦).

- وقال ثابت بن قُرَّة^(٧):

أبو عثمان الجاحظ، خطيب المسلمين وشيخ المتكلمين، ومِذْرَةُ المتقدمين والمتأخرين، إن تكلَّم حكى سحبان^(٨) في البلاغة، وإن ناظرَ ضارع

(١) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٣٩.

(٢) علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٥ أو ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ أو ٩٥٧ م). أبو الحسن، المؤرخ المشهور. «معجم المؤلفين»: كحالة. مج ٧ ص ٨٠.

(٣) عن «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٨١.

(٤) نفسه: اقرأ دفاعه عن أبي عثمان ص ٢٨٢.

(٥) أحمد بن أبي دؤاد (١٦٠ - ٢٤٠ هـ / ٧٧٧ - ٨٥٤ م). ابن جرير بن مالك الأيادي أبو عبد الله، أحد قضاة المعتزلة المشهورين. «الأعلام»: الزركلي مج ١ ص ١٢٤.

(٦) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي مج ١٦ ص ٨٠.

(٧) ثابت بن قُرَّة (٢٢١ - ٢٨٨ هـ / ٨٣٦ - ٩٠١ م) ابن زهرون الحراني الصابي، أبو الحسن طبيب وفيلسوف، وله كتب الهندسة والموسيقى. «الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ٩٨.

(٨) سَحْبَان واثِل (ت ٥٤ هـ / ٦٧٤ م). هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي من باهلة. خطيب يُضْرَب به المثل في البيان. اشتهر في الجاهلية وعاش زمناً في الإسلام وكان إذا خطب يسيل عرقاً ولا يُعيد كلمة. «الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٧٩.

النظام^(١) في الجدال وإن جدّ خرج في مسك عامر بن عبد قيس^(٢) وإن هزل زاد على مزيد^(٣) حبيب القلوب ومزاج الأرواح، وشيخ الأدب ولسان العرب
جمع بين اللسان والقلم، وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم^(٤).
- وقال أبو الفضل بن العميد^(٥):

ثلاثة علوم، الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس.
أما الفقه فعلى أبي حنيفة^(٦)، لأنه دَوّن وخلّد ما جعل من يتكلّم فيه بعده مشيراً إليه ومخبراً عنه. وأما الكلام فعلى أبي الهذيل^(٧). وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة، فعلى أبي عثمان الجاحظ^(٨).
- خاض الجاحظ عُباب أبحاثه بقلبه ونفسه، لا بعينه وأذنيه فقط

-
- (١) ترجمته في ص ٣٢ من هذا الكتاب.
(٢) ابن عبد قيس (ت ٥٥٥هـ / ٦٧٥م). هو عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العبدي، تابعي وأول من عرف بالثُّسك بالبصرة. تلقن القرآن من أبي موسى الأشعري مات ببيت المقدس في خلافة معاوية. «الإصابة»: العسقلاني مج ٣ ص ٨٥. «الأعلام»: الزركلي ج ٣ ص ٢٥٢ ٢٥٣.
(٣) مزيد: هو مزيد بن مرثد بن الديان، من بني مالك بن عوف، من ثعلبة من بني أسد بن خزيمة، من عدنان. جد آل مزيد أصحاب الحلة المزديّة بين الكوفة وبغداد (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م). «الأعلام»: الزركلي ج ٧ ص ٢١٢.
(٤) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي مج ١٦ ص ٩٧ - ٩٨.
(٥) محمد بن العميد (ت ٣٦٦هـ / ٩٧١). أبو الفضل المعروف بابن العميد. أديب كاتب، شاعر، لغوي، حكيم، فلكي، سياسي من الوزراء مدحه المتنبي.
«معجم المؤلفين»: كحالة ج ٩ ص ٢٥٧ - ٢٥٨.
(٦) أبو حنيفة (٨٠ - ١٥٠هـ / ٦٩٩ - ٧٦٧م) هو النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي إمام الحنيفة فقيه مجتهد وأحد الأئمة الأربعة. أرادته عمر بن هبيرة على القضاء فامتنع ورعاً وأرادته المنصور العباسي على قضاء بغداد فأبى. فحبسه إلى أن مات. «أبو حنيفة»: الإمام محمد أبو زهرة. ط ٢ دار الفكر العربي ١٩٤٧ ص ١٤ - ١٩ - ٥٢.
(٧) لعنه محمد العبدي (١٣٥هـ / ٧٥٢م) هو محمد بن عبد الله بن مكحول العبدي، أبو الهذيل عالم مناظر. «معجم المؤلفين»: كحالة مج ١٠ ص ٢٤٩.
(٨) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي ج ١٦ ص ١٠٢ - ١٠٣.

ذلك لأنه أَرْضَى نفسه بما كتب، فأَرْضَى أُمته وأخذ بمجامع قلبها، والسلطان يومئذ سلطان العلم والأدب، لا سلطان الثرثرة والدعوى^(١).

- يُعَدُّ الجاحظ من أكبر رجال المنهج الفني والتيار الأدبي، لإعطائه الألفاظ والمعاني حقهما، وقد دفعه هذا الاتجاه إلى طلب البعد عن الغلو في استعمال الألفاظ في تصوير المعاني وتخيلها، ولا يريد منها إلا ما كان صادقاً^(٢).

- تناول الجاحظ في كتبه أغلب الفنون التي تناولها الشعراء، وتفوق عليهم وأتى بما لم يوفق الشعراء في جميع عصورهم إلى أن يؤدوه^(٣).

- ومع ذلك فالعرب لم يخطئوا حين عَدُّوا الجاحظ مؤسس البيان العربي^(٤).

- وقال المسعودي، وهو من خصوم الجاحظ، في نعت كتب الجاحظ:

وَكُتِبَ الجاحظ مع انحرافه المشهور^(٥)، تجلو صدأ الأذهان، وتكشف واضح البرهان، لأنه نَظَّمَهَا أحسن نظم، ورَصَفَهَا أحسن رصف، وكساها من كلامه أجزل لفظ. وكان إذا تخَوَّفَ مَلَلَ القارئ، وسأمة السامع، خرج من جِدِّ إلى هزل، ومن كلمة بليغة إلى نادرة طريفة^(٦).

- رصد الجاحظ بعض مظاهر التغيير الذي نشأ عن امتزاج العرب بالفرس وقد ظهر أثره في المجتمع العباسي بشكل واضح^(٧).

(١) «أمراء البيان»: محمد كرد علي ص ٤٨١ - ٤٨٢.

(٢) «في النقد الأدبي عند العرب»: د. درويش ص ١٦١.

(٣) «الأدب والنقد»: طه حسين المجموعة الكاملة مج ٥ ص ٦٠٨.

(٤) «نقد النثر»: قدامة بن جعفر ص ٣.

(٥) يريد ما كان عليه من الاعتزال وعداوة الشيعة. وكان المسعودي شيعياً.

(٦) عن «الحيوان»: تحق هارون ج ١ ص ٩.

(٧) «في الأدب العباسي»: الرؤية والفن. د. عز الدين إسماعيل. دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٥ ص ٢٥٧.

- لو قلنا إن الجاحظ كان أوسع أهل زمانه معرفة لم نبعد، ولو بقيت كتبه كلها وجمعنا ما فيها ورتبناه أبجدياً لخرج منها (دائرة معارف) شاملة وافية دالة على معارف عصر الجاحظ^(١).

- وقال أبو منصور الأزهري^(٢) في مقدمة تهذيب اللغة:

وممن تكلم في اللغات بما حصره لسانه وروى عن الثقات ما ليس من كلامهم، الجاحظ وكان أوتي بَسْطَةً في القول وبياناً عذباً في الخطاب ومجالاً في الفنون، غير أن أهل العلم ذُبحوه وعن الصدق دفعوه.

وقال ثعلب^(٣): كان كذاباً على الله وعلى رسوله وعلى الناس^(٤).

- أمّا الإمام بما له من صفات، أو استيعاب ما له من مناقب وسمات، فأمر فوق متناول الأيدي والأقلام^(٥).

- غلب عليه أمران: الكلام على طريقة المعتزلة، والأدب الممزوج بالفلسفة والفكاهة... وهو على الجملة أحد أفذاذ العالم وإحدى حجج اللسان العربي^(٦).

- وقال أبو القاسم الإسكافي^(٧):

-
- (١) «ضحى الإسلام»: أحمد أمين مج ٣ ص ١٣١.
- (٢) محمد الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ / ٨٩٥ - ٩٨٠ م) الشافعي أبو منصور. أديب، لغوي، ولد في هراة بخراسان وعني بالفقه أولاً ثم غلب عليه علم العربية فرحل في طلبه. «معجم المؤلفين»: كحالة مج ٨ ص ٢٣٠.
- (٣) ثعلب (٢٠٠ - ٢٩١٠ هـ / ٨١٦ - ٩١٤ م). هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس. إمام الكوفيين بالنحو واللغة. راوية، محدث، ثقة، صحبة، ولد ومات ببغداد، صدمته فرس فسقط في هوة وتوفي على الأثر. «الأعلام»: الزركلي ج ١ ص ٢٦٧.
- (٤) «لسان الميزان»: العسقلاني ج ٤ ص ٣٥٧.
- (٥) «البيان والتبيين»: تحق السندوبي ج ١ ص ١٦.
- (٦) «جواهر الأدب»: أحمد الهاشمي. تحق لجنة من الجامعيين - مؤسسة المعارف بيروت مج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤.
- (٧) عبد الجبار الإسكافي (ت ٤٥٢ هـ / ١٠٦ م). الإسفراييني الشافعي المعروف بالإسكاف، أبو القاسم. فقيه، أصولي، متكلم. صاحب إمام الحرمين وصنّف في أصول الفقه والجدل وأصول الدين. «معجم المؤلفين»: كحالة ج ٥ ص ٨١.

استظهاري على البلاغة بثلاث: القرآن، وكلام الجاحظ، وشعر
البحثري^(١).

- وقال ابن دريد^(٢): مُتَنَزَّهَات القلوب هي كتب الجاحظ، وأشعار
المحدثين، ونوادير أبي العيناء^(٣).

وبعد. لا جرم أن الألم يصقل النفس ويكشف عن معدنها، فإن كانت
موهوبة أصيلة برقت وشعَّت، وإن كانت بها نزوة عابرة أضاءت ثم خبت وهذا
ما يفسر لنا الموهبة والأصالة عند الجاحظ. نحن نسلم أن لكل عصر جاحظه،
ولكن جاحظنا طينة عجيبة في دهره، ولا نعتقد أن الأيام ستخلف مثله.

جمالاً في بشاعة، وشموخ في قصر، وشهلة في جحوظ، مع ذكاء نادر،
وعلم متمكّن وافر. طالت عينه كل شيء فصوره بأروع صور، ابتدع ألواناً لم
تكن موجودة في عصره، فكان إمام الأدباء والعلماء والنقاد، بغض النظر عما
كان يضمّر أو يعتقد، فهو جليس الباحثين ومُفَكِّهُ الْمُقْطَبِينَ والمفكرين والشعراء
والمتأدبين. تصل كلمته إلى الروح وهل بعد الروح شيء؟ ...

(١) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٦٣.

(٢) ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١هـ / ٨٣٨ - ٩٣٣م). هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي
البصري، أبو بكر، أديب، شاعر، لغوي، نحوي، نساب، ولد بالبصرة وقرأ على علمائها.
ودفن بالخيزرانية - «معجم المؤلفين»: كحالة مج ٩ ص ١٨٩.

(٣) «أبو العيناء» (١٩١ - ٢٨٣هـ / ٨٠٧ - ٨٩٦م). محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي
بالولاء أبو العيناء: أديب فصيح من ظرفاء العالم ومن أسرع الناس جواباً. اشتهر بنوادره ولطائفه
وكان ذكياً جداً حسن الشعر مليح الكتابة والترسل. كُف بصره بعد الأربعين. أصله من اليمامة
ومولده بالأهواز ووفاته بالبصرة. «الأعلام»: الزركلي ج ٦ ص ٣٣٤ ونظر «أبو عثمان الجاحظ»:
د. خفاجي ص ٢٦٣.

الفصل الثاني

كتاب البيان والتبيين

١ - التعريف بكتاب البيان والتبيين

هو بصفة عامة كتاب أدب، يتضمن مختارات من ذاكرة الجاحظ العجيبة، بل هو معرض أدب وبلاغة وآيات قرآنية مجيدة، وأحاديث نبوية شريفة، وصفوة أشعار وحكم، وخطب للخلفاء والبلغاء والمشاهير، مزجها الجاحظ بآرائه الخاصة وأفردها لها مسائل متنوعة، واستطرد إلى نواذر فكهة لِيُبْعِدَ السَّامة والضجر عن القارىء.

لقد أَلَفَ أبو عثمان كتاب «الحيوان» في السنوات الأخيرة من حياته، وكان مريضاً مُسِنَّاً، وصدَّرَ كُتُبَهُ في مقدمته، لكنه لم يذكر بينها «البيان والتبيين». وإذا قرأنا كتاب «البيان والتبيين» وجدنا ذكراً لكتاب «الحيوان» في غير موضع!

قال: كانت العادة في كتب الحيوان أن أَجْعَلَ كُلَّ مُضَحِّفٍ^(١) من مصاحفها عشرَ ورقاتٍ من مُقَطَّعاتِ الأعراب، ونواذر الأشعار، لما ذكرت عَجَبُكَ بذلك، فأحييتُ أن يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله^(٢).

(١) يستعمل الجاحظ كلمة مُضَحِّف بمعناها اللغوي، أصحف: أي جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة صحف مج ٩ ص ١٨٦.

(٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ٣٠٢.

ويقول: وهذا باب يقع في كتاب الإنسان، وفي فصل ما بين الذكر والأنثى، تاماً، وليس هذا الباب مما يدخل في باب «البيان والتبيين»، ولكنه قد يجري السبب فيجري معه بقدر ما يكون تنشيطاً لقارئ الكتاب، لأن خروجه من الباب إذا طال لبعض العلم، كان ذلك أروح على قلبه وأزيد في نشاطه^(١).

في هذا القول يشير الجاحظ إلى باب فصل ما بين الذكر والأنثى من كتاب «الحيوان». وهذا الباب لم يُتمَّه الجاحظ على ما يشتهي ويرضى، واعترف بطول الكتاب، ليبعد الملل عن القارئ أو ربما لظروف خاصة به لم يشر إليها قصداً أو سهواً...

ونعتقد أن الجاحظ ربما كان يؤلف الكتابين معاً. وقد فرغ من كتاب «الحيوان» قبل كتاب «البيان والتبيين».

وهذا هو رأي الدكتور حاجري حين أوضح فكرته بقوله: نستطيع القول بأن الجاحظ وضع كتاب «البيان والتبيين» في أثناء وضعه لكتاب «الحيوان». وأنه فرغ (من كتاب الحيوان)، قبل أن ينتهي من كتاب «البيان والتبيين».

وكانه حين عرض له القول في «البيان» وهو يبدأ كتابه «الحيوان» بتلك التقسيمات التقليدية، يمهّد بذلك للقول في موضوعه، فيقسم العالم بما فيه إلى جماد ونام، والنامي إلى نبات وحيوان، والحيوان إلى فصيح وأعجم، ثم يأخذ في الحديث عن وسائل الإفصاح وصور البيان.

كان هذا الذي عرض له استطراداً مما أثاره إلى أن يَخُصَّ البيان بكتاب على حدة فوضع هذا الكتاب الذي لم يلبث أن بلغ الصِّكَاك^(٢).

وقد أجمع المتقدمون من أكابر العلماء والأدباء، على أن كتاب «البيان والتبيين» من أفضل ما وضع في الأدب.

(١) «البيان والتبيين»: الجاحظ مج ١ ص ١٨٦.

(٢) يمكن أن تعني علو القدر والمنزلة، والصِّكَاك الذي يكتب للعهد، وأصله جك، الكتاب بالفارسية وجمعه صكوك وصِكاك. وكانت الأرزاق تسمى صِكاكاً لأنها كانت تُخرج مكتوبة. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة صكك مج ١ ص ٤٥٧. تلتطف بالرجوع إلى «الجاحظ»: د. حاجري. ص ٤٢٥.

قال عبد السلام محمد هارون في تحقيق كتاب «البيان والتبيين»:

إنه ليس يوجد أديب نابه في العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يفد منه،
وقلما نجد أديباً من المحدثين لم يتمرس بما فيه من أدب^(١).

وقال ابن رشيق القيرواني: «وقد استفرغ، أبو عثمان الجاحظ، وهو
علامة وقته، الجهد. ووضع كتاباً لا يُتْلغ جودةً وفضلاً، ثم ما ادعى إحاطة بهذا
الفن^(٢) لكثرتِه وأنَّ كلام الناس لا يحيط به إلا الله عز وجل»^(٣).

وأما ابن خلدون المغربي^(٤) فيبدي لنا رأي القدماء في هذا الكتاب إذ يقول
عند الكلام على علم الأدب:

وسمعنا من شيوخننا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة
دواوين: وهي أدب الكاتب لابن قتيبة^(٥).

وكتاب «الكامل» للمبرّد^(٦)، وكتاب «البيان والتبيين» للجاحظ، وكتاب

(١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٤.

(٢) يقصد بفن البيان.

(٣) «العمدة»: لابن رشيق. تحقق محمد محي الدين عبد الحميد. ط ٥. دار الجيل. بيروت ١٩٨١
مج ١ ص ٢٥٧.

(٤) ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م). هو عبد الرحمن بن محمد... الإشبيلي
الأصل، التونسي، القاهري، المالكي، المعروف بابن خلدون، أبو زيد. عالم، أديب، مؤرخ،
اجتماعي، حكيم. ولي كتابة السُر بفاس ورحل إلى غرناطة، واعتُقل. رجع إلى تونس فأكرمه
السلطان. ففر إلى الشرق من الساعين له بالشر. اجتمع بتمورلنك وتوفي بالقاهرة.
«معجم المؤلفين»: كحالة مج ٥ ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٥) ابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦ هـ / ٨٢٨ - ٨٨٩ م). هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو
محمد. عالم في اللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه وغريب الحديث والشعر والفقه والأخبار
وأيام الناس... سكن بغداد وحدث بها وولي قضاء دينور. «معجم المؤلفين»: كحالة مج ٦.
ص ١٥٠ - ١٥١.

(٦) المبرّد (... - ٢٣١ هـ / ... - ٨٤٦ م). هو محمد بن يزداد بن سويد المروزي البغدادي، أبو
عبد، شاعر، كاتب، من الوزراء. ولأه المأمون الوزارة وتوفي بسر من رأى.
«معجم المؤلفين»: كحالة. مج ١٢ ص ١١٤. «الأعلام»: الزركلي مج ٨ ص ١٤.

«النوادر» لأبي علي القالي^(١). وما سوى هذه الأربعة فتتبع لها وفروع عنها^(٢).

أولى طبعاته في القسطنطينية سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م. بمطبعة الجوائب. بين مجموعة باسم «خمس رسائل» ضمنها كتاب «منتخبات البيان والتبيين». ولم يذكر الناشر اسم من انتخبه، غير أنه زعم أنه للجاحظ، ولم يعرف عن الجاحظ أنه تعرض كتاب من كتبه للانتخاب أو الاختيار أو التلخيص أو الاختصار^(٣).

وطبع في مصر سنة ١٣١١هـ / ١٨٩٣م في مجلدين في المطبعة العلمية. وعني بهذه الطبعة السيد حسن أفندي الفاكهاني إلى نهاية الكراسة السابعة من الجزء الأول، وباقي الكتاب بعناية الشيخ محمد الزهري الغمراوي، وهذه النشرة مجردة من الضبط وبها تعليقات يسيرة في الجزء الأول فقط^(٤).

ثم طبع سنة ١٣٢٨هـ / ١٩٠٩م بمطبعة الرغائب، باعثناء الأديبين خليل بيدس وشريف النشاشيبي^(٥).

ثم طبع في ثلاثة مجلدات في مطبعة الفتوح والمطبعة الجمالية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م. وأشرف على طبعه الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب^(٦) وطبعه سنة ١٣٤٥هـ و١٣٥١هـ / ١٩٢٦ و١٩٣٢م، الأستاذ الجليل

(١) القالي (٢٨٠ - ٣٥٦هـ / ٨٩٣ - ٩٦٧م). هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون... البغدادي المعروف بالقالي، أبو علي، لغوي، نحوي، من أروى أهل زمانه للشعر الجاهلي. توفي بقرطبة.

«معجم المؤلفين»: كحالة مج ٢ ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٦ «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٥ - ١٢٦. «الكامل في اللغة والأدب»: المبرد مج ١ ص ١ وانظر «مقدمة ابن خلدون»: تحقق حُجر عاصي. دار الهلال. بيروت ١٩٨٣. ص ٣٤٣.

(٣) «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٦. «البيان والتبيين»: للجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ١٠ مقدمة المحقق.

(٤) «البيان والتبيين»: للجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ١٩. و«الجاحظ»: جبر - ص ٤٠. مقدمة المحقق.

(٥) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٠ مقدمة المحقق.

(٦) «نفسه» ج ١ مقدمة المحقق هارون. ص ١٩.

حسن السندوبي في مصر، مع تعليقات وشروح في الحواشي، بثلاثة أجزاء ألحق بها بعض الفهارس^(١).

ثم طبع في مطبعة بيت المقدس سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م^(٢). وطبع بمصر سنة ١٩٤٨م بتحقيق عبد السلام محمد هارون في أربعة أجزاء بمجلدين، واتبع منهجية البحث في تحقيقه وشرحه وفهرسته^(٣) وأعاد طبعه الأستاذ حسن السندوبي سنة ١٩٥٦م في ثلاثة أجزاء، في مصر، في مطبعة الاستقامة^(٤). ثم جُددت الطبعات...

وهذا ما توصلنا إلى معرفته من أمر طباعة كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ موضوع بحثنا هذا.

٢ - الغاية من تأليفه

ألّف الجاحظ كتاب «البيان والتبيين» وأهداه إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد^(٥) فأجازه عليه بخمسة آلاف دينار^(٦).

كانت غاية الجاحظ إرضاء القاضي ابن أبي دؤاد بعد الأحداث التي حصلت بينهما. وأما غاياته الأخرى المستترة، فربما كانت في رغبة الجاحظ وضع أسس البيان العربي الذي يعتبر من مؤسسيه، أو ربما أراد إضافة أشياء لم يتمها في كتاب «الحيوان» فأفرد لها «البيان والتبيين». أو إظهار قدرته البلاغية، وعرض ما في ذاكرته العجيبة بعد أن بلغ من الكبر عتياً.

(١) «البيان والتبيين»: تحق هارون. مقدمة المحقق هارون. ص ٢٠.

(٢) نفسه مقدمة المحقق هارون. ص ٢٠.

(٣) «البيان والتبيين»: تحق عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي بمصر ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

(٤) «البيان والتبيين»: تحق السندوبي. ط ٤. المكتبة التجارية الكبرى. مطبعة الاستقامة. القاهرة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦.

(٥) أحد قضاة المعتزلة المشهورين، ورأس الفتنة في خلق القرآن. انظر ترجمته ص ١٠٦ من هذا الكتاب.

(٦) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي مج ١٦ ص ١٠٦. «أدب الجاحظ»: السندوبي ص ١٢٥. «لسان الميزان»: ابن حجر العسقلاني مج ٤ ص ٣٥٧.

ولنا الأخذ بالظاهر، الذي أجمع عليه أكثر الباحثين، وهو:
إرضاء القاضي ابن أبي دؤاد وتخصيصه بكتاب ذي شأن. فما هي حقيقة
الأحداث التي حصلت بينهما، حتى دفعت الجاحظ لكتابة هذا الكتاب القيم
ولهدهاته له؟.

قال المرزباني^(١): وكان الجاحظ مُلَازماً لمحمد بن عبد الملك^(٢) خاصاً
به. وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد^(٣) للعداوة بين أحمد ومحمد.

ولما قُبِضَ مُحَمَّدٌ هرب الجاحظ فقيلاً له: لِمَ هربت؟ فقال: خِفْتُ أَنْ
أكون ثاني اثنين إذ هُما في الثُّور، يريد ما صنع بمحمد وإدخاله تنور حديد فيه
مسامير كان هو صنعه لِيُعَذَّبَ الناس فيه، فَعُذِّبَ هو فيه حتى مات (يعني
محمد بن الزيات)^(٤).

وعندما قتل ابن الزيات أمر ابن أبي دؤاد بمشول الجاحظ أمامه مكبلاً
بالحديد. ويكمل ياقوت القصة فيقول: حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ^(٥) وَأَبُو
الْعِيْنَاءِ^(٦) قَالَ:

كنت عند أحمد بن أبي دؤاد بعد مقتل ابن الزيات، فجيء بالجاحظ
مقيداً... فلما نظر إليه قال: وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا مُتَنَاسِياً لِلنِّعْمَةِ، كَفُوراً
لِلصَّنِيعَةِ، مُعَدِّداً لِلْمَسَاوِيءِ، وَمَا قُتِنِي بِاسْتِصْلَاحِي لَكَ...

(١) محمد المرزباني (٢٩٦ - ٣٨٤هـ / ٩٠٩ - ٩٩٤م). هو محمد بن عمران بن موسى بن سعيد
المرزباني، الخراساني الأصل، البغدادي، أبو عبد الله، كاتب، إخباري، رَوايةُ أدب، كثير
السماع. «معجم المؤلفين»: كحالة. مج ١١ ص ٩٧.

(٢) ترجمة ابن الزيات في ص ٣٢ من هذا الكتاب.

(٣) ترجمة أحمد بن أبي دؤاد في ص ١٠٦ من هذا الكتاب.

(٤) «معجم الأدباء ياقوت الحموي» مج ١٦ ص ٧٦.

(٥) إسحاق الموصلي (١٥٥ - ٢٣٥هـ / ٧٧٢ - ٨٥٠م). هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي
الموصلي. أبو محمد ابن النديم. من أشهر ندماء الخلفاء، تفرد بصناعة الغناء وكان عالماً باللغة
والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلوم الكلام، راوياً للشعر حافظاً للأخبار شاعراً...
«الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ٢٩٢.

(٦) انظر ترجمته في ص ١١٠ من هذا الكتاب.

فقال له الجاحظ :

خَفُضْ عَلَيْكَ - أَيْدِكَ اللَّهُ - فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَكُونَ لَكَ الْأَمْرُ عَلَيَّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي عَلَيْكَ ، وَلَأَنْ أَسِيءَ وَتُحْسِنَ ، أَحْسَنُ عَنْكَ مِنْ أَنْ أَحْسِنَ فَتُسِيءَ ، وَأَنْ تَعْفُو عَنِّي فِي حَالِ قُدْرَتِكَ أَجْمَلُ مِنَ الْإِنْتِقَامِ مِنِّي .

فقال له ابنُ أبي دؤاد : قَبَحَكَ اللَّهُ ، مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كَثِيرَ تَزْوِيقِ الْكَلَامِ . . . ما تأويلُ هذه الآية ؟ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظِلْمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١) .

قال : تِلَاوَتُهَا تَأْوِيلُهَا - أَعَزَّ اللَّهُ الْقَاضِي - فقال : جِئْتُوا بِحَدَّادٍ .

فقال : لِيَقُكَّ عَنِّي أَوْ لِيَزِيدَنِي ؟ فقال : بَلْ لِيُقَكَّ عَنْكَ .

فجاء بالحداد فَعَمَزَهُ بعض أهل المجلس أن يَغْنَفَ بساقِ الجاحظ ، ويطيلُ أمره قليلاً ، فلطمه الجاحظ وقال :

إِعْمَلْ عَمَلًا شَهْرًا فِي يَوْمٍ وَعَمَلًا يَوْمًا فِي سَاعَةٍ وَعَمَلًا سَاعَةً فِي لَحْظَةٍ ، فَإِنَّ الضَّرَرَ عَلَى سَاقِي ، وَلَيْسَ بِجَذَعٍ وَلَا سَاجَةٍ (٢) . فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه . وقال ابن أبي دؤاد . . . أَنَا أَثَقُّ بِظَرْفِهِ وَلَا أَثَقُّ بِدِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامَ : صِرْ بِهِ إِلَى الْحَمَامِ وَأَمِطْ عَنْهُ الْأَذَى ، وَاحْمِلْ إِلَيْهِ تَحْتَ ثِيَابٍ وَطَوِيلَةٍ (٣) وَخُفًّا ، فَلَبَسَ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ فَتَصَدَّرَ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : هَاتِ الْآنَ حَدِيثَكَ يَا أَبَا عَثْمَانَ (٤) .

وانكبَّ بعد ذلك على تأليف «البيان والتبيين» . إرضاءً للقاضي . وقد

مدحه بأقوال مثورة ومنظومة منها :

حَسَنُ الصَّمْتِ وَالْمَقَاطِعِ إِمَّا نَصَّتِ الْقَوْمُ وَالْحَدِيثُ يَدُورُ

(١) سورة هود، الآية : ١٠٢ .

(٢) السَّاجُ : خَشَبٌ يُجْلَبُ مِنَ الْهِنْدِ ، وَاحِدَتُهُ سَاجَةٌ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : يَقَالُ السَّاجَةُ الْخَشْبَةُ الْوَاحِدَةُ الْمَشْرُوحَةُ الْمَرْبَعَةُ كَمَا جَلَبَتْ مِنَ الْهِنْدِ .

«لسان العرب» : ابن منظور مادة سوج مج ٢ ص ٣٠٣ .

(٣) تَحْتَ الثِّيَابِ : خَزَائِنُهَا ، وَالطَّوِيلَةُ : ثِيَابٌ بَعِيْنُهَا مَفْتُوحَةٌ مِنَ الْأَمَامِ تُشَبِّهُ الْعِبَاءَةَ .

(٤) «معجم الأدباء» : ياقوت الحموي مج ١٦ ص ٧٩ - ٨٠ .

ثم مِنْ بَعْدِ لَحْظَةٍ ثَوْرَتْ الْيُسْرَ وَعَرَضَ مَهْذَبٌ مَوْفُورٌ^(١)
وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَيْضاً:

لا تراني وإن تطاولت عمداً بين صفئهم وأنت تسير
كلهم فاضل عليّ بمال ولساني يزينه التّخبير
فإذا ضمّنا الحديث وبيت وكأني على الجميع أمير
رُبَّ خصمٍ أرقّ من كلّ روح ولفرط الذّكا يكاد يطير
فإذا رام غايّتي فهو كابٍ وعلى البعد كوكبٌ مبهور^(٢)
ويقول ياقوت:

وكتاب «البيان والتبيين» نسختان: أولى وثانية، والثانية أصح وأجود^(٣).
وإن صحّ قولُ ياقوت فلسنا ندري أية النّسختين بين أيدينا؟.

٣- مضمونه

استهل أبو عثمان، رحمه الله، كتابه بالبسملة ثم بدعاً رائع استعاذ فيه من
فتنة القول والعمل، ومن التكلف والعجب ومن السلاطة والهذر والعِيّ
والحصص.

ومثّل على كلّ منهما بمثور القول ومنظومه. ثم ذكر كيف طلب موسى
عليه السلام - من ربه أن يحلّ عُقْدَةَ لِسَانِهِ، ويصحبه أخوه هارون، إلى فرعون
الطاغي، لأنه أفصح منه.

ثم بيّن كيف علّم الله تعالى عباده البيان: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٤).

(١) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي مج ١٦ ص ٨١.

(٢) الكاوي: الساقط، والمبهور: المغلوب بضوء غيره من الكواكب.

«معجم الأدباء»: ياقوت الحموي مج ١٦ ص ٨١.

(٣) نفسه. مج ١٦ ص ١٠٦.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٢.

ومُدِّح القرآن الكريم بالبيان والفصاحة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (١).

ثم بيّن كيف عرض الله سبحانه، لنبيه محمد عليه السلام، حال قريش من بلاغة المنطق، وذكر العرب وما فيها من المكر والدهاء ومن بلاغة الألسن، واللّد عند الخصومة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾ (٢). ثم استشهد بالشعر، فذكر الذين يُحسنون في القول ويسيتون في العمل، وعدّد شيئاً من خصال العرب، التي تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى وإتمام الضيافة. ثم انتقل إلى صفة أخرى من صفات قريش والعرب. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْجِبَالِ﴾ (٣).

ولأجل البيان قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (٤) لأن مدار الأمر على البيان والتبيين، وعلى الإفهام والتفهّم (٥). ثم ذكر كيف ضرب سبحانه مثلاً برداءة البيان وعي اللسان، حين شبه أهله بالنساء والولدان.

قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (٦).

من هذا المنطلق وهذا الأسلوب بدأ الجاحظ دوره في تعليم البيان. فأخذ بعرض عيوب اللسان وذكر اللّجلاج والتمتّام والألثغ (٧)، والفأفاء، وذو الحُبسة

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٩.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤٦.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٥) «البيان والتبيين»: للجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ١١.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ١٨.

(٧) اللّجلاج: الذي يجول لسانه في شذّقه. «لسان العرب»: ابن منظور مادة لجج. ج ٢ ص ٣٥٥.

التمتّام: أن يفتعل بكلامه فلا يكاد يفهمك. نفسه مادة. تمم مج ١٢ ص ١٧.

الألثغ: الذي لا يستطيع الكلام بالراء. نفسه مادة. لثغ مج ٨ ص ٤٤٨.

والْحُكْلَةُ والرُّتَّةُ وذِي اللَّفْفِ والعَجَلَةُ^(١)، وَذَمُّ التَّشْدِيقِ والتَّعْجِيرِ والتَّعْجِيبِ^(٢)،
وعَابِ الْفَدَّادِينَ^(٣)، حَتَّى وَصَلَ إِلَى فَخْشِ لُثْغَةٍ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ^(٤)، فَرَامَ إِسْقَاطِ
الرَّاءِ مِنْ كَلَامِهِ، فَحَاجَّ خَصْمُومَهُ وَفَاوَضَ الْإِخْوَانَ بِبِلَاغَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ.

وَتَوَقَّفَ أَبُو عَثْمَانَ عِنْدَ اللَّفْظِ الْفَصِيحِ، فَذَكَرَ أَنَّ الْبُرَّ أَفْصَحُ مِنَ الْقَمْحِ
وَالْحِنْطَةِ وَأَنَّ لُغَةَ أَهْلِ مَكَّةَ أَفْصَحُ مِنْ لُغَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ؛ لِأَنَّ أَلْفَاظَهَا (يَعْنِي أَهْلَ
مَكَّةَ) أَحْكَى الْأَلْفَاظِ لِلْقُرْآنِ^(٥). وَأَكْثَرُهَا لَهُ مُوَافَقَةٌ...

وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ. ثُمَّ قَالَ: وَفِي الْقُرْآنِ مَعَانٍ لَا تَكَادُ تَفْتَرِقُ، مِثْلُ الصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ، وَالْجُوعِ وَالْخَوْفِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَالْمَهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارَ، وَالْجَنِّ وَالْإِنْسِ^(٦). ثُمَّ اسْتَطَرَّدَ بِمَنْ لَقَّبَ وَاصِلًا بِالْغَزَالِ وَمَنْ نَفَى
ذَلِكَ. وَذَكَرَ خَصْمُومَةَ وَاصِلِ لِبَشَّارٍ^(٧)، وَهَجَاءَ صَفْوَانَ الْأَنْصَارِيِّ لِبَشَّارٍ، وَخَلَصَ

-
- (١) الْقَائِنَاءُ: حُبْسَةُ فِي اللِّسَانِ. نَفْسُهُ مَادَّةٌ. فَتَأْ مَج ١ ص ١١٩.
- الْحُكْلَةُ: كَالْعُجْمَةِ لَا يَبِينُ صَاحِبُهَا الْكَلَامَ. نَفْسُهُ مَادَّةٌ. حَكَل مَج ١١ ص ١٦٢.
- الرُّتَّةُ: الْعَجَلَةُ فِي الْكَلَامِ. نَفْسُهُ مَادَّةٌ رَتَتْ مَج ٢ ص ٣٣.
- الْلَّفَفُ: كَثْرَةُ لَحْمِ الْفَخْذَيْنِ، وَهُوَ فِي الرِّجَالِ عَيْبٌ. وَرَجُلٌ أَلْفٌ: ثَقِيلٌ. قَالَ الْمُبَرِّدُ: اللَّفْفُ:
إِدْخَالُ حَرْفٍ فِي حَرْفٍ. نَفْسُهُ مَادَّةٌ. لَفَفَ مَج ٩ ص ٣١٧-٣١٩.
- العَجَلَةُ: السَّرْعَةُ: نَفْسُهُ مَادَّةٌ عَجَلَ. مَج ١١ ص ٤٢٥.
- (٢) التَّعْجِيرُ: أَنْ يَتَكَلَّمَ بِأَقْصَى قَعْرِ فَمِهِ، وَالتَّعْجِيبُ فِي الْكَلَامِ: كَالْتَّعْجِيرِ. نَفْسُهُ مَادَّةٌ قَعَبَ مَج ١
ص ٦٨٤.
- (٣) الْفَدَّادُ: الْجَانِي الصَّوْتِ وَالْكَلَامِ. «الْبَيَانُ وَالتَّيْسِينُ»: تَحَقُّقُ هَارُونَ مَج ١ ص ١٣.
- (٤) وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ (٨٠ - ١٣١ هـ / ٦٨٧ - ٧٣٨ م) الْبَصْرِيُّ الْغَزَالُ الْمُتَكَلِّمُ الْبَلِيغُ الَّذِي كَانَ يُلْتَمَسُ
بِالرَّاءِ. نَقَلَ عَنْهُ أَنَّهُ هَجَرَ الرَّاءَ وَتَجَنَّبَهَا فِي الْخُطَابَةِ. وَسَمِعَ مِنَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ قَالَ أَبُو
الْفَتْحِ الْأَزْدِيُّ: رَجُلٌ سَوَاءٌ كَافِرٌ. كَانَ مِنْ أَجَلَاءِ الْمُعْتَزِلَةِ.
- «لِسَانُ الْمِيزَانِ»: ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ مَج ٦ ص ٢١٤ - ٢١٥ رَقْم ٧٥٢.
- (٥) «الْبَيَانُ وَالتَّيْسِينُ»: تَحَقُّقُ هَارُونَ مَج ١ ص ١٧ - ١٩.
- (٦) «الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ»: تَحَقُّقُ هَارُونَ مَج ١ ص ٢١.
- (٧) بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ (٩٥ - ٦٧ هـ / ٧١٤ - ٧٨٤ م). الْعَقِيلِيُّ بِالْوَلَاءِ، أَبُو مَعَاذٍ، أَشْعَرُ الْمَوْلَدِينَ عَلَى
الْإِطْلَاقِ. أَصْلُهُ مِنْ طَخَارِسْتَانَ غَرْبِي نَهْرِ جِيحُونَ، وَنَسَبَتْهُ إِلَى امْرَأَةٍ عَقِيلِيَّةٍ قِيلَ إِنَّهَا اعْتَقَتْهُ مِنْ
الرُّقِّ. وَكَانَ ضَرِيرًا. نَشَأَ فِي الْبَصْرَةِ، وَقَدِيمٌ بِغَدَادٍ، وَأَدْرَكَ الدَّوْلَتَيْنِ الْأُمَوِيَّةَ وَالْعَبَّاسِيَّةَ. اتُّهِمَ
بِالزُّنْدَقَةِ فَمَاتَ ضَرْبًا بِالسِّيَاطِ وَدُفِنَ بِالْبَصْرَةِ. =

إلى القول بأن واصلاً لُقِّبَ بالغزال لأنه كان يُكثِرُ الجُلوس في سوق الغزالين .
وهو كقولهم خالد الحداء .

ثم انتقل إلى ذكر الحروف التي تدخلها اللُّثغة . فقال إنها أربعة : القاف
تلفظ طاء ، والسين تلفظ ثاء ، واللام تلفظ ياء وكافاً ، والراء تلفظ ياء أو غاء أو
ذالاً أو ظاء .

وهذه اللُّثغة تمنع المرء من الفصاحة ، وتدخله في العيِّ والحصر ، وتلوي
لسانه وتُعِدُّهُ البيان .

ثم ذكر مُسْتَكْرَهَاتِ الخطابة ، وأحبَّ المبسوط في موضعه ، والموجز
والكناية ، والوحي باللَّحظ ، ودلالة الإشارة ، فعدد بعض أسماء الخطباء
الشُّعراء ، والمُطْبوعين على الشعر من المولدين ، وأشار إلى خصلة إيراد وتميم
التي ليست لأحد من العرب .

واستشهد على ذلك بقول الرسول عليه السلام : «إِنَّ مِنَْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»^(١)
وبقول معاوية : «لَقَدْ أُوتِيتَ تَمِيمَ الْحِكْمَةِ مَعَ رَقَةٍ حَوَاشِي الْكَلَمِ»^(٢) . وقاده
الكلام إلى عيوب الأَشْفَى والأَشْدَق والأَفْلَح والأَرُوق والأَفْقَم^(٣) ، وضرب أمثلة
على عِيْهِمْ .

= «الأغاني» : للأصفهاني مج ٣ ص ١٢٩ - ١٣٥ «تاريخ بغداد» : للخطيب البغدادي مج ٧ ص ١٢
«الشعر والشعراء» : لابن قتيبة . ط ١ . قسطنطينية . عالم الكتب بيروت ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م .
ص ١٧٧ «الفهرست» : لابن النديم . دار المعرفة بيروت ص ٢٢٧ .

«خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» : الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي مج ١ ص ٥٤١ -
٥٤٢ . «الأعلام» : الزركلي مج ٢ ص ٥٢ .

(١) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ٥٣ .

(٢) نفسه تحقق هارون مج ١ ص ٥٤ .

(٣) الشُّفا : اختلاف الأسنان ، وقيل اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج . والسُّن
الشافية : هي الزائدة على الأسنان . «لسان العرب» : ابن منظور مادة شفا مج ١٤ ص ٤٣٥ .

الأَشْدَق : الواسع الشدق ، أي جانب الفم . نفسه مادة شدق مج ١٠ ص ١٧٣ .

الأَفْلَح : من الفَلَح : شَقَّ فِي الشَّقَّةِ السُّفْلَى . نفسه مادة فَلَاح مج ٢ ص ٥٤٨ .

الأَرُوق : الذي تطول أسنانه . نفسه مادة روق مج ١٠ ص ١٣٥ .

الأَفْقَم : أن تدخل الأسنان العليا إلى الفم . نفسه مادة فقم مج ٢ ص ٤٥٧ .

ثم ذكر الأضداد، من فصحاء العرب في البيان والبلاغة . والتفت الجاحظ إلى ما يعتري اللسان من ضروب الآفات، فعاودَ التكلُّم في اللثغة وأثر الوراثة فيها، كأنه طبيب مجرَّب، والثنايا السُّفلى المنزوعة والصفير الذي يخرج منها، فسقوط الأسنان جميعها عنده أصلحُ للمرء في الإبانة عن الحروف، منه إذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الآخر^(١).

ورأى، بعد التجربة، أن الجمع بين الحار والقار يُسْقِطُ الأسنان، وأن التشمير والسَّمَك في الأسنان يُفْسِدُ البيان^(٢). ومن كان لسانه يملأُ جَوْبَةً فِيهِ، لم يضرَّ سقوط أسنانه إلا بالمقدار المُفْتَقِر، والجُزء المحتمل.

كذلك الحيوان كلما كان لسانه عريضاً كان أفصح وأتَّينَ، كالبيغاء. وتقول الهند: لولا أن الفيل مقلوبُ اللسان لكان أنطقَ من كل طائر^(٣). ثم بسط قول الهيثم بن عدي^(٤):

وَلِكُلِّ لُغَةٍ حُرُوفٌ تَدُورُ فِي أَكْثَرِ كَلَامِهَا كَنَحْوِ اسْتِعْمَالِ الرُّومِ لِلْسَّيْنِ وَاسْتِعْمَالِ الْجَرَامِقَةِ لِلْعَيْنِ^(٥). وقول الأصمعي^(٦): ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسرياني ذال^(٧).

(١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٥٥ - ٦١.

(٢) التشمير: التقليص، والسَّمَك: الارتفاع نفسه مج ١ ص ٦١.

(٣) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٦٤.

(٤) الهَيْثَمُ بن عَدِيٍّ (١١٤ - ٢٠٧هـ / ٧٣٢ - ٨٢٢م) بن عبد الرحمن الثعلبي الطائي البحتري الكوفي، أبو عبد الرحمن، مؤرخ عالم بالأدب والنسب، أصله من منبج، وإقامته وشهرته في الكوفة. كان يرى رأي الخوارج، وَغَدَّه علماء الحديث من المدلسين ومن غير الثقات. توفي في فم الصلح قرب واسط.

«الفهرست»: لابن النديم ص ١٤٥ «لسان الميزان»: ابن حجر العسقلاني مج ٦ ص ٢٠٩.

«الأعلام»: الزركلي مج ٨ ص ١٠٤.

(٥) الجرامقة طائفة من الكلدانين أي السريانيين. «التنبيه والإشراف»: المسعودي. دار التراث - بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م. ص ٦٨.

(٦) انظر ترجمته في ص ٣١ من كتابنا.

(٧) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٦٥.

وَعَقَّبَ الجاحظ : وَمِنْ أَلْفَاظِ الْعَرَبِ أَلْفُظٌ تَتَنَافَرُ . . .

ويكون الشعر مستكرهاً إذا كانت ألفاظه لا يقع بعضها مماثلاً لبعض . . .
وَأَجْوَدُ الشَّعْرُ مَا رَأَيْتَهُ مِتْلَاحِمِ الْأَجْزَاءِ ، سَهْلِ الْمَخَارِجِ ، فَتَعْلَمُ بِذَلِكَ أَنَّهُ
قَدْ أَفْرَغَ إِفْرَاغاً وَاحِداً ، وَسَبَّكَ سَبْكَاً وَاحِداً ، فَهُوَ يَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ كَمَا يَجْرِي
الدِّهَانُ^(١) .

ثم التفت إلى اقتران الحروف فقال :

فإن الجيم لا تقارن الظاء ، ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ، بتقديم ولا
بتأخير . والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال ، بتقديم ولا
بتأخير . وَمَثَلُ أَبِي دَبُوبَةَ الزُّنْجِيِّ ، مَوْلَى آلِ زِيَادٍ ، كَانَ يَقِفُ بِيَابِ الْكَرْخِ وَيَنْهَقُ ،
فَلَا يَبْقَى حِمَارٌ إِلَّا يَرُدُّ عَلَيْهِ ، وَإِذَا نَبَحَ ، نَبَحَتِ الْكِلَابُ جَمِيعُهَا وَرَاءَهُ . وَعَاوَدَ
الْقَوْلَ بِاللُّثْغَةِ فَقَالَ : وَالَّذِي يَعْتَرِي اللِّسَانَ مِمَّا يَمْنَعُ الْبَيَانَ أُمُورٌ : مِنْهَا اللَّثْغَةُ الَّتِي
تَعْتَرِي الصَّبِيَّانَ إِلَى أَنْ يُنْشَأُوا وَهُوَ خِلَافُ مَا يَعْتَرِي الشَّيْخَ الْهَرَمَ الْمَاجِ^(٢) ،
الْمُسْتَرْخِيَّ الْحَنَكِ ، الْمُرْتَفَعَ اللَّثَّةِ ، وَخِلَافُ مَا يَعْتَرِي أَصْحَابَ اللَّكْنِ مِنَ
الْعَجَمِ ، وَمَنْ يُنْشَأُ مِنَ الْعَرَبِ مَعَ الْعَجَمِ^(٣) . ثُمَّ سَأَلَ الْأَمْثَالَ .

وانتقل إلى باب البيان ، فأورد له تعاريف عديدة منها : إِنَّ الْبَيَانَ اسْمُ جَامِعٍ
لِكُلِّ شَيْءٍ كَشَفَ لَكَ قَنَاعَ الْمَعْنَى ، وَهَتَكَ الْحِجَابَ دُونَ الضَّمِيرِ ، حَتَّى يُفْضِيَ
السَّامِعَ إِلَى حَقِيقَتِهِ ، وَيَهْجُمَ عَلَى مَحْصُولِهِ كَائِناً مَا كَانَ بِذَلِكَ الْبَيَانِ وَمِنْ أَيْ
جَنْسٍ كَانَ الدَّلِيلُ ، لِأَنَّ مَدَارَ الْأَمْرِ وَالْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا يَجْرِي الْقَائِلُ وَالسَّامِعُ ، إِنَّمَا
هُوَ الْفَهْمُ وَالْإِفْهَامُ ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ بَلَغْتَ الْإِفْهَامَ وَأَوْضَحْتَ عَنِ الْمَعْنَى فَذَلِكَ هُوَ
الْبَيَانُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ .

ثم قال : إِنْ حُكِمَ الْمَعْنَى خِلَافَ حُكْمِ الْأَلْفَاظِ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى مَبْسُوطَةٌ إِلَى

(١) البيان والتبيين : الجاحظ : تحقق هارون مج ١ ص ٦٥ - ٦٧ .

(٢) الهرم الذي يجمع ريقه ولا يستطيع حبسه .

(٣) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ٧١ .

غير غاية... وأسماء المعاني مقصورة... معدودة... وجميع أصناف الدلالات على المعاني خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: اللَّفْظ، ثم الإشارة، ثم العَقْد،^(١) ثم الخط، ثم الحال التي تُسمى النُّصْبَة^(٢).

واعترف أنَّ من حق هذا الباب أن يكون في أول الكتاب. قال: ولكنا أخرناه لبعض التدبير^(٣)، وساق الأمثال.

واستطرد بقوله: وأحسنُ الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه... فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً... صنع في القلوب صنع الغيث في التُّرْبَةِ الكريمة، ثم أورد قول عامر بن عبد قيس^(٤): الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان. قال الجاحظ: ثم اعلموا أن المعنى الحقير الفاسد والدني الساقط، يُعَشِّشُ في القلب ثم يبيض ثم يُفَرِّخ^(٥).

واستحسن، قبل أن يختتم هذا الباب، قول الإمام إبراهيم بن محمد^(٦): يكفي من حظ البلاغة أن لا يُؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يُؤتى الناطق من سوء فُهْم السامع^(٧). وصَدَّرَ باب البلاغة بالبسملة ثم الحمد، وساق لها

(١) العَقْد: ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين.

«خزانة الأدب»: البغدادى مج ٣ ص ١٤٧.

(٢) النُّصْبَة: ضُبِطَتْ بكسر النون. ضُبِطَ اسم الهيئة.

(٣) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٧٦.

(٤) عامر بن عبد قيس. انظر ص ١٠٧ من كتابنا.

(٥) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٨٥.

(٦) إبراهيم الإمام (٨٢ - ١٣١ هـ / ٧٠١ - ٧٤٩ م). هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن

العباس بن عبد المطلب، زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها، وهو الذي وجه أبو مسلم

الخراساني والياً على دعائه وشيعته في خراسان. ثم ظهر أمر إبراهيم، وعلم به مروان بن محمد

آخر خلفاء الأمويين، فقبض عليه وزججه في السجن بحران ثم قتله في حبسه. فكانت البيعة من

بعده سرّاً لأخيه السُّفاح. «تاريخ الطبري»: محمد بن جرير مج ٩ ص ٤٣٥ - ٤٤١.

«الأعلام»: الزركلي مج ١ ص ٥٩.

(٧) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٨٧.

تعاريف عديدة، ثم قال: ومن البصر بالحُجّة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أَوْعَرَ طريقة، وربما كان الإضراب عنها صَفْحاً أبلغ من الدّرك^(١) وأحقّ بالظفر. وساق الأمثال.

ثم انتقل إلى الإطناب والإشارة، وأورد ترجمة صحيفة هندية عن التعريف بالبلاغة حتى وصل به الكلام إلى ذكر آلة القصص، وآلة المغني، وآلة الشعر، وآلة السُّودد... وهذا الباب يقع في كتاب «الجوارح». وهو وارد عليكم إن شاء الله^(٢).

وذكر في باب جديد، ناساً من البلغاء والخطباء والأبيّاء والفُقهَاء والأُمراء ممن كان لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل.

وتطرّق إلى عيِّ الإسهاب والإكثار، ثم عد الساكت بين النائم والأخرس، وساق الأمثال مُسْتَشْنِئاً أحاديث القصص والرّقة، ثم استطرد إلى تعريف البيان والبلاغة، وضرب أمثلة على الإيجاز والمعاني والألفاظ. ثم عاد إلى التحدّث عن الإطالة والإكثار في الخطب وأنواعها، ومدح جهير الصوت وسعة الفم لأنهما يساعدان الخطيب على الإفصاح، وعاب التشادق.

ووصل به الكلام إلى إيراد قول الفرزدق: أنا عند الناس أشعرُ العرب، ولربما كان نزغُ ضرسٍ أيسر عليّ من أن أقولَ بيت شعر^(٣).

وساق أمثالاً على الإقناع بالحجة، والفصاحة ونصح الخطباء، وأثبت كلام بشر بن المعتمر وخلاصته: أن يأخذ المرء ساعة نشاطه، ويحسن الاستفادة منها، ويبعد عن التّوَعُر، فإن حق المعنى الشريف في اللفظ الشريف، فضلاً عن كونه رشيقيّاً عذباً فخماً سهلاً، ويكون المعنى ظاهراً، ويراعي اللفظ العامي والخاصي... ولا يجب أن تُكره القافية على اغتصاب الأماكن. فإن

(١) الدّرك أي إدراك الأمور.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٩٤ - ٩٥.

(٣) نفسه تحقق هارون مج ١ ص ١٣٠.

ابتليت بتكلف القول فلا تعجل ولا تضجر. فصناعة التحبير يجب أن تكون أشهى الصناعات للكاتب. وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ويبين أقدار الحالات... ومدح العرب وعلماءهم الذين اشتقوا الأسماء ووضعوا أوزان القصيد، كما عدّدوا عيوب القافية. وسمّوا الحال والظروف، ووضعوا اصطلاحات للحساب^(١).

ثم تعرّض لأنواع الكلام، وتملّح الاعرابي بإدخال بعض من كلام الفارسية في شعره، وذمّ اللفظ العامي والسوقي وتعرّض لأنواع العتي، وأبرز تلذّذه بحديث الأعراب العقلاء الفصحاء، واستحبابه للنادرة الباردة جداً من النادرة الحارة جداً. وانتقل إلى اللّحن في الكلام ومثّل عليه، واستملح بعضه واستطرد بمحفوظاته الرائعة ليثبت قيمة الكلام ونوّه بأن اللسان أقطع من السيف، وبأن الكلام ينفذ حيث لا تنفذ الإبر.

ثم وضّح قول العتّابي^(٢) في البلاغة، ولخص قول النبطي والخراساني والفارسي فيها، ومدح عرب الجزيرة، حيث اللغة البكر الصافية وساق الأمثال^(٣).

وفي باب مديح اللسان مثّل بالشعر والنثر، وذكر في الباب الذي يليه، من مدح شدّة العارضة وقوّة المنة وظهور الحجّة وثبات الجنان، وكثرة الريق، والعلو على الخصم، وهجاء خلاف ذلك، واستطرد بقوله: بأن هذا الباب يقع في كتاب الإنسان وفي فصل ما بين الذكر والأنثى، تاماً، ولا يدخل في باب

(١) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١. ص ١٣٥. ١٣٩.

(٢) العتّابي (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م). هو كثلوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد العتّابي. أبو عمر. أديب، شاعر، ناثر، أصله من الشام من أرض قنسرين، صحب البرامكة ثم صحب طاهر بن الحسين وعلي بن هشام القائدين.

«الفهرست»: ابن النديم. ص ١٧٥-١٧٦.

«معجم المؤلفين»: كحالة مج ٨ ص ١٤٥ «الأعلام»: مج ٥ ص ٢٣١.

(٣) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ١٦١. ١٦٥.

البيان والتبيين، ولكن قد يجري السبب فيجري معه بقدر ما يكون تنشيطاً للقارئ^(١).

وتعرض من جديد إلى السلاطة والهذر والتكلف والإسهاب، ومثل على الصمت بالأحاديث النبوية الشريفة، والأقوال المأثورة والمنظومة ثم مدح الإيجاز وطلاقة اللسان، ثم قال: وكانوا يأمرّون بالتبيين والتثبت، وبالتحرّز من زلّ الكلام، ومن زلّ الرأي ومن الرأي الدبري^(٢)، وكانوا يأمرّون بالتحلّم والتعلّم. واستطرد إلى الملح، وأوصى بعدم ترك التماس البيان والتبيين، وذم العي، واستعاذ من البذاءة والأحاديث المذلّسة، وانتقل إلى الشعراء فذكر الهجاء، وبلاغة عبد الحميد الأكبر^(٣) وابن المقفع^(٤)، واستهتار الفرزدق^(٥) بالنساء، وساق بعض الأمثال.

(١) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ١٨٦.

(٢) قال الجاحظ: الرأي الدبري: هو الذي يعرض من الصواب بعد مضي الرأي الأول وفوت استدراكه. «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ١٩٧.

(٣) عبد الحميد الأكبر (ت ١٣٢هـ / ٧٥٠م). هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري بالولاء المعروف بالكاتب. عالم بالأدب، يُضرب به المثل في البلاغة. أصله من قيسارية. سكن الشام. وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب. «الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٤) ابن المقفع: (١٠٦ - ١٤٢هـ / ٧٢٤ - ٧٥٩م). هو عبد الله بن المقفع، من أئمة الكتاب، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق. أصله من فارس، ولد في العراق مجوسياً مزدكياً وأسلم على يد عيسى بن علي عمّ السفاح. اتهم بالزندقة، فقتله سفيان بن معاوية. انظر ترجمته في كتاب «كلىة ودمنة»: تصحيح أحمد حسن طيّارة. ط ٤ المطبعة الوطنية. بيروت ١٩٣٣. ص ٦ - ٧. «خزانة الأدب»: للبغدادي مج ٣ ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

«لسان الميزان»: ابن حجر العسقلاني مج ٣ ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

«الأعلام»: الزركلي مج ٤ ص ١٤٠.

(٥) الفرزدق (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م). هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس شاعر من النبلاء من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة. وكان يقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة، ولولاه لذهب نصف أخبار الناس. كان شريفاً في قومه عزيز الجانب يحمي من يستجير بقبر أبيه، وجدّه. قارب المئة وكان مشتهراً بالنساء وليس له بيت نسيب واحد. «خزانة العرب»: للبغدادي مج ١ ص ١٠٥.

«الشعر والشعراء»: ابن قتيبة ص ١١١ - ١١٤ «الأعلام»: الزركلي مج ٨ ص ٩٣.

ثم انتقل إلى باب ذكر فيه ما قيل في المعاني الظاهرة باللفظ الموجز، ومن ملتقطات كلام الناس، فأورد أقوالاً لهم ولبعض الثساك، ولِعَمَر بن عبد العزيز^(١).

كما مثَّل على حُسْنِ البيان والتَّخْلُص من الخصم بالحق والباطل، وتخليص الحق من الباطل، والإقرار بالحق، وترك الفخر بالباطل^(٢).

وانتقل إلى باب شعر يدخل في باب الخطب^(٣) ونوّه بالمقصود من تعريف العتّابي للبلاغة^(٤) وأتبعه بباب ذكر فيه الكلام الموزون للمدح وتفضيل إصابة المقادير، وذم الخروج من التعديل، ثم أتبعه بما قيل في الخطب واللسن وساق الأمثال.

واستطرد بقول أبي عمرو بن العلاء^(٥):

كان الشاعر في الجاهلية يُقدَّم على الخطيب^(٦)

ثم انتقل إلى باب ذكر فيه مَنْ كان يعيب التُّوك والعِي والحُمُق، وأخلاق النساء والصبيان وساق الأمثال.

ولم يَسَلِّم المعلمون من نكاته قال: وَمِنْ أمثال العامة «أحمقٌ مِنْ مُعَلِّمِ كُتَّابٍ»^(٧).

(١) عمر بن عبد العزيز (٦١ - ١٠١هـ / ٦٨١ - ٧٢٠م) بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص الخليفة الصالح، والملك العادل. ولي بالخلافة بعهد من سليمان فبيع في مسجد دمشق. ولم تطل مدته، قيل دُسَّ له السُّم وهو بدير سمعان من أرض المعرة فتوفي به.

«تاريخ الطبري»: محمد بن جرير مج ٨ ص ١٣٧.

«الأغاني»: الأصفهاني مج ٩ ص ٢٤٦ - ٢٦٠. «الأعلام»: الزركلي مج ٥ ص ٥٠.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢١٢.

(٣) المصدر نفسه تحقق هارون مج ١ ص ٢١٨.

(٤) المصدر نفسه تحقق هارون مج ١ ص ٢٢٠.

(٥) أبو عمرو بن علاء (٧٠ - ١٥٤هـ / ٦٩٠ - ٧٧١م). هوزبَّان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو. من أئمة اللغة والأدب وأحد القُرَّاء السبعة. ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة. «الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٤١.

(٦) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٤١.

(٧) نفسه: مج ١ ص ٢٤٨.

وعَدَد أصناف المعلمين ، ويَبَيِّن الفرق بين الشُّجاع والبطل ، ولم ينسَ فضل من علَّمه في الصِّغَر .

ثم نصح المتأدِّبين بتجنُّب السوقيِّ والوحشي من الكلام . قال :

ولا تجعل همَّكَ في تهذيب الألفاظ ، وشُغْلِكَ في التَّخَلُّص إلى غرائب المعاني . وفي الاقتصاد بلاغٌ وفي التوسُّط مجانبة للوعورة ، وخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه^(١) ، وساق الأمثال .

وفي باب الخطبِ القصار من خطب السلف ومواعظ من مواعظ النُّسك ، وتأديب من تأديب العلماء ، مَثَّلَ بآيات كريمة وأحاديث شريفة وكثير من الشعر ليري عطش القارئ^(٢) .

واستطرد إلى نفع الصمت ، وتقليب اللسان ، ولم ينسَ قول دَغْفَل بن حنظلة^(٣) : إِنَّ لِلْعِلْمِ أَرْبَعَةَ آفَةٍ ، وَنَكَدًا ، وَإِضَاعَةً ، وَاسْتِجَاعَةً . فَأَفْتَهُ النِّسيانُ ، وَنَكَدَهُ الْكُذِبُ ، وَإِضَاعَتَهُ وَضَعُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَاسْتِجَاعَتَهُ أَنَّكَ لَا تَشْبَعُ مِنْهُ^(٤) .

ثم انتقل إلى باب ذكر فيه ما قالوا من الحديث الحسن الموجز المحذوف ، القليل الفضول . ومَثَّلَ عليه . وأتبعه بباب الأسجاع ، أورد فيه كثيراً من الأحاديث الجميلة . وأردفه بباب أفرغ فيه ما نَسِيَهُ في الباب السابق ، ثم أثبت

(١) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ٢٥٥ .

(٢) المصدر نفسه تحقق هارون مج ١ ص ٢٥٧ - ٢٧١ .

(٣) دَغْفَل لقب . وقيل : دغفل الذهلي النسابة ، وهو دغفل بن حنظلة السدوسي ، أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه ، ووفد على معاوية ، وأتاه قدامة بن ضرار القريري فنسبه دغفل حتى بلغ أباه الذي ولده . فقال : وولد ضرار رجلين أما أحدهما فناسك وأما الآخر فشاعر ، فأيهما أنت فقال : أنا الكناني السفية وقد أصبت في نسبي وكل أمري فأخبرني حتى أموت . قال : ليس ذلك عندي . وقتلت دغفل الشراة ولا مصنف له .

«الفهرست» : لابن النديم . ص ١٣١ «الإصابة» : العسقلاني مج ١ ص ٤٦٤ - ٤٦٥ رقم ٢٣٩٩ .

(٤) «البيان والتبيين» : الجاحظ تحقق هارون مج ١ ص ٢٧٣ .

خُطبة قصيرة للنبي ﷺ^(١)، وذكر الكلمات المسجعة التي خطب بهن الخليفة سليمان بن عبد الملك.

وانتقل إلى أسماء الخطباء والبلغاء والأبياء، ذاكراً قبائلهم وأنسابهم وذكر بعض خطب الخوارج وأصحاب الأخبار.

وذكر أسماء الكُهان والحُكَّام والخطباء والعلماء من قحطان، ثم الثُّسك والزُّهاد من أهل البيان وأسماء الصوفية من الثُّسك ممن كان يجيد الكلام، فالقصاص، مُنهيّاً هذا القسم من الكتاب بما قيل في المخاصرة والعصي: وهو باب مهم أثبت فيه حُبّه الحقيقي للعرب وهاجم الشعوبية، والتفت إلى ما ذكر من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام. وساق الأمثال.

ابتدأ كتابه الثاني بالبسملة والحمد، ثم بالردّ على الشعوبية في طعنهم على خطباء العرب ورؤسائهم قال: أحببنا أن نُصيّر صدر هذا الباب كلاماً من كلام رسول رب العالمين... وعلى أن خطباء السلف الطيبين... ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تُبتدأ بالتحميد وتُستفتح بالتمجيد «البثراء» ويسمون التي تُوشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي ﷺ «الشَّوْهَاء»^(٢). وفَصَّل أنواع خطب العرب من أهل المدر والحضر، ثم أثنى على الشعراء الذين يمكنون حولاً في تنقيح قصائدهم، الحوليات والمنقحات، وجعل الشعراء أربع طبقات^(٣)، وانتقد الذين يتكسبون بشعرهم.

ثم ذكر كلاماً للرسول الأعظم صلوات الله عليه مما لم يسبقه إليه عربي^(٤)، ثم أثبت خُطبة الوداع^(٥)، وأقوالاً للصحابه الكرام والعلماء والمحدثين والشعراء، وما قاله الخليفة أبو بكر الصديق^(٦) رضي الله عنه،

(١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه تحقق هارون مج ٢ ص ٦.

(٣) المصدر نفسه تحقق هارون مج ٢ ص ٩.

(٤) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ١٥.

(٥) المصدر نفسه تحقق هارون ج ٢ ص ٣١.

(٦) راجع ترجمته ص ٥٣ من هذا الكتاب.

لعمر^(١) رحمه الله، حين استخلفه عند موته. وأولى خطب علي^(٢) كرم الله وجهه (يعني الخطبة الأولى). ثم أتبعها بثلاث له (يعني لعلي).
ثم أثبت خطبة لعبد الله بن مسعود^(٣) ولعثبة بن غزوان السلمي^(٤) ولمعاوية بن أبي سفيان^(٥) ولزياد^(٦)، وبعض مقطعات الكلام ومواعظ النساك.
وباب مزدوج الكلام أثبت خطباً مسندة كخطبة عمر بن عبد العزيز^(٧)

(١) انظر ترجمته ص ٢٣ من هذا الكتاب.

(٢) علي بن أبي طالب (٢٣ ق. هـ - ٤٠ هـ / ٦٠٠ - ٦٦١ م). ابن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة. ولد بمكة، ورُبي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه. ولما آخى النبي ﷺ بين أصحابه قال له: أنت أخي.

ولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان، فعزل معاوية من ولاية الشام فعصاه معاوية فاقتلا. وبعد التحكيم افترق المسلمون على ثلاثة أقسام، مناصر لمعاوية في الشام، ومناصر لعلي بالكوفة، وناقم على علي بالتحكيم.

أقام علي بالكوفة، دار خلافته، إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة.
«تاريخ الطبري»: محمد بن جرير مج ٦ ص ٨٣. «الإصابة»: ابن حجر العسقلاني ص ٥٠٦ - ٥٠٣ رقم ٥٦٩٠. «الأعلام»: الزركلي مج ٤ ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٣) ابن مسعود: ت ٣٢٢ هـ / ٦٥٣ م. هو عبد الله بن مسعود الهذلي. أبو عبد الرحمن، صحابي ومن السابقين إلى الإسلام وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادماً رسول الله الأمين وصاحب سره ورفيقه في حله وترحاله وغزواته. نظر إليه عمر يوماً فقال: وعاء مليء علماً. قدم المدينة في خلافة عثمان بن عفان، فتوفي فيها.

«الإصابة»: العسقلاني. ص ٣٦٠ رقم ٤٩٥٥. «الأعلام»: الزركلي مج ٤ ص ١٣٧.

(٤) انظر ص ٢٣ من هذا الكتاب.

(٥) انظر ص ٥٢ من هذا الكتاب.

(٦) زياد: (١ - ٥٣ هـ / ٦٢٢ - ٦٧٣ م). هو زياد بن أبيه. أمير من الدهاة والقادة الفاتحين والولاة. من أهل الطائف. اختلف في اسم أبيه. أدرك النبي ﷺ ولم يره، أسلم في عهد أبي بكر. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية الذي اكتشف أنه أخوه من أبيه فألحقه معاوية بنسبه. قال الأصمعي: أول من ضرب الدنانير ونقش عليها اسم الله ومحا اسم الروم... وخطبته البتراء مشهورة. مات ولم يُخلف غير ألف دينار.

«تاريخ الطبري»: محمد بن جرير مج ٦ ص ١٦٢ «خزانة الأدب»: للبغدادي مج ٢ ص ٥١٧.

«لسان الميزان»: السعقلاني مج ٢ ص ٤٩٣. «الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٥٣.

(٧) ترجمته في ص ١٢٨ من هذا الكتاب.

وخطبة لأبي حمزة الخارجي^(١)، وخطبة لقطري بن الفُجاءة^(٢) وخطبة لمحمد بن سليمان^(٣)، ولعبيد الله بن زياد^(٤)، ولقُتيبة بن مسلم الباهلي^(٥)، وللأخنف بن قيس^(٦)، وللحجاج^(٧)، وليزيد بن الوليد^(٨)، وليوسف بن

- (١) أبو حمزة: (ت ١٣٠هـ / ٧٤٨م). هو المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السلمي البصري نائر فتاك من الخطباء القادرة. ولد بالبصرة وأخذ بمذهب الإباضية. «الكامل»: ابن الأثير. مج ٤ ص ٢٩٧ حوادث سنة ١٢٨، وص ٣٠٧ حوادث سنة ١٣٠. «الأعلام»: الزركلي مج ٧ ص ١٩٢.
- (٢) قطري بن الفُجاءة: (ت ٧٨هـ / ٦٩٧م). أبو نعامة. واسمه حبونه، من رؤساء الخوارج، الأزارقة، وأبطالهم، من أهل قطر. كان خطيباً فارساً شاعراً. «الكامل في التاريخ»: لابن الأثير مج ٤ ص ١٧١. «تاريخ الطبري»: محمد بن جرير مج ٧ ص ٢٧٤. «الأعلام»: الزركلي مج ٥ ص ٢٠٠-٢٠١.
- (٣) محمد بن سليمان: بن علي الهاشمي أمير البصرة. لا يعرف بالنقل، وحديثه غير محفوظ. قال البزاز: لا نعلمه يروي عن النبي ﷺ. ولأه المنصور على البصرة ثم على الكوفة، ولأه المهدي وعزله الهادي وأقره الرشيد إلى أن مات. اختلف في وفاته حوالي ١٧٣هـ / ٧٨٨م. «لسان الميزان»: العسقلاني مج ٥ ص ١٨٨-١٨٩.
- (٤) عبيد الله بن زياد بن أبيه (٢٨ - ٦٨هـ / ٦٤٨ - ٦٨٦م). خطيب من الشجعان. ولد بالبصرة وكان مع والده لما مات في العراق. ولأه عمه معاوية خراسان ونقله إلى إمارة البصرة، فقاتل الخوارج أشد قتال. كان مقتل الحسين رضي الله عنه على يده. قتله ابن الأشقر. «تاريخ الطبري»: محمد بن جرير مج ٦ ص ١٦٦. «الأعلام»: الزركلي مج ٤ ص ١٩٣.
- (٥) قُتيبة بن مسلم الباهلي: (٤٩ - ٩٦هـ / ٦٦٩ - ٧١٥م). أبو حفص. أمير فاتح من مفاخر العرب. كان أبوه كبير القدر عند معاوية. ولي خراسان، وغزا أطراف الصين. قتله وكيع بن حسان التميمي. «تاريخ الطبري»: محمد بن جرير مج ٨ ص ١٠٣ «الخزانة»: للبغدادى مج ٣ ص ٦٥٧. «الأعلام»: الزركلي مج ٥ ص ١٨٩-١٩٠.
- (٦) الأخنف بن قيس: (٣ق.هـ ٧٢هـ / ٦١٩ - ٦٩١م). التميمي. أبو بحر. أحد العظماء الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحين. يُضربُ به المثل في الحلم. ولد بالبصرة. أدرك النبي ولم يره، اعتزل الفتنة يوم الجمل، وشهد صفين مع علي. ولي خراسان. «الإصابة»: العسقلاني مج ١ ص ١١٠ رقم ٤٢٩ و«الأعلام»: الزركلي مج ١ ص ٢٧٦-٢٧٧.
- (٧) الحجاج بن يوسف الثقفي: (٤٠ - ٩٥هـ / ٦٦٠ - ٧١٤م). أبو محمد. قائد، داهية سفاك خطيب. قلده عبد الملك أمر عسكره، قمع الثورة في العراق وبنى مدينة واسط وأول من ضرب درهماً عليه (لا إله الله محمد رسول الله) وأول من بنى مدينة بعد الصحابة وأول من اتخذ المحامل. «الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ١٦٨.
- (٨) يزيد بن الوليد: (٨٦ - ٢٦هـ / ٧٠٥ - ٧٤٤م). أبو خالد من ملوك الدولة المروانية الأموية في الشام. مات بالطاعون وقيل: مات مسموماً. «تاريخ الطبري»: محمد بن جرير مج ٢ ص ٣٢١-٣٢٢. «الكامل في التاريخ»: لابن الأثير مج ٥ ص ١١٥. «التنبيه والإشراف»: للمسعودي: ص ٢٨٠ «الأعلام»: الزركلي مج ٨ ص ١٩٠.

عمر^(١) وغيرهم . . . وانتقل إلى باب: من اللغز في الجواب والتشديق وإلى ما يقول كل إنسان قدر خلقه وطبعه، وشَّحَّه بالشواهد^(٢).

ورجع إلى اللَّحْن فقال: قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(٣) فاللَّحْن في هذا الموضع غير اللحن في ذلك^(٤).

وفي باب النوكى^(٥)، ساق شواهد متنوعة ثم أورد باباً من الكلام المحذوف وأثبت بعض الخطب ومثل على تشبيه الشيء بشعر قبل أن ينتقل إلى نواذر الأعراب، ثم تكلم على الشيب والزُّهد، والبَلَّه الذي يعتري من قِبَلِ العبادة وساق الأمثال.

وكعاداته زَيَّنَ كتابه الثالث بالبسملة ثم قال: هذا - أبقاك الله - الجزء الثالث من القول في البيان والتبيين وما شبه ذلك من غرر الأحاديث . . .

ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوية ومن يتحلى باسم التسوية وبمطاعينهم على خطباء العرب^(٦).

(١) يوسف بن عمر الثقفي: (ت ٢٧هـ / ٧٤٥م). أبو يعقوب. أمير ولي اليمن أيام هشام. عزله يزيد وحبسه في دمشق ثم قتله. وكان يضرب به المثل في التيه والحمق. «الأعلام»: الزركلي مج ٨ ص ٢٤٣.

(٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ١٧٥.

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٠.

(٤) معنى اللَّحْن في الآية الكريمة هو المقصد أو الفحوى أو المغزى. أي إذا تكلموا عندك، فَيُعَرِّضُوا بما فيه تهجين أمرك وأمر المسلمين. قال أبو زيد: لحنْتُ له اللَّحْن: إذا قلت له قولاً يفقهه عنك وَيَخْفَى على غيره. أما معنى اللَّحْن الآخر فهو الإمالة عن صحيح المنطق أو العدول عن الصواب. انظر فصل اللحن من الباب الثاني ص ٢٠٤.

«فتح القدير»: لمحمد علي بن محمد الشوكاني ط ٣. دار الفكر بيروت ١٩٧٢ مج ٥ ص ٤٠.

«تفسير الجلالين»: جلال الدين بن محمد بن أحمد وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مكتبة الملاح. دمشق ص ٦٧٥.

(٥) الأتوك: الأَحْمَق وجمعه النوكى. «لسان العرب»: ابن منظور. نوك مج ١٠ ص ٥٠١.

(٦) الشعوية: نسبة غير قياسية إلى الشعوب. وهم فريق من الناس لا يرون للعرب فضلاً على غيرهم بل يبالغون في حَطِّ قدرهم. والتسوية: أي التسوية بين العرب والعجم. انظر «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ حاشية ص ٥.

ثم عدّد اتهاماتهم، ودعا من أحبّ صناعة البلاغة ويعرفُ الغريب ويتبحّرُ في اللغة أن ينظر في كتاب كازوئند^(١) وسير الملوك، ثم هاجم الشعوبية. واستطرد إلى القول بالعصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق وأثبت الآيات الكريمة في ذكرها. وقال: وأما العصا فلو شئت أن أشغل مجلسي كلّه بخصالها لفعلت^(٢). وسرد مجال استخداماتها وهاجم الشعوبية وذكر أن الرهبان تتخذها من غير سقم. وساق شواهد كثيرة ثم استطرد، إلى عادات أهل الحرم وأسماء الإبل، والعمامة والقناع في أسواق العرب، ولَهج العرب بذكر النعال، وعظم شأن عصا موسى عليه السلام وسواك النبي ﷺ^(٣). وذكر أزياء الخلفاء العامة والخاصة.

وابتداً، في كتاب الزهد، بذكر أخلاق الزهاد ومواعظهم ووشاه بكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأشعار. ثم بأخلاط من شعر ونوادر وأحاديث للتفكّهة، ورسالة لإبراهيم بن سيّابة^(٤) إلى يحيى بن خالد بن برمك^(٥). وسمّى الباب التالي: ذكر حروف من الأدب. ثم استطرد إلى العصا ومما يضم إليها، وكأنه تذكر شيئاً عن الصبا فكتب كثيراً من الشعر.

ثم التفت إلى خطباء الخوارج فعدّد أسماءهم وأقوال علمائهم. وفي باب الدعاء، صدّره بالآيات الكريمة، وأقوال للأعراب والعلماء، ثم أدعية للصحابة

(١) كازوئند، مكون من كلمتين فارسيّتين «كار»: ومعناها الصناعة، و«ند»: بمعنى المديح والثناء.

«البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ٣ ص ١٤.

(٢) المصدر نفسه تحقّ هارون مج ٣ ص ٤٣.

(٣) المصدر نفسه تحقّ هارون مج ٣ ص ١١٣.

(٤) إبراهيم بن سيّابة: كسحابة وأصل معنى السياب البلح أو البسر. هو شاعر من شعراء الدولة العباسية من موالى الهاشميين. «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ٤٠٥.

(٥) يحيى البرمكي (٢٠ - ١٩٠ هـ / ٧٣٨ - ٨٠٥ م). ابن خالد، أبو الفضل، الوزير السريّ الجواد. مؤدب الرشيد. ويقال إن الرشيد وضع من زوجته فكان يدعو: يا أبي. اشتهر بجوده وبحسن سياسته. واستمر إلى أن نكب الرشيد بالبرامكة فقبض عليه وسجنه في الرّمة إلى أن مات. «تاريخ بغداد»: للخطيب البغدادي مج ١٤ ص ١٢٨. «الأعلام»: الزركلي مج ٨ ص ١٤٤.

والخلفاء. ومنها دعاء الغنوي^(١) في حبسه، وترداد صالح المري^(٢) في مجالسه..

وفي باب: القول في إنطاق الله عز وجل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، بالعربية المبينة على غير التلقين وعلى غير التدريب والتدرج، وكيف صار عربياً أعجمي الأبوين^(٣)، قال: كان أول عربي من جميع بني آدم ﷺ ثم ذكر كيف بعث الله تعالى محمداً ﷺ إلى العجم فضلاً عن العرب واستطرد إلى القول في الأطفال الخرس، ومعجزة القرآن الكريم.

وفي باب: كانت العادة في كتب الحيوان قال: إنه، عندما ألف كتابه، كان حاضر ذهن، فكأنه يشير إلى ضخامة كتابه، فأفرد باباً سماه: وجه التدبير في الكتاب إذا طال ونصح القارئ أن يخرج من شيء إلى شيء ومن باب إلى باب، لينشط ذهنه وحتى لا يدخل إلى قلبه الملل.

ثم أفرد باباً لبقية كلام النوكى والموسوسين والجفاة والأغبياء وساق أمثلة فكهة وشواهد.

وانتقل إلى رواة المسجدين والمريدين^(٤) ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب والأراجيز وأشعار اليهود واستطرد إلى ذكر آيات حكيمة وأحاديث شريفة وشيئاً من صفات محمد ﷺ.

ثم ذكر فضل الشعر والخوف، وتلخيص المعاني ومن عزى بعض الملوك. وخرج بالقول: بأن الشاعر أرفع قدراً من الخطيب.

(١) لعله طفيل الغنوي «الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٢٢٨ «معجم المؤلفين»: كحالة مج ٥ ص ٤١.
(٢) هو صالح بن بشير بن وادع المري (ت ١٧٢ هـ أو ١٧٦ / ٧٨٧ أو ٧٩١ م). أبو بشر البصري القاضي الزاهد، أحد رواة الحديث العباد البلغاء. كان مملوكاً لامرأة من بني مرة بن الحارث فاعتقته. عن محقق «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١١٣.

(٣) العجم: خلاف العرب.

والأعجمي: الذي في لسانه عجمة لا يفصح بالعربية.

(٤) المريدين: نسبة إلى المري.

كما ذكر أن من الشعراء الإسلاميين من لا يقدر على الرجز وهو في ذلك
يجيد القريض كالفرزدق^(١) وجريـر^(٢)، ومن يجمعهما.

وختم كتابه بأقوال حكيمة للبلغاء ثم قال:

وهذا - أبقاك الله - آخر ما ألفناه من كتاب «البيان والتبيين».

ونرجو أن نكون غير مُقَصِّرِينَ... فإن وقع على الحال التي أردنا،
وبالمنزلة التي أملنا، فذلك بتوفيق الله وحسن تأييده، وإن وقع بخلافها فما
قَصَرْنَا في الاجتهاد ولكن حُرِمْنَا التوفيق والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) انظر ص ١٢٧ من هذا الكتاب.

(٢) جرير (٢٨ - ١١٠هـ / ٦٤٠ - ٧٢٨م). هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي من تميم. أبو
حرزة. أشعر أهل زمانه. ولد ومات في اليمامة. ولم يثبت أمام شعره سوى الفرزدق والأخطل.
«الأغاني»: الأصفهاني مج ٨ ص ٥ - ٨٩.

«خزانة الأدب»: للبغدادي مج ١ ص ٣٦ و ٣٠٧.

«الشعر والشعراء»: لابن قتيبة. ص ١٠٨ - ١١١.

«الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ١١٩.

الفصل الثالث

مفهوم الجاحظ للأدب والشعر والبلاغة وعلومها

١ - بين الفصاحة والبلاغة

الفصاحة لغة هي البيان والظهور^(١). فإذا قلنا: أفصح العجمي: تكلم بالعربية. وفصح: انطلق لسانه بها وخلصت لغته من اللكنة. وأفصح الصبي في منطقته: فهم ما يقول في أول ما تكلم^(٢).

وقيل: هي في اللغة لا تخلو من معنى الظهور، فيكون فعلها لازماً، كقولهم فصح اللبن إذا ظهر من رغوته، أو عن معنى الإبانة، فيكون فعلها في المعنى متعدياً، كأفصح الأعجمي: أبان مراده. وتُنقل عُرفاً إلى وصف الكلمة، فيقال: كلمة فصيحة، وإلى الكلام، فيقال: كلام فصيح، وتركيب فصيح، وإلى المتكلم، فيقال: متكلم فصيح^(٣).

والفصاحة في المفرد هي: خلوصه من تنافر الحروف، والغرابة ومخالفة القياس اللغوي أي الضابط المتقرر من استقراء الاستعمال اللغوي. والخلوص هنا

(١) «لسان العرب»: ابن منظور. مادة فصح مج ٢ ص ٥٤٤.

(٢) «أساس البلاغة»: الزمخشري تحق عبد الرحيم حمود. دار المعرفة. بيروت ١٩٨٢ ص ٣٤٣.

(٣) «عقود الجمان في علم المعاني والبيان»: عبد الرحمن السيوطي. ص ٣.

«شروح التلخيص»: هي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني... على الأصول الخمسة: للخطيب القزويني وابن يعقوب المغربي، بهاء الدين السبكي، ومختصر الإيضاح لمؤلف التلخيص، وحاشية الدسوقي. مط. عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٣٧ م مج ١ ص ٧.

بمعنى النفي من كل واحد من الثلاثة المذكورة لا من مجموعها . فالتنافر منها معنى في حروفها يوجب عسر النطق بها، نحو «مستشزرات» في قول امرئ القيس :

وَفَرَعَ يَزِينُ المَتْنَ أسودَ فاحِمٍ أَثِيثٍ كَقِنُو النخلة الْمُتَعَثِكِلِ
غداثُهُ مستشزرات إلى العلى تضل المداري في مثني ومرسل

مستشزرات أي مرفوعات، إن روي بفتح الزاي، أو مرتفعات، إن روي بكسرهما. وإنما كان الثقل في مستشزرات، لتوسط الشين، وهي مهموسة رخوة، بين التاء، وهي مهموسة شديدة، والزاي وهي مجهورة. والغرابة هي كون الكلمة وحشية أي غير مأنوسة الاستعمال، ويلزم كونها غير ظاهرة المعنى بالنسبة لمن كانت تلك الكلمة وحشية لديه .

والوحشية قسمان: قبيحة مستكرهة ذوقاً، لعدم تداولها في لغة خُلص العرب أي أهل البادية دون المولدين. ومن المعروف أن اللغة الصافية هي لغة أهل البادية العذراء التي لم تختلط بغيرها، وحسنة وهي غير مُخِلَّة بالفصاحة بالنسبة للعرب الخُلص. ومنها غريب القرآن والحديث فغرابة المستحسنة إخلالها بالفصاحة نسبي .

فهي غريبة عند المولدين وليست غريبة على خُلص العرب .

والمخالفة للقياس اللغوي، هي كون الكلمة غير جارية على القانون الذي يتقرر به حكم المفردات اللغوية، والمفردات اللغوية يتقرر حكمها بالقانون التصريفي. فإذا اقتضى قلب الياء ألفاً مثلاً فوردت الكلمة بخلاف ذلك فقد خرجت عن القانون فتكون غير فصيحة . . .

والفصاحة في الكلام: خلوصه من ضعف التأليف، ويحصل هذا الخلوص بكون الكلام جاريّاً على القانون المشهور، وخلوصه من تنافر الكلمات وذلك بأن لا يثقل على السمع. وخلوصه من التعقيد، وذلك بأن لا يضعف فهم المعنى من الكلام بوجه يرجع إلى اللفظ، لا بوجه يرجع إلى المعنى. مثلاً، ضرب غلامه زيداً؟

والفصاحة الكائنة في المتكلم هي ملكة، وهي كيفية راسخة في النفس.
والمقصود بالملكة، صفة أو هيئة راسخة في النفس يقتدر بها على التعبير
المقصود بلفظ فصيح.

والكيفية عرض لا يتوقف تعقله على تعقل الغير، كالعلم بفن من
الفنون^(١).

والفصاحة في اصطلاح أهل المعاني، عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة،
المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء، لمكان
حسنها^(٢).

والفصاحة تورث الكلام حسناً إذ يسهل على اللسان النطق به لتألفه،
ويسهل على العقل فهمه لترتيب ألفاظه وفق ترتيب معانيه.

وإذا تساءلنا عن معيار الفصاحة في العصر الحديث، وجدنا أن المحدثين
لم يضيفوا، على ما نعلم، شيئاً على علوم الأقدمين.

والتطور في معاني الكلم نتج عن اقتحام المدينة الغربية لبلاد الشرق
واستعمارها، مما أكسب جموداً، وتوجيهاً خاطئاً مقصوداً. فبقدر ما نتمسك
بأصالة التراث، بقدر ما تتجلى الحقيقة لنا وللأجيال القادمة. ومن تخلى عن
تراثه لا أصل له.

فالفصاحة خير وسيلة للتعبير عن الحقيقة.

والبلاغة لغة: بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً. وصل وانتهى. والبلاغة:
الفصاحة: والبليغ: حسن الكلام، فصيح به بعبارة لسانه كُنْه ما في قلبه.
والجمع بُلْغَاء^(٣).

(١) «عقود الجمان في علم المعاني والبيان»: السيوطي ص ٤. ٧.
«شروح التلخيص»: التفتازاني مج ١ ص ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٨ - ٩٥ - ١١٧ -
١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١.

(٢) «جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع»: أحمد الهاشمي. ط ١٢. مؤسسة المعارف.
بيروت. ص ٥ - ٢٢.

(٣) «لسان العرب»: ابن منظور. مادة بلغ. مج ٨ ص ٤١٩ - ٤٢٠.

وفي الاصطلاح تكون وصفاً للكلام والمتكلم:

فالبلاغة في الكلام، مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته. والحال: هو الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص، ويختلف مقتضاه اختلاف مقامات الكلام. فمقام التنكير يخالف مقام التعريف...

ولكل كلمة، مع أخرى تصحبها في أصل المعنى، مقام.

فيوصف اللفظ بها باعتبار إفادته المعنى بالتركيب لا من حيث إنه لفظ وصوت، لأنه باعتبار ذلك لا يوصف بكونه مطابقاً أو غير مطابق ضرورة، فإن ذلك يتحقق عند تحقق المعاني والأغراض التي يصاغ لها الكلام.

وقد يسمى هذا الوصف فصاحة أيضاً كما يسمى بلاغة.

أما الفصاحة، بهذا الاعتبار، فهي صفات اللفظ دون المعنى قطعاً.

وللبلاغة حدان: أعلى، يخرج بارتقائه حداً يخرج عن طوق البشر وهو الإعجاز، وهو مُنْصَبٌ في كلامه تعالى، وما يقرب منه، هو كلام النبي ﷺ؛ وأسفل: هو ما لو غير الكلام عنه إلى ما دونه، التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، في خلوه عن الحُسن، وإن كان صحيح الإعراب. والبلاغة في المتكلم على نَسَقِ الفصاحة فيه، فيقال هي ملكة يُقْتَدِرُ بها على تأليف كلام بليغ.

فكل بليغ، كلاماً كان أو متكلماً، فصيح، لجعل الفصاحة شرطاً للبلاغة وليس كل فصيح بليغاً كلاماً كان أو متكلماً، لأن الفصيح قد يعرى عن المطابقة له. فالبلاغة مرجعها إلى التحرز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلا لأذاه بغير مطابقة، وإلى تمييز الفصيح من غيره وإلا لأُورِدَ المُطابِق بلفظ غير فصيح فلا يكون بليغاً.

بعضه يعرف من علم اللغة وهو الغرابة، وبعضه من علم الصرف أو التصريف وهو مخالفة القياس، وبعضه من علم النحو وهو ضعيف التأليف والتعقيد اللفظي، وبعضه يُدْرِك بالحس وهو التنافر.

لم يبق مما ترجع إليه البلاغة إلا الاحتراز عن الخطأ في التأدية، فَوُضِعَ له علم المعاني، وإلا، تمييز السالم من التعقيد المعنوي من غيره، فَوُضِعَ له علم البيان. ثم احتاجوا إلى معرفة توابعها، فَوُضِعَ له علم البديع^(١). وقد اختلف الناس في البلاغة والفصاحة من صفات اللفظ أو المعنى وهل هما مترادفان؟

قال حازم نقلاً عن أفلاطون: الفصاحة لا تكون إلا لموجود والبلاغة تكون لموجود ومفرد^(٢).

والفصاحة جزء من البلاغة، والكلام الفصيح يصف المفرد والكلام والمتكلم، بينما الكلام البليغ يصف الكلام والمتكلم فقط.

والجاحظ، في «البيان والتبيين» لم يحدد التعاريف البلاغية كما نفهمها اليوم، بل زرع في كتابه بذور العلوم البلاغية، التي نمت وازدهرت، بفضل عناية علمائنا بشرحها وتحديثها والتوسع بها، حتى كادوا لا يُغفلوا شيئاً منها.

٢ - مفهوم الجاحظ

* للأدب.

* والشعر.

* والبلاغة وعلومها.

خلق الله، سبحانه، الإنسان في أحسن تكوين، ووهبه نعمة العقل والنطق، ثم فَضَّلَهُ على سائر مخلوقاته، واختار له أنبياء، ليهدوه سبل الخير والصراط المستقيم الموصول إلى الحقيقة الأزلية. فرفه حسُّه ورقَّت مشاعره، وزاد تحسُّسه بحقيقة الوجود حتى أدرك أنه اجتماعي لا تتم سعادته وتتحقق آماله إلا مع أفراد جنسه.

(١) «عقود الجمان»: السيوطي. ص ٦ - ٧ - ٨ وحاشية ص ٢٨ - ٢٩ - ٣٠. «شرح التلخيص»:
التفتازاني مج ١ ص ١٢٢ - ١٣٢ - ١٣٤ - ١٣٧ - ١٤٠ - ١٤١.

(٢) «شرح التلخيص»: التفتازاني مج ١ ص ١٣٥.

ولأجل هذا وُجِدَتْ اللغة لتكون وسيلة تفاهم دائم وربط بين الإنسان وبني جنسه، فتوصل ما تجيش به النفس إلى الآخرين. من هنا كانت أهمية الكلام وصياغته.

ففي معنى الأدب جاء في «اللسان»: الأدب الذي يتأدّب به الأديب من الناس، سمي أدباً لأنه يأدّب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدُّعاء...

قال أبو زيد: أدّب الرجل يأدّب أدباً فهو أديب. وأدّبه فتأدّب: أي علّمه. واستعمله الزّجاج في الله عز وجل فقال: وهذا ما أدّب الله تعالى به نبيه ﷺ^(١).

ويقول ابن خلدون في علم الأدب: وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومفاهيمهم... وإذا أرادوا حدّ هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف^(٢).

ويقول طه حسين: إن الأدب في جوهره إنما هو ماثور الكلام نظماً ونثراً، وإن هذا الكلام الماثور لا يستطيع أن ينهض الأديب بفهمه وذوقه إلا إذا اعتمد على ثقافة قوية وعلى طائفة من العلوم الإضافية لا بد منها^(٣)....

ويعرّفه الدكتور درويش: بأنه ذلك الفن الرفيع من القول، الذي يصدر جماله عن طبع الشاعر والكاتب والخطيب، في القصيدة التي ينظمها، والكلمة التي يرسلها، والخطبة التي يرددها، فتقع على مواضع الحسن من النفس، فتثيرها حماسة ونجدة^(٤).

ونخلص إلى القول في تعريف جوهر الأدب:

-
- (١) «لسان العرب»: ابن منظور. مادة أدب مج ١ ص ٢٠٦-٢٠٧.
(٢) «مقدمة ابن خلدون»: تحق حجر عاصي. ص ٣٤٣.
(٣) «الأدب والنقد»: المجموعة الكاملة. طه حسين مج ٥ ص ٣٣.
(٤) «في النقد الأدبي عند العرب»: د. محمد طاهر درويش. ص ١٣.

إنه فيض النفس عن مكنوناتها، بلغة متمكنة جميلة. وكيفما عرّفنا الأدب وجدنا الجاحظ في كل لون من ألوانه، وفي كل مذهب من مذاهبه أدبياً عملاقاً.

لقد حمل لواء النثر الفني والبيان العربي في العصر العباسي، ولا شك في أنه استفاد كثيراً من العلماء الذين سبقوه أو عاصروه.

وكانت طريقته في الكتابة تشبه طريقة ابن المقفع من حيث سهولة العبارة والجزالة التي يصعب تقليدها.

قال الدكتور جبر: وفضلاً عن دراسته الدقيقة لمجتمعه، تناول أدبه الشعوب: كالأتراك والزنوج والهنود والفرس والعرب، فمهد بذلك السبيل لابن خلدون في وضع أسس علم الاجتماع الحديث^(١).

وتكفي شهادة ابن خلدون بكتاب «البيان والتبيين» بأنه ركن وأصل في فن الأدب^(٢).

أما الشُّعر - بكسر الشين وسكون العين - فهو الكلام الموزون المقفى كما في المنتخب وعند أهل العربية.

وهو الكلام الموزون المقفى الذي قصد إلى وزنه وتقفيته قصداً أولاً، والمتكلم بهذا الكلام يسمى شاعراً... .

فإن الشاعر يكون المعنى منه تابعاً للفظ لأنه يقصد لفظاً يصح به وزن الشعر أو قافيته فيحتاج إلى التخيل لمعنى يأتي به لأجل ذلك اللفظ... .

فالشعر ما قصد أولاً وبالذات، ثم يتكلم به مراعيّاً جانب الوزن فيتبعه المعنى^(٣)...

(١) «الجاحظ»: جبر - ص ١٣٥ - ١٣٩.

(٢) «مقدمة ابن خلدون»: تحق حجر عاصي. ص ٣٤٣.

(٣) «كشاف اصطلاحات الفنون»: محمد علي التهانوي. تحق د. لطفي عبد البديع حسنين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٧. ص ١٠٨ - ١٠٩.

وقال ابن خلدون: وقول العروضيين في حده (أي الشعر) إنه الكلام الموزون المقفى ليس بحد لهذا الشعر الذي نحن بصدده ولا رسم له. وصناعتهم إنما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة. فلا جرم أن حَدَّهم لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية.

فنقول: الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن الروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به^(١).

وانتقد أحمد أمين هذا التعريف بقوله: عيب هذا التعريف، أنه لم يلتفت إلى أكبر ميزة للشعر، وأحد أركانه وهو إثارة الشعور، فعني بالشكل فقط من بنائه على الاستعارة والأوصاف، وكان خيراً منه أن يقول:

إنه المبني على الخيال المثير للعاطفة^(٢).

وقبل أن يعرف طه حسين الشعر استعرض الآراء حول معانيه فقال: والناس يختلفون في معنى الشعر اختلافاً بيناً، فمنهم من يرى أنه الكلام الذي يعتمد فيه صاحبه على الخيال، ويقصد فيه إلى هذا الجمال الفني، فهو لا يرى منظومات النحو والصرف شعراً وإن نظمت في الوزن والقافية.

وآخرون يتحللون من بعض هذه القيود دون بعضها الآخر، متأثرين في ذلك بتطور الشعر عند بعض الأمم الأجنبية، كأن يتحللوا من القافية مثلاً، ويكتفوا بالوزن. وقد لا يتفقون فيما بينهم على مقدار التحلل من القافية، فبعضهم يريد إلغائها، وبعضهم الآخر يرى الاكتفاء منها بالمقدار اليسير، وربما لم يتفقوا في مقدار التزام الوزن نفسه، فمال بعضهم إلى التزام البحر الواحد في

(١) «مقدمة ابن خلدون»: تحق حجر عاصي. ص ٣٥٥.

(٢) «النقد الأدبي»: أحمد أمين مج ١ ص ٧٩.

القصيدة الواحدة، ومال بعضهم الآخر إلى الافتتان في هذه البحور فخلط ببحراً
ببحر من البحور التي عرفها العروضيون، وربما أضاف إلى هذه البحور ما لم
يكن للعروضيين به عهد من قبل . . .

ثم قال: إنه الكلام المقيد بالوزن والقافية، والذي يُقصد به إلى الجمال
الفني^(١). والشعر العربي في عصر الجاحظ، كان قد بلغ، على يدي المولدين
غاية نهضته وازدهاره، فتعددت مدارس، وكثر نقاده، وتباينت مذاهب رواته
وعلمائه، فنبغ أعلام، واحتفت جميع البيئات بالشعر والشعراء، وظهر التجديد
الشعري في رقة العبارة والتفنن في المعاني.

دعا الجاحظ الشعراء، وكذلك فعل النقاد، إلى الطلاوة والعدوة
والسهولة والفصاحة والركة والوضوح في أشعارهم، وأصبحت القصيدة العربية
ذات وحدة موضوعية بيّنة، واستحكمت القصائد وتضمنت أغراضاً جديدة
استدعتها البيئة والحياة الجديدتان.

ثم انغمس أبو عثمان في الحديث عن الشعر والشعراء، حتى نطق
بالشعر. مما دفع الدكتور الخفاجي للقول: «يَصِحُّ أن نطلق عليه (على الجاحظ)
لقب شاعر»^(٢) لقد بالغ الدكتور بهذه التسمية وعذره المحبة.

صحيح أن ياقوت أثبت للجاحظ شعراً في معجمه، كمدح الجاحظ لابن
أبي دؤاد:

إِنْ حَالَ لَوْنُ الرَّأْسِ عَنْ لَوْنِهِ ففِي خَضَابِ الرَّأْسِ مُسْتَمْتَعٌ
هَبْ مَنْ لَهُ شَيْبٌ لَهُ حِيلَةٌ فما الذي يَحْتَالُهُ الْأَضْلَعُ؟^(٣)
لكن هذا الشعر فرضته الظروف وإظهار المقدرة. وليس شرطاً أن نطلق
لقب «الشاعر» على كل من قال شيئاً من الشعر.

(١) «الأدب والنقد»: المجموعة الكاملة. طه حسين. مج ٥ ص ٣١١-٢١٢-٢١٤-٣١٥.

(٢) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي. ص ٢١٥-٣١٦.

(٣) «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ٨٩.

يقول الهمداني: غُنيَ الجاحظ بالشر وحاول التفوق بالشعر، لكنه كان مشغولاً عنه فلم ينل ما أمل^(١).

وأورد ابن رشيقي في «العُمدة» تحت عنوان «علم الشعر» قوله:
وقال الجاحظ: طلبت الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه،
فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة
فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما
أردت إلا عند أدباء الكتاب: كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك
الزيات^(٢).

ومهما يكن، فإن الجاحظ إن لم يبرع في قول الشعر، فقد برع في تذوقه
ونقده له.

وكان يرى أن ترجمة الشعر تفسد بلاغته، فمتى حوّل الشعر تقطع نظمه
وبطل، وذهب حسنه، وصار كالكلام المنثور.

قال: «وفضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب،
والشعر لا يستطيع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوّل تقطع نظمه،
وبطل وزنه، وذهب حسنه، وسقط موضع العجب، لا كالكلام المنثور والكلام
المنثور المبتدأ على ذلك، أحسن وأوقع من المنثور الذي تحوّل من موزون
الشعر»^(٣).

وللجاحظ آراء نقدية في الشعر، وكان مُغرماً بالعروض.

قال الجاحظ: وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج،
فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على
اللسان كما يجري الدهان^(٤).

(١) «مقامات الهمداني»: ص ٧٥ - ٧٧.

(٢) «العُمدة»: ابن رشيقي مج ٢ ص ١٠٥.

(٣) «الحيوان»: تحقق هارون مج ١ ص ٧٤ - ٧٥.

(٤) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٦٧.

كان الجاحظ يُدقق النظر، كناقذ، في الشاعر، ينظر إلى لفظه وغرضه ومعناه، ويحلل الطبع ويشيد بالمطبوعين كما يذم المتكلفين^(١). ويشير إلى السرقات الشعرية قائلاً: «ولا يُعلم في الأرض شاعرٌ تقدم في تشبيه مصيب تام، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مُخترع، إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكاً فيه، كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحدٌ منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه. أو لعله أن يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط، وقال إنه إذا خطر على بالي من غير سماع، كما خطر على بال الأول... ما عدا عترة الذي أجاد في وصف الذباب فتحامى معناه جميع الشعراء»^(٢).

كما أطلق آراءه في موازنات أدبية كثيرة، يحكم من خلالها على الشعراء أحكاماً نقدية أصيلة، فينقد أبا العتاهية والكميت وسواهما^(٣):

ولو كان الكميت لم يقل فيه [أي النبي ﷺ] إلا مثل قوله:
وبورك قَبْرُ أُنْتَ فيه وبوركث به، وله أهلٌ بذلك يَثْرِبُ
لقد غَيَّبُوا بَرّاً وَحَزْماً ونائلاً عَشِيَّةً وَاَرَاكَ الصَّفِيحُ المنصَّبُ
فلو كان لم يمدحه عليه السلام - إلا بهذه الأشعار التي لا تصلح في عامة العرب، لما كان ذلك بالمحمود، فكيف مع الذي حَكَيْنَا قبل هذا^(٤)؟.

كما يعرض الجاحظ لمناهج الرواة، وهم من الطبقات التي عملت في ميدان النقد فيقول: والقضية التي لا أحتشم فيها، ولا أهاب الخصومة منها، أن عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب، أشعرُ من عامة شعراء

(١) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٥٠ و ٥٧.

(٢) «الحيوان»: تحق هارون مج ٣ ص ٣١١ و ٣١٢.

(٣) «أبو عثمان الجاحظ»: د. خفاجي ص ٢٣٧.

(٤) «الحيوان»: تحق هارون مج ٥ ص ١٦٩ و ١٧١.

الأمصار والقُرى، ومن المولدة (أي المولدين) والنابتة. وليس ذلك بواجبٍ لهم في كل ما قالوه. وقد رأيت أناساً منهم يهرجون أشعار المولدين، ويستسقطون مَنْ رواها. ولم أر ذلك قط إلا في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروي. ولو كان له بصيرٌ لعرف موضع الجيد مئن كان، وفي أي زمان كان^(١).

ويزري الجاحظ بهذا التعصب وييدي رأيه بصراحة الباحث الأديب الناقد: وفي الشعراء من لا يستطيع مجاوزة القصيد إلى الرجز، ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرجز إلى القصيد ومنهم من يجمعهما^(٢)...

ولا يخفي إعجابه ببشار بن برد وأبي نواس:

..... ومع هذا فإننا لا نعرف بعد بشار أشعر منه^(٣). ويعني أبا نواس. ويقول عن المولّد: إن الفرق بين المولّد والأعرابي: أن المولّد يقول بنشاطه وجمع باله، الأبيات اللاحقة بأشعار أهل البدو، فإذا أمعن انحلت قوّته، واضطرب كلامه^(٤).

يعني أن الأعرابي جلود نشط.

اصطلاح البلاغة - النشأة والتطور

إن نشوء هذا المصطلح وتطوره في العصر الأموي جاء بمساهمة من ضُحار العبدي^(٥)، في وضع أول لبنة في اصطلاح البلاغة عندما سأله معاوية: ما تُعدّون البلاغة فيكم؟ فقال: أن تجيبَ فلا تبطيء (بمعنى أن لا تطيل) وتقول

(١) «الحيوان»: تحقّ هارون مج ٣ ص ١٣٠.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ٢٠٩.

(٣) «الحيوان»: تحقّ هارون مج ٤ ص ٤٥٦.

(٤) نفسه مج ٣ ص ١٣٢.

(٥) هو ضُحار بن العباس العبدي، أبو عبد الرحمن، سكن البصرة ومات فيها، له أخبار جُسان، وكان بليغاً مَقْرُهاً.

مزيد من أخباره في «الإصابة»: في تمييز الصحابة: العسقلاني مج ٢ ص ١٧٠ رقم ٤٠٤١.

فلا تُخطيء^(١). كما ساهم شبيب بن شيبه^(٢) عندما لفت الانتباه إلى ضرورة جودة الابتداء وجودة القطع.

كذلك وضع أبو الأسود الدؤلي^(٣) لِبَنَّةً أخرى، عندما عاب التقعر والإفراط في الغرابة.

وفي العصر العباسي أرسى ابن المقفع^(٤) ركائز بلاغية فأعاد تأكيد مسألة الإيجاز، وأضاف المساواة، كما لَفَّت إلى ضرورة أن يكون في فاتحة الكلام ما يشير إلى غرضه^(٥).

ونسوق بعضاً مما قاله الأقدمون البُلغاء في تعريف البلاغة، قبل الجاحظ:
قال خلف الأحمر^(٦): البلاغة لمحة دالة^(٧).

وقال الخليل^(٨): البلاغة ما قَرَّبَ طرفاه وَبَعَدَ منتهاه^(٩).

-
- (١) «البيان والبيان»: تحق هارون مج ١ ص ٩٦.
- (٢) شبيب بن شيبه ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م. ابن عبد الله التميمي المنقري الأهمي، أبو معمر، أديب الملوك، وجليس الفقراء، وآخر المساكين من أهل البصرة. «الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ١٥٦.
- (٣) هو ظالم بن عمرو (١ق.هـ / ٦٠٥ - ٦٨٨م) الدؤلي الكثاني. واضع علم النحو، أبو عثمان، كان بليغاً فقيهاً شاعراً فارساً سريع البديهة من التابعين المحدثين. سكن البصرة في أيام عمر وتولى إمارتها أيام علي. وكان من البخلاء والمفاليح والعرج. مات بالبصرة. «الشعر والشعراء»: ابن قتيبة. ص ١٧١. «البرصان والعرجان والعميان والحولان» للجاحظ تحق هارون منشورات وزارة الثقافة والاعلام. الجمهورية العراقية. دار الرشيد بغداد ١٩٨٢. دار الطليعة بيروت ص ٤٦١.
- (٤) انظر ص ١٢٧ من هذا الكتاب.
- (٥) «مجلة الفكر العربي»: د. أحمد أبو محلم. العدد ٤٦. السنة الثامنة ص ١٥٥ - ١٥٦.
- (٦) خلف الأحمر: ت ١٨٠هـ / ٧٩٦م. هو خلف بن حيان بن محرز البصري، أبو محرز أحد الرواة للغريب واللغة والشعر. تتلمذ أبو نواس على يده.
- (٧) «الفهرست»: لابن النديم ص ٧٤ «معجم المؤلفين»: كحالة مج ٤ ص ١٠٤.
- (٨) «العمدة»: ابن رشيقي القيرواني مج ١ ص ٢٤٢.
- (٩) الخليل بن أحمد: (١٠٠ - ١٧٠هـ / ٧١٨ - ٧٨٦م) الفراهيدي، الأزدي، اليحمدي، البصري، أبو عبد الرحمن. نحو لغوي، أول من استخرج العروض وحصن به أشعار العرب، توفي بالبصرة. «الفهرست»: لابن النديم ص ٦٣ - ٦٤ «الكامل في التاريخ»: لابن الأثير مج ٦ ص ١٧.
- «معجم المؤلفين»: كحالة مج ٤ ص ١١٢.
- (٩) «العمدة»: لابن رشيقي مج ١ ص ٢٤٥.

وقال الضبي^(١): هي الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل^(٢).

فما هو مفهوم الجاحظ للبلاغة العربية وعلومها؟

ترتبط البلاغة العربية عند ذكرها، في الأذهان، بعلومها الثلاثة المعروفة:

علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع.

وقد يتبادر إلى بعض الأذهان أنَّ كلا من هذه العلوم نشأ مُنفصلاً عن غيره من العلمين الآخرين.

والحقيقة أن البلاغة العربية مرت بتطورات ومراحل عديدة، حتى انتهت إلى ما هي عليه. والذي يعنينا من هذه التطورات، حقبة العصر العباسي، حيث شب الجاحظ، وترعرع. فإننا نجد بعضاً من الملاحظات البلاغية، ومحاولات أولية لتدوينها.

و«البيان والتبيين» حفظ لنا قدراً كبيراً من ملاحظات المعتزلة المتصلة بالبلاغة العربية، مستفيدين من التقاليد العربية وما شاع من علوم في ذلك العصر.

«وأول معتزلي خطأ خطوة ملحوظة في هذا السبيل هو رئيس المعتزلة ببغداد بشر بن المعتمر، عنه نقل الجاحظ ودَوَّن ملاحظاته الدقيقة في البلاغة»^(٣).

وقول الدكتور عتيق يدعونا للتساؤل!

(١) الْمُفَضَّلُ الضَّبِّي: (ت ١٦٨هـ / ٧٨٤م). أبو العباس، أديب، نحوي، لغوي، عالم بالشعر وبآيام العرب، من أهل الكوفة. لزم المهدي وعمل له المفضليات.

«الفهرست»: لابن النديم ص ١٠٢ «لسان الميزان»: العسقلاني مج ١ ص ٨١.

«معجم المؤلفين»: كحالة مج ١٢ ص ٣١٦.

(٢) «العمدة»: لابن رشيقي مج ١ ص ٢٤٢.

وتجد عنه التفتازاني أكثر من ثلاثين تعريفاً.

«شروح التلخيص»: التفتازاني مج ١ ص ١٢٢ - ١٣٢.

(٣) «علم البيان»: د. عبد العزيز عتيق. ط ٣. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٠. ص ٧ و ١٠.

هَلْ يُعَدُّ الجاحظ مؤسس البلاغة العربية كما هو شائع في كتب الباحثين؟
أم أول مدوّن لها؟

ومن خلال التأمل في كتاب «البيان والتبيين» نرى، لصحيفة بشر بن المعتمر، التي أثبتّها الجاحظ في كتابه، أهمية كبرى في تاريخ البلاغة العربية عامة، وفي نفس الجاحظ خاصة.

فمن الواضح أنه تأثر بمضمونها، بما فيها من أدب وبلاغة، كما تأثر بغيرها من أقوال وآراء سبقته، لذلك نعتبره أول مدوّن للبلاغة العربية، لأنه توسّع في دراسة هذا العلم وأضاف إليه ما عنّ له من أفكار وتطلعات.

أما مَنْ هو المؤسس الحقيقي للبلاغة العربية؟ فالجواب عسير في هذا المقام لافتقارنا إلى الوثائق.

وقضايا البلاغة في «البيان والتبيين» ماثوثة في طياته ولا تستخلص إلا بالتأمل الواعي.

وهكذا شاء لها الجاحظ أن تكون.

وكان الجاحظ، في «البيان والتبيين» يُحْمَلُ لَفْظُ البلاغة غير معنى، فمرة يأتي بمعنى الخطابة، ومرة بمعنى العي. كقول الشاعر:

جَمَعْتَ صُنُوفَ الْعِي مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَكُنْتَ جَدِيراً بِالْبَلَاغَةِ مِنْ كَثَبِ
أَبُوكَ مُعِمْ فِي الْكَلَامِ وَمُخَوِّلٌ وَخَالِكٌ وَثَابُ الْجَرَائِمِ فِي الْخُطَبِ^(١)
ففي البيت الأول نرى العي مرادفاً للبلاغة.

وفي الثاني نرى المقصود بالعي، أي البلاغة، الخطابة.

كذلك اتصلت البلاغة عنده باللسان والقلم، في قول بشر بن المعتمر:
«فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك واقتدارك

(١) «البيان والتبيين»: مج ١ ص ٥ و ٦.

«الحيوان»: ج ١ ص ٢١٤.

على نفسك، إلى أن تُفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلتطف عن الدّهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام^(١).

والمُتَصَفِّحُ لِكِتَابِ «البيان والتبيين». يجدُ تعريفات عديدة للبلاغة غير أن الجاحظ استحسّن هذا التعريف:

«وقال بعضهم: وهو أحسن ما اجتبيناه ودوّناه...»

لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة، حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك^(٢).

وتفضيل الجاحظ لهذا التعريف مرجعه الاتفاق مع مذهبه، الذي يدعو فيه إلى التجويد اللفظي وحسن الصياغة مع تحري المعاني الشريفة.

يقول الدكتور عتيق: وبشيء من التحديد في قضايا البلاغة نرى الجاحظ يقرر في مناسبات عديدة أن حسن البيان يتطلب إعطاء الحروف حقها من الفصاحة وسلامة الإخراج، إذ على مقدار سلامة النطق وفصاحته تكون درجة الإبانة أو البيان^(٣).

... لأن مدار الأمر على البيان والتبيين، وعلى الإفهام والتفهم، وكلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد. والمُفْهِمُ لك والمُتَفَهِّمُ عنك شريكان في الفضل، إلا أن المُفْهِمُ أفضل من المتفهم^(٤).

لذلك خرج، أبو عثمان، بنتيجة ارتاحت إليها نفسه وسكنت، وهي: تناسب الألفاظ مع الأغراض، أو كما اشتهرت وعمّت. بمطابقة الكلام لمقتضى الحال. وهي أصل من الأصول البلاغية.

يقول الجاحظ: «ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع

(١) «البيان والتبيين»: مج ١ ص ١٣٦.

(٢) نفسه مج ١ ص ١١٥.

(٣) «في تاريخ البلاغة العربية»: د. عتيق. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٠ ص ٧٠.

(٤) «البيان والتبيين»: مج ١ ص ١١.

من المعاني نوع من الأسماء: فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال. وإذا كان موضع الحديث على أنه مضحك ومُلهٍ، وداخل في باب المزاح والطَّيِّب، فاستعملت فيه الإعراب، انقلب عن جهته. وإن كان في لفظه سُخْف وأبدلت السخافة بالجزالة، صار الحديث الذي وُضع على أن يَسُرَّ النفوس يُكْرِهُها ويأخذُ بِأَكْظَامِهَا^(١).

وقال في موضع آخر: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة في ذلك كلاماً، لكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»^(٢).

وعرض الجاحظ قضية اللفظ والمعنى، عرضاً رصيناً، في جوانب مختلفة ومتعددة قرر فيها أن أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه . . .

فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع، بعيداً عن الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف، صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة^(٣).

وأجمل تعمق في هذا الموضع قوله: «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعةٌ، وضربٌ من النسيج، وجنس من التصوير»^(٤).

(١) الأكظام جمع كظم (بالتحريك) وهو مخرج النفس . . . «الحيوان»: مج ٣ ص ٣٩.

(٢) «البيان والتبيين»: مج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) «البيان والتبيين»: مج ١ ص ٨٣.

(٤) «الحيوان»: مج ٣ ص ١٣١ - ١٣٢.

فلا ينبغي أن يُفهم، أنَّ الجاحظ ينكر المعنى ويُهملُه، بل يرى إطاره الأسلوب المحكم القوي، الذي يشير إلى ألوان المعاني العجيبة، البديعة المخترعة. هذه المعاني يتنازعها الشعراء، كلُّ يدَّعي أنَّها من بنات أفكاره.

وقد اهتدى عند معالجته قضية اللفظ والمعنى إلى حقيقة هامة لها أثرها العميق في البلاغة والنقد الأدبي، هي أن لكل أديب معجمه اللغوي الخاص. قال: «لِكُلِّ قوم ألفاظ حظيت عندهم، كذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام مشور، وكل شاعر وصاحب كلام موزون، فلا بُدَّ من أن يكونَ قد لهج وألف ألفاظاً بأعينها، ليديرها في كلامه وإن كان واسع العلم غزير المعاني، كثير اللفظ»^(١).

وهل هناك أغزر من ألفاظ أبي عثمان وأعمق من معانيه في تقييمه للفظية، حيث إنَّ لكل لفظة دلالتها الخاصة، وليس هناك من لفظة تساوي لفظة أخرى مساواة تامة في دلالتها ومعانيها؟

وفي ذلك يقول الدكتور عتيق:

فليس هناك في رأي الجاحظ ألفاظ مترادفة تتساوى مساواة تامة في الدلالة، وإنما الألفاظ إذا كانت من واد واحد فإن كلاً منها يدل على ظل من ظلال المعنى، كألفاظ الشجاع والبطل والبهمة والألس، فإنها ظلال متدرجة لمعنى الشجاعة من بدايتها إلى غايتها^(٢).

فبالرغم من أن الجاحظ يشيد باللفظ، لكنه لا يقدمه على المعنى. لذلك كان يوافق العتّابي القول:

«إنها، تحل من الألفاظ محل الروح من البدن»^(٣).

فالبلاغة عنده إذاً هي المزوجة بين اللفظ والمعنى، المُتمثلة بالأسلوب

(١) «الحيوان»: الجاحظ نفسه مج ٢ ص ٣٦٦.

(٢) «في تاريخ البلاغة العربية»: د. عتيق. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٠ ص ٨٢. والألس: الجنون.

(٣) «المبرِّج نفسه»: ص ٨٣.

المحكم القوي، أو في نظم الألفاظ، وعلينا أن نشير إلى مفهوم النظم عند الجاحظ في هذا المقام، فهو يعني التأليف والإنشاء، جاعلاً له أصنافاً من القصيد والرجز والمزدوج والمجانس والأسجاع والمثور. ونؤوّه بأن القرآن الكريم نظم مُعْجَز. قال:

«وفي كتابنا المُنَزَّل الذي يدلنا على أنه صدق، نَظْمُه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد»^(١).

وقناعته بأن البلاغة هي في النظم، دعتة إلى تأليف كتاب أسماه «نظم القرآن» أوضح فيه نظريته القائلة بأن إعجاز القرآن هو في نظمه وتأليفه، ولا يسعنا الاستفادة من كتابه لأنه ضاع في جملة ما ضاع من مصنفاته.

وكان الجاحظ يملّي على الأدباء نصائح تفيدهم، فتحسُّ أنك أمام معلّم يقوم الأقلام ويشحذ التفكير.

يقول محمد كردعلي: الجاحظ لا يرى للكاتب أن يستعمل من الألفاظ إلا ما تفهمه العامة، والكاتب يكتب لِيُفْهَمَ لا لِيُعْجَمَ، ويتوخى المعاني الجديدة، التي تصلح فساد القلوب، وتعمربها الأفئدة والعقول^(٢).

وقد أتى البيان عنده، بمعنى الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي. قال: «هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه، ويدعو إليه ويحث عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم»^(٣).

فالبيان عنده حُسْنُ ذوق، ومتانة أسلوب، ومقدرة لغوية وإيضاح سهل. «ومدار الأمر على إفهام كل قوم مقدار طاقاتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم»^(٤).

(١) «الحيوان»: مج ٤ ص ٩٠.

(٢) «أمراء البيان»: محمد كردعلي مج ٢ ص ٣٣٧ - ٣٤٨.

(٣) «البيان والتبيين»: مج ١ ص ٧٥.

(٤) نفسه مج ١ ص ٩٣.

وفي معرض حديثه عن البيان، ذكر قضايا خارجة عن مباحثه بالمفهوم الاصطلاحي المتأخر، فقد استهجن اللفظ الغريب الوعر المعقّد، ودعا إلى وجوب التناسب بين اللفظ والمعنى^(١).

وقد قسّم البيان إلى خمسة أقسام: «أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى النُصبة»^(٢).

وفي رده على مزاعم الملاحدة الناشئة، من عجزهم عن إدراك صور البيان في بعض الآيات القرآنية الكريمة وأسرارها البلاغية، ينعى عليهم نقص معرفتهم بأساليب القول ويدعو كل من يبغى الإلمام بمعاني القرآن والسُّنة النبوية الشريفة أن يُحَسِّنَ فَهْمَ أسرار العربية ودلالات ألفاظها وأساليبها^(٣).

وعرّف الحقيقة والمجاز فقال: «الحقيقة تعني استعمال اللفظ فيما وضع له أصلاً، والمجاز يعني استعمال اللفظ في غير ما هو موضوع له، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي»^(٤).

فالمجاز عنده يقابل الحقيقة، كما أن الاستعارة عنده هي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه^(٥).

والمثل عند الجاحظ يأتي بمعنى المجاز المقابل للحقيقة، كما في قوله عن نار الحرب:

وناراه: نَارُ كُلِّ مُدْفِعٍ وَأُخْرَى يَصِيبُ الْمَجْرِمِينَ سَعِيرَهَا^(٦)
إنها نار على طريق المثل لا على طريق الحقيقة، ويأتي أيضاً بمعنى التشبيه^(٧).

(١) «البيان والتبيين»: مج ١ ص ١٣٦.

(٢) نفسه: مج ١ ص ٧٦.

(٣) «الحيوان»: مج ١ ص ١٥٣ - ١٥٤. و«في تاريخ البلاغة العربية»: د. عتيق ص ٩٤.

(٤) «الحيوان»: مج ٥ ص ٥.

(٥) نفسه مج ٢ ص ٢٨١. «البيان والتبيين»: مج ١ ص ١٥٣.

(٦) «الحيوان»: مج ٥ ص ١٣٣.

(٧) نفسه: مج ٧ ص ٢٥ وج ٤ ص ٣٢٢.

وكثيراً ما استعمل المثل بمعنى القول السائر من كلام العرب نثراً وشعراً.
أما الكناية فقد استخدمها بمعناها المعروفة، وهو التعبير عن المعنى
تلميحاً لا تصريحاً وإفصاحاً، كلما اقتضى الحال ذلك^(١).

والإيجاز عنده: الجمع بين المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة^(٢). ولم يُعرّف
بكل أقسامه، بل تعرّض للبديع وقضاياها، فرأيناه يُقدّم بشاراً والراعي في هذا
الفن، ويرى العتابي يذهب في شعره في البديع مذهب بشار^(٣).

كما أورد آراء مختلفة بفن السجع^(٤)، وبأسلوب الحكيم الذي هو من
البديع، وأفرد له باباً خاصاً في «البيان والتبيين»^(٥)، وأطلق عليه اسم: اللّغز في
الجواب. قاصداً به، تلقّي المخاطب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن
سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارة إلى أنّه كان
ينبغي أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى.

وكان العرب يستعملون هذا الأسلوب للتظرف. أو التخلص من إخراج
السائل أو تقديم الأهم أو التهكم.

كذلك أشار الجاحظ إلى اقتباس الخطباء من أي الذكر الحكيم^(٦)
والتقسيم، عند إيراد قول عبدة بن الطيّب^(٧).

(١) «البيان والتبيين»: مج ١ ص ٨٨.

(٢) «الحيوان»: مج ٣ ص ٨٦.

(٣) «البيان والتبيين»: مج ٤ ص ٥٥ - ٥٦.

(٤) نفسه مج ١ ص ٢٨٧ - ٢٩٠.

(٥) نفسه مج ٢ ص ١٤٧ - ١٥١.

(٦) «البيان والتبيين»: مج ١ ص ١١٨ وج ٢ ص ٦٠.

(٧) عبدة بن الطيّب: (ت ٢٥٥هـ / ٦٤٥م). من تميم، شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام
وكان أسود شجاعاً شهد الفتوح قاتل الفرس مع المثنى بن حارثة والنعمان بن مقرن بالمدائن
ويقال إن في مريثته أرثى بيت شعر قالته العرب وهو:

وما كان قيسٌ هلكهُ هلكٌ واحدٌ ولكنّه بنيان قوم تَهْدُما

ذكر في «الإصابة»: باسم عبدة بن الطيّب. مج ٣ ص ١٠٠ رقم ٦٣٩٢.

«الشعر والشعراء»: لابن قتيبة ص ١٧١. «الأعلام»: الزركلي مج ٤ ص ١٧٢.

والمرء ساعٍ لأمرٍ ليس يُدركُهُ والعيشُ شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلٌ^(١)
وقَطِنَ الجاحظ إلى ما سماه البلاغيون بعده بالاحتباس، وكان قد أطلق
عليه اسم «إصابة المقدار». فأفرد له باباً خاصاً في «البيان والتبيين»^(٢).
ولم يَسْهُ عن المزدوج الذي هو ضَرْبٌ من السَّجْعِ فَأُعْجِبَ به وأفردَ له باباً
خاصاً به أيضاً^(٣).

ومن الفنون البديعية التي تعرّض لها الجاحظ، الهزل الذي يُراد به الجد
وهو أن يقصد المتكلم المدح أو الذم فتخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل
والمجون اللائق بالحال.

ومن القضايا التي عني بها والتي تدخل في باب النقد الأدبي أكثر من باب
البلاغة، قضية السرقات الشعرية.
فقد كان رائداً في لفت النظر إليها.

وجملة القول إن الرجل معلم فذ، وقمّة شاهقة في تاريخ البلاغة العربية.
وعمله في «البيان» يمثل خلاصة المعارف البلاغية.

لقد أثرى البيان العربي، وانتقل به إلى مراتب رفيعة. فأثر تأثيراً واضحاً
على معاصريه وعلى من جاء بعده، بل تجاوز هذا التأثير للاعتراف به كمرجع
أصيل في البلاغة، يغترف منها الباحثون عند تطرقهم إلى موضوعها.

ولا يجوز الحكم عليه بمقاييس العصر الحديث، ففيه كثير من الإجحاف
والظلم. وكفى به فخراً أنه أول الدارسين الحقيقيين للبلاغة العربية.

(١) الحيوان: ج ٤ ص ٢٦.

(٢) «البيان والتبيين»: ج ١ ص ٢٢٧.

(٣) نفسه مج ٢ ص ١١٦.

الباب الثاني

الشعر والبلاغة في «البيان والتبيين»

الفصل الأول: الشعر وعيوب اللفظ

- ١ - الصمت في الشعر.
- ٢ - الجي والخضر في الشعر.
- ٣ - اللثغة في الشعر.
- ٤ - الشعر والحن.
- ٥ - الشعر واللكنة.

الفصل الثاني: الشعر وعلم المعاني

- ١ - تمهيد. في نشأة وتطور البلاغة العربية مع التعريف بعلم المعاني.
- ٢ - الإيجاز والإطناب والمساواة في الشعر.
 - أ - الإيجاز في الشعر.
 - ب - الإطناب في الشعر.
 - ج - المساواة في الشعر
- ٣ - الشعر وبقية أركان علم المعاني.

الفصل الثالث: الشعر وعلم البيان

- ١ - التشبيه.
- ٢ - المجاز.
- ٢ - الاستعارة.
- ٣ - الكناية.

الفصل الرابع: الشعر وعلم البديع

- ١ - الشجع.

- ٢ - أسلوب الحكيم.
- ٣ - المذهب الكلامي.
- ٤ - الاقتباس.
- ٥ - التقسيم.
- ٦ - الاحتراس.
- ٧ - المزدوج.
- ٨ - الهزل يراد به الجد.
- ٩ - السرقات الشعرية.

الفصل الخامس: الشعر وبعض غايات الجاحظ الأخرى

- ١ - الخطابة.
- ٢ - المخاصرة والعصبي.
- ٣ - الرسائل.
- ٤ - الزهد والتشك.
- ٥ - الدعاء.
- ٦ - النعال.
- ٧ - التوكي والتحفى.
- ٨ - المجانين.

الفصل السادس: الشعر والشعراء في «البيان والتبيين».

الخاتمة

الفصل الأول

الشعر وعيوب اللفظ

الشعر وعيوب اللفظ

نظرٌ ثاقب، وحس مرهف، وتفكير دائب، وعلم منطقي مُلزم، صادر عن توازن عقلي مشهود، تدعمه ذاكرة عجيبة أفرغت من جعبتها ما ينوف على ثلاثة آلاف وأربعمائة بيت من الشعر، غير الأرجاز وأنصاف الأبيات، في مؤلف واحد.

سَطَرَ الجاحظ كل هذا المزيج الرائع، مع شواهد الشعرية، في كتاب البيان والتبيين. ومن رِقَّة إحساس هذا الرجل، تصديره الكتاب بدعاء عميق شامل، بعد البسملة، يتعوذ فيه من فِتْنِ القول والعمل، والوقوع في الخطأ والزلل، كما يتعوذ من التكلف بالشيء الذي لا يحسنه، ومن عُجْبٍ ما يحسنه، ويتعوذ من البذاءة وفضول الكلام وفقدان الإنسان الإفصاح عما تُحسُّ به النفس، فيحاول التعبير فيمنعه انعقاد لسانه.

كل هذه الأعراض التي يصادفها كثير من الناس في مراحل حياتهم شملها الجاحظ في دعاء قال فيه: «اللهم إنا نعوذُ بِكَ^(١) من فتنة القول، كما نعوذُ بِكَ

(١) عاذ به يعوذ عَوْذًا وعيَاذًا: لاذ به ولجأ إليه واعتصم.
«لسان العرب»: ابن منظور. مادة عود مج ٣ ص ٤٩٨.

من فتنة العمل^(١)، ونعوذ بك من التَّكْلُف لما لا نُحْسِن^(٢)، كما نعوذ بك من العُجْب بما نحسن^(٣)، ونعوذ بك من السلاطة^(٤) والهُذْر^(٥)، كما نعوذ بك من العِي^(٦) والْحَصْر^(٧) وقديماً ما تعوذوا بالله من شَرِّهما وتضرَّعوا إلى الله في السلامة منهما^(٨).

ومن عجيب المصادفات، أنَّ الجاحظ أَلَف كتاب «البيان والتبيين» في آخر أيامه^(٩). وبذلك حقق الله سبحانه وتعالى أمنيته واستجاب لدعائه^(١٠)، فأمسك عليه لُبُّه وعقله، وحفظ له ما في ذاكرته العجيبة، التي هي مرجعه الوحيد في كل ما كتب، والتي هي السبب الرئيسي، على ما نعتقد، في نهجه التأليفي، ولم يوقعه في الزلل والخطل، حتى أتخف من عاصره ومن تلاه بأسمى آيات الأدب وفنون القول.

-
- (١) الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختيار. «لسان العرب»: ابن منظور مادة فتن. ج ١٣ ص ٣١٧.
- (١) تكلفت الشيء إذا تجسَّمته على مشقة وعلى خلاف عادتك. وفي الحديث أنا وأمتي براء من التكلف. وفي حديث عمر رضي الله عنه: نُهينا عن التكلف. أراد كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها والأخذ بظاهر الشريعة وقبول ما أتت به. «المصدر نفسه. مادة كلف. ج ٩ ص ٣٠٧.
- (٣) العُجْبُ الزهو. «المصدر نفسه. مادة عجب مج ١ ص ٥٨٠ و ٥٨٢.
- (٤) السلاطة: القهر. والسلط والسليط: الطويل اللسان. السلاطة مصدر السليط والفعل سَلَطَ. «المصدر نفسه. مادة سلط. مج ٧ ص ٣٢٠.
- (٥) الهُذْر: الكلام الذي لا يُعْبَأ به، هُذِرَ كلامُه هذراً: كَثُرَ في الخطأ والباطل. والهذر: الكثير الرديء وقيل سَقَطَ الكلام. «المصدر نفسه. مادة هذر. ج ٥ ص ٢٥٩.
- (٦) قال الجوهري: العي خلاف البيان. وقد عِيَّ في منطقته. وفي المثل أعيا من باقل ويقال أيضاً عَيَّ بأمره وَعَيَّيَ إذا لم يهتد لوجه. «المصدر نفسه. مادة عيا. ج ١٥ ص ١١٣.
- (٧) الحَصْر: ضرب من العِي وقيل حَصَرَ الرجل أي عَيَّيَ في كلامه وقيل لم يقدر على الكلام. والحَصْرُ ضيق الصدر. «المصدر نفسه. مادة حصر مج ٤ ص ١٩٣.
- (٨) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٣.
- (٩) «ضحى الإسلام»: أحمد أمين مج ١ ص ٣٩٠.
- (١٠) تُلَطَّف بالرجوع إلى الصفحة السابقة من كتابنا، للنظر في دعاء الاستعاذة (كما أسميناه).

فهل كان هذا القَدْرُ الكبير من الأشعار سبباً آخر لإثبات قدرة، أبي عثمان العقلية في آخر أيامه؟.

أم كان تسليّة للسامع والقارىء، وإبعاداً للضجر والمَلَل؟
أم تفكّهة لمن يحب التنويع والمسامرة؟

الراجح عندنا أن الأسباب الرئيسة لهذا القدر الهائل من الثبت الشعري، هو زيادة الإيضاح والتعليم والتذكر بأن البلاغة متداولة عند العرب سليقة، دون الإحاطة بقواعدها، وإظهار المقدرة على التصوير والتمثيل بالشعر، بعد أن فرغ من الرسم والشرح والايضاح بالثر، فكأنه أراد الإحاطة بالفنون الأدبية جميعها، وقد أحاط.

وكان ما تفوّه به الشعراء، وما تفتنوا من أساليب وصور، إثبات لأقواله وشرح لأرائه، ودعم لنظرياته البلاغية العامة. لذا نرى أن دور الشعر كان فعالاً في تحقيق غاياته البلاغية وغير البلاغية.

فكيف تأتّى له ذلك في كتاب «البيان والتبيين»؟

١ - الصمت في الشعر

الصمت لغة: إطالة السكوت^(١) والنطق^(٢) خلافه.

قال تعالى: ﴿عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾، أي ما يقول^(٣).

(١) صمت يَضِمْتُ صمْتاً وصموتاً: أطال السكوت. ويقال لرجل إذا اغْتَقَلَ لِسَانَهُ فلم يتكلم أَضِمْتُ فهو مُضْمِتٌ. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة صمت مج ٢ ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) نطق الناطق نطقاً: تكلم. وكلام كل شيء منطق ومنه قوله تعالى: ﴿عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ فصوص كل شيء منطق ونطقه. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة نطق. مج ١ ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٣) وتعام الآية الكريمة: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَتْلُوَنَّهَا النَّاسُ مُنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾.

وجاء في التفسير: ورث سليمان عن داود العلم والنبوة. وكان لداود تسعة عشر ولداً ذكراً، فورث سليمان، من بينهم النبوة، ولو كان المراد وراثته المال لم يخص بالذكر سليمان. وقال جمهور المفسرين هذه الوراثة مجازية لقوله عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء». =

فالنطق ليس مقصوراً على الإنسان. قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا سَمْعُ يَحْيَىٰ وَلَٰكِنَّ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ﴾^(١) وبذلك يكون غير الإنسان ناطقاً.

وفضل اللغة العربية على الناس عظيم. قال تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٢).

وهناك فرق بين النطق، والصوت^(٣) والقول والكلام^(٤)، عند الإنسان،

= وخاطب سليمان الناس متحدثاً بما خصه الله به، فقدم منطق الطير، لعدم مشاركته فيها سواء، ومنطق الطير: ما يقول الطير الذي كان جُنْدًا من جُنْدِهِ يسير معه ليظله مِنَ الشمس. ولم يعترض على من قال أَنَّ النملة من جملة الطير.

وأعطي (سليمان) كل شيء تدعو له الحاجة. كعلم النبوة والحكمة والمال وتسخير الجن والإنس والطير والرياح والوحش والدواب وكل ما بين الأرض والسماء.

وقال ابن سيدة: وقد يستعمل المنطق في غير الإنسان. كقوله تعالى: ﴿عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾. والآية من سورة النمل، الآية: ١٦. انظر «لسان العرب»: ابن منظور. مادة نطق. مج ١ ص ٣٥٤ - ٣٥٥. و«فتح القدير»: للشوكاني مج ٤ ص ١٢٩ - ١٣٠.

(١) وتامم الآية الكريمة ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَٰكِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا خَلْقًا غَفُورًا﴾.

أخبر سبحانه عن السموات والأرض بأنها تُسَبِّحُه وكذلك من فيها من مخلوقاته، الذين لهم عقول وهو الملائكة والإنس والجان. وغيرهم من الأشياء التي لا تعقل ثم زاد تعميماً وتأكيذاً فشمّل كل ما يسمى شيئاً كائناً ما كان. (ولا يفقه هذا التسبيح إلا الخالق تعالى ومن شاء له الفهم من عباده). سورة الأسراء، الآية: ٤٤. وانظر «فتح القدير»: الشوكاني مج ٣ ص ٢٣٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

والإلحاد: الميل. يقال لَحَذَ وَالْحَذَ: أي مال عن القصد. وقرأ حمزة والكسائي: يُلْحِدُونَ بفتح الياء والحاء. والعرب تسمي كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بها أعجمياً.

واللسان العربي: هو القرآن الكريم، لأن العرب تقول للقصيد والبيت لساناً. ومنه قول الشاعر:

لسان الشر تهديها إلينا وخنت فما حسبتك أن تخونا
فكانه قال: وهذا القرآن ذو بلاغة عربية وبيان واضح فكيف تزعمون أنَّ بشراً من العجم يُعَلِّمُ محمداً وقد عجزتم أنتم عن معارضة سورة منه. وأنتم أهل اللسان العربي ورجال الفصاحة وقادة البلاغة؟... وانظر «فتح القدير»: للشوكاني مج ٣ ص ١٩٥.

(٣) انظر ص ١٦٣ من كتابنا الحاشية رقم ٢ و ٣.

(٤) القول: الكلام على الترتيب: كل لفظ قال به اللسان تاماً كان أو ناقصاً.

قال سيبويه: واعلم أن قلت في كلام العرب إنَّما وقعت على أن تحكي بها ما كان كلاماً لا قولاً. والكلام: جُمْلٌ مثل قام زيد والقول أَلْفَاظٌ مفردة يُبْنِي الكلام منها.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة قول مج ١١ ص ٥٧٢.

فالنطق هو صوت كل شيء، والكلام أعم من القول لأن القول جزء من الكلام. ووسيلة النطق الظاهر، الفم، وأداته اللسان، والإبانة هي أصل الدلالة في الفصاحة والبلاغة.

قال تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانٍ ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾^(١) وطلب موسى هذا، عليه السلام، من ربه، دلالة على عيب في اللسان واللفظ ولا يقدر على تقويمه إلا الله تعالى، فصحة اللسان تساعد على الإفصاح، وعِلته تُسبب الصمت في بعض الأحيان. وهو عي دائم لا دخل للمخلوق به، أو جُبْن وهو مذموم أو حَصْر وهو آفة مؤقتة أو حكمة وتفكير وترفع وهو أبلغ أنواع البلاغة.

والجاحظ صَدْر كتابه (البيان) بدعاء (الاستعاذة) من عيوب اللفظ قبل أن يتكلم عن البيان والبلاغة، لأن الإبانة هي إعطاء الحروف، التي ينطق بها، حقها من السلامة. ولا شيء يفسد اللسان عن أداء وظيفته كطول الصمت.

والصمت يكون في الشعر كما يكون في النثر. فكيف لعب الشعر دوراً في شواهد الصمت عند أبي عثمان؟

مفهوم الجاحظ للصمت يكاد يكون شاملاً، فقد حلّله تحليلاً بديعاً. عدّه مرضاً وعياً وبالتالي عيباً جسدياً لا يد للإنسان فيه، وسارع في الاستعاذة منه، ثم صور حالاته في النفس الإنسانية تصويراً دقيقاً.

فألكة البيان اللسان، والسكوت له علله وأسبابه. واستشهد بقول ربعة الرأي^(٢) «الساكت بين النائم والأخرس»^(٣).

ثم عدّه منقصة، لأن حال المتكلم الجاهل، الذي لا يعرف كيف يصوغ

(١) سورة طه، الآية: ٢٨. «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٧.

(٢) ربعة الرأي: بن أبي عبد الرحمن، واسم أبي عبد الرحمن فروخ، من موالى المنكدر التميمي، ويكنى أبا عثمان، وكان بليغاً خطيباً، أخذ عن أبي حنيفة وتوفي بالأنبار في مدينة الهاشمية التي بناها أبو العباس سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م. «الفهرست»: لابن النديم. ص ٢٨٥.

(٣) «البيان والتبيين»: للجاحظ. تحق هارون مج ١ ص ١٠٢.

الكلام ويضعه في موضعه، كحال الصامت الذي لا يدري كيف يتكلم وبم يتكلم لجهله، فيلزم الصمت حتى لا يفضح عجزه.

وعلى هذه الحالة مثل الجاحظ بقول بشار بن برد الأعمى^(١):

وَعِيَّ الْفَعَالِ كَعِيَّ الْمَقَالِ وفي الصمتِ عِيَّ كَعِيَّ الْكَلِمِ^(٢)

وصوره ضعة وجبناً، لأن الذي يسكت عن تقصير أو جبن أو خوف أو فزع، هو مُتَّقِدٌ مذموم يُشَبِّهُ ذَكَرَ النَّعَامِ الذي يُخَبِّئُ رأسه في التراب ويحسب أنه اختبأ، أو يحتمي بالفراش مثاقلاً كالنساء، حتى يَتَنَصَّلَ ويهرب.

مثل عليه بقول ابن الأعرابي^(٣) سيد البلغاء:

وَلَسْتُ بِدُمَيْجَةٍ فِي الْفِرَا شِ وَجَابَةٍ يَحْتَمِي أَنْ يُجِيبَا^(٤)

ولا ذي قَلَاظِمٍ عِنْدَ الْحِيَاضِ إِذَا مَا الشَّرِيبُ أَرَابَ الشَّرِيبَا

ويحملنا شريب ابن الأعرابي إلى فخر عمرو بن كلثوم^(٥).

(١) انظر ترجمته ص ١٢٠ من هذا الكتاب.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٤.

(٣) هو محمد بن زياد بن الأعرابي (١٥٠ - ٢٣١ هـ / ٧٦٧ - ٨٤٦ م). الكوفي، أبو عبد الله لغوي، نحوي، راوية لأشعار القبائل. نسابة. توفي بسر من رأى.

«الفهرست»: لابن النديم. ص ١٠٢ - ١٠٣. «معجم المؤلفين»: كحالة مج ١٠ ص ١١.

(٤) وروي بزميجة. رجل دُمَيْجَة: إذا كان ملازماً لفراش. وقد فسرهما الجاحظ بثقل الحركة. وجَابَة: فَرَّقَ، فَرَّغَ. والقلازم: كثرة الصياح. «النوادر في اللغة»: لأبي زيد الأنصاري تحقق د. محمد عبد القادر أحمد. دار الشروق. بيروت ١٩٨١. ص ٥٨٠. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة وجب مج ١ ص ٧٩٥. ومادة دمج مج ٢ ص ٢٧٥. ومادة قلع مج ١٢ ص ٤٩٢.

وانظر «البيان والتبيين»: للجاحظ. تحقق السندوي مج ١ ص ٨١ وتحقق هارون مج ١ ص ٥٧.

(٥) عمرو بن كلثوم: (ت نحو ٤٠ ق هـ / ٥٨٤ م). من بني تغلب أبو الأسود. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. ولد في شمال جزيرة العرب في بلاد ربيعة. وتجول فيها وفي الشام والعراق ونجد. كان من أعز الناس نفساً، وشجاعة، ساد قومه (تغلب) وهو فتي لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره. وعُمِّرَ طويلاً. قيل نحواً من مئة وخمسين سنة، وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند. مات في الجزيرة الفراتية. «خزانة الأدب»: للبغدادي. مج ١ ص ٥٩ - ٥٢١.

«الشعر والشعراء»: لابن قتيبة ص ٣٦ - ٣٧.

«الأعلام»: للزركلي مج ٥ ص ٨٤.

ونَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينًا^(١)

وَصَعَّدَ أَبُو عَثْمَانَ مِنْ مَعْنَى الصَّمْتِ، فَوَصَفَهُ فِي مَرْتَبَةِ الْهَجَاءِ الْمُقْذِعِ وَالصُّفَةِ الْوَضِيعَةِ، يَحْطُ مِنْ قَدْرِ صَاحِبِهِ وَشَخْصِيَّتِهِ وَإِنْسَانِيَّتِهِ، فَيُفَرِّدُهُ عَنِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَيَصِمُّهُ بِالْجُبْنِ وَالْخَرَقِ لِأَنَّهُ لَا يَحْسُنُ وَضْعَ الْأُمُورِ فِي مَوَاضِعِهَا. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فِي كَلِمَةِ جَامِعَةٍ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَعَانِي:

أَسْكُتْ وَلَا تَنْطِقْ فَأَنْتَ حَبْحَابٌ كُلُّكَ ذُو عَيْبٍ وَأَنْتَ عَيَّابٌ
إِنْ صَدَقَ الْقَوْمُ فَأَنْتَ كَذَّابٌ أَوْ نَطَقَ الْقَوْمُ فَأَنْتَ هَيَّابٌ
أَوْ سَكَتَ الْقَوْمُ فَأَنْتَ قَبْقَابٌ أَوْ قَدَمُوا يَوْمًا فَأَنْتَ وَجَّابٌ^(٢)

افْتَخِرَ الشُّعْرَاءُ بِكَمَالِ الْإِنْسَانِ وَجَمَالِهِ، وَبِالنُّطْقِ وَالْفَصَاحَةِ وَسُرْعَةِ الْبَدِیْهِةِ وَالْجَوَابِ الْحَسَنِ، فَمِنْ تِلْكَاءٍ وَتَرَدَّدٍ وَقَصْرٍ عَنِ الْجَوَابِ أَوْ الرَّدِّ عَلَى الْخُصُومِ، أَوْ الشَّرْحِ وَالتَّعْلِيلِ أَوْ التَّعْلِيمِ وَالْمُدَافَعَةِ، لَمْ يُمَثِّلْ قَوْمَهُ، وَلَا عُذَّ مِنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ وَالْمَكَانَةِ، لِأَنَّ الشَّاعِرَ كَانَ خَطِيبَ الْقَوْمِ وَالْمُدَافِعَ عَنْ مَصَالِحِهِمْ، فَكَانَهُ الْإِعْلَامُ النَّاطِقُ بِاسْمِ الْقَضِيَّةِ..

لهذا لم يفت الجاحظ التمثيل على حاجة الشاعر لصوته، كحاجة الفارس لرمحه وفرسه، يقول الأحنف بن قيس^(٣) حين فخر بنفسه:

أَنَا ابْنُ الزَّافِرِيَّةِ أَرْضَعْتَنِي بِشَدِي لَا أَجْدُ وَلَا وَخِيمَ
أَتَمَّثَنِي فَلَمْ تُنْقِصْ عِظَامِي وَلَا صَوْتِي إِذَا جَدَّ الْخُصُومُ^(٤)

(١) يريد أنهم السادة وغيرهم أتابع لهم.

«شرح المعلقة السبع»: للزُّوزْنِي. دار القاموس الحديث. بيروت ص ١٨٨.

(٢) حبَّاب، حَبْحَاب: الصغير الجسم المتداخل العظام. «لسان العرب»: ابن منظور مادة حبَّاب مج ١ ص ٢٩٦. القَبْقَاب: كثير الكلام مُخَلِّطُهُ. «لسان العرب»: ابن منظور مادة قَبْ مج ١ ص ٦٦٠. وانظر «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٥٧.

(٣) انظر ص ١٣٢ من هذا الكتاب.

(٤) ثُدِي أَجْدُ: إذا ييس. الوخيم: الثقيل. جَدَّ الْخُصُومُ تقارعوا. وفي البيت إقواء.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة جدد مج ٣ ص ١١٠ ومادة وخم مج ١٢ ص ٦٣١.

وانظر «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٥٩.

لم يكتف الجاحظ بذكر حاجة الشاعر لصوته، آلة بيانه، بل أضاف معنى آخر أشد وأوجع. فمن أراد هجاء أحد جعله سُكَّيتاً مُخْلَفاً ومسبقاً مؤخراً، وهذا تمام ضعة المقام.

قال الشاعر:

يا رابع الشعراء كيف هجوتني وزعمت أنني مُفَحَّمٌ لا أنطق^(١).
ثم عمَّد أبو عثمان إلى تخفيف جدِّته، فجعل طلب التستر وراء الصمت والالتزام به نصيحة قيِّمة. واقتراح السكوت يؤدي إلى تضاد في المعنى ولَبْس، سلاح ذو حَدَّين، ولا أظنه يعني إلا الهجاء المستور. قال ابن أبي أمية^(٢):
شهدت الرِّقَاشِيَّ في مجلسٍ وكان إليَّ بَغِيضاً مَقِيَّتاً
فقال اقترِخْ يا أبا جعفرٍ فقلتُ اقترِحتُ عليك السُّكُوتاً^(٣)
وأخذ الجاحظ بتقليب معنى الصمت، فبعد أن ذكره عِيّاً وهجاء مؤلماً، جعله حكمة، وَصَوْناً للنفس، ووسيلة لتجنب الوقوع في الزلل، وحِفظاً للسر، وتكتماً على الغير بعدم إفشاء دخيلته، قال الشاعر:

فلا والله لا أُلْفَى وشَرْباً أنازعهم شراباً ما حيثُ
ولا والله ما أُلْفَى بليلٍ أراقبُ عِرْسَ جاري ما بقيتُ

(١) لم يذكر قائل البيت. والمقصود برابع الشعراء: الشُّعْرور. قال الجاحظ عن الأصمعي عن رؤية الشعراء أربعة: الفحل والخنذيد والشاعر والشعورور.

فحم. المُفَحَّم: العبيّ وقيل الذي لا يقول الشعر.

«لسان العرب»: ابن منظور مج ١٢ ص ٤٤٩ وانظر «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٩ و«العمدة»: لابن رشيق مج ١ ص ١١٥.

(٢) هو محمد بن أمية بن أبي أمية: كان كاتباً شاعراً ظريفاً. أعجب به أبو العتاهية وهو فتى. وكان ينادم إبراهيم بن المهدي. وربما عاشر علي بن هشام.

راجع «الأغاني»: الأصفهاني مج ١٢ ص ١٣٩ و«الفهرست»: لابن النديم ص ٢٣١.

(٣) وروي البيت الثاني بشكل آخر: فقال اقترح كل ما تشتهي... فقلت...

«البيان والتبيين»: تحق السندوبي مج ١ ص ٤١٤ وفيه ما يسميه البلاغيون «المشاكلة».

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٤٠٤.

سَأَتْرُكُ مَا أَخَافُ عَلَيَّ مِنْهُ مَقَالَتَهُ وَأَجْمَلُهُ السُّكُوثُ
أَبَى لِي ذَاكَ أَبَاءَ كِرَامٍ وَأَجْدَادَ بِمَجْدِهِمْ رَبِيتُ^(١)
الصمت عي لمن يرى في نفسه المقدرة على الإفصاح، وفي الوقت عينه
دواء وكَيِّ لِسْتَرِ الْعَيِّ فإذا أحس المرء بعجزه، فالأسلم لصيانة ذاته أن يَشْتَرِعِيَهُ
بسكوته. قال الشاعر:

عجبت لإدلال العيِّ بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول أغلما
وفي الصمت سترٌ للعَيِّ وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما^(٢)
وضاقت بالجاحظ الحيل، فوضع الأمور في نصابها، وأعطى الصمت
حقه من الوصف، واعترف على لسان أبي نواس^(٣) بأنه داءٌ، فخير للمرء أن
يموت به على أن يحيا بالثرثرة الفارغة وداء الكلم. الصمت شرٌ أفضل من غيره
إذا جازت المفاضلة بين الشرور والعيوب:

مُتْ بَدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا الْمُسْلِمُ مَنْ أَلَّ جَمَ فَاهُ بِلْجَامٍ^(٤)

-
- (١) الشَّرْبُ بفتح الشين وسكون الراء: الجماعة يشربون الخمر. وقيل النصيب من الماء.
«لسان العرب»: ابن منظور مادة شرب مج ١ ص ٤٨٨.
منازعة الكأس: معاطاتها «لسان العرب»: ابن منظور مادة. نزع مج ٨ ص ٣٥١. ريت: نشأت.
«لسان العرب»: ابن منظور مادة رب مج ١٤ ص ٣٠٦.
وانظر «البيان والتبيين»: مج ٣ ص ٣٤٧ - ٣٤٨.
(٢) هذان البيتان من مليح شعر الخطفي وهو لقب عوف جد جرير بن عطية بن عوف الشاعر،
واسمه حذيفة بن بدر. راجع «لسان العرب»: ابن منظور مادة خطف. ج ٩ ص ٧٦ - ٧٧.
و«البيان والتبيين»: للجاحظ - تحقق هارون مج ١ ص ٢٢٠.
(٣) هو الحسن بن هانيء، أبو علي، قيل له أبو نواس، للدوابتين كانتا تنوسان على عاتقه. والذؤابة هي
الضفيرة من الشعر إذا كانت غير ملوثة. ولد بالبصرة ٢٤٥هـ / ٧٦١م. ومات ببغداد ١٩٥هـ /
٨١١م. «الخزانة» للبغدادي مج ١ ص ١٦٨ وانظر «الأغاني»: الأصفهاني مج ٢ ص ٣ - ١٨.
(٤) جاء في الديوان إنَّما (السالم) بدل (المسلم). «الديوان»: تحقق أحمد عبد الحميد الغزالي. دار
الكتاب العربي بيروت ١٩٨٢ ص ٦٢٠. وروي إنما السالم مَنْ... راجع «البيان والتبيين»: تحقق
السندوبي مج ١ ص ٢٨٧. و«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٦٩.

ثم سبر غور النفس، وحلّل الضمير الحي، فاستخلص بالتجربة والبرهان أن الندم حسرة إنسانية مقيتة ومن ندم على سكوته مرة وتحسّر كان خيراً له من الندم الدائم وتبكيّت الضمير، على كثرة الكلام والوقوع في الخطأ والزلل. فمن كثر كلامه كثر خطؤه. وقال لقمان لابنه «أي بني، إني قد ندمت على الكلام، ولم أندم على السكوت».

وقال الشاعر:

ما إن ندمتُ على سكوتي مرةً ولقد ندمتُ على الكلام مراراً^(١)
وبعد تقلب معنى الصمت، مال الجاحظ إلى إظهاره كوسيلة تعود على صاحبها بالنفع. فالصمت في موضعه بلاغة وحسن إدراك، وعمق في التجربة، ولم يعد عيباً قط بل صفة حميدة يتمتع بها صاحب العقل الراجح. ثم استشهد على الذين لا يعابُ صنُّهُم بقول أبي العباس الأعمى^(٢):

خطباءُ على المنابرُ فرسا نٌ عليها وقالةٌ غيرُ خُرسٍ
لا يُعابون صامتين وإن قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلبسٍ
بحلومٍ إذا الحلومُ استُخِفَّت ووجوهٌ مثل الدنانير مُلسٍ^(٣)
وتعليقه فيه حسن تخلص، لأن الصمت في محله إبانة، ووضع الأمور في مواضعها، شريان مُستقى من تعريف البلاغة. قال بعض الكلبين:

فإذا خطبتَ على الرجال فلا تكن خَطِلَ الكلام تقوله مُختالاً

(١) لم يذكر قائل البيت. وقد علّق عليه السندوبي بقوله: ولهذه المناسبة أذكر أن أغسطس قيصر أميرطور الرومان قال: «لا خطر يتهدد الخير الذي يعود على الإنسان بفضل السكوت».

انظر «البيان والتبيين»: والسندوبي مج ١ ص ٢٨٦.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٢٦٩.

(٢) هو السائب بن فروخ مولى بني ليث وقيل بني الدثيل.

كان من شعرا بني أمية المعدودين المقدمين.

«الأغاني»: الأصفهاني مج ١٦ ص ٢٢٨ - ٢٣٥.

(٣) روي في الأغاني: إذا الحلوم تقصّت أو اضمحلت، راجع «الأغاني»: الأصفهاني مج ١٦ ص ٢٢٨.

واعلم بأن من السكوت إبانة ومن التكلّم ما يكون خبالاً^(١)
وكان كلامه موجه إلى المتكلمين والخطباء. وفي شبه هذا المعنى قال
الأعور الشّني^(٢):

وكائن ترى من صامت لك مُعجب زيادته أو نقصه في التكلّم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدّم^(٣)
والصمت يُعلّم الحكمة والصبر، لأن الإنسان الذي يعرف كيف ومتى
يسكت، يعرف أوان الكلام فيكون حكيماً عاقلاً. قال أبو العتاهية^(٤):
... كل امرئ في نفسه أعلى وأشرف من قرينه^(٥)
وفي شبهه قال عبد الله بن معاوية بن أبي جعفر^(٦).

-
- (١) لم يذكر اسم الشاعر. راجع «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ١٣٥.
(٢) هو بشر بن منقذ: من عبد قيس من قبيلة شّر. كان شاعراً محسناً وله ابنان شاعران يقال لهما
جهم وجهيم. وكان المنذر بن الجارود ولي اصطخر لعلّي بن أبي طالب فاقتطع عنها مائة ألف
درهم فحبسه علي بها. لُقّب الأعور لببت شعر قاله.
«الشعر والشعراء»: لابن قتيبة ص ١٤٩.
وانظر «معجم الشعراء في لسان العرب»: د. ياسين الأيوبي ط ٢ دار العلم بيروت ١٩٨٧ ص ٦٦.
(٣) البيتان المذكوران ليسا للشّني بل لزهير بن أبي سلمى. ورقمهما في معلقته ٥٩ و ٦٠ يقول: كم
صامت يعجبك صمته فتستحسنه، وإنما تظهر زيادته على غيره، ونقصانه عن غيره عند تكلمه.
وهذا كقول العرب: المرء بأصغريه لسانه وجنانه.
«شرح المعلقات السبع»: للزوزني ص ١٢٢.
(٤) أبو العتاهية: لقب غلب عليه، واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان مولى غنّة.
وكنيته أبو إسحاق. أمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولى بني زهرة قال له المهدي: أنت إنسان
متحذلق (متطرف) مُعْتَه (مجنون في خلقه) فذهب حديثه لقباً له. اتهم بالزندقة وتوفي في خلافة
المأمون ٢١٣هـ / ٨٢٨م.
«الأغاني»: الأصفهاني مج ٤ ص ٣ - ١١٤. «الفهرست»: ابن النديم. ص ٢٢٧.
(٥) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ١٩٧.
(٦) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، من فتيان بني هاشم وشعرائهم. لم
يكن محمود المذهب في دينه، وكان يُرمى بالزندقة وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيام
مروان بن محمد، ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان، فأخذه أبو مسلم فقتله
هناك.
«الأغاني»: الأصفهاني مج ١٢ ص ٢١٣ - ٢٣٨.

إلزم الصمت إنَّ في الصمتِ حُكماً وإذا أنتَ قُلْتَ قولاً فزِنُهُ^(١)
لذا استحق الذي يَعْرِفُ كيف يصمت المدح. قال محرز بن علقمة^(٢).
... صموتاً في المجالس غير عِيٍّ جديراً حين ينطق بالصواب^(٣)
وقال الشاعر^(٤) في مديح أحمد بن أبي دؤاد:

حسنُ الصمتِ والمقاطعِ إمّا نطقُ القومِ والحديثُ يدورُ
ثم من بَعْدُ لحظةٌ تورثُ اليُسْرَ وعِرضٌ مهذبٌ موفورُ^(٥)
وهكذا نجد أن الجاحظ قد قلب معاني الصمت، وأجلى عيوبه وحسناته،
وكاد لا يترك معنى، يخطر على بال إلا استشهد لأجله بشواهد شعرية جيدة،
وهو الخبير.

وفَرَّقَ بين صمت العاقل وَمَدَحَهُ، وبين صمت الجاهل العاجز وذَمَّهُ، ثم
سعى إلى النصيح والتسلح بالصمت عند الضرورة، لأنه يخفي عيوب صاحبه
ويبعده عن الادعاء بغير علم، والمباهاة الزائفة، فهو في هذه الحالة ضرورة
ملحة لحفظ الكرامة.

ثم ذهب إلى التأكيد بأن الصمت داء، لكنه دواء لداء الثثرة الفارغة،
وجعله حِكْمَةً للعارفين والعاقِلين والمتكلمين، فخير للمرء أن يندم على سكوته
مرة مِنْ أَنْ يَنْدَمَ على كلامه مراراً.

وأثبتته سلاحاً للمرء وعبادة. قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «من
أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج»^(٦).

(١) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٢٧٨.

(٢) لم أجد ترجمته في الأصول المتوفرة.

(٣) يمدح الشاعر شريكاً بن عبد الله (٩٥ - ١٧٧ هـ / ٧١٣ - ٧٩٤ م). العالم بالحديث والفقه.

«الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ١٦٣. «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٢٦٤.

(٤) هو الجاحظ نفسه.

(٥) روى ياقوتُ نَصَّتْ بدل نَطَقَ ومن بعد لحظة بدل من بعد لحظة. والأولى أمتن.

«معجم الأدباء»: ياقوت الحموي. مج ١٦ ص ٨٠ - ٨١.

(٦) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ٣٦٠.

وفي أكثر من عشرين شاهداً شعرياً أو ما يزيد على الثلاثين بيتاً، نَوَّرَ
مُخْتَلَفَ معانيه، فجاءت مُشِعَّةٌ مُفْجِمَةٌ.

والذي قاده، في اعتقادنا، إلى بلورة قضاياها البلاغية، إظهاره فضل هذه
الأمّة التي خرجت من الصحراء، أمّة الفصاحة واللسن، لذلك تحداهم القرآن
الكريم أن يأتوا بمثله.

لقد أدت شواهد أبي عثمان الشعرية دوراً مَوْضِحاً في إبراز معظم معاني
الصمت وأشكاله، وأنارت من التُّراثِ ضوءاً ساطعاً بلاغياً عريقاً، تراث أمّة
عَلِمَتِ العالمَ معنى وأهميّة اللّسان العربي.

٢ - العِيّ والحَصْرُ في الشعر

العِيّ خلاف البيان^(١)، ويكون في القول كما يكون في العمل،
والحَصْرُ^(٢) ضَرْبٌ مِنَ العِيّ، ولا يكون إلّا في الكلام، بحيث يضيق الصدر عن
الإفصاح. وهما من العيوب الأدبية التي تعاني منها البيئة الإنسانية، فمن أُصيب
بأحدهما فقد مقومات الفصاحة والبلاغة.

والبيئة العربية، بيئة الصحراء والفروسية، تعودت الفخر المبالغ به كما
تعودت الهجاء المرّ.

(١) عيا بالأمر عيًّا وعيّي وهو عَيّ وعيّي: عجز عنه ولم يطق إحكامه. والعِيّ تأسيسٌ أضلُّه من عَيْنٍ
وياءين وهو مصدر العَيّ وفيه لغتان:

رجل عيّي: فعيل، ورجل عَيّ: فَعَلَ. وعيّي في المنطق عيًّا: حَصَرَ.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة عيا مج ١٥ ص ١١١ - ١١٣.

وانظر ص ١٦٤ الحاشية رقم ٧ من هذا الكتاب.

(٢) حَصَرَ صَدْرَهُ ولسانهُ، وحَصَرَ في كلامه وخطبته عَيّ. قال الزمخشري: نعوذ بالله من العُجب
والبَطَرِ ومن العِيّ والحَصْرِ.

... وقد حَصَرَ على قومه وفي قلبه ولسانه ويديه حَصْرٌ: أي ضيق وعيٌّ وبُخْلٌ.

والحَصْرُ: ضيق الصدر، وهو ضرب من العِيّ.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة حصر مج ٤ ص ١٩٣.

«أساس البلاغة»: الزمخشري ص ٨٥. وانظر ص ١٦٤ الحاشية رقم ٨ من هذا الكتاب.

وقد يسهو شاعرها، أحياناً، فيمزج بين العاهة الجسدية وبين العجز والتقصير الناتجين عن ضعف أو جهل، كما هو مُشاهد في كل العصور والبيئات، ويأخذ بالهجاء، بسبب موضوعي أو غير موضوعي، فيفخر بالقوة ويبالغ بالمباهاة ولا تعليل لهذه الظاهرة سوى أنها عادات وتقاليد كانت سائدة في ظروف ذلك العصر.

هذه الحقيقة لم تغب عن خاطر شيخ البلاغيين أبي عثمان، الذي سارع إلى التَّعوُّذ من العيوب والاستجارة بالله منها^(١)، حتى لا يُفسَّر قَصْدُهُ، عند الكلام عنها، تفسيراً يسيء إلى موضوعيته ويُسْوِّهُ ثَبَلَّ مقاصده، وربما كان واقعه المؤلم، حافزه الأقوى للبدء بالتعوُّذ والاستجارة بالله، فضلاً عن الشيخوخة والوهن والفالج والنقرس، والتعلُّق بالإيمان والرغبة من حساب الآخرة. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٢).

تعوُّذ الجاحظ على لسان التمر بن تولب^(٣) من الحَصَر والعِي والمرض.
أَعِذْنِي رَبِّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالِجُهَا عِلَاجاً^(٤)
كما تعوُّذ من أسبابها، وذلك عند تعرُّض الإنسان، عند القول، لِلنَّخْنَخَةِ والسُّغْلَةِ إذا انتفخ سَخْرُهُ^(٥) ونبا حَدُّهُ، فقال على لسان سُحَيْم بن حفص^(٦):

(١) تُلطف بالرجوع إلى ص ١٦١ - ١٦٢ من هذا الكتاب.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٣) التمر بن تولب (ت نحو ١٤هـ / ٦٤٥م). كان شاعراً جواداً. ويسمى الكَيْسَ لحسن شعره. جاهلي أدرك الإسلام فَحَسَّنَ إسلامه وأصبح من الصحابة. لم يمدح أحداً ولا هجا أحداً. عاش مئتي سنة. «الخرزانه»: للبغدادي مج ١ ص ١٥٦. «الفهرست»: لابن النديم. ص ٢٢٤. «الشعر والشعراء»: لابن قتيبة. ص ٦٢. «الأعلام»: الزركلي مج ٨ ص ٤٨.

(٤) «البيان والبيان»: تحق هارون مج ١ ص ٣.

(٥) سَخْرُهُ: يقال ذلك لمن تعدى طوره قال الأزهري: يقال انتفخ سحره للجبان الذي ملأ الخوف جوفه فانتفخ، أي انتفخت رثته حتى رفع القلب إلى الحلقوم.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة سحر مج ٤ ص ٣٥١.

(٦) سُحَيْم: لقب له. واسمه عامر بن حفص، كان أسود شديد السواد، ويعرف بالأسود وبأبي يقظان. كان عالماً بالأنساب والأخبار والمآثر والمثالب، ثقة فيما يرويه (ت ١٩٠هـ / ٨٠٥م). «الفهرست»: لابن النديم ص ١٣٨.

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِهْمَالِ وَمِنْ كَلَالِ الْغَرْبِ فِي الْمَقَالِ
وَمِنْ خَطِيئِ دَائِمِ السُّعَالِ^(١)

وضرب الله، عز وجل، مثلاً لِعَيِّ اللسان ورداءة البيان، حين شَبَّهَ أَهْلَهُ
بالنساء والولدان فقال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ
مُبِينٍ﴾^(٢).

لذا وصف النمر بن تولب، مَنْ يُعَلِّقُ فِي أُذُنِهِ حِلْيَةً، بأنه ضعيف، لأنه
يتشَبَّهُ بالنساء والولدان. قال:

وَكُلُّ خَلِيلٍ عَلَيْهِ الرُّعَا ثُ وَالْحُبْلَاثُ، ضَعِيفٌ مَلِيقٌ^(٣)
وهذا التعوذ دليل على صدق نية الجاحظ من الشَّمَاتَةِ بِالْعِي.
كان جُلُّ اهتمامه أَنْ يُخَلِّصَ الْإِنْسَانَ الْعَاقِلَ مِنْ أَسْبَابِ الْعِي لِيَكُونَ إِنْسَاناً
سَوِيّاً.

ويعرض هذه الأسباب، التي يمكن للبال أن يسهو عنها، عَرَضٌ مُتَّقِبٌ
عالم، يقفُ القارئ منها مشدوهاً.

(١) غَرْبُ الْمَقَالِ: حَدُّ اللَّسَانِ.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة غَرْبُ مَج ١ ص ٦٤٥.

«البيان والتبيين»: للجاحظ تحق هارون مَج ١ ص ٤٠.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ١٨.

والْحِلْيَةُ: الزينة، أي مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة. وأخرج عبد بن حميد عنه (أو من ينشأ
في الحلية). قال هو النساء فرق بين زِيَهْنَ وَزِيَّ الرجال ونقصهن من الميراث وبالشهادة وأمرهن
بالقعدة وسماهن الخوالف.

«فتح القدير»: الشوكاني مَج ٤ ص ٥٥٠.

«تفسير الجلالين»: جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي. مكتبة الملاح دمشق. ص ٦٤٨.

(٣) الرَعْتُ وَالرُّعْتَةُ: ما عُلِقَ بِالْأُذُنِ مِنْ قَرَطٍ وَنَحْوِهِ وَالْجَمْعُ رَعْتَةٌ وَرَعَاثُ.

وكان بشار يلقب بِالْمُرْعَثِ: سمي بذلك برعاث كانت له في صغره في أذنه.

قال الجاحظ: الرُّعَاثُ: الْقِرَاطَةُ. وَالْحُبْلَاثُ: كُلُّ مَا تَزَيَّنَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ مِنْ حَسَنِ الْحُلِيِّ وَالْوَحْدَةِ
حُبْلَةٍ.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة رَعْتُ. مَج ٢ ص ١٥٢.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مَج ١ ص ١٢.

ولنتأمل، فيما يلي، الشواهد الشعرية التي ساقها الجاحظ عن العيِّ ووجوهه، ولتَرَّ طَرْحَهُ المثير لمختلف ما قيل فيه في الأزمان الغابرة.

ملازمة العيِّ للإنسان عيب، والبعد عنه فخر، لذا تغنى الشعراء بسلامتهم منه ومن أشكاله قال الشاعر^(١):

وما بي من عيٍّ ولا أنطقُ الخَنَا إذا جمع الأقوامَ في الخطبِ مخِفْلُ^(٢)
ولأنهم يجعلون العَجَزَ والعيِّ من الخزقِ، أكانا في الجوارح أم في
الأسنة. قال زَبَّان بن سَيَّار^(٣):

وقلنا بلا عيٍّ وسُسنا بطاقةً إذا النار نار الحربِ طال اشتعالُها^(٤)
وانتقد الذين يحسبون أنهم يسترون عيِّهم بحركات ليست خافية على ذوي
العقول، وذلك جهلاً منهم بمقامهم. فيدعون الفصاحة والبلاغة والفهم وهم
عنها مُقَصِّرون لما ينتابهم من النُّخْصَةِ عند القول والسُّعلة، أو بتفتيل الأصابع
ومداعبة اللحية.

(١) هو يحيى بن سعيد. انظر «البيان والتبيين»: للجاحظ تحقق هارون مج ١ ص ٤ الحاشية رقم ٢.

(٢) الخَنَا: القبيح من الكلام. «لسان العرب»: ابن منظور مادة خنا مج ١٤ ص ٢٤٤.

والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة خطب. مج ١ ص ٣٦٠.

(٣) زَبَّان بن سَيَّار: (ت ١٠١٠ ق هـ / ٦١٣ م). شاعر جاهلي من أهل المُنَافرات ومن شعراء
المفضليات والحماسة.

«الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ٤١.

وانظر «معجم الشعراء في لسان العرب»: للأيوبي ص ١٦٥ رقم ٤٧٩.

(٤) يفخر الشاعر بأنه ليس كالذين رفعتهم الأقدار بالمصادفة أو دون أن يكون لهم يد في ذلك، فهو
بعيد عن كل عي. بَنَى أمجاده وسيزيد من بنائها معتمداً على طاقته في السلم والحرب. وهذا
البيت من قصيدة جاء فيها:

ولسنا كأقوام أجدوا رياسةً يرى مالها أو لا يُحسُّ فعالها
يُريغون في الخصب الأمور ونفْعهم قليل إذا الأموال طال هزالها...
وقلنا... البيت المذكور.

انظر «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٤ - ٥.

فهذه الحركات لا توصل الفهم إلى الغير ولا تُعَبِّرُ عن بلاغة، بل ربما أثارت الضحك والنقمة.

قال الشاعر^(١):

مليءٌ بِبُهِرٍ والتفاتٍ وسَغَلَةٍ وَمَسْحَةٍ عُثْنُونٍ وَقَتْلٍ أَصَابِعٍ^(٢)

وقال الراجز وهو يمتح بدلوهُ:

علقتُ يا حارثُ عند الوردِ بجابِيٍّ لا رِفْلٍ التَّرْدِي
ولا عَيْيٍ باِيتْناءِ المجدِ^(٣)

(١) لم نثبِّين اسمه.

(٢) البُهِرُ: تتابع النَّفْسِ مِنَ الإعياء.

العُثْنُون من اللحية: ما نبت على الذقن وتحتة سيقلاً.

وقيل: هو كل ما فضل من اللحية بعد العارضين عن باطنهما.

ويقال لما ظهر منها السُّبْلَةُ.

وقيل: اللحية كلها.

وقيل: طولها وما تحتها من شعرها.

(وربما قصد الشاعر الشُّغْرَ الناتئ تحت الشُّفَّة السفلى مباشرة).

«لسان العرب»: ابن منظور مادة عثن مج ١٣ ص ٢٧٦.

«البيان والتبيين»: للجاحظ تحق هارون مج ١ ص ٤.

(٣) الماتح (بالتاء) الذي ينزع الدلو وهو بجوار البئر. والماتح (بالهمز) الذي يدخل البئر فيملأ

الدلو. الجاذل: الواقف مكانه لا يبرحه.

الجابي: الذي يطلع فجأة.

الرِفْل: الذي يعجر ذيل ثوبه.

التردى: لبس الرداء.

والبيت مذكور في «الحيوان».

(وقع الراجز، عند منهل الماء على رجل واقف أمامه، ظهر فجأة، وليس عليه سيماء التكبر،

وقد عرف الراجز بفراصة العرب المعروفة، أنَّ هذا الرجل جدير بالوصول إلى المجد والسؤدد،

وليس من عِيٍّ يشكو منه. فالعِيُّ عَيْبٌ يمنع ركوب المجد).

«لسان العرب»: ابن منظور مادة مج ١٣ ص ٢٧٦.

«الحيوان»: تحق هارون مج ٣ ص ٤١٩.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٤.

وفي مواضع عديدة من (البيان والتبيين) ذكر أبو عثمان شواهد شعرية تظهر أشكال العي وأنواعه.

فهناك من يفخر بقله عيّه^(١)، باعتبار أن الإنسان كائن ناقص. وهناك من تُغييه القوافي وهو خطيب مشهود له^(٢)، ذلك أن الإنسان بقدر ما يكون حكيماً في تصرفاته ومواقفه ومعتدلاً في أقواله وأفعاله، يكون جليلاً مُهيّباً.

فخير الأمور أوساطها.

ويرى - أبو عثمان - العي في الفعل، كالذي يعمل للوصول إلى السيادة ثم يُقَصِّرُ عن المتابعة فيأتي عمله ومجهوده ناقصين، ونَفْسُهُ قصيرة لأنه لم يستطع الوصول إلى بُغيته^(٣).

كما يرى أن الإكثار في القول والجهد، يؤديان إلى العي^(٤)، والخضوع للامتحان خيرُ كاشفٍ عن حقيقة المرء وعيّه^(٥).

(١) أنشد ابن الأعرابي:

إن زياداً ليس بالبكي ولا بهيَّاب كثير العي
«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٤١.

(٢) قال الشاعر (ولم يذكر اسمه):

وقد يُقْرِضُ الشعرَ البكي لسانه وتُغيي القوافي المرء وهو خطيب
«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٠٩.

(٣) قال الشاعر ولم يذكر اسمه:

إذا المرء أغيتته السيادة ناشئاً فمطلبها كهلاً عليه شديد
«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٧٤.

(٤) قال ابن هُرْمَة:

إن الحديث تُغرُّ القومَ خلوتُهُ حتى يلج بهم عي وإكثار
«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٠٣.

(٥) قال حميد بن ثور الهلالي:

أتانا ولم يغدله سحبان وائل فما زال عند اللُقم حتى كأته
بيانا وعلماً بالذي هو قائل من العي لما أن تكلم باقل
فسحبان مثل في البيان. وبأقل مثل في العي.
«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٦.

ولم يبخل أبو عثمان بشاهد على العِيِّ المُمَيِّز، الذي يُضرب به المثل.
قال: «ويقال في الفحل إذا لم يُحسن الضِرَاب: جمل عَيَّاء، وجمل طباقاء».
وقالت امرأة في الجاهلية تشكو زوجها:

«زوجي عيَّاء طباقاء، وكل داءٍ له داءٌ». حتى جعلوا ذلك مثلاً للعِيِّ
الْقَدَم، أي الغليظ، والذي لا يتجه للحجة. قال الشاعر:

طَبَاقَاءُ لَمْ يَشْهَدْ خُصُومًا وَلَمْ يَقْذُ رِكَابًا إِلَى أَكْوَارِهَا حِينَ تُغْكَفُ^(١)
فمن الطبيعي أن تُفْضَلَ الْخِيفَةُ والقُوَّةُ على العِيِّ، لأنهما دليل على توقُّد
ذكاء الإنسان وعافيته. قال أبو قيس بن الأسلت^(٢):

الْكَيْسُ والقُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْإِشْفَاقِ والفَهَّةِ والهَاعِ^(٣)

(١) رجل طباقاء: رجل أحمق، عِيٌّ، ثقیل.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة طبق ج ١٠ ص ٢١٤.

الکور بالضم: الرُّخْل. والجمع أكوار.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة كور مج ٥ ص ١٥٤.

عكف يعكف عكوفاً: أقبل عليه مواظباً لا يعرف عنه وجهه.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة عكف مج ٩ ص ٢٥٥.

وينسب هذا الشعر إلى جميل بن معمر.

«لسان العرب»: ابن منظور مج ١٠ ص ٢١٤.

و«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١١٠.

(٢) أبو قيس بن الأسلت: ت ١٠١ هـ / ٦٢٣ م. واسمه عامر بن جشم بن وائل الأوسي. أبوه

الأسلت ومعناه المقطوع الأنف. شاعر جاهلي. جعله أبو زيد القرشي من أصحاب المذَهَبَات

ولم يُعَرَفْ ما إذا كان أسلَمَ أم لا....

«الأغاني»: الأصفهاني مج ١٧ ص ٦٧ - ١١٩.

«الخزانة»: البغدادي مج ٣ ص ٤٠٩.

«معجم الشعراء في لسان العرب»: د. الأيوبي ص ٢٨٥ - ٢٨٦ رقم ١٠٣٢.

(٣) الكَيْس: الْخِيفَةُ والتوقد. «لسان العرب»: ابن منظور مادة كيس مج ٦ ص ٢٠٠.

الفَهَّةُ والفهاهة: الْعِيُّ. «لسان العرب»: ابن منظور مادة فكه مج ١٣ ص ٥٢٥.

هَاعٌ يَهَاعُ ويهيع هيعاً وهاعاً وهيوعاً. جَبَنٌ وفزع.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة هاع مج ٨ ص ٣٧٨.

ويذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما سمع إنشاد هذا البيت أخذ يرددده ويتعجب

منه. انظر «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٢٤١.

وقد حاول العاقلون في مختلف العصور التخلُّص من عيِّهم، ليخلصوا من النقد ويؤثِّروا السَّلامة، بأساليب مختلفة. ولا يمكن ملاحظة ذلك إلاّ بمراقبتهم بعين الناقد الخبير ففي عصر استعمال العصا والرمح والسيف والثَّرس، كانت العصا تساعد خطيب القوم، والمتحدثين، والقُصَّاص، على الاستمرار في التجويد وإخفاء بعض العيوب. تماماً كما يحدث اليوم بسبحة المتحدث، يداعبها، يتلَّهى بها بحركات عدَّة، كأنه يَجِدُ الوقت الملائم للتفكير أو يَلْفِتُ نظر السامع لها لِيُلْهِيه ويُبْعِد تركيزه وتفكيره فَيَبْهَره.

وفي شبيه هذا المعنى رثى جرير بن الخطفي^(١) أحد أجواد العرب وفصائحهم، لأنَّه كان يجيد استعمال القنا والعصا عند الخطابة. ومن المعروف أن الاعتماد على العصا وغيرها عند الخطابة، عادة جاهلية أقرَّها الإسلام بل ألزم بعضُ الفقهاء خطيبَ الجمعة أن يعتمد على السيف في كل بلد فتحه عنوة.

قال جرير:

مَنْ لِقْنَا إِذَا مَا عَيَّ قَائِلُهَا أَمْ لِلْأَعِنَّةِ يَا شَبَّ بْنَ عَمَّارٍ^(٢)
وَالْحَصْرُ كَمَا أَسْلَفْنَا نَوْعَ مِنَ الْعَيِّ، فَمَنْ الطَّبِيعِيَّ أَنْ يَرْمِيَ الشَّعْرَاءَ
أَخْصَامَهُمْ بِهِ، كَمَا تَرْمِي الْفَرَسَانُ النَّصَالَ وَالْقَنَا.

قال مكِّي بن سوداة^(٣).

حَصِرَ مُسَهَّبٌ جَرِيٌّ جَبَانٌ خَيْرُ عَيِّ الرِّجَالِ عَيُّ السُّكُوتِ^(٤)

(١) انظر ص ١٣٦ من هذا الكتاب.

وفي الديوان (أم) بدل (من) و(يا عُقْبَ) بدل (يا شَبَّ).

«الديوان»: تحق. محمد الصاوي. دار الأندلس. بيروت. ص ٢٣٧.

(٢) «البيان والتبيين»: تحق. هارون مج ١ ص ٣٧٣.

(٣) ذكره المرزباني في معجمه ولم يُعرف به. ص ٤٥٧.

انظر «البيان والتبيين»: تحق. هارون مج ١ ص ٣.

(٤) أحسن ما يكون عليه الرجل العيِّ، الإكثار من الصمت للسلامة.

«البيان والتبيين»: تحق. هارون مج ١ ص ٤.

وقال آخر، مُتَعَجِّباً لَشَأْنِ مَنْ جَمَعَ صنوف العِي من كل جهة، مع أنه كان جديراً ببلاغة القول، يخاطبه: كان من المنتظر منك أن تكون بليغاً مُفَوِّهاً، وأن تُثَبِّتَ إِرْثَكَ لأبيك الذي كان بليغاً والذي ورث الكلام والبلاغة عن عمه وخاله: جمعت صنوف العِي من كل وجهة وكنت حريئاً بالبلاغة من كَثَب^(١) وبما أن الحَصَرَ حُصِرَ أكثره في القول، فقد طلب عبد يغوث^(٢) أن يُطْلَقَ لسانه، بعد أن أُسِرَ فقال:

أقول وقد شَدُّوا لساني بنسعة أمعشرَ تَيمٍ أَطْلِقُوا من لِسَانِيَا^(٣)
وأنشد خلف الأحمر^(٤).

وما في يديه غير شدي يُميله وشقشقة خرساء ليس لها نعب
ومن رام قولاً خالفته سجيئة وضرس كَقَعِبِ القَيْنِ ثَلَمَهُ الشَّعْبُ^(٥)

- (١) ويروى وكنت جديراً. انظر «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٥ و٦.
- (٢) عبد يغوث بن وقاص الحارثي ت ٥٨٠ م من بني كعب. شاعر جاهلي، وفارس شرير وسيد قومه وقائدهم يوم الكلاب الثاني، بين قومه وبين بني تميم حيث أسر وقتل. وقيل: لما أسره بنو تميم قال لهم: يا بني تميم اقتلونني قتلة كريمة: اسقوني خمرأ ودعوني أنبع على نفسي فسقوه الخمر وقطعوا له عرقاً فجعل يشرب والدم ينزف وهو يقول ألا لا تلوماني. «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون. مج ٢ ص ٣٠٠. «معجم الشعراء في لسان العرب»: د. الأيوبي ص ٣٧٣ رقم ١٣٦٥.
- (٣) نسع، النسع: سير يُضفر على هيئة أعنة الثعال تُسد به الرِّحال والجمع أنساع ونسوع ونُسُع والقطعة نسعة ومما يروى أنهم أسروه وشدوا لسانه بنسعة ليمنعوه من الكلام وأول القصيدة: ألا لا تلوماني كفى اللوم مابيا فما لكما في اللوم خير ولا ليا «لسان العرب»: ابن منظور مادة نسع مج ٨ ص ٣٥٢.
- «البيان والتبيين»: الجاحظ تحقق هارون مج ٢ ص ٢٦٧، ٢٦٨.
- (٤) خلف الأحمر (ت نحو ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م). واسمه خلف بن حيان، أبو محرز، المعروف بالأحمر. راوية، عالم بالأدب، شاعر من أهل البصرة كان أبواه موليين من فرغانة. أعتقهما بلال بن أبي موسى الأشعري قيل إنه معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة. «الفهرست»: لابن النديم ص ٧٤ وانظر الحاشية رقم ٣ من ص ١٥١ من هذا الكتاب.
- (٥) قعب القين: قدح الحداد الضخم. وثَلَمَ الإناء: كسر حرفه. والشعب من الأضداد: الجمع والتفريق والإصلاح والإفساد.
- «لسان العرب»: ابن منظور مادة قعب مج ١ ص ٦٨٣. ومادة ثلم مج ١٢ ص ٧٨ - ٧٩. ومادة شعب مج ١ ص ٤٩٧. انظر «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٢٩.

ومما مُدح به الخطيب قول الهذلي^(١) :
 وَلَا حَصِيرٌ بِخُطْبَتِهِ إِذَا مَا عَزَّتِ الْخُطْبُ
 ومما ذَمُّوا به الحَصْر، وهجوا صاحبه قول الراجز^(٢) :
 وَجْهٌ قَبِيحٌ وَلِسَانٌ أَبْكُمُ وَمِشْفَرٌ لَا يَتَوَارَى أَضْجَمُ^(٣)
 كان الشعراء يفخرون بطلاقة اللسان، وسرعة البديهة، ويتبارون في القول
 البليغ والجواب المُرْتَجَل الذي يُفَرِّزُ اللِّسَنَ الطَّلِقَ مِنَ اللِّسَنِ الْحَصِيرِ^(٤).
 وأقصى هجاء قرأته في معنى العِيِّ والحَصْر قول رؤية^(٥) :
 حَشَرَجَ فِي الْجَوْفِ سَحِيلًا وَشَهَقَ حَتَّى يُقَالَ نَاهَقٌ وَمَا نَهَقُ^(٦)

(١) أبو العيال بن أبي عنتر الهذلي. هو أحد بني خُناعَة بن سعد بن هذيل. شاعر فصيح مقدم من
 شعراء هذيل. مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ثم أسلم فيمن أسلم من هذيل. وعُمر حتى
 خلافة معاوية.

«الأغاني»: الأصفهاني مج ٢٣ ص ٣٩٥.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٣.

(٢) لم نتيه.

(٣) الأضجم: المائل الشدق الأعوج الفم. «لسان العرب»: ابن منظور مادة ضجم مج ١٢ ص ٣٥٢.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٢٨٤ - ٢٩٤.

(٤) قال أبو تمامة الضبي:

ومناحِصِيْنٌ كَانَ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ يَقُولُ أَلَا مِنْ نَاطِقٍ مُتَكَلِّمٍ

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٢٧٦.

(٥) رؤية بن العجاج: (ت ١٤٥هـ / ٧٦٢م). أبو الجَحَاف أو أبو محمد. راجز من الفصحاء

المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.

كان أكثر مقامه في البصرة وأخذ عنه أعيان اللغة.

«الأعلام»: الزركلي ج ٣ ص ٣٤.

«معجم الشعراء في لسان العرب»: د. ياسين الأيوبي. ص ١٦١ رقم ٤٦٨.

(٦) شبه رؤية حالة الشاعر أو الخطيب العمي بحالة الحمار الذي لا يتم عملية النهيق. فالحمار يلفت

الانتباه بأصوات يُخْرِجُهَا مِنْ جَوْفِهِ تشبه الحشرجة، (وهي تردد صوت النفس، أو الغرغرة في

الصدر أو الغرغرة عند الموت)، ثم يتبعها بشهيق حتى يظن من يسمعه أنه ينهق. والحقيقة لم

تتم عملية النهيق. (حتى: هنا، للتأكيد لذلك رفع الفعل المضارع بعدها) وفي ديوانه «يقال»

بالفتح (ص ١٠٦). «لسان العرب»: ابن منظور مادة حشر. مج ٢ ص ٢٣٧.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٥١.

وهو تصوير بديع بليغ، الأجدر به أن يُستعمل للحيوان فقط.

وأضاف الجاحظ مفهوماً جديداً لأشكال العيِّ والحصر لا تخطر على بال، سمّاه عيِّ البناء (تحقيق التناول) لمن أراد الرفعة ولم يستطع الوصول، وعيِّ القوافي، لمن أكثر من الشعر وهو غير مطبوع عليه، وعيِّ السيادة لمن طلبها فحَبِطَ مسعاه إليها، وعيِّ الإكثار والجهد والمظهر....

ثم كشف عن المعتدلين الذين يعملون جاهدين للتخلص من العيوب، وأبرز العيِّ الغليظ الذي يُضربُ به المثل، فخلُص إلى نتيجة مُرضية: القوة مع الحكمة، والكياسة مع الخِفة خيرٌ من العيِّ وأنواعه.

صَوَّرَ هذه العلل البغيضة بُريشة الفنان، وكان عرضه للعيِّ والحَصْر مُمتِعاً بحيث ضحكنا من الذي يعقد لسانه فيفتح فاه ليفترّ عن ضرر كأنه قعر قرح حدّاد مثلم، وفزعنا من الهجاء المقذع المؤلم، وأشفقنا على من يَسُدُّ فمه بنسعة.

ففي أكثر من خمسين بيتاً من الشعر عرض شواهد عرضاً مشبعاً، دون أن يُدْخَلَ إلى نفس القارئ الملل أو دون أن يترك شاردة تغيب عن الموضوع المعالج.

٣ - اللُّغَةُ فِي الشُّعْرِ

اللُّغَةُ آفة لسانية، تكون في النثر كما تكون في الشعر، تجعل الإنسان عَيِّاً في الكلام.

ومن الناس من يولد أَلُثْغ، ومنهم من يصاب بأسبابها: كالإصابة المباشرة في اللسان، أو نزع بعض الثنايا الأمامية....

ولما كان موضوع بحثنا - دور الشعر في «البيان» - اقتصرنا على الكلام في لثغة الشعر.

فَاللُّغَةُ لُغَةٌ، أَنْ تَعْدِلَ الْحَرْفَ إِلَى غَيْرِهِ. وَالْأَلُثْغُ هُوَ الَّذِي قَصُرَ لِسَانُهُ عَنْ

موضع الحرف ولحق موضع أقرب الحروف من الحرف الذي يعثر لسانه عنه .
وقيل : هو الذي لا يُبين الكلام^(١) .

يَحَارُ الْمُتَتَبِعُ لموضوع اللُّغَةِ في كتاب «البيان والتبيين» بين هدف الجاحظ
الظاهر، وبين الغاية الحقيقية التي يرمي إليها .

هل هي جَذْرٌ استكمل به بحثه البياني فقط؟ أم هي سبب، جَنَدٌ نفسه،
لأجل المدافعة عن إنسان لا يحب أن يُساء إليه، فأفرد له صفحات عديدة، على
خلاف عادته في شرح موضوعاته؟

نعتقد أن أبا عثمان عالج موضوع اللُّغَةِ ليصيب أهدافاً متنوعة . منها ما
يتعلق بموضوع اللسان آلة البيان، ولا يغفر الجاحظ لنفسه نقصان موضوعه قيد
أنمله إذا قار، فالكمال لله وحده سبحانه .

ومنها ما هو أصل في عيوب اللفظ، بدأ به ليصل إلى شرح موضوع
البيان، ومنها أن اللُّغَةَ ترتبط بموضوع شخصي مباشر، هو اعتزاز الجاحظ
بمعتزليته، فكيف يُسَوِّغُ للغير النيل منها ومهاجمة أحد أركان المعتزلة مهاجمة
شخصية؟

لقد أدغم أهدافها جميعها، وَحَقَّقَ غرضه بأسلوب أقل ما يقال فيه إنه
جاحظي .

واللُّغَةُ عيب لفظي غير إرادي، وصاحبها لا يستطيع عادة إخفائه، لذا من
النادر جداً أن يتخذ الإنسان العيِّي وسيلة يتستر خلفها وينجح .

وإبراز الجاحظ، لطريقة نجاح صاحبه، نجاحٌ لبحثه، ودفاع في الوقت
عينه عن صديقه لشهرته ومكانته في عالم الاعتزال .

ولكن الجاحظ خرج بنتيجة مفيدة هي : إن الإنسان بإرادته وعلمه وذكائه
وبلاغته وبيانه يستطيع إخفاء عيبه ويتنصر عليه بذكاء .

(١) «لسان العرب» : ابن منظور . مادة لثغ . ج ٨ ص ٤٤٨ .

فكيف عالج أبو عثمان موضوع اللُّثْغَة؟

وكيف دمج سيرة صاحبه فيها؟

وما هو دور الشعر في تحقيق الغايتين؟

رأي الجاحظ مُقْنِعٌ، فقد عَبَّرَ بلسان الناس إلى الناس فقال:

الناس لا يُعَيِّرُونَ الخُرْسَ، ولا يلومون من استولى على بيانه عَجْزٌ، فتلك طاقة. كلهم يذمون أشكال العيِّ وعيوب اللفظ والكلام؛ فاللُّثْغَة من عيوب اللفظ، ومتى أَحَسَّ صاحبها بأذاها، عليه التفتيش عن مخرج لها، لأن البيان يحتاج إلى تمام آله وإحكام صنعته ومهارة منطقته وسهولة مخرجه وتكميل حروفه، كما يحتاج إلى حلاوة وطلاوة وجزالة وفخامة.

قال الجاحظ: «ولمَّا علم واصل بن عطاء^(١) أَنَّهُ أَلْثَغُ فَاحَشُ اللَّثَغِ... رام إسقاط الراء من كلامه»^(٢).

وأن مخرج ذلك منه شنيع، وأنه إذ كان داعية مقالة، ورئيس نَحْلَةٍ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل... وعلم أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام، واللسان المُتَمَكِّن والقوة المُتَصَرِّفَة...

رام أبو حديفة إسقاط الراء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقته، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه، ويناضله ويساجله ويتأتى لِسْثَرُه والراحة من هُجْنَتِه،

(١) أنشد ضيرار بن عمرو قول الشاعر في واصل بن عطاء:

ويجعلُ البُرَّ قمحاً في تصرُّفه وجانب الراء حتى احتال للشعرِ

ولم يُطِئْ مَطْراً والقولُ يُعْجِلُه فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطرِ

وضيرار المنشد صاحب الفرقة الضرارية. انفرد بأشياء منكورة. منها قوله: إن الله تعالى يُرى في القيامة بحاسة سادسة، يرى بها المؤمنون ماهية الإله... وواصل بن عطاء صاحب الفرقة الواصلية، ورأس المعتزلة وكنيته أبو عمرو. له مقالات خبيثة، ينكر عذاب القبر، وخالف المعتزلة في خلق الأفعال وفي القدرة. وكما يقول: إن الأجسام إنما هي أعراض مجتمعة.

وبدعته التي خالف بها أقوال جميع الفرق هي: أن الفاسق في هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين. «الفرق بين الفرق»: البغدادي. ص ١١٧ - ١٢٠ - ٢١٣ - ٢١٥.

«لسان الميزان»: العسقلاني. ج ٣ ص ٢٠٣ رقم ٩١٢.

(٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٤ - ١٥.

حتى انتظم له ما حاول، واتسق له ما أقل^(١) وكان الجاحظ بذلك يشرح قول الشاعر:

على المرء أن يسعى بمقدار جهده وليس عليه أن يكون موفقا
فالسقوط لا يكون عجزاً، بل العجز أن يبقى الساقط حيث سقط.

قال أبو عثمان: واللثغة تكون في أربعة حروف:

في القاف: فإن صاحبها يجعل القاف طاءً، كأن يقول قلت له: طُلتُ له.

وفي السين: كقوله بِسْمِ الله، أرادوا بسم الله.

وفي اللام: فإن من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول جَمَي بدل جَمَل،
وآخرون يجعلون اللام كافاً فيلفظون ما لعلّة، مَكْعَكّة.

وفي الراء: لأن الذي يعرض لها أربعة حروف:

فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال عَمِي فيجعل الراء ياءً.

ومنهم من يجعلها غيناً كقوله: عَمَغْ بدل عمرو.

ومنهم من يجعلها ذالاً أو ظاءً كقوله: عَمْذُ وعَمْظُ بدل عمرو^(٢).

ومثّل على لثغة الراء بيت لعمر بن أبي ربيعة^(٣):

وَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ^(٤)

(١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٤ - ١٥.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٤ - ٣٤ - ٣٥.

(٣) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة: (٢٣ - ٩٣هـ / ٦٤٤ - ٧١٢م). أبو الخطاب. أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق. ولم يكن في قريش أشعر منه. كان له ولد صالح يُسمى جُوان وبنت تدعى (أمة الواحد).

قال الفرزدق عن نسيبه «هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه».

في «الأغاني»: للأصفهاني أخبار وافية مج ١ ص ٧١ - ٢٣٠. «الأعلام»: الزركلي مج ٥ ص ٥٢.

(٤) ومطلع القصيدة:

لَيْتَ هُنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا نَعِذُ وَسَقَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ

«الأغاني»: الأصفهاني مج ١ ص ١٨٠. «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٣٥.

وتُلَفِّظ (مرة) على أربعة وجوه اللُّغ؛ مَيَّةً وَمَدَّةً وَمَظَّةً وَمَقَّةً.

ولما هجا بشارُ الأعمى واصلاً، قال واصل بن عطاء^(١) عند ذلك:

«أما لهذا الأعمى المُلْحِدِ المُشَنَّفِ المُكْتَنَى بأبي معاذ مَنْ يَقتله؟ أما والله
لولا أن الغيلة سَجِيَّةٌ من سجايا الغالية^(٢)، لبعثتُ إليه من يَبْعَجُ بطنه على
مضجعه، ويقتله في جوف منزله وفي يوم حَفْلِهِ، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا
عُقَيْلِيَّ أو سَدُوسِيَّ»^(٣).

قال الجاحظ: ألا تريان كيف تَجَنَّبَ الراء في كلامه هذا. فقال: المُشَنَّفُ
بدل المُرْعَث، والمُلْحِد بدل الكافر، ولبعثت بدل لأرسلتُ . . . وعلى مضجعه
ولم يقل على فراشه^(٤) . . .

وكان إذا أراد أن يذكر البرَّ قال: القمح والحنطة، وهو يعلم أن البرَّ أَفْصَحُ
من لغة مَنْ قال: قمح أو حنطة.

وأما اللُّغَةُ الخامسة التي كانت تعرض لواصل بن عطاء فليس إلى
تصويرها سبيل.

وربما اجتمعت في الواحد لثغتان في حرفين، كأن يجعل اللام ياء والراء
ياء. قال اللائغ مرة: مَوِيَّايَ وَيِّيَّ أَلْيِيَّ، يريد مولاي وَلَيَّ الرَّيِّ^(٥).

(١) ترجمة بشار وواصل في ص ١٢٠ من هذا الكتاب.

(٢) الغيلة بالكسر: الخديعة والمكر. السَّجِيَّة: الطبيعة والخلق.

الغالية: هؤلاء الذين غلوا في حق أمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليفة. وحكموا فيهم
بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم على
طرفي الغلو والتقصير. . . وبدع الغلاة محصورة في التشبيه والبداء والرجعة والتناسخ. وهم
أحد عشر صنفاً. «لسان العرب»: ابن منظور مادة غيل مج ١١ ص ٥١٢ ومادة سجا مج ١٤
ص ٣٧٢. «المِلل والنحل»: الشهرستاني مج ١ ص ١٧٣ - ١٨٩.

(٣) «الأغاني»: الأصفهاني مج ٣ ص ١٣٠ - ١٣١.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٦.

(٤) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٧.

(٥) نفسه مج ١ ص ٣٦.

وبعد هذا الدفاع عن واصل، الذي صرح به الجاحظ نفسه بقوله: «وإنما عنيت محاجة الخصوم ومناقلة الأكفاء ومفاوضة الإخوان»^(١)، تابع الجاحظ عرضه، وكان ما قاله لم يكن إلا من باب المنطق والحاجة لا من باب الدفاع العنيد.

وتطرق بصورة عامة إلى الآفات التي تعتري اللسان وتؤدي إلى اللثغ.
قال الجاحظ: وقال الأصمعي^(٢): إذا تَتَغَتَّعَ اللُّسَانُ في التاء فهو التمتام وأنشد لرؤبة بن العجاج^(٣):

يا حَمْدُ ذَاتِ المنطِقِ التمتامِ كَأَنَّ وَسْوَاسَكَ في اللُّمَامِ
حديثُ شيطانِ بني هَنَامِ^(٤)

وإذا تَتَغَتَّعَ اللُّسَانُ في الفاء فهو الفأفة. كما قال أبو الزحف^(٥):

لَسْتُ بِفَأْفَاءٍ وَلَا تَمْتَامٍ وَلَا كَثِيرِ الْهُجْرِ في الكلامِ^(٦)
وإذا أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو أَلْفٌ. وقيل بلسانه لَفَفٌ^(٧).
وأنشد لأبي الزحف رجزاً:

كَأَنَّ فِيهِ لَفْفاً إذا نطقَ من طولِ تحبّيسٍ وَهَمٌّ وَأَرْقٌ^(٨)

(١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١. ص ١٥.

(٢) انظر ص ٣١ من هذا الكتاب حاشية رقم ١.

(٣) انظر ص ١٨٢ من هذا الكتاب حاشية رقم ٥.

(٤) بنو هَنَام: جنّ.

«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٣٧.

(٥) هو ابن عطاء الخطفي، ابن عم جرير الشاعر. لقبه أبو الزحف. عُمِرَ حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن علي بن العباس.

«الشعر والشعراء»: ابن قتيبة ص ١٦٣.

(٦) «البيان والتبيين»: الجاحظ تحقق هارون مج ١ ص ٣٨.

(٧) رجل أَلَفَ بَيْنَ اللَّفَفِ: أي عيى بطنه الكلام. وإذا تكلم ملأ لسانه قَمَةً.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة لفف. ج ٩ ص ٣١٩.

(٨) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٣٨.

وضرب الجاحظ مثلاً في اللّجلاج^(١) على لسان اللّهي^(٢).

ليس خطيب القوم باللّجلاج ولا الذي يزحلّ كالهلباج^(٣)

ويُقال في لسانه حُبْسة، إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حَدَّ الفأفة والتمتمة ويُقال في لسانه عُقْلَة إذا تعقّل عليه الكلام. ويقال في لسانه لُكْنَة، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول. ويقال في لسانه حُكْلَة، فإنّما يذهبون إلى نُقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال^(٤).

قال رؤبة:

لو أنني أوتيت عِلْمَ الحُكْلِ عِلْمَ سليمانَ كلامَ النملِ^(٥)

وقال التيمي^(٦) في هجائه لبني تغلب:

-
- (١) اللّجلاج: هو الذي يجول لسانه في شدقه. وقيل سجيّة لسانه، ثقل الكلام ونقصه. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة لجج. ج ٢ ص ٣٥٥.
- (٢) الفضل بن عباس اللّهي: (ت ٩٥هـ / ٧١٤م). من شعراء بني هاشم وفصحائهم المشهود لهم. له مواصفات عدّة. منها بُخله، وطمعه الشديد في المال والطعام. كان شديد الأدمة. انظر أخباره هي:
- «الأغاني»: الأصفهاني مج ١٦ ص ١١٩ - ١٣٥.
- «معجم الشعراء في لسان العرب»: د. الأيوبي. ص ٢٧٦ رقم ٩٩٢.
- (٣) الهلباج: الأحق. يزحل: يزل عن مقامه.
- «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ٣٩.
- (٤) «البيان والتبيين»: الجاحظ تحقّ هارون مج ١ ص ٣٩ - ٤٠.
- (٥) ورد الحُكْل، بالسكون بدل الكسر، في «اللسان»: وفيه الشاهد. والحُكْل من الحيوان ما لا يسمع له صوت كاللّذر والنمل. وكلام الحُكْلِ: كلام لا يُفهم. حكاة ثعلب.
- «لسان العرب»: ابن منظور مادة حكل. مج ١١ ص ١٦٢.
- وقد سبق تعريف رؤبة في ص ١٨٢ حاشية رقم ٥ من هذا الكتاب.
- (٦) ذكره الصولي في الأوراق ٧٦ باسم «التيمي بن محمد...»: هكذا عرّفه محقق «الحيوان»: هارون جاء في «الحيوان»: وقال التيمي الشاعر المتكلم... «الحيوان»: تحقّ هارون مج ٤ ص ٢٤.
- و«البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ٤٠.

ولكن حُكلاً لا تُبينُ ودينُها عِبَادَةُ أَعْلَاجٍ عَلَيْهَا الْبِرَانْسُ^(١)
 وذكر الأَشْفَى والأَفْلَحَ. قال عُيَيْدَةُ بن هلال الْيَشْكُرِي^(٢) في هجائه :
 أَشْفَى عَقْنَبَاءُ وَنَابٌ وَعَصَلٌ وَقَلَحٌ بَادٍ وَسِنَّ قَدْ نَصَلُ^(٣)
 كما ذكر الْأَشْدُق^(٤) :

وقال النَّمْر بن تُولُب^(٥) في شُنْعَةِ أَشْدَاقِ الْجَمَلِ :

كَمْ ضَرْبَةٍ لَكَ تَحْكِي فَأَقْرَاسِيَّةٍ مِنْ الْمَصَاعِبِ فِي أَشْدَاقِهِ شَنْعُ^(٦)

(١) الْعِلْجُ: الرجل من كُفَّار الْعَجَم. «لسان العرب»: ابن منظور مادة عِلْج مج ٢ ص ٣٢٦ والبرنس قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام. ورد في «الحيوان»: عُجْمٌ وَحُكْلٌ لَا تَبِينُ. وَعَلَقُ الْجَاحِظِ فِي «الحيوان»: على هذا البيت بقوله :
 فَفَصَّلَ بَيْنَ الْحُكْلِ وَالْعُجْمِ، فجعل الْعُجْمَ مثل ذوات الحافِرِ وَالظَّلْفِ وَالْخُفِّ، وجعل الْحُكْلَ كالذَّرِّ وَالنَّمْلِ وَالْخَنَافِيسِ، وَالْأَشْكَالِ الَّتِي لَيْسَتْ تَصِيحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا.
 «الحيوان»: تحق هارون مج ٤ ص ٢٤ - ٢٥.
 «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٤٠.

(٢) عُيَيْدَةُ بن هلال: ت ٧٧هـ / ٦٩٦م. الْيَشْكُرِي: من رؤساء الْأَزَارِقَةِ وشعرائهم وخطبائهم. كان في أول (خروجه) من الْمُقَدَّمِينَ فِيهِمْ وأرادوا مبايعته فقال أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْي: قَطْرِي بن الْفَجَاءَةِ الْمَازَنِي. فبايعوا قَطْرِيًّا. ووقع الخلاف بين الْأَزَارِقَةِ، ففارق قَطْرِيًّا وانحاز إلى حصن قَوْمَسٍ وَسَيَّرَ الْحِجَاجَ سَفِيَّانَ بن الْأَبْرَدِ الْكَلْبِي، فحاصره في الْحِصْنِ وقتله.
 «الأعلام»: الزركلي مج ١ ص ١٩٩.

«معجم الشعراء في لسان العرب»: د. الأيوبي ص ٢٣٥ رقم ٧٩٧.

(٣) الشِّفَا: اختلاف الأسنان. وقيل اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج.
 «لسان العرب»: ابن منظور مادة شفا. ج ١٤ ص ٤٣٥.

وَالْفَلَحُ: شَقٌّ فِي الشِّفَةِ السُّفْلَى. «لسان العرب»: ابن منظور مادة فَلَاحَ مج ٢ ص ٥٤٨.
 الْعَصَلُ: الْإِلْتِواءُ فِي الشَّيْءِ. «لسان العرب»: ابن منظور مادة عَصَلَ. مج ١١ ص ٤٤٩.
 عَقْنَبَاءُ: حَدِيدَةُ الْمُخَالِبِ. «لسان العرب»: ابن منظور مادة عَقْنَبَ مج ١ ص ٦٢٥.
 وَنَصَلٌ: أَيُّ خَرَجٍ وَظَهَرٍ.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٥٥.

(٤) الشُّدُقُ: جَانِبُ الْقَم. ورجل أَشْدُق: واسع الشدق.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة شُدُق مج ١٠ ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٥) انظر ص ١٧٤ من هذا الكتاب.

(٦) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٥٥.

«الحيوان»: تحق هارون مج ٣ ص ٣١٠.

وفسر الجاحظ القُرَاسِيَّةَ بالبعير الأضجم والضَّجْم اعوجاج الفم، والفَقْمُ مثله. والرَّوْق: ركوبُ السُّنِّ الشَّفَّةِ^(١). فيقال أفقْم وأزوق.

قال ابن الأعرابي: طَلَّقَ أبو رَمَادَةَ^(٢) امرأته حين وجدها لثغاء وخاف أن تجيئه بولدٍ لثغ. قال:

لثغاء تأتي بِحَيْفَسٍ لَثْغٍ تَمِيسُ فِي الْمَوْشِيِّ وَالْمَصْبَعِ^(٣)
ويلثغ من كان له ثنايا منزوعة، لأن لسانه لا يضبطه فمه فلا يبين كلامه
ويُخرج صفيراً مع كلامه. لذلك ذكر عبد الله بن معاوية^(٤) سلامة لفظ أحدهم
بقوله:

قَلْتُ قَوَادِحُهَا وَتَمَّ عَدِيدُهَا فَلَهُ بِذَاكَ مَزِيَّةٌ لَا تُنْكَرُ^(٥)
ثم أشار الجاحظ بأن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحرف،
منه إذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الآخر^(٦).
قال أبو الهندي^(٧) في اللثغ:

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٥٥.
(٢) لم نعثر على ترجمته.
(٣) فسر الجاحظ (الحَيْفَس) بالولد القصير الصغير، الدميم الخلقة.
وفي «عيون الأخبار ذكر»: طَلَّقَ زِيَادُ امرأته بدل أبو رَمَادَةَ.
والبيت مشروح هناك. «عيون الأخبار»: عبد الله بن قتيبة. دار الكتاب العربي. بيروت مج ٤
ص ٧. «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٥٧.
(٤) تجد ترجمته في ص ١٧١ حاشية ٦.
(٥) المزيَّة: الفضل. «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٥٩.
(٦) نفسه ج ١ ص ٦١.
(٧) أبو الهندي: ت ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م. واسمه عبد المؤمن، وقيل غالب، بن عبد القدوس. من بني
يربوع. شاعر أموي أدرك دولة بني العباس، جزل الشعر مطبوع، حسن اللفظ، لطيف المعنى،
ظريف ماجن معظم شعره في الخمر ومجالسه، وقيل هو أول من وصف الخمر في الإسلام.
خَمَلَ ذِكْرَهُ لِيُغْدِيَهُ عَنْ بِلَادِ الْعَرَبِ، إِذْ قَضَى أَيَامَهُ فِي بِلَادِ الْفَرَسِ. مات بِسِيْنَجِسْتَانَ مَخْنُوقاً بِحَبْلِ
وَهُوَ سَكْرَانٌ. تأثر به أبو نواس فأخذ كثيراً من معانيه وخاصة الاستغفار بعد الفجور.
«الشعر والشعراء»: ابن قتيبة. ص ١٦١.
«معجم الشعراء في لسان العرب»: د. الأيوبي ص ٣٦٨-٣٦٩ رقم ١٣٤٤.

سَقَيْتُ أبا المَطْرَحِ إِذْ أَتَانِي وَذُو الرُّعْثَاتِ مُنْتَصِبٌ يَصِيحُ
شَرَاباً تَهْرُبُ الذُّبَّانُ مِنْهُ وَيَلْتَحُ حِينَ يَشْرِبُهُ الْفَصِيحُ^(١)
وجاء الجاحظ بشاهد على اللثغ فقال نقلاً عن أبي محمد اليزيدي^(٢) :
وَخَلَّةُ اللَّفْظِ فِي الْيَاءِ إِنْ ذُكِرَتْ كَخَلَّةِ اللَّفْظِ فِي اللَّامَاتِ وَالْأَلْفِ^(٣)
وقال أهل التجربة : إذا كان في اللحم الذي فيه مفارزُ الأسنان تسميرٌ
وَقَصْرُ سَمَكٍ، ذهبت الحروف وفسد البيان^(٤) .
ولم يَتَّقَ للجاحظ إلا التمثيل على ألسنة الذين يَنخَرِطُونَ في العرب
ويتعلمون لُغَتَهُمْ . قال :
ألا ترى أَنَّ السِّنْدِيَّ، (الذي يُجَلِبُ من السند)، إِذَا جُلِبَ كبيراً فإنه لا
يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايّاً .
وكذلك النَّبْطِيُّ^(٥) (من النَّبْطِ) الْقُحَّ، خلاف المِغْلَاقِ^(٦) الذي نشأ في بلاد
النَّبْطِ، لأنَّ النَّبْطِيَّ الْقُحَّ يجعل الزاي سيناً، فإذا أراد أن يقول زورق قال :
سَوَرَقَ .

-
- (١) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ٦٠ .
«الحيوان» : تحقق هارون مج ٣ ص ٣٨٠ .
(٢) اليزيدي : نسبة إلى يزيد بن منصور الحميري خال المهدي . واسمه يحيى ، وكنيته أبو محمد
ت ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م .
«خزانة الأدب» : البغدادي مج ٤ ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .
(٣) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ٢٢ .
(٤) نفسه مج ١ ص ٦١ .
(٥) النَّبِيطُ وَالنَّبْطُ : جيل ينزلون سَوَادَ الْعِرَاقِ ، وَهُمْ الْأَنْبَاطُ ، وَالنَّسَبُ إِلَيْهِمْ نَبْطِيٌّ .
وفي كلام أيوب بن القُرَيْبِ : أهل عمان عَرَبٌ اسْتَبَطُوا ، وَأَهْلُ الْبَحْرَيْنِ نَبِيطٌ اسْتَعْرَبُوا : وَاسْمُوا
نَبْطاً لاسْتَبَاطِهِمْ مَا يُخْرِجُ مِنَ الْأَرْضَيْنِ .
«لسان العرب» : ابن منظور مادة نبط مج ٧ ص ٤١١ .
(٦) المِغْلَاقُ : المِرْتَاجُ . اسْتَغْلَقَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ : أَيِ أُرْزِجَ عَلَيْهِ .
واسْتَغْلَقَ الرَّجُلُ : إِذَا أُرْزِجَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ .
«لسان العرب» : ابن منظور مادة غلق . مج ١٠ ص ٢٩١ - ٢٩٣ .

ويجعل العين همزة، فإذا أراد أن يقول مُشْمَعِلَ قال مُشْمَيْلَ. والذي يعترى اللسان ممّا يمنع البيان أمور منها: اللُّثْغَةُ التي تعترى الصبيان إلى أن يُنْشَأُوا، وهو خلاف ما يعترى الشيخ الهرم الماَجَ المسترخي الحنك المرتفع اللّثة^(١). وبعد هذه الجولة الممتعة مع أبي عثمان، نستطيع القول إنه حرّك موضوعه على محاور عديدة، أصاب فيها هدفه.

لقد دافع عن رجل الاعتزال الأول واصل بن عطاء، بتبريرات منطقية، ومن الملاحظ أنه لم يمثّل على لُثْغَتِهِ، لا بالشعر ولا بالنثر، وتعليقه أن لا سبيل إلى ذلك، ولكن وَصَفَهُ بأنّه فاحش اللّثغ. ونعتقد أن ذلك من حسن التخلص.

ثم ساق الحروف التي تحصل بها اللثغة ومثّل عليها، وسمّى أنواع اللّثغ واختصر التمثيل عليها، وحكى نوادر مضحكة عن اللّثغ، ثم شرح الأسباب التي تؤدي إليه.

ولم يكتف بذلك، بل مثل على لثغة الأعاجم، الذين يتعلمون اللغة العربية ليتكلموا بها، وصوّر لفظهم الألثغ، وكلماتهم المضحكة التي لا تسفر عن معنى، فجاء موضوعه غنياً في العرض والمعلومات في أكثر من عشرين شاهداً شعرياً مفيداً، أدّت دورها في إبراز موضوع اللّثغة.

ويكتيفك شعور باللذّة بعد أن تنهي قراءة بحثه، فتشعر أنه ذكرك بشيء أو لفت انتباهك أو علّمك ما لم تكن تعلمه، أو أضافَ جديداً إلى معلوماتك أو وضحَ ما كنت تسأل عنه.

فتحمده في سرّك، وتعجبُ به في دخيلتك، فكأنه كفاك المؤونة.

٤ - الشُّعْرُ واللَّحْنُ

قال ابن الأثير: اللّحْنُ هو الميل عن جهة الاستقامة، ولَحَنَ فلان في

(١) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ٧٠ - ٧١.

كلامه ، إذا مال عن صحيح المنطق . وقيل اللَّحْن هو العدول عن الصواب^(١) .

إلى هذا المعنى ، وفي غير موضع ، في كتاب «البيان والتبيين» أشار الجاحظ إلى موضوع اللَّحْن ، وساق شواهد الشعرية التوضيحية كعادته^(٢) .

ثم أظهر عيوبه ، وَجَسَمَ أَقْبَحَهَا ، وعلى بعض ألسنة الأعراب مثله ، وفي أقوال القرويين عَمَمَه ، مُسْتَشْنِئاً ما نَحَلَهُ علماء العربية من صحيح الأقوال والمعاني .

ولم ينس لحن عوام المدن ، وعزا ذلك إلى الاستعداد الفطري وإلى نقص العلم والمعرفة . كما حرص على شعور قارئه ، فلم يكد يُصوِّر بشاعة اللحن حتى أبدله بصورة لطيفة مستملحة ، ف شعر القارئ بضرورة إعادة النظر والتقدير . وهكذا نراه يتلاعب بالعواطف والعقول ما شاء له التلاعب ، تحت وطأة تياراته وقوة إقناعه .

فهل ترى شخصية أقدر ، وعلماً أوفر ، ودرساً أمتع ، ومُعَلِّماً أسرع ، من صاحب هذه المحاضرة الصغيرة الكبيرة؟

قال الجاحظ : «متى سمعت - حفظك الله - بنادرة من كلام الأعراب ، فأياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين ، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضلٌ كبير»^(٣) .

(١) قال ابن بري وغيره : للحن ستة معان : الخطأ في الإعراب أو العدول عن الصواب والفعل منه لَحْنٌ ، واللغة : أي لغة العرب في إعرابها ، وترجيح الصوت التطريب والغناء والفعل منه لَحْنٌ ، والفطنة : لَحْنْتُ لِحناً جعله ابن الأعرابي مضارع لَحَنَ ، والتعريض والإيماء والإشارة ، والمعنى أو الفحوى كقوله تعالى : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي فحواه ومعناه .

«لسان العرب» : ابن منظور مادة لحن . مج ١٣ ص ٣٧٩ - ٣٨٢ .

(٢) انظر تعليق الجاحظ على قول العتابي : (ت ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) . في من أبلغ حاجته ..

«البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ١٦٢ .

(٣) نفسه : تحقق هارون مج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

«الحيوان» : تحقق هارون مج ١ ص ٢٨٢ .

وتابع يقول: «وزعم أبو العاصي أنه لم يَرِ قَرَوِيًّا قط لا يلحن في حديثه . ويستشهد على ذلك بقوله: وقد روى أصحابنا أن رجلاً من البلديين قال لأعرابي: «كيف أهليك؟» قالها بكسر اللام - قال الأعرابي: ضلّياً. لأنه أجابه على فهمه، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهليه وعياله»^(١).

وحتى تكون نظريته دقيقة شاملة قال: «ولأهل المدينة»^(٢) ألسن ذليقة، وألفاظ حسنة، وعبارة جيدة. واللحن في عواقبهم فاش وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب»^(٣).

ثم تعرّض شيخ المعلمين لقبح اللحن فقال: «ثم أعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التّعير»^(٤) والتّقييب»^(٥) والتّشديق»^(٦) والتّتمطيط»^(٧) والجهورة»^(٨) والتّفخيم»^(٩).

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٦٣.
- (٢) والمقصود هنا بالمدينة، عامة المدن.
- (٣) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٤٦.
- (٤) التّعير: التعميق، والتقصير في الكلام: التشديق فيه. التّعير: التعمق. يقال هو يتّعير في كلامه إذا كان يتنحى وهو لئان ويتعاقل وهو هلباجة.
- «لسان العرب»: ابن منظور مادة قعر. مج ٥ ص ١٠٨ - ١٠٩.
- (٥) التّقييب في الكلام كالتّعير. قُعب فلان في كلامه وقَصَرَ بمعنى واحد.
- «لسان العرب»: ابن منظور مادة قعب مج ١ ص ٦٨٤.
- (٦) تَشْدُق في كلامه: فتح فمه واتسع. ويقال مُتَشَدِّق في مَنْطِقِهِ إذا كان يتوسع فيه ويتفهب.
- «لسان العرب»: ابن منظور مج ١٠ ص ١٧٣.
- وللجاحظ فصل خاص بالتشديق والأشداق.
- «البيان والتبيين»: الجاحظ تحقق هارون مج ٢ ص ١٥١.
- (٧) مَطٌّ، يَمُطُّ مَطًّا: فُذِّ. والمطمطة: مدُّ الكلام وتطويلة.
- «لسان العرب»: ابن منظور مادة مط. ج ٧ ص ٤٠٣.
- (٨) جهر بالقول إذا رفع صوته فهو جهير، وأَجْهَرَ فهو مُجْهَر: إذا عُرِفَ بشدة الصوت. وأَجْهَرَ وَجْهَهُ بالكلام أعلنه. والْجَهْوَرِيُّ: هو الصوت العالي.
- «لسان العرب»: ابن منظور مادة جهر ج ٤ ص ١٥٠.
- (٩) التّفخيم: التعظيم. فُخِّمَ الكلام: عَظُمَ.
- «لسان العرب»: ابن منظور مادة فخم. ج ١٢ ص ٤٤٩.

وأقْبَحُ من ذلك لَحْنُ الأَعَارِيبِ النَّازِلِينَ على طُرُقِ السَّابِلَةِ، وبَقْرَبِ مَجَامِعِ
الْأَسْوَاقِ»^(١).

وَعَلَّلَ مِنْهُمْ اللَّحْنَ بِقَوْلِهِ: «وَلَوْ لَا طَوْلُ مَخَالَطَةِ السَّامِعِ لِلْعَجْمِ وَسَمَاعِهِ
لِلْفَاسِدِ مِنَ الْكَلَامِ لَمَا عَرَفَهُ. وَنَحْنُ لَمْ نَفْهَمْ عَنْهُ إِلَّا لِلتَّقْصِ الَّذِي فِينَا»^(٢).

ثم أظهر أن التباين في اختلاف لهجات العرب في الجاهلية، يؤدي، في
بعض الأحيان، إلى اللحن، ومثَّلَ بكلام الكسائي^(٣) مع بعض فتيان البادية،
مشيراً إلى رحابة اللغة العربية واتساع معاني مفرداتها.

أنشد الكسائي:

عَجَبْتُ مَا عَجَبْتُ أَعْجَبَنِي	مِنْ غُلَامٍ حَكَمِيٍّ أَصْلًا
قُلْتُ هَلْ أَحْسَسْتُ رَكْبًا نَزَلُوا	حَضَنًا مَا دُونَهُ قَالَ هَلَا
قُلْتُ بَيْنَ مَا هَلَا هَلْ نَزَلُوا	قَالَ خَوْبًا ثُمَّ وَلَّى عَجِلًا
لَسْتُ أَدْرِي عِنْدَهَا مَا قَالَ لِي	أَنْعَمَ مَا قَالَ لِي أَمْ قَالَ لَا
تِلْكَ مِنْهُ لُغَةٌ تُعْجِبُنِي	زَادَتْ الْقَلْبَ خَبَالًا خَبَلًا ^(٤)

(١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٤٦.

(٢) نفسه مج ١ ص ١٦٢.

(٣) الكسائي: ت ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م. واسمه علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي. أبو الحسن.
مُقرئ، مُجَوِّد، لغوي، نحوي، شاعر، نشأ في الكوفة واستوطن بغداد وتوفي في يربون
إحدى قرى الري. «الفهرست ابن النديم» ص ٢٣٥ «معجم المؤلفين»: كحالة مج ٧. ص ٨٤.

(٤) الغلام المشار إليه في البيت، هو عُمر بن لجأ من تميم، شاعر إسلامي وراجز فصيح.
والحَكَمِي: نسبة إلى الحَكَم بن سعد العشيرة.
وَأَصْلًا: من معانيها: صار ذا أصل، أو وقت الأصيل بمعنى العشي والسياق يقوي معنى العشي.
وَالْحَضَنُ: جبل بنجد.
وَهَلَا: بمعنى نعم كما أَنَّ أَجَلَ تكون بمعنى نعم إلا أنها أفضل أو أحسن من نعم. ولم يفهم
الكسائي معناها.

وَالْخَوْبُ: الواحدة خَوْبَةٌ. بالفتح: لغة لأهل الحجاز. والخَوْبُ مثلها: تميم.
من معانيها: القرابة. أو زجرٌ للبعير ليمضي والسياق يقوي هذا المعنى.

«لسان العرب»: ابن منظور ماد حوب مج ١ ص ٣٣٨ - ٣٤٠.

مادة أجل مج ١١ ص ١٢. مادة وهلا مج ١٥ ص ٣٦٤.

ولأجل التعمق في بيان معنى اللحن، ساق الجاحظ قول إبراهيم بن أدهم^(١).

«أغرَبْنَا كَلَامَنَا فَمَا نُلْحَنُ، وَلَحْنَا فِي أَعْمَالِنَا فَمَا نُغَرِّبُ حَرْفًا»^(٢) وأنشد:
نُرْقِعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينَئِنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرْقِعُ^(٣)
ومما ساقه الجاحظ من شواهد اللحن قول بشر المريسي^(٤):
«قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها»
فقال قاسم التمار^(٥): هذا على قوله:

-
- «الأغاني»: الأصفهاني مج ٨. ص ٦٩ - ٧٢.
«الشعر والشعراء»: ابن قتيبة ص ١٦١.
«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٦٤.
(١) إبراهيم بن أدهم (ت ١٦١هـ / ٧٧٨م). أبو إسحاق. زاهد مشهور. كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقّه ورحل إلى بغداد، وجال العراق والشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة. وكان يعيش في العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن واشترك مع الغزاة في قتال الروم. مسجده وقبره في أعالي مدينة جبلة على الساحل السوري.
«الأعلام»: الزركلي مج ١ ص ٣١.
(٢) أراد ابن أدهم من قوله: من يضبط لغته بحسب قواعدها، لا يخطيء في القراءة وتأدية المعنى أي لا يلحن. ومن لا يتبع الأصول، في العمل وفي كل شيء، يحصد النقص والخلل في القول والفعل. وأسمى ذلك لحن العمل.
(٣) «الحيوان»: تحق هارون مج ٦. ص ٥١٦.
«العقد الفريد»: لابن عبد ربه. تحق أحمد أمين وغيره... ج ٣ ص ١٧٦.
(٤) بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي ت ٢١٩هـ / ٦٣٩م. أبو عبد الرحمن والمريسي نسبة إلى المريس ومريسة بالصعيد. وضبطها الصغاني بثقل الراء.
هو مولى زيد بن الخطاب، من أصحاب الرأي، فقيه إلا أنه اشتغل بالكلام وجرد القول بخلق القرآن. قال بشر: وقد سئل عن رجل وهو على أحسن حال وأهنأها. فضحك الناس من لحنه.
«تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي مج ٧ ص ٥٦ ٦٧ رقم ٣٥١٦.
«لسان الميزان»: العسقلاني مج ٢ ص ٢٩ رقم ١٠٤.
«العقد الفريد»: ابن عبد ربه تحق أحمد أمين وغيره... مج ٢ ص ٤٨٢.
«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٢١٢ - ٢١٣.
(٥) قاسم التمار متقدم من أصحاب الكلام.
«العقد الفريد»: لابن عبد ربه. مج ٢ ص ٤٨٢.
«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٢١٢.

إِنَّ سُلَيْمِيَّ وَاللَّهُ يَكْلُؤُهَا ضَمَّتْ بِشْيءٍ مَا كَانَ يَرْزُؤُهَا^(١)

فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بشر.

ومن الذين هجوا أصحاب اللحن يحيى بن نوفل^(٢). قال في خالد بن عبد الله القسري^(٣).

قال يحيى:

بَلَّ السراويل من خوف ومن وَهَلٍ واستطعم الماء لَمَّا جَدَّ في الهرَبِ
وَأَلْحَنُ النَّاسِ كُلَّ النَّاسِ قَاطِبَةً وكان يولعُ بالتشديق في الخطبِ^(٤)
وفي شبيهه هذا المعنى قال البرذخت^(٥):

-
- (١) ذكر البغدادي البيت، وأورد فيه (يكلاها). بدل (يكلؤها).
- «تاريخ بغداد»: البغدادي مج ٧ ص ٥٧ رقم ٣٥١٦. «العقد الفريد»: لابن عبد ربه مج ٢ ص ٤٨٢. «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٢١٣.
- (٢) يحيى بن نوفل (ت ١٢٥/٧٤٣م). الحميري اليماني. أبو معمر. شاعر هَجَاء يكاد لا يمدح أحداً. وكان في أيام الحجاج الثقفي.
- «الشعر والشعراء»: لابن قتيبة. ص ١٧٤ - ١٧٥. «الأعلام»: الزركلي مج ٨ ص ١٧٤ - ١٧٥.
- (٣) خالد القسري بن عبد الله بن يزيد بن أسد: (٦٦ - ١٢٦هـ / ٦٨٦ - ٧٤٣م) أبو الهيثم. من بجيلة. أمير العراقيين وأحد خطباء العرب وأجوادهم. يمني الأصل من أهل دمشق. ولي مكة سنة ٨٩هـ للوليد بن عبد الملك ثم ولّاه هشام الكوفة والبصرة سنة ١٠٥هـ. وكان يُرمى بالزندقة وللفرزدق هجاء فيه.
- «الحيوان»: تحق هارون مج ٦ ص ٣٩٠ وج ٢ ص ٢٦٧. «الأغاني»: الأصفهاني ج ٩ ص ٥٤ - ٥٨. «الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ٢٩٧.
- (٤) (يقصد الشاعر باستطعم الماء). وهي مقصودة هنا. (بأنه اختلط عليه الأمر لارتبأكه) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٢٢.
- «الحيوان»: تحق هارون مج ٢ ص ٢٦٧ وج ٢ ص ٣٩٠.
- (٥) البرذخت: من بني ضَبَّة، جاء إلى جرير فقال له تهاجيني. قال: ومن أنت؟ قال: البردخت. قال وما البردخت؟ قال: الفارغ بالفارسية. قال: ما كنت أشغل نفسي بفراغك. وهو الذي يقول:

إذا كان الزمان زمان عك وتيم فالسلام على الزمان
زمان صار فيه العز ذلاً وصار الزج قدام السنان
«الشعر والشعراء»: لابن قتيبة ص ١٦٧ - ١٦٨.
«العقد الفريد»: لابن عبد ربه مج ٢ ص ٤٨١ - ٤٨٢.

لقد كان في عَيْنَيْكَ يا حفصُ شاغلُ وأنفٍ كَثِيلِ العَوْدِ عَمَّا تَتَّبِعُ
تَتَّبِعُ لَحْنًا في كلامٍ مُرْقَشٍ وَخَلَقْتَ مَبْنِيَّ عَلَى اللَّحْنِ أَجْمَعُ
فَعَيْنُكَ إِقْوَاءُ وَأَنْفُكَ مُكْفَأُ وَوَجْهُكَ إِيْطَاءُ فَأَنْتَ مُرْقَعُ^(١)
وكان الجاحظ قد علّق على الإيطاء بقوله: ولم أسمع بالإيطاء^(٢).

وقال بعضهم: ارتفع إلى زياد رجل، وأخوه في ميراث، فقال: إن أبونا مات. وإنّ أخينا وثب على مال أبانا فأكله. فأما زياد فقال: الذي أضعت من لسانك أضرت عليك مما أضعت من مالك. وأما القاضي فقال: فلا رحم الله أباك ولا نبيّ عَظَمَ أخيك! قُمْ في لعنة الله^(٣)!

(وقال بعض العبيد في بعض العبيد)، في ذكر أشداقهم وتشادقهم:

وقد كان مفتوق اللّهاء وشاعراً وَأَشْدَقُ يَفْرِي حِينَ لَا أَحَدٌ يَفْرِي^(٤)
وتلاعب الجاحظ بمعنى اللحن، ربما لِيُسْرِي عن قارئه، فقال على لسان مالك بن أسماء^(٥) في بعض نسائه، وكانت لا تصيب الكلام وربما لَحَنَتْ:

(١) (خَلَقْتَ = خِلَقْتَ وهَيْتَكَ). الإقواء: هو اختلاف المجرى الذي هو حركة الروي المطلق بكسر وضم.

والأنف المُكْفَأُ: غير السوي. والإكفاء بكسر وضم: هو اختلاف حرف الروي. والإيطاء: من عيوب القافية. وهو إعادة الروي بلفظها ومعناها بعد بيتين أو ثلاثة أو سبعة أبيات وهذا يدل على قلة إلمام الشاعر بمفردات اللغة إذ عليه ألا يكرر ألفاظ القافية.

«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ٢١٤ - ٢١٥.

«علم العروض والقافية»: د. عتيق ط ٨ دار النهضة العربية. بيروت ١٩٦٩ ص ١٦٧.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٣٩.

(٣) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ٢٢٢.

(٤) نفسه مج ٢ ص ٢٨٩.

(٥) مالك بن أسماء بن خارجة بن جِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاري.

كان الحجاج بن يوسف ولّى مالك بن أسماء بعد أن تزوج أخته هند بأصبهان بعد حبس طويل في خيانة ظهرت عليه. ثم خلاه بعد ذلك وطالت أيامه بأصبهان فظهرت عليه خيانة أخرى فحبسه وناله بكل مكروه. «الأغاني»: الأصفهاني مج ١٧ ص ١٥٩ - ١٦٦.

«معجم الشعراء في لسان العرب»: د. الأيوبي ص ٣٠٧ رقم ١٠٩٢.

أَمُغْطَى مِنِّي عَلَى بَصَرِي لِدُ حُبِّ أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا
وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعَتُونَ يوزن وَزْنًا
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا^(١)
من خلال عَرْضِ الجاحظ الْمُتَمَتِّعِ لموضوع اللحن، أَجَلْنَا النظر في معناه
وفي أقسامه، واستمتعنا ما يزيد على العشرين شاهداً، ساقها، لتوضيح مفهوم
اللحن في الكلام. وعرفنا أن دواءه المفيد الوحيد، هو التصلع في اللغة
وعلموها.

والسؤال الذي يراود أفكارنا هو:

هل مال الجاحظ عن مفهوم اللحن: الذي هو العدول عن الصواب؟
فمن خلال أبيات مالك بن أسماء، نلمس الولة الشديدة الذي يُغمي البصر
والبصيرة: قال الشاعر:

وعَيْنُ الرَضَى عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنْ عَيْنُ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
ففي نظر ابن أسماء، أَلْدُ حَدِيثِ حَدِيثُ مَحْبُوبِيَّتِهِ، وَأَفْضَلُ مَنْطِقِ مَنْطِقِهَا
حتى إنه استملح اللحن وجعله خير الحديث لأجلها.

(١) قال صاحب الأمالي: ومعناه أنها تصيب أحياناً.

وقال الخطيب البغدادي: قلت أفما سمعت بخبر هند بنت أسماء بن خارجة، مع الحجاج حين
لحنت في كلامها فعاب ذلك عليها، فاحتجَّتْ بيبيتي أخيها؟ فقال لها: إن أخاك أراد أن المرأة
فطنة، فهي تلحن بالكلام إلى غير المعنى في الظاهر لتستر معناه وتورِّي عنه وتُفهِمَهُ من أرادت
بالتعريض، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ من سورة محمد، الآية: ٣٠.
ولم يرد الخطأ من الكلام. والخطأ لا يستحسن من أحد.

(لما سمع الجاحظ كلام والد الخطيب البغدادي) وجم ساعة ثم قال: لو سقط إليّ هذا الخبر لما
قلت ما تقدم. فقلت له: فأصلحه، فقال الآن وقد سار الكتاب أي (البيان والتبيين) في الآفاق،
هذا لا يُصلح.

«الأمالي في لغة العرب»: إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي. دار الكتب العلمية بيروت
١٩٧٨ مج ١ ص ٥-٦. «تاريخ بغداد»: للخطيب البغدادي مج ١٢ ص ٢١٤-٢١٥.
«الأغاني»: الأصفهاني مج ١٧ ص ١٦٤.
«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٤٧.

وأبو عثمان أورد شاهده بعد أن بحث موضوع اللحن وتَقَلَّبَ معانيه ومقدار مساوئه، فمن غير المنطق أن يميل عن مفهوم اللحن في قول ابن أسماء، لأن الخطأ لا يستحسن من أحد، ولأن بُغْدَ شاهديه لا يكون إلا في إبعاد المَلَلِ عن القارئ وتسليته.

وعندما تنبه إلى مقدار تأثير كلامه، وشواهد في الناس، وأن كتابه «البيان» سار في الآفاق^(١) عرف أنه لم يصب غايته في شاهده. ومهما يكن الأمر فالأدب صورة الحياة، ولم يستملح الجاحظ الخطأ في الحياة بل ترك للقارئ الحكم على الشاهد بعد أن أجاد تصوير اللحن وتحديد مفهومه.

ولا يجوز أن نختم هذا القسم من البحث دون تدوين قول عبد الملك بن مروان:

اللحن هُجْنَةٌ على الشريف، والعُجْبُ آفة الرأي. وكان يقال: اللحن في المنطق أقبح من آثار الجُدَرِيِّ في الوجه^(٢).

٥ - الشُّغْرُ واللُّكْنَةُ

من عيوب اللفظ التي تناولها الجاحظ بالشرح والنقد، اللُّكْنَةُ، وهي عُجْمَةٌ في اللسان وعِيٌّ عند العرب^(٣).

قال الجاحظ: ويقال في لسانه لُكْنَةٌ إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول^(٤).

(١) انظر حاشية ص ٢١٢ من هذا الكتاب.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ٢١٦.

«العقد الفريد»: ابن عبد ربه مج ٢ ص ٤٧٨ - ٤٧٩.

(٣) الأَلَكْنُ: الذي لا يقيّم العربية من عجمة في لسانه.

قال المبرّد: اللُّكْنُ أن تعترض على كلام المتكلم، اللغة الأعجمية: ويقال فلان يَرْتَضِخُ لُكْنَةً رومية أو حبشية أو سنديّة أو ما كانت من لغات العجم.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة لكن. مج ١٣ ص ٣٩٠.

(٤) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٣٩ - ٤٠.

وهذا بحث في اقتران الحروف، بعد أن فرغ من القول في اقتران الألفاظ،
يُبيِّنُ أَنَّ النُّطْقَ العربي مرهون بمخارج الكلام المستقيم، ويذكرنا بأن هذه اللغة،
هي لغة القرآن الكريم، لغة الذوق والبلاغة والفصاحة، وقد انبثق عنها علوم
التجويد والقراءات والنحو والصرف والعروض والقافية . . .

ولا يجوز التساهل مع الذي ينحرف عن القاعدة، لذا كان من السهل على
أهلها أن يميزوا أجناس الناطقين بها، لِتَبْخِرِهِمْ بالعلوم وإحاطتهم واستيعابهم
لُكْنَاتِ الشعوب الأعجمية التي انصهرت مع العرب من جَرَاءِ الفتوحات
العريضة. فمَيَّزُوا النَّبْطِيَّ مِنَ الْخُرَّاسَانِيِّ وَالْمُتَخَرِّجَ مِنْ كُتَّابِ الْأَهْوَازِ، مِنَ الْيَمْنِيِّ
وَالسُّنْدِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَجْناسِ الْعَجَمِ^(١)، من هنا جاءت أهمية اللُكْنَةِ في
عيوب اللفظ العربي.

فمن اللُكْنِ مَنْ كَانَ خطيباً أو شاعراً أو كاتباً داهياً، مثل زياد بن سلمى،
أبي أمانة وهو زياد الأعجم^(٢). قال أبو عبيدة^(٣): كان يُنشد قوله:

فتى زاده السُلطان في الودِّ رِفْعَةً إِذَا غَيَّرَ السُلطانُ كُلَّ خَلِيلٍ^(٤)

فقال: فكان يجعل السين شيئاً والطاء تاء فيقول فتى زاده السُلطان . . .

(١) «البيان والتبيين» تحق هارون مج ١ ص ٦٩ - ٧١.

(٢) زياد الأعجم (ت ١٠٠هـ / ٧١٨م). ابن سليمان أو سليم، من شعراء الدولة الأموية، ومنشأه
بفارس. قال صاحب الخزائن: هو مولى بني عبد القيس أحد بني عامر، كان ينزل إصطخر
وكانت فيه لكنة فلذلك قيل له الأعجم. كان جزل الشعر، حسن الألفاظ على لكنة في لسانه،
عاصر المهلب بن أبي صفرة الذي كان يخشى هجاءه. كما كان الفرزدق يتحاشى أن يهجو بني
عبد القيس خوفاً منه. ويقال إنه شهد فتح إصطخر مع أبي موسى الأشعري وله وفادة على
هشام بن عبد الملك مات في خراسان.

«الشعر والشعراء»: ابن قتيبة ص ٩٩.

«الأغاني»: الأصفهاني مج ١٥ ص ٣٠٧ - ٣١٩.

«خزانة الأدب»: البغدادي مج ٤ ص ١٩٣ - ١٩٤.

«الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٥٤.

(٣) انظر ص ٣١ من هذا الكتاب.

(٤) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٧١.

ومنهم سُحَيْمُ عبد بني الحَسْحَاس^(١)، قال لِعُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه:
وأنشد قصيدته التي أولها:

عُمَيْرَةٌ وَدَّعْ إِن تَجْهَزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا
لو قَدَّمْتَ الْإِسْلَامَ عَلَى الشَّيْبِ لَأَجَزْتُكَ. فقال سُحَيْمُ لِعُمَرَ ما سَعَرْتُ،
يريد ما شعرت، جعل الشين المعجمة سينا غير معجمة^(٢).

ومنهم صُهَيْبُ بن سِنَانِ التَّمَرِيِّ^(٣) صاحب رسول الله ﷺ، الذي كان
يرتضخ لُكْنَةً رومية. و«أَزَدَ انْقِاذَارًا» لُكْنَتَهُ نبطية، وعُبَيْدُ الله بن زياد لُكْنَتَهُ
فارسية، وكانوا يجعلون الحاء هاء.

قال الجاحظ: فهذا ما حَضَرْنَا من لُكْنَةِ الْبُلْغَاءِ وَالْخُطْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ
وَالرُّؤَسَاءِ^(٤).

أما عن لُكْنَةِ الْعَامَةِ فمن شواهد الجاحظ عليها: «وقالت أم ولد^(٥)
لجَرِيرِ بن الْخَطْفِيِّ^(٦) لبعض ولدها (وقع الجُردان في عِجان)^(٧) أُمُكُمْ، فأبدلت

(١) سُحَيْمُ عبد بني الحَسْحَاس، أبو عبد الله، مخضرم، أسلم، هو عبد حبشي اشتراه بنو
الحسحاس وهم بطن من أسد. شاعر مجيد، عرف بغزله الصريح وتشبيهه بينات أسياده، قتله
عمر بن الخطاب ويقال إنه أُحْرِقَ في أخدود، ويقال قُتِلَ في خلافة عثمان.

«الأغاني»: «الأصفهاني»: مج ٢٢ ص ٣٢٦ - ٣٣٧.

«خزانة الأدب»: البغدادي مج ١ ص ٢٧٢ - ٢٧٤.

«معجم الشعراء في لسان العرب»: د. الأيوبي ص ١٨٠ رقم ٥٤٠.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٧١ - ٧٢.

(٣) صُهَيْبُ بن سِنَانِ بن مالك التَّمَرِيُّ الرومي ت ٣٨هـ / ٦٥٩م. يكنى أبو يحيى. قيل له ذلك لأن
الروم سَبَّوْهُ صغيراً، فنشأ صُهَيْبُ بالروم فصار أَلْكَنَ. ونقل البغوي أنه كان أحمر شديد الصهوبة
تشوبها حمرة وكان كثير شعر الرأس يخضب بالحناء وكان من المستضعفين ممن يعذب في الله.

هاجر إلى المدينة المنورة مع علي بن أبي طالب وعاش سبعين عاماً.

«الإصابة في تميز الصحابة»: العسقلاني مج ٢ ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٤) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٧٢ - ٧٣.

(٥) أمهات الأولاد والجواري بصفة عامة كانوا من السبي وهم أعاجم.

(٦) انظر ص ١٣٦ من هذا الكتاب.

(٧) العِجان كلمة فاحشة وهو لُكْنَةُ عَجِينٍ من عجن وهو معروف. «لسان العرب»: ابن منظور ج ١٣
ص ٢٧٨.

الذال من الجرذان دالاً وضمّت الجيم وجعلت العجين عجاناً^(١).

وقال بعض الشعراء في أمّ ولد له، يذكر لُكْتَتَها:

أولُ ما أسمعُ منها في السّحر تذكيرُها الأنثى وتأنيتُ الذّكر
والسّوءةُ السّوءاءُ في ذِكرِ القمر

وفي موضع آخر قال الجاحظ: قال بعض الشعراء في جارية له لكناء... .
وذلك لأنها كانت إذا أرادت أن تقول القمر قالت: الكَمَرُ بقوله: قد فهم الشاعر
عن جاريته، ولكنه لم يفهم عنها من جهة إفهامه لها، ولكنه لما طال مقامه في
الموضع الذي يكثر فيه سماعه لهذا الضرب، صار يفهم هذا الضرب من
الكلام^(٢).

وعن الذي يرتضخ لُكنة فارسية قال:

أوفد زيادُ عبید الله بن زياد^(٣) إلى معاوية. فكتب إليه معاوية: إن ابنك
كما وصفت ولكن قَوْمٌ من لسانه.

وكانت في عُبيد الله لُكنة، لأنه نشأ بالأساورة مع أمه مرجانة، وكان زياد
قد زوّجها من شيرَوَيْه الأسواري^(٤).

(١) «البيان والتهيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٧٣ - ٧٤ - ١٦٥.

(٢) نفسه: تحقق هارون مج ١ ص ١٦٥.

(٣) عُبيد الله بن زياد بن أبيه: (٢٨ - ٦٧هـ / ٦٤٨ - ٦٨٦م). وال، فاتح، من الشجعان جبّار،
خطيب، ولد بالبصرة ونقله معاوية إليها أميراً سنة ٥٥هـ. فقاتل الخوارج ولما مات يزيد سنة
٦٥هـ بايع أهل البصرة لعبيد الله. ثم ما لبث أن وثبوا عليه، فاستطاع الإفلات إلى الشام، ثم عاد
يريد العراق فلحق به إبراهيم بن الأشتر في جيش يطلب ثأر الحسين وقتل عبيداً. وكان خصوم
ابن زياد يدعونه ابن مرجانة وهي أمه.

«الأعلام»: الزركلي مج ٤ ص ١٩٣.

(٤) الأسوار والإسوار: قائد الفرس، وقيل: هو الجيّد الرميّ بالسهم، وقيل هو الجيّد الثابت على
ظهر الفرس، والجمع أساورة وأساور والنسبة أسواري.
ولم أجد ترجمة لشيرويه المذكور.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة سور. ج ٤ ص ٣٨٨.

وكان قال مرّة: افتحوا سيوفكم، يريد سلّوا سيوفكم، فقال يزيد بن مُفَرِّغ^(١):

ويومَ فتحت سيفك من بعيد أضعت وكلُّ أمرِك للضياع^(٢)
وجملة الكلام في هذا الباب أن الجاحظ تمكّن من تصوير عيوب اللفظ
شعراً فلم يترك شيئاً عن الصمت إلا ذكره، وقلب معاني العيِّ والحَصَر، وشرح
اللُّثْغَة بدقة، وعرض اللحن بواقعية، وشرح اللُّكْنَة بإيجاز مستدرَكاً أن هذا الباب
كبير ويكتفى منه بالذي ذكر.

فإذا دَقَّقْنَا النظر في ذلك، وجدنا أن اللغة العربية لا تسلم قيادتها بسهولة
حتى لأبنائها، فما بالك بالذي يحاول أن يتعلم ألفاظها وهو مُتَشَرِّبٌ غيرها منذ
صغره.

وفي عصر الجاحظ، كان الخوض في هذا الموضوع حساساً جداً، لذا لم
يسهب أبو عثمان فيه، وهو الصريح، خوفاً من حَرَجِه أمام المسؤولين، الذين
تعتريهم من عيوب اللفظ الشيء الكثير، وربما تسببوا في ضرره.
والذين الحنيف أتى لهدي الناس جميعاً، عرباً كانوا أم عجماء أم غير
ذلك.

فمن أسلم وهو أعجمي ولم يستقم فلا يُتَنَقَّصُ قَدْرُه، وانتقادنا له لن يُقَوِّمَ
لسانه، بل يضعه في موقف السخرية والهُزء، وكأننا بذلك نسخر منه.
لم تخف على أبي عثمان هذه الحساسية الظاهرة، ففضل الاختصار
والإشارات الواضحة، محققاً بذلك غرضه البلاغي ورسالته النقدية الاجتماعية.

(١) يزيد بن زياد بن ربيعة: المُلَقَّب بالمُفَرِّغ: (ت ٦٩هـ / ٦٨٨م). الحميري، يكتنى أبا عثمان،
شاعر غزل، وهو الذي وضع سيرة تُبَّع وأشعاره، كان من أهل تباله، قرية في الحجاز مما يلي
اليمن، واستقر بالبصرة، وكان هجاء مقذعاً، وله مديح، ونظمه سائر وهو صاحب البيت
الشائع:

العبد يُفَرِّغُ بالعصا والحرُّ تكفيه الإشارة
سكن الكوفة، ومات فيها. «الأغاني»: الأصفهاني مج ١٨ ص ١٨١ - ٢٢٠ وفيه شاهد الجاحظ
في ص ٢٠٦ «خزانة الأدب»: البغدادي مج ٨ ص ١٨٣.
(٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٢١٠ - ٢١١.

الفصل الثاني

الشعر وعلم المعاني

١ - تمهيد: في نشأة البلاغة العربية وتطورها مع التعريف بعلم المعاني

كانت العلوم العربية وحدة غير محددة ولا متميزة، تختلط مسائلها البلاغية بعضها ببعض من غير تمييز أو فصل.

كان عرب الجاهلية، أصحاب اللغة الصافية، يُمَيِّزون، بفطرتهم وأحاسيسهم النقدية المرفهة، بين محاسن الشعر، وعيوبه، باختيار الألفاظ والمعاني والصور البلاغية...

قال الجاحظ «وكلامُ الناس في طبقات كما أنَّ الناس أنفسهم في طبقات. فمن الكلام الجزلُ والسخيفُ، والمليحُ والحسنُ، والقبيحُ والسَمجُ، والخفيفُ والثقيلُ، وكله عربي، وبكلٍ قد تكلموا، وبكلٍ قد تَمادحوا وتعابوا. فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل، ولا بينهم في ذلك تفاوت فَلِمَ ذكروا العَيِّ والبكيَّةَ والحَصِرَ والمُفَحَمَ والخَطِلَ والمُشَهَبَ؟^(١)...»

وفي صدر الإسلام كان هدف الباحثين في البلاغة العربية، معرفة إعجاز كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، الذي أوتي جوامع الكلم، وكان أفصح من نطق بالضاد، بالإضافة إلى الاطلاع على أسرار البلاغة

(١) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٤٤.

والفصاحة، في غير القرآن والحديث، من كلام العرب شعراً ونثراً، وتعمقهم في أسرار الإعجاز وأسبابه هو لاعتبارات مُكَمِّلة للإيمان وبرسالة النبي ﷺ. «وذاك: أنا إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أن كان على حدٍّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهاً إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر، وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك إلا مَنْ عرف الشعر الذي هو ديوان العرب، وعنوان الأدب، والذي لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان...»

ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض، كان الصادُّ عن ذلك صادّاً عن أن تعرف حجة الله تعالى. وكان مثله مَثَلٌ من يتصدَّى للناس فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله تعالى ويقوموا به، ويتلوه ويقرئوه...»

ذاك لأننا لم نتعب بتلاوته وحفظه، والقيام بأداء لفظه على النحو الذي أنزل عليه، وحراسته من أن يُغَيَّرَ ويُبَدَّلَ إلا لتكون الحجة قائمة على وجه الدهر»^(١).

وصدِّقُ الخبر ومطابقته للاعتقاد وكذبه عدمها توقف عندها النظام. وأنكر الجاحظ انحصار الخبر في الصدق والكذب. وفي رأيه هو صادق وكاذب وغير صادق ولا كاذب^(٢). فتكون مقتضيات البلاغة وجوب مطابقة الكلام لحال السامع الذي هو أصل من أصول علم المعاني، ومن أصوله أيضاً أن يُخاطَبَ كل إنسان على قَدْرِ استعداده للفهم وحفظه من اللغة والأدب، فالذكي تكفيه الإشارة أو الإيجاز، والمُكابر يحتاج إلى الإسهاب والإطناب^(٣).

(١) «دلائل الإعجاز»: عبد القاهر الجرجاني ص ٧.

(٢) «عقود الجمان»: السيوطي ص ٣٤ الحاشية.

«شروح التلخيص»: التفتازاني مج ١ ص ١٧٨ و ١٨٢ و ١٨٣.

(٣) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٩١ و ٩٩ و ١٤٩ و ١٥٥ و ١٩٦.

فما هو مفهوم الجاحظ لعلم المعنى؟ وما هي أبرز شواهد الشعرية التي
مثل بها على علوم البلاغة؟

لقد امتزجت مسائل العلوم البلاغية عند الجاحظ امتزاجاً واضحاً في
معظم حالاتها. قال أبو عثمان: ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن
بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك
كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني
ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار السامعين على أقدار تلك
الحالات^(١).

ولا بد لنا، قبل الانتقال إلى تعريف علم المعاني وبسط مباحثه عند
الجاحظ، أن نشير إلى أن عبد القاهر الجرجاني^(٢)، وضع نظرية علم المعاني
في (دلائل الإعجاز) ونظرية علم البيان في (أسرار البلاغة). فكان بذلك المدون
الأول لهذين العلمين بكل ما تحمله كلمة (علم) من قواعد النقد الذي لا تكتمل
فائدته إلا مع الذوق السليم والطبع. وقد وضع ابن المعتز قبله أساس نظرية علم
البديع.

ولم نلمس من بعد الجرجاني تغييراً أساسياً يُذكر أو استنباطاً ملحوظاً في
بناء النظرية البلاغية، لأنه استمد أساس ملاحظاته من سابقه الذين تأثر بهم وفي
مقدمتهم، أبو عثمان الجاحظ^(٣).

وانحصرت جهود البلاغيين، الذين تلووه، في جمع علوم البلاغة أو ترتيبها
أو اختصارها أو شرحها أو التوسع بها^(٤).

(١) «البيان والتبيين»: الجاحظ تحقق هارون مج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) عبد القاهر الجرجاني: ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م. ابن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. أبو بكر من
أئمة اللغة ومن أهل جرجان التي تقع بين طبرستان وخراسان. له شعر رقيق.

«الأعلام»: الزركلي مج ٤ ص ٤٨ - ٤٩.

(٣) و (٤) من محاضرة للدكتور ياسين الأيوبي في كلية الآداب، الفرع الثالث، قسم دبلوم الدراسات
العليا، في طرابلس في ٢٧/٢/١٩٨٦.

فعلم المعاني علم تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال^(١).

ومباحثه الثمانية من شأنها أن تبين وجوب مطابقة الكلام لحال السامع ومكانه وزمانه وتفيد أن القول لا يكون بليغاً حتى يلائم المقام الذي قيل فيه. والكلام لا يكون إلا خبراً أو إنشاء.

فإذا كان خبراً لا بد له من إسناد ومسند إليه. والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو ما في معناه، وكل من التعليق والإسناد قد يكون بقصر وقد لا يكون، والجملة إذا قرئت بأخرى فالثانية إما معطوفة على الأولى أو لا، ويسمى ذلك الوصل والفصل. والكلام البليغ إما ناقص عن أصل المراد (إيجاز) أو زائد (إطناب) أو مساوٍ . . .

والخبر ما احتمل الصدق والكذب والإنشاء بخلافه^(٢).

فما هي شواهد الجاحظ الشعرية عليه؟

٢ - الإيجاز والإطناب والمساواة في الشعر

أ - الإيجاز في الشعر

وَجَزَّ الْكَلَامُ وَجَازَةً وَوَجَزَّ وَأَوْجَزَ: قَلَّ فِي بِلَاغَةٍ، وَأَوْجَزُهُ: اخْتَصَرَهُ.
قال ابن سيده: بين الإيجاز والاختصار فرق منطقي ليس هذا موضعه^(٣).

(١) «عقود الجمان»: السيوطي ص ٨.

(٢) «عقود الجمان»: السيوطي. ص ٣١ - ٣٢ - ٣٣.

وانظر في «كشاف اصطلاحات الفنون»: محمد علي الفاروقي التهانوي. تحقق د. لطفي عبد البديع ود. عبد النعيم محمد حسنين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٧. ص ٢٥٥ - ٢٥٨.

(٣) منطقي: بيّن واضح. والإيجاز لا يُضَيِّعُ شيئاً من المعاني، بينما الاختصار يحصل فيه حذف شيء من المعاني.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة وجز. مج ٥ ص ٤٢٧.

وجاء في شروح التلخيص: الإيجاز لغة: التقصير: يقال أوجزتُ الكلام أي قصرته. يستعمل لازماً ومتعدياً^(١).

واصطلاحاً؛ هو أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف^(٢).

كانت الحاجة إلى الإيجاز في القول أول الأمر، وسيلة لاستيعاب أكبر قدر ممكن من المعاني، يُسهل على الإنسان تذكُّره، وبذلك يتسنى للأجيال المتعاقبة أن تتأمله سليماً غير منقوص وتستخدمه وسيلة للحفظ على التراث العقلي.

وفي صدر الإسلام لم يتطور مفهومه كثيراً بالرغم من مراسلات الخلفاء الموجزة إلى ولاية الأمصار. وظل وسيلة أكثر منه غاية قائمة بحد ذاتها، ثم أصبح تباعاً مطلباً بلاغياً يتنافس فيه الباحثون.

ويُحدِّد، أبو عثمان، مفهوم الإيجاز بأنه:

الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة^(٣). ثم يتوسع في مفهومه فيصبح الإيجاز عنده أداء حاجة المعنى سواء أكان ذلك الأداء في ألفاظ قليلة أم كثيرة، وقد يطول الكلام في رأيه ويعد إيجازاً لأنه وقف عند منتهى البُغية ولم يجاوز مقدار الحاجة^(٤).

ويعلق الدكتور ضيف على ذلك بقوله: (على أن أبا عثمان لم يَغنِ بالإيجاز مجرد قصر الألفاظ وقلة كميتها، وإنما أراد مساواتها الدقيقة للمعاني دون زيادة، وقد يمتد الكلام صفحات ويسمى موجزاً)^(٥).

(١) «شروح التلخيص»: التفتازاني مج ٣ ص ١٥٩ الحاشية.

(٢) «عقود الجمان»: السيوطي ص ٦٠.

و«شروح التلخيص»: التفتازاني مج ٣ ص ١٦٣.

(٣) «الحيوان»: تحق هارون مج ٣ ص ٨٦.

(٤) «الحيوان»: تحق هارون مج ٦ ص ٧ - ٩.

(٥) «البلاغة تطور وتاريخ»: د. شوقي ضيف. ط ٤ دار المعارف. مصر ١٩٧٧ ص ٤٨ - ٤٩.

راجع «الحيوان»: الجاحظ تحق هارون. ج ١. ص ٨٨ - ٩١.

وإذا تتبعنا الإيجاز عند البلاغيين بعد الجاحظ وجدنا مفهومه لم يُحرّف، فهو جمع المعاني الكثيرة بأقل الألفاظ مع الإبانة والإيضاح. وهو ضربان: إيجاز قصر وإيجاز حذف^(١).

نستنتج أن الجاحظ وضع يده منذ الوهلة الأولى على الأسس الحقيقية لعلم المعاني. فلإيجاز فضل في تخلص صاحبه من الصفات والعيوب اللفظية والكلامية.

قل لإياس^(٢): ما فيك عيب إلا كثرة الكلام. «وما نعلم أحداً رمى إياساً بالعيّ وإنما عابوه بالإكثار»^(٣).

قال أبو عثمان: ووصف أعرابي أعرابياً بالإيجاز والإصابة فقال:

كان والله يضع الهناء مواضع الثقب^(٤). يظنون أنه نقل قول دُرَيْد بن

(١) «الحيوان»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٣ ص ٣٩.

«الصناعتين»: للعسكري. تحقق قميحة دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٧١ ص ١٩٣ - ١٩٥.

«العُندة»: ابن رشيق القيرواني مج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥١.

«مفتاح العلوم»: للسكاكي: تحقق محمد كامل الأزهرى. دار الكتب العلمية بيروت ص ١٢٠.

«التلخيص في علوم البلاغة»: القزويني ص ٢٠٩ وحاشية ٢١٠ - ٢١١.

«الإيضاح في علوم البلاغة»: القزويني ص ٢٨٠ - ٣٠٠.

«في تاريخ البلاغة العربية»: د. عتيق. ص ٨٣.

(٢) القاضي إياس: (٤٦ - ١٢٢ هـ / ٦٦٦ - ٧٤٠ م)، ابن معاوية بن قرّة المزني، أبو وائلة قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء. توفي بواسط. قال الجاحظ: إياس من مفاخر مُضَر ومن مُقَدِّمي القضاء، وكان صادق الحدس ملهماً، عجيب الفراسة.

«الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ٣٣ «البيان والتبيين»: الجاحظ تحقق هارون مج ١ ص ١٠١.

(٣) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٩٩ - ١٠٠.

(٤) الهناء ضرب من القطران تُطلى به الإبل.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة هنا مج ١ ص ١٨٦.

الثقب: الجرب عامة.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة ثقب مج ١ ص ٧٦٦.

وانظر «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٠٧.

الصُّمَّةُ^(١) في الخنساء^(٢) بنت عمرو بن الشريد، إلى ذلك الموضع، وكان دُرَيْدُ قال فيها:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به في الناس طالي أئنيكُ جُزْبِ
مُتَبَدِّلاً تبدو محاسنُهُ يضع الهِنَاءَ مواضِعَ النُّقْبِ^(٣)
ويقولون في إصابة عين المعنى بالكلام الموجز، فلان يَفُلُّ المِحْزُ ويُصِيبُ
المَفْصِلُ. أخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق، فجعلوه مثلاً للمصيب
الموجز^(٤).

أنشد أبو قَطَنُ الغنوي الذي يقال له شهيد الكرام^(٥)، وكان أبيين من رآه
الجاحظ من أهل البدو والحضر:

(١) دُرَيْدُ بن الصُّمَّةِ بن بكر بن علقمة بن هوازن، شاعر جاهلي شهد الإسلام ولم يسلم. جعله ابن سلام أول شعراء الفرسان وأطولهم غزواً وأبعدهم أثراً وأكثرهم ظفراً غزا نحو مائة غزوة، فما أخفق في واحدة منها. أمه ربحانة، أخت عمرو بن معد يكرب. له أربعة إخوة، قُتِلَ أعظمهم في يوم اللوى على غطفان، فانتقم له دُرَيْدُ في يوم الغدير. تغزل بالخنساء وخطبها فامتنعت فتهاجيا. مات قتلاً في وقعة حنين (ت ٨٠هـ / ٦٠٣م). وقيل ٦٣٠م.

«الأغاني»: الأصفهاني مج ١ ص ١ - ٤٠.

«الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ٣٣٩.

«معجم الشعراء في لسان العرب»: د. الأيوبي. ص ١٣٨ رقم ٤٠٨.

(٢) الخنساء: (ت ٢٤هـ / ٦٤٥م). وأسمها ثَمَاضِرُ بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الريحانية السليمة من بني سليم.

أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق، أدركت الإسلام فأسلمت ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سليم فكان رسول الله يستنشدُها ويعجبه شعرها.

«الشعر والشعراء»: لابن قتيبة. ص ٧٢.

«الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ٨٦.

«معجم الشعراء في لسان العرب»: د. الأيوبي. ص ١٣٥ رقم ٣٩٢.

(٣) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٠٧.

(٤) نفسه مج ١ ص ١٠٧.

(٥) أشار محقق «البيان والتبيين»: بأن اسمه شوشى في «فهرس الأعلام»: ج ٤ ص ٣٠٤، ٣٠٥

وذكره الجاحظ في «الحيوان»: تحق هارون مج ٣ ص ٩٤.

وأحالنا المحقق إلى الجزء الثاني ص ٨٩ فلم يُعرَف به ولم نعر على ترجمته.

جُفَاءَ الْمَحَزِّ لَا يُصِيبُونَ مَفْصِلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُّمًا^(١)
يعلق الجاحظ على البيت بقوله:

هم ملوك وأشباه الملوك، ولهم كُفَاءٌ منهم لا يحسنون إصابة المَفْصِلِ.
وفي شبيه هذا المعنى قال الراعي^(٢):

فَطَبَّقْنَ عُرْضَ الْقُفِّ ثُمَّ جَزَعْنَهُ كَمَا طَبَّقْتَ فِي الْعِظِ مُذِيَّةً جَازِرًا^(٣)
والكلام إذا طال أو كثر، في بعض الحالات، فلا يخرج عن تسميته
بالإيجاز عند الجاحظ، لأنه يصل إلى منتهى البُغْيَةِ. يقول الراجز^(٤):

إِذَا عَدَّتْ سَعْدٌ عَلَى شَبِيبِهَا عَلَى فَتَاهَا وَعَلَى خَطِيبِهَا
مَنْ مَطَّلَعَ الشَّمْسَ إِلَى مَغِيبِهَا عَجَبْتُ مِنْ كَثَرَتِهَا وَطِيبِهَا^(٥)

(١) يقول الشاعر: إذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعاً بالسكاكين لا نهشاً بالأسنان.
وشُرح البيت في الحماسة: المحز هو الحز هنا: أي أنهم لا يتأنقون في فصل اللحم كعمل
الجزار لأنهم ليسوا بجزارين ولا ذلك من عاداتهم.
والخُذْم: سرعة القطع، وفي التخُذْم زيادة تكلف.

«شرح ديوان الحماسة»: للتبريزي. عالم الكتب. بيروت مج ٤ ص ٧٤ - ٧٥.
«البيان والتبيين»: الجاحظ تحق هارون مج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) الراعي: (ت ٩٠هـ / ٧٠٩م). هو عُبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النمري، أبو جندل
النمري، شاعر من فحول المحدثين. لُقِّبَ بالراعي لكثرة وصفه الإبل. من أهل بادية البصرة.
عاصر جريراً والفرزدق فهجاه جرير هجاء مُرّاً:

فَقُضِّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمَسِيرٍ فَلَا كَغَباً بَلُغْتَ وَلَا كِلَاباً
«الأغاني»: الأصفهاني مج ٢٣ ص ٣٤٨ - ٣٦٣. «الشعر والشعراء»: ابن قتيبة. ص ٩٤ - ٩٥.
«خزانة الأدب»: البغدادى مج ١ ص ٥٠٤ - ٥٠٥.

«معجم الشعراء في لسان العرب»: د. الأيوبي ص ١٥٢ رقم ٤٣٧.

(٣) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٠٨.

(٤) هو أبو نخيلة، ويكنى أبا الجُنَيْد وأبا العِرماس. كان عاقاً بأبيه فنفاه أبوه عن نفسه. فخرج إلى
الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه. لُقِّبَ نفسه شاعر بني هاشم قليل الوفاء، بَطْنٌ، فاحش
اللفظ، قتله قطري على طريق خراسان في خلافة المنصور. مزيد من أخباره في «الأغاني»:
الأصفهاني مج ١٠ ص ٣٦١ - ٣٩٢. وانظر «خزانة الأدب»: البغدادى مج ١ ص ٧٩ - ٨٠.

(٥) أثبت أبو الفرج هذه الأبيات، ضمن أخبار أبي نخيلة.

«الأغاني»: الأصفهاني مج ١٠ ص ٣٧٦. «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١١٣.

وكان عمرو بن عبيد^(١) مولعاً بالإيجاز لا يكاد يتكلم؛ فإذا تكلم لم يكذب. ومن المولعين بالإيجاز الذين ذكرهم الجاحظ في (البيان والتبيين)، جعفر بن يحيى^(٢) الذي كان يقول لكُتَّابه: إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا^(٣). ومنهم سلم بن قتيبة^(٤)، وسفيان بن عُيينة^(٥). ومن شواهد الإيجاز عند الجاحظ قول الشاعر:

لِكُلِّ هِلَالِيٍّ مِنَ اللَّؤْمِ بُرْقُعٌ وَلَا بِنِ هِلَالٍ بُرْقُعٌ وَقَمِيصُ^(٦)

(١) عمرو بن عبيد (٨٠ - ١٤٤هـ / ٩٩د - ٧٦١م). ابن باب البصري المعتزلي القديري التيمي بالولاء. أبو عثمان، متكلم مفسر زاهد. شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها وأحد الزهاد المشهورين له أخبار مع المنصور وغيره. توفي بحران بقرب مكة المكرمة، ورثاه المنصور. «تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي مج ١٢ ص ١٦٦ - ١٨٨ رقم ٦٦٥٢.

«الأعلام»: الزركلي مج ٥ ص ٨١. «معجم المؤلفين» كحالة مج ٨ ص ٩ - ١٠. (٢) جعفر بن يحيى البرمكي (١٥٠ - ١٨٧هـ / ٧٦٧ - ٨٠٣م). أبو الفضل وزير الرشيد، ولد في بغداد، استوزره الرشيد ملقياً إليه أزمة الملك، وكان يدعوه أخي. وعندما نقم الرشيد على البرامكة قتله. وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس. «تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي مج ٧ ص ١٥٢ رقم ٣٦٠٦. «تاريخ الطبري»: محمد بن جرير مج ٨ ص ٢٩٤ حوادث ١٨٧. «الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ١٣٠ «الفهرست»: لابن النديم ص ١٧٧ و ٢٣٦. (٣) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١١٥.

(٤) سلم بن قتيبة: (ت ١٤٩هـ / ٧٦٦م). ابن مسلم الباهلي الخراساني، أبو عبد الله. والي البصرة في أيام مروان بن محمد. كان من الموثوق بهم في الدولتين الأموية والعباسية، وكان من عقلاء الأمراء عادلاً حَسُنَتْ سيرته ومات بالري. «الكامل في التاريخ»: ابن الأثير مج ٥ ص ٢٨. «الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ١١١. «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٧٤ - ١٧٥. (٥) سفيان بن عُيينة الهلالي: (ت ١٩٨هـ / ٨١٤م). الكوفي المكي أبو محمد، محدث فقيه ولد بالكوفة، جمع وصنف، وانتهى إليه علو الإسناد وله تفسير معروف وجزء فيه أحاديث. «الفهرست»: لابن النديم ص ٣١٦. «الأعلام»: الزركلي مج ٥ ص ١٣٧. «معجم المؤلفين»: كحالة مج ٤ ص ٢٣٥.

(٦) يقول الجاحظ: أنه رجل من محارب قيس؛ دخل على عبد الله بن يزيد الهلالي، وهو عامل على أرمينية، وقد بات في موضع قريب من غدير فيه ضفادع، فقال عبد الله للمحاربي: ما تركنا أشياخ محارب تنام في هذه الليلة لشدة أصواتها. فقال المحاربي أصلى الله الأمير إنها أضلت بُزُقُعا لها، فهي في بُغَاثه أراد الهلالي قول الأخطل: تَنِيْقُ بِلَا شِيءٍ شِيُوْخُ مُحَارِبٍ وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيْشُ وَلَا تَبْرِي =

ومما قالوا في الإيجاز وبلوغ المعاني بالألفاظ اليسيرة قول ثابت قُطنة^(١) :

ما زِلْتُ بعدَكَ في هُمٍّ يجيش به صدري وفي نَصَبٍ قد كان يُبليني
لا أَكثُرُ القولَ فيما يهْضِبون به من الكلام، قليلٌ منه يكفيني
إني تَذَكَّرْتُ قتلى لو شَهِدْتُهُمْ في غمرة الموت لم يَصْلَوْا بِهَا دُونِي^(٢)

وقال أبو وَجْزَةَ السعدي^(٣) ، من سعد بن بكر يصف كلام رحل :

يكفي قليلُ كلامه وكثيره ثبت إذا طال النضال مُصيب^(٤)

ومن كلامهم الموجز في أشعارهم قول العُكْلي^(٥) في صفة القوس .

في كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنوعٌ مُوثِقة صابرة جَزُوعٌ^(٦)

= ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فذلَّ عليها صوتها حيَّة البحر
وأراد المحاربي قول الشاعر: لكل...

«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ١٨١ - ١٨٢.

(١) ثابت قُطنة: (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م). ابن كعب بن جابر العتكي من الأزدي. من شجعان العرب وأشرفهم في العصر المرواني. يكنى أبا العلاء شهد الوقائع في خراسان وأصيب عينه فجعل عليها قُطنة فعرف بها. «الكامل في التاريخ»: ابن الأثير مج ٤ ص ١٧٦ - ١٧٧ حوادث سنة ١٠٢. «خزانة الأدب»: البغدادي مج ٤ ص ١٨٥.

(٢) هذه الأبيات مُثَبِّتة في الأغاني «ضمن ترجمة ثابت، في قصيدة يَزْثِي بها المفضل بن لهب.
«الأغاني»: الأصفهاني مج ١٤ ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٣) هو يزيد بن عبيد من بني سعد بن بكر بن هوزان كان شاعراً مجيداً، وهو الذي روى الخبر في استسقاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه. توفي في المدينة (١٣٠هـ / ٧٤٨م). وهو من أوائل الشعراء الذين شَبَّهوا بعجوز. «الشعر والشعراء»: لابن قتيبة ص ١٦٥.

(٤) «البيان والتبيين»: الجاحظ تحقق هارون مج ١ ص ١٤٩.

(٥) العُكْلي: (ت ١٠٠هـ / ٧١٨م). واسمه كهمس بن قعنب بن وعلة بن عطية العُكْلي، أعشى بني عكل: شاعر أموي كان في أيام جرير.

«الحيوان»: للجاحظ. تحقق هارون مج ٣ ص ٧٢ - ٧٥. «الأعلام»: للزركلي مج ٥ ص ٢٣٦.

«معجم الشعراء في لسان العرب»: د. الأيوبي ص ٢٤٨ رقم ٨٥٣.

«البيان والتبيين»: للجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٦) يصف الشاعر القوس بأنها سهلة على بارئها تَرْنُ أو تَوَزُّ عند الإنباض.

في مثل هذا المعنى، وصف الشاعر، سهماً صارداً نافذاً مصيباً فقال:

ألقى على مفطوحها مفطوحاً غادرَ داء ونجا صحيحاً^(١)

شرح الجاحظ البيت بقوله: المفطوح الأول للقوس وهو العريض أي موضع مقبض القوس. والمفطوح الثاني السهم العريض.

يعني أنه ألقى على مقبض القوس سهماً عريضاً.

وقال الآخر يصف سهم رام أصاب حماراً فقال:

حتى نجا من جوفه وما نجا^(٢)

ووصف الآخر ناقة سريعة مليئة بالنشاط والقوة والبراعة، ولكنها في نشاطها وقوتها تشبه المرأة الخرقاء فقال:

خرقاء إلا أنها صنّاع^(٣)

ومن أوجز وأبلغ ما قيل في وصف الذئب:

أطلس يُخفي شخصه غُبّاره في شِدْقِه شفرته وناره

هو الخبيث عَيْنُه مزاره بهم بني مُحارب مُزْدَارُه^(٤)

وقال بعض ولدِ العباس، في فرس أبي الأعور السلمي^(٥):

-
- (١) «البيان والتبيين»: مج ١ ص ١٥٠.
- (٢) لم يُذكر القائل: أي أن السهم نجا من جوف الحمار، ولم ينج الحمار من الهلاك.
- (٣) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٥٠.
- (٤) نفسه تحقق هارون مج ١ ص ١٥٠.
- (٥) يصف هذا الشاعر سرعة الذئب الذي يغطيه الغبار فيخفي شخصه، كما يصف شراسته، بتعيين مطبخه الجاهز الذي بين فكّيه، ويصف احتياله وسرعة مزاره إذا اكتشفت زيارته لحيوانات وماشية بني محارب.
- (٥) هو عمرو بن سفيان بن عبد شمس المشهور بأبي الأعور السلمي، شهد حُتَيْناً وهو مشرك ثم أسلم، وصار من ثقات التابعين. غزا قبرص سنة ٢٦هـ / ٦٤٦م. وكانت له مواقف بصيفين مع معاوية. قُدِمَ مصر مع مروان سنة ٦٥هـ / ٦٨٠م.
- «الإصابة في تمييز الصحابة»: العسقلاني مج ٣ ص ٥٣٣ رقم ٥٨٥٣.

جاء كلمح البرق جاش ناظره يسبح أولاه ويسطفو آخره
فما يمس الأرض منه حافرُه^(١)

وهذا من أجمل ما وصفت به سرعة فرس .

ومن زبدة الفكر العربي في الإيجاز والذوق الرفيع قول الشاعر:
إن سرَّك الأهون فابدأ بالأشد^(٢)

وهناك شواهد كثيرة من الشعر والحكم التي أوردها الجاحظ ، لا مجال
لإثباتها هنا^(٣) ؛ وهي تدلنا على بديهة العربي وجمال لغته وحسن استعماله
للإيجاز وكيف يضع لكل مقام مقالاً .

ومن شواهد إيجاز الحذف قول الجاحظ : وَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ ، عَمَرَ بْنَ
عَبْدِ الْعَزِيزِ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي حَاجَةٍ وَجَعَلَ يَمُتُ بِقِرَابَةٍ ، فَقَالَ عَمَرُ : فَإِنَّ ذَاكَ .
ثُمَّ ذَكَرَ حَاجَتَهُ فَقَالَ : لَعَلَّ ذَاكَ . لَمْ يَزِدْهُ عَلَى أَنْ قَالَ : فَإِنَّ ذَاكَ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ ، أَيْ
إِنَّ ذَلِكَ كَمَا قُلْتُ ، وَلَعَلَّ حَاجَتَكَ تُقْضَى .

وقال عبد الله بن قيس^(٤) .

(١) يشرح الجاحظ البيت بقوله : جاش ناظره : أي جاس بمائه . وناظر البرق : سحابة .

يسبح : يعني يمتد ضبعيه فإذا مدَّهما علا كَفَلَهُ .

«البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ١٥١ .

(٢) نفسه «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ١٥١ ، وانظر بعده قول العجاج في السيف .

(٣) قول حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِي : وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تُصِحَّ وَتُسَلِّمَ .

النمر بن تولب :

يُحِبُّ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى فَكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ؟

أبو العتاهية : أَسْرَعَ فِي نَقْصِ أَمْرِي تَمَامُهُ .

أبو خراش الهذلي : تُؤَكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جُلَّ مَا يَمْضِي .

أبو ذؤيب الهذلي : وَإِذَا تُرِّدُ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ .

ابن حريز الإيادي : يَزْمُونَ بِالْخُطْبِ الطُّوَالَ وَتَارَةً وَخِي الْمَلَا حِظَّ خَيْفَةِ الرُّقْبَاءِ .

«البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ١٥٣ - ١٥٥ .

(٤) ذكره صاحب «الأغاني» : بِاسْمِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ ، وَلُقِّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ شَبَّ بِثَلَاثِ نِسْوَةٍ

سَمِينَ جَمِيعاً رُقِيَّةً . هُوَ شَاعِرٌ قُرَشِيٌّ زَيْبَرِيٌّ الْهُوِيُّ .

«الأغاني» : الأصفهاني مج ٥ ص ٦٤ - ٩١ .

بَكَرَتْ عَلَيَّ عَوَازِلِي يَلْحَنِ نَنِي وَأَلُومُهُنَّ
وَيَقْلُنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَقَدْ كَبُرَتْ، فَقُلْتُ إِنَّهُ^(١)
وقال النابغة^(٢):

أَزِفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزُلُ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ^(٣)
وقال الراجز:

حتى إذا كان الظلام ينكشط جاء بِمَذْقٍ هل رأيت الذئب قط^(٤)
وصفوة القول إنَّ مُعَايِنَةَ الجاحظ للإيجاز، مُعَايِنَةُ اختصاصي مجرب،
أظهر بشواهد الشعرية، الفصاحة والبلاغة العربية، وذروة الإيجاز بقسميه.
وكان انتقاؤه للشواهد الشعرية، انتقاء الصائغ لحليه، لأنه يعرف أسرار
المعادن والأحجار الكريمة، فطبّق المثل في ذلك، كما يقال.

فتنبّه إلى أن هناك ضربين من الإيجاز:
«ضرباً يدخل في البيان البليغ، وضرباً مُخِلّاً بالبيان يُفْسِدُ العبارة بما يجري
فيها من الغموض.

من أجل ذلك دعا أصحاب الكلام، وخاصة المصنفين، إلى أن يُصَفُّوا
ويبالغوا في التصفية حتى لا ينطقوا إلا بِلُبِّ اللَّبِّ وباللفظ الذي قد خُذِفَ فضوله
وأسقط زوائده، فَإِنَّ مَنْ يصنع ذلك ويسرف فيه حريٌّ به أَنْ لَا يُفْهَمَ عنه إلا أن
يجدد الإفهام مِراراً وتكراراً»^(٥).

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ٢٧٨ - ٢٧٩.
(٢) ذكر محقق «البيان والتبيين»: بأنه النابغة الجعدي في فهرس الأعلام مج ٤ ص ٣٤٣ توفي ٦٥هـ/
٦٨٤م. وعاش ما يقرب من ٢٢٠ سنة.
«معجم الشعراء في لسان العرب»: د. الأيوبي ص ٣٥٢. ٣٥٣ رقم ١٢٧٨.
(٣) «البيان والتبيين»: الجاحظ تحقق هارون مج ٢ ص ٢٨٠.
(٤) لم يذكر أحد من الرواة اسم هذا الراجز مع أن البيت مشهور. وأوله:
بِتَنَا بِحَسَّانَ وَمِغْزَاهُ تَنُطُّ فِي سَمَنِ جَمٍّ وَتَمَرٍ وَأَقِطُ
«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ٢٨١.
(٥) «الإيضاح في علوم البلاغة»: القزويني. ص ٣٢ و ٢٨٧ و ٣٠٠.
«البلاغة تطور وتاريخ»: شوقي ضيف. ص ٤٨ - ٤٩.

ب - الإطناب في الشعر

الأطناب في أصل الوضع اللغوي: هي الطوال من جبال الأخبية، واحدها طُنْب. واستعيرت للكلام الطويل قال ابن منظور: الإطناب هو البلاغة في المنطق والوصف، مدحاً كان أم ذمّاً. وأطنب في الكلام: بالغ فيه^(١). وهو عكس الإيجاز.

واصطلاحاً: تأدية المعنى بلفظ أزيد منه لفائدة^(٢).

وما يصحُّ أن يُقال عنه في النثر يصحُّ في النظم، والقصد منه هو حاجة المتكلم إليه. فحاجة الإيجاز في موضعه. كحاجة الإطناب في موقعه.

قال العلماء الذين أيدوه على الإيجاز: ... والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفا لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء، والإيجاز للخواص، والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة، والغبيّ والفطن، والرّيّض والمُرتاض^(٣).

وقال السكاكي: ... فالإيجاز أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراتهم، سواء كانت القِلّة أو الكثرة راجعة إلى الجُمَلِ أو إلى غير الجُمَلِ^(٤).

فالإيجاز والإطناب هما أنف البلاغة الذي تعطس منه، ونابها الذي تفتّر عنه شفتاها. والمُطْنِب إنما يكون مُطنباً بالنسبة إلى ما هو أنقص منه، أي الذين لم يرتقوا إلى ذروة البلاغة ولم يتدلوا إلى حضيض العي^(٥).

(١) «لسان العرب»: ابن منظور. مادة طنب. مج ١ ص ٥٦١ - ٥٦٢.

«شروح التلخيص»: التفتازاني مج ٣ ص ١٥٩.

(٢) «عقود الجمان»: السيوطي ص ١٠٢ الحاشية.

(٣) «الصناعتين»: أبو هلال العسكري. ص ٢٠٩.

(٤) «مفتاح العلوم»: للسكاكي ص ١٢٠ - ١٣٣.

«القزويني وشروح التلخيص»: د. أحمد مطلوب ط ١ مكتبة النهضة. بغداد ١٩٦٥ ص ٢٤٢.

(٥) «التلخيص في علوم البلاغة»: القزويني حاشية ص ٢٠٩ - ٢١٠.

ومن جميل تعاريف البلاغة: البلاغة هي الإيجاز في غير عجز، والإطناب من غير خطل^(١).

وقال الهاشمي: الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة من متعارف أوساط البلغاء، لفائدة تقويته وتوكيده^(٢). فإذا لم تكن في الزيادة فائدة فيسمى تطويلاً، وإذا كانت الزيادة في الكلام مُتَعَيِّنَةً لا يَفْسُدُ بها المعنى، فيسمى عندئذ حشواً، وكل من الحشو والتطويل مُعَيَّبٌ في البيان.

والمُسْهَبُ والمُسْهَبُ: الكثير الكلام. قال ابن بري. قال أبو علي البغدادي:

رجل مُسْهَبٌ بالفتح، إذا أكثر الكلام في الخطأ فإن كان ذلك في صواب، فهو مُسْهَبٌ بالكسر لا غير^(٣).

ومن دواعي الإطناب وأهدافه: تثبيت المعنى وتوضيح المراد، والتوكيد، ودفع الإبهام، وإثارة الحمية، وغير ذلك^(٤).

كيف عرض الجاحظ الإطناب، وما شواهد الشعرية التي تضمَّنُها «البيان والتبيين»؟ فرّق الجاحظ بين الإطالة والإطناب فقال: وقد بَقِيَثَ - أبقاك الله - أبوابٌ توجب الإطالة وتحوج إلى الإطناب. وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة من الكلام ولم يقف عند منتهى البُغْيَةِ^(٥).

والإطالة والإطناب مترادفان ومقابلان للإيجاز عند أبي عثمان، فهما عنده، كل ما جاوز مقدار الحاجة من الكلام ولم يقف عند منتهى البغية.

(١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٩٧.

«الصناعتين»: العسكري ص ٢٠٩.

(٢) «جواهر البلاغة»: أحمد الهاشمي ص ٢٢٦.

(٣) «لسان العرب»: ابن منظور مادة سهب مج ١ ص ٤٧٥.

والمكثّر والمكثير: كثير الكلام.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة كثر مج ٥ ص ١٣٢.

(٤) «جواهر البلاغة»: الهاشمي ص ٢٢٨.

(٥) «الحيوان»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٦ ص ٧.

وفي حديثه عن الترداد والتكرار في القصص القرآني ومواعظ الوعاظ قال :
وجملة القول في الترداد، أنه ليس فيه حَدٌّ يُنتهى إليه ولا يُؤتى على وصفه . وإنما
ذلك على قدر المستمعين ومن يحضره من العوام والخواص .

وقد رأينا الله عز وجل ردّد ذكر قصة موسى وهود وهارون وشعيب ،
وإبراهيم ولوط وعاد وثمود . وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة لأنه خاطب
جميع الأمم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبيّ غافل أو معاند مشغول
الفكر ساهي القلب^(١) .

وأما أحاديث القصص والرقّة فإني لم أرَ أحداً يعييهما ذلك^(٢) .

لقد ارتضى أبو عثمان الإطناب في الخطابة، ولكنه لم يستحبه في الرسائل
إلا أن تكون موجهة إلى الخلفاء^(٣) .

وفي حديثه عن تداعي المعاني في التأليف قال : وكذلك صاحب القلم ،
فما أكثر من يتدىء الكتاب وهو يريد مقدار السطرين فيكتب عشرةا والحفظ مع
الإقلال أمكن وهو مع الإكثار أبعد^(٤) .

واستعمل الجاحظ، في بعض الأحيان، مرادفات الإطناب في إطار واحد
لا يخرج عن زيادة المقدار، على حاجة اللفظ والمعنى . كقول صفوان
الأنصاري^(٥) في هجاء بشار^(٦) .

(١) التكرار أو الترداد في القرآن الكريم له فائدة عظيمة، وهو من خصائص التعبير القرآني ومقتضيات
أساليبه البلاغية.

«البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ١٠٥ .

(٢) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ١١٨ .

(٣) «الحيوان»: الجاحظ تحقّ هارون مج ١ ص ٨٨ - ٨٩ .

(٤) صفوان الأنصاري . هو صفوان بن أسيد التيمي . قال الطبري : لما مات النبي ﷺ ، قدم
صفوان بن صفوان بصدقته على أبي بكر . جاء في «الإصابة» : بعد الإسناد . أن الرسول ﷺ
قال : إن الله إذا جعل لقوم عماداً أعانهم بالنصرة . فعلى هذا فهو ولد صفوان بن أسيد . ونعتقد
أنه سُمّي بالأنصاري لذلك .

«الإصابة في تمييز الصحابة» : العسقلاني مج ٢ ص ١٨٢ رقم ٤٠٧٦ .

(٥) انظر ص ١٢٠ من هذا الكتاب حاشية رقم ٣ .

وَسَمَّيْتُهُ الْغَزَّالَ فِي الشَّعْرِ مُطْنِباً وَمَوْلَاكَ عِنْدَ الظُّلَمِ قِصَّةُ مُزْدِي^(١)

ويعني بالمطنب هنا، على ما نعتقد، المُكثِر، الذي يحسب نفسه بإكثاره مُفْجِماً. قال الجاحظ: إن مولاك مَلَّاحٌ، لأن الملاحين إذا تظلموا رفعوا المُرادِي.

وقال الشاعر:

يرمون بالخطب الطَّوال وتارةً وَحْيَ الملاحِظِ خِيفَةَ الرُّقْبَاءِ^(٢)

يريد بالملاحظ: العيون. قال الجاحظ: . . . للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فَضِّلَ عن قَدْرِ الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والمَلال، فذلك الفاضل هو الهَذْرُ، وهو الخَطْلُ، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيِّبونه^(٣).

ومن المكثرين في القول ربعة الرأي^(٤).

قال الجاحظ: . . . فإن قليلاً كافياً خير من كثير غير شاف^(٥).

وقال: إن أناساً قالوا لابن عمر^(٦): ادع لنا بدعوات، فقال: اللهم ارحمنا

(١) يقول السيد هارون محقق «البيان»: أن معنى القصة: القطعة ترفع فيها الظلامة.

والمُزْدِي: خشبة يدفع بها الملاح السفينة.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة مرد مج ٣ ص ٤٠٢.

«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٩ وحاشية رقم ٥.

(٢) يقول السيد هارون محقق «البيان»: إن هذا البيت ينسب إلى أبي دؤاد بن حريز.

«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٤٤.

(٣) نفسه تحقق هارون مج ١ ص ٩٩.

(٤) انظر ترجمته في حاشية رقم ١ في ص ١٦٥ من هذا الكتاب.

(٥) «البيان والتبيين»: الجاحظ تحقق هارون مج ١ ص ١١٢.

(٦) ابن عمر: (١٢٨ - ١٩٠ هـ / ٧٤٥ - ٨٠٦ م). هو عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل

الرعيني، أبو عبد الرحمن من سكان إفريقية. قاض، فقيه، ورع، دخل الشام والعراق في طلب

العلم ولآه الرشيد قضاء إفريقية سنة ١٧١ هـ فاستمر قاضياً إلى أن مات في القيروان. من الثقات.

«الأعلام»: الزركلي مج ٤ ص ١٠٩.

وعافنا وارزقنا. فقالوا: لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن. قال: نعوذ بالله من الإسهاب^(١).

وقال أبو الأسود الدؤلي^(٢) في ذكر الإسهاب، يقولها في الحارث^(٣)، والحارث هو القُبَاع وكان خطيباً من وجوه قريش ورجالهم، وإنما سُمِّيَ بالقُبَاع لأنه أتى بمكتل لأهل المدينة فقال: إن هذا المكتل لقُبَاع. فسمي بذلك. والقُبَاع هو الواسع الرأس القصير^(٤).

وقال الفرزدق فيه لجري^(٥):

وَقَبْلَكَ مَا أَعْيَيْتُ كَاسِرَ عَيْنِهِ زِيَاداً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ حَبَائِلُهُ
فَأَقْسَمْتُ لَا آتِيهِ تَسْعِينَ حِجَّةً وَلَوْ كُسِرَتْ عُتُقُ الْقُبَاعِ وَكَاهِلُهُ^(٦)
وقال أبو الأسود في ذم الإسهاب والإطباب:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جُزَيْتَ خَيْراً أَرَحْنَا مِنْ قُبَاعِ بَنِي الْمُغِيرَةِ
بَلُونَاهُ وَلُمْنَاهُ فَأَعْيَا عَلَيْنَا مَا يُمِرُّ لَنَا مَرِيرَهُ

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٩٥ - ١٩٦.
- (٢) هو ظالم بن عمرو (١ق هـ - ٦٩ هـ - ٦٠٥ - ٦٨٨م). الدؤلي الكناثي. واضع علم النحو، أبو عثمان. كان بليغاً فقيهاً شاعراً فارساً سريع البديهة من التابعين المحدثين. سكن البصرة في أيام عمر وتولى إمارتها أيام علي. وكان أيضاً من البخلاء والمفاليح والعرج. مات بالبصرة. «الشعر والشعراء»: ابن قتيبة ص ١٧١.
- «البرصان والعرجان والعميان والحوالان»: للجاحظ. تحقق هارون ص ٤٦١.
- «الأعلام»: الزركلي مج ٣٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٧.
- تلطف بالرجوع إلى ص ١٤٩ من هذا الكتاب.
- (٣) هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. أرسل حديثاً، وهو المعروف بالقُبَاع.
- «الإصابة في تمييز الصحابة»: «العسقلاني»: مج ١ ص ٣٨٦ - ٣٨٧ رقم ٢٠٤٣.
- (٤) شرح محقق «البيان»: القُبَاع فقال: إنه زنبيل كبير يسع خمسة عشر صاعاً.
- «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٩٦.
- (٥) انظر ترجمة الفرزدق وجري في ص ١٢٧ من هذا الكتاب.
- (٦) «البيان والتبيين»: الجاحظ تحقق هارون مج ١ ص ١٩٦.

على أن الفتى نكح أكل^(١) ومسهاب مذهبه كثيره^(١)
فالكثرة التي من عيوب اللفظ تؤدي إلى العي^(٢)، وكثرة الهجاء لا يحبها
الجاحظ^(٣)، وقال ابن وابصة، واسمه سالم^(٤)، في مقام قام فيه مع ناس من
الخطباء:

يا أيها المتهللي غير شيمته ومن سجيته الإكثار والمَلَق^(٥)
وقال أحدهم لابنه وكان خطيباً:

يا بني إذا قللت من الكلام أكثرت من الصواب، وإذا أكثرت من الكلام
أقللت من الصواب.

قال: يا أبة، فإن أكثرت وأكثرت - يعني كلاماً وصواباً ..

قال: يا بني ما رأيت موعظاً أحق بأن يكون واعظاً منك^(٦).

واستشهد الجاحظ بقول الأخطل^(٧) على الإطناب الذي بمعنى الإكثار:

(١) المَريِر: حبل دقيق طويل. قصد أنه لا يمضي أمراً. «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٩٦.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٠٣.

(٣) المصدر نفسه مج ١ ص ٢٠٧.

(٤) سالم بن وابصة: (ت ١٢٥هـ / ٧٤٣م). ابن معبد الأسدي. أمير، شاعر، من أهل الحديث،
من التابعين. دمشق سكن الكوفة، وولي إمرة الرقة مات في آخر خلافة هشام.

«النوادر في اللغة»: لأبي زيد الأنصاري ص ٤٨٩. «ديوان الحماسة»: للتبريزي مج ٢ ص ١٢٠.

«الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٧٣.

(٥) الأبيات المذكورة في «الشعر والشعراء»: ص ١٣٧ - ١٣٨.

ولكن اسم الشاعر «العرجي»: انظر «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٣٣.

(٦) نفسه مج ١ ص ٢٦٤.

(٧) الأخطل: (١٩ - ٩٠هـ / ٦٤٠ - ٧٠٨م). هو غياث بن غوث بن الصلت من طارقة بن عمرو، من

بني تغلب، أبو مالك. والأخطل لقب غلب عليه. ذكرها هارون بن الزيات عن ابن النطاح عن أبي
عبيدة، أن السبب فيه أنه هجا رجلاً من قومه، فقال له: يا غلام إنك لأخطل. فغلبت عليه.

هو شاعر مصقول الألفاظ حسن الديباجة مبدع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام وأكثر من مدح
ملوكهم، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ
على المسيحية بالعراق ثم اتصل بالأمويين. تهاجى مع جرير والفرزدق فتناقل الرواة شعره.

«الأغاني»: الأصفهاني مج ٨ ص ٢٧٩ - ٣٢٢. «الشعر والشعراء»: لابن قتيبة. ص ١١٤ - ١١٨.

«الأعلام»: الزركلي مج ٥ ص ١٢٣.

تَنِيْقُ بِلَا شَيْءٍ شُيُوخَ مُحَارِبٍ وَمَا خِلْتَهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي
ضِفَادِعَ فِي ظُلُمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوِثُ قَدَلُ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ^(١)

كان أبو عثمان يدعو متعللاً إلى أوسط الأمور لأنه خيّرهما. قال: وليكن كلامك ما بين المُقَصِّرِ والغالي، فإنك تسلم من المحنة عند العلماء، ومن فتنة الشيطان: قال الشاعر:

عَلَيْكَ بِأَوْسَطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبُ ذُلُولاً وَلَا صَغْباً^(٢)

واضح أن الجاحظ لم يحصر فكرة الإيجاز والإطناب بصيغ الكلام، صنيع البلاغيين المتأخرين بل مدّ إطنابهما، فنظر من خلالهما في أساليب الخطباء والكتّاب وأساليب المصنفين المترجمين...

وهو يعلم أن أساليب أصحاب الفن الواحد تختلف باختلافهم. فليس أسلوب زهير ومدرسته البيانية كأسلوب من يندفعون في نظم الشعر معتمدين على الطبع وعفو الخاطر^(٣).

وقد استنبط أبو عثمان نظرياته من بصيرته النافذة، ولاحظ أن لكل أديب ناشئاً كان أو شاعراً أسلوبه.

والذي هداه إلى ذلك كلام بشر بن المعتمر^(٤).

وهناك من يفاضل بين الإيجاز والإطناب، ونرى أن العلماء أحسنوا في

(١) راجع قصة البيتين في «العقد الفريد»: لابن عبد ربه مج ٢ ص ٤٦٨ - ٤٦٩.

وانظر ص ٢١٥ الحاشية رقم ٦ من هذا الكتاب.

لم يذكر اسمه.

(٢) نفسه تحقق هارون مج ١ ص ٢٥٥.

(٣) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ٩ و ١٣.

وانظر «البلاغة تطور وتاريخ»: د. شوقي ضيف. ص ٤٩.

(٤) «الحيوان»: تحقق هارون مج ٣ ص ٣٦٦.

«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٣٥ - ١٣٩.

وانظر ترجمة بشر في ص ٩٢ من هذا الكتاب.

التفريق بينهما كعلمين مستقلين ولكننا لا نرى سبباً للمفاضلة، لأن الإيجاز في موقعه بلاغة لا تقل عن الإطناب في موضعه.

وفي القرآن الكريم، إيجاز وإطناب.

ج - المساواة في الشعر

ساوى الشيء بالشيء إذا عادله^(١). فالمساواة هي المعادلة.

وعند أهل المعاني هي: واسطة بين الإيجاز والإطناب^(٢).

يقول السيوطي: المساواة كون اللفظ بقدر المعنى المراد أي مثله^(٣).

ويقول التفتازاني: المساواة تأدية أصل المعنى بلفظ مساوٍ له لفائدة^(٤).

ويقول العسكري: هي المذهب الوسط^(٥) الذي يلجأ إليه البليغ للتعبير عن خواطره وأفكاره، وهذا المذهب الوسط بين الإيجاز والإطناب^(٦).

ولو حاولنا أن نزيد فيها، ألفاظاً على المعاني، لجاءت الزيادة بغير فائدة، أو أردنا إسقاط لفظ لكان ذلك إخلالاً بالمعنى ومن هنا كانت الألفاظ مساوية للمعاني.

قال الهاشمي: المساواة هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له.

(١) «لسان العرب»: ابن منظور مادة سوا مج ١٤ ص ٤١٠.

(٢) «كشف اصطلاحات الفنون»: التهانوني مج ٤ ص ٨١.

(٣) «عقود الجمان»: السيوطي ص ١٠١.

(٤) «شروح التلخيص»: التفتازاني مج ٣ ص ١٧٠.

(٥) وَسَطُ الشيء: ما بين طرفيه، وكل موضع صلح فيه يَتَن وَسَط، وإن لم يصلح فيه يَتَن هو وَسَط بالتحريك.

وفي الآية الكريمة ٢٨ من سورة القلم: وَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: أي أَمَثَلُهُمْ وأعقلهم وخيرهم. من هنا زيف مفهوم الوسط اليوناني الذي يعرف (بالحد الأوسط). وليس للمساواة، التي هي حد من حدود البلاغة العربية، علاقة بالمفهوم اليوناني لأنها تبحث في المعاني والألفاظ.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة وسط مج ٧ ص ٤٢٦ - ٤٢٧.

«فتح القدير»: الشوكاني مج ٥ ص ٢٧٢.

(٦) «الصناعتين»: أبو هلال العسكري. ص ١٩٩ - ٢٠٨.

وهي نوعان: مساواة مع الاختصار: أي ألفاظ قليلة الأحرف كثيرة المعاني.
ومساواة بدون اختصار، وتسمى متعارف الأوساط: وهي:
تأدية المقصود من غير طلب للاختصار^(١).

لم يذكر الجاحظ لفظة المساواة عند معالجته الإيجاز والإطناب في
«البيان» ولكنه تطرق إلى مفهوم جوهرها وأسماءه: (إصابة المقدار) ودعا إلى
الاعتدال.

قال الجاحظ: (وأن قيمة كل امرئ ما يُحسن)^(٢). وكره (أن يكون مقدار
لسانه فاضلاً على مقدار علمه أو يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله)^(٣).
فتلك مساواة، في الجوهر، في الذهن والتفكير.

(وليس يعرف حقائق مقادير المعاني إلا عالم حكيم ومعتدل الأخلاط
عليم، وإلا القويُّ المُنَّة، الوثيق العُقدة، والذي لا يميل مع ما يستميل الجمهورَ
الأعظم، والسواد الأكبر)^(٤).

نلاحظ أن أبا عثمان لم يستعمل لفظة المساواة، ولكنه استعمل لفظة
الموازنة والقدر وإصابة المعنى أو إصابة المقدار.
قال طرفة^(٥) في المقدار وإصابته:

(١) «جواهر البلاغة»: الهاشمي ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٨٣.

(٣) نفسه مج ١ ص ٨٥.

(٤) نفسه مج ١ ص ٩٠.

(٥) طَرْفَةُ بن العبد (٨٦ - ٦٠ هـ / ٥٣٨ - ٥٦٤ م). ابن سفيان بن سعد البكري الوائلي، أبو عمرو:
شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتَنَقَّل في بقاع نجد واتصل بالملك
عمرو ابن هند فجعله من ندمائه... ثم أرسل بكتاب إلى المكعب، عامله على البحرين وعمان،
يأمره فيه بقتل طرفة لأبيات بلغ الملك أن طَرْفَةَ هجاه بها. فقتله المكعب في (هَجَرَ) وهو ابن
عشرين وقيل ست وعشرين. له معلقة مشهورة مطلعها.

لخولة أطلال ببرقة ثميد

«الشعر والشعراء»: ابن قتيبة. ص ٢٦ - ٢٨. «خزانة الأدب»: البغدادي مج ١ ص ٤١٤ - ٤١٧.

«ديوان الحماسة»: للبتريزي مج ٤ ص ٨ - ٩. «شرح المعلقات السبع»: الزوزني: ص ٥٧ - ٦٠.

«الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٢٢٥.

فسقى ديارك غير مُفسِدِها صوبُ الربيع وديمةُ تَهْمِي^(١)
طلب الغيث على قَدْرِ الحاجة، لأنَّ الفاضل ضارٌّ.

وعلى الجملة، لم يغفل الجاحظ معنى المساواة، بل أشار إليه أو لَمَّحَ من باب التوازن العقلي، فقد أبرز المعنى ولم يُسمِّ المصطلح في «البيان والتبيين». فاللغة وسيلة للتعبير، والأحرف والألفاظ والكلمات لُبُّها، ومن الصعب أن يُفصِّل المرء معناه على قدر ألفاظه.

والمساواة صناعة صعبة، وقسطاس مستقيم، لا يستطيع تحقيقها قصداً إلا من أوتي علماً معجزاً وليست بمُسْتَحِيلَة.

وَرُبَّ قائل: هناك نظم غزير للشعراء صَنَّفَه البلاغيون في باب المساواة. قلنا: مهما كثر هذا الشعر فهو رمية من غير رام ومصادفة غير مقصودة. وربما أصابها الأديب أو الشاعر، لكنَّ إصابته في معظمها مُتَكَلِّفَة ومُجْهِدَة، ولصعوبة تحقيقها مال أبو عثمان عنها إلى المذهب الوسط (في المفهوم اللغوي العربي)، إلى الاعتدال وإصابة المقدار.

٣ - الشعر وبقية أركان علم المعاني

حصر البلاغيون المتأخرون علم المعاني في ثمانية أبواب هي:
الإسناد الإخباري وأحواله، المُسْنَد إليه وأحواله، المُسْنَد وأحواله، متعلقات الفعل وأحواله، القصر، الإنشاء، الفصل والوصل، ثم الإيجاز والإطناب والمساواة^(٢).

تلك باختصار أهم عناوين موضوعات علم المعاني.

(١) «البيان والتبيين»: تحقِّ هارون مج ١ ٢٢٨.

(٢) «عقود الجمان»: السيوطي. ص ٩ - ١٣ - ٢٨ - ٣٥ - ٣٨ - ٤٣ - ٥١ - ٦٠.

«شروح التلخيص»: للفتازاني: ج ١ ص ١٦٣ - ١٩٠ - ٢٧٢. ج ٢ ص ٢ - ١١٩ - ١٦٦ - ٢٣٤. ج ٣ ص ٢ - ١٥٩. «التلخيص في علوم البلاغة»: القزويني ص ٣٧ - ٣٨. «الإيضاح في علم البلاغة»: القزويني ص ٨٥. «جواهر البلاغة»: الهاشمي ص ٥٢.

«علم المعاني»: د. عبد العزيز عتيق. ص ٢٩ - ٣٠.

وقد تحدثنا عن الإيجاز والإطناب ومعنى المساواة عند الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين» وأثبتنا بعض شواهد الشعرية. فهل كانت له استشاداته الشعرية على بقية عناصر علم المعاني؟

الحقيقة أنه لَمَّا عزمنا على كتابة استشادات الجاحظ الشعرية على موضوعات علم المعاني من كتاب (البيان)، لم نجد لكل هذه العناوين التي رصدناها في تصميمنا سوى إشارات نثرية لا تفي بالمطلوب ولأنَّ موضوع بحثنا يتعلق بالشعر فإننا نترك الخوض في العناوين النثرية حفاظاً على الموضوعية ودقة البحث.

وربما كان لأبي عثمان جولات في هذه الأمور في كتب أخرى ليست مدار بحثنا، فالجاحظ ليس بصدد وضع كتاب تعليمي تفصيلي في مصطلحات علوم البلاغة، وإن لم يُشِرْ صراحة أو مباشرة لذلك، إلا أنه يمكن استنتاجها خلال تركيب الكتاب العام.

لقد وضع الجاحظ البيان العربي في كتاب (البيان والتبيين) بمعناه العام ليرُدَّ على الشعوبية ويدافع عن العرب، وجاء نهجه البلاغي العام في الكتاب، وإن لم يكن مفصلاً، أعم وأشمل لموضوعات البلاغة، بل أصبح أساساً نهجياً سار عليه المتأخرون الذين أخذوا بالتفصيل والتحديد.

لذا نرى أن أبا عثمان غير ملزم بمعالجة فروع علم المعاني وتفصيلاتها بعد أن بنى صرح هذا العلم وشيده، فهو باحث شمولي أوسع من الذين بحثوا موضوعاً في علوم البلاغة.

ومن هذا الرأي الدكتور أحمد أبو ملحَم حيث يقول:

«ويساهم موسوعي كالجاحظ في جمع نصوص وروايات من هنا وهناك تؤلف بمجموعها حجارة غير منحوتة، فيأتي من بعده مَنْ ينتقي وينحت ويشيد (قصر) البلاغة من حجارة الجاحظ في مقالعه «البيان والتبيين» و«الحيوان» وتبقى الاصطلاحات مشوشة حتى عصور متأخرة، فالجاحظ يعالج جميع الموضوعات تحت عنوان «البيان والتبيين»^(١).

(١) «مجلة الفكر العربي»: د. أحمد أبو ملحَم. العدد السادس والأربعون السنة الثامنة. ص ١٥٨.

الفصل الثالث

الشعر وعلم البيان

الشعر وعلم البيان

بسم الله الرحمن الرحيم: قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾^(١).

وقال تعالى أيضاً: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾^(٢).

فالبيان هو الفصاحة واللُّسْنُ، أو إظهار المقصود بأبلغ لفظ^(٣).

وقال الزمخشري: رَجُلٌ بَيِّنٌ، أي فصيح ذو بيان^(٤).

والبيان عند أهل المعاني، هو علم^(٥) يعرف به إيراد المعنى الواحد، المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال، بطرق مختلفة في إيضاح الدلالة عليه^(٦).

(١) سورة الرحمن، الآية: ٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٣) «لسان العرب»: ابن منظور مادة بين مج ١٣ ص ٦٨ - ٦٩.

(٤) «أساس البلاغة»: الزمخشري. تحق عبد الرحيم حمود. دار المعرفة. بيروت ١٩٨٢، ص ٣٥.

(٥) فُسِّرَ التفتازاني (عِلْمٌ) بقوله: أي مملكة يقتدر بها على إدراكات جُزئية أو أصول قواعد عامة.

«شروح التلخيص»: التفتازاني مج ٣ ص ٢٥٧.

«عقود الجمان»: السيوطي. ص ٩٨. وانظر «شروح التلخيص»: التفتازاني مج ٣ ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

«الإيضاح في علوم البلاغة»: القزويني ص ٣٢٦ - ٣٢٧.

كانت لفظة البيان، في العصور الأولى، تطلق على الفصاحة أو البلاغة أو الخطابة أو البديع. ويندرج تحت عنوانها قضايا جزئية^(١).

وحتى عصر الجاحظ كانت تستعمل بمفهومها العام الذي يتسع فيشمل كل ماله علاقة بفن القول على اختلاف صوره من شعر ونثر، كما تشمل البحث في مسائل بلاغية كثيرة.

ويؤكد طه حسين ت ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م. أن البيان العربي لم يتم تكوينه حتى منتصف القرن الثالث للهجرة وإنما صُمِّمَ هيكله. يقول: «إن من يكلف نفسه عناء قراءة «البيان والتبيين» على ضخامته وخلوه من النظام، يصل إلى هذه النتائج الثلاث:

أولاً: إن العرب من نهاية العصر الجاهلي أخذوا يُخضعون صناعة الكلام لنقد أولي، ولكنه في أغلب الأحوال شديد لأنهم كانوا يُعوّلون فيه على سلامة الذوق...

ثانياً: إن العرب منذ القرن الثاني أخذوا يعنون بصناعة الكلام عناية شديدة... إلى أن وضعوا للمعاني والألفاظ وهيئة الخطيب من القواعد ما نجده متفرقاً في «البيان والتبيين».

ثالثاً: في ذلك الوقت عينه أخذت تظهر طبقة مفكرة جديدة... أدخلت على اللغة العربية أساليب لم يعهدها العرب من قبل... وليس صحيحاً أنه كان قد وُجدَ حتى منتصف القرن الثالث بيان عربي تام التكوين، وكل ما في الأمر أنه وجدت جهود صادقة مفيدة ترمي إلى إنشاء هذا البيان ووضع قواعده وتلقينها للطلاب المبتدئين^(٢).

ونجد الجاحظ المعتزلي يورد، في «البيان»، تعاريف اليونان والفرس

(١) «في تاريخ البلاغة العربية»: عتيق ص ٨٩.

(٢) مقدمة «نقد النثر»: قدامة بن جعفر ص ٤ - ٧ وعنوان المقدمة: من الجاحظ إلى عبد القاهر، وضعها طه حسين بالأفرونية ونقلها إلى العربية عبد الحميد العبادي.

والهند والروم وغيرهم . . . وهذا يعني أن المعتزلة توصلوا إلى وضع المُقَدِّمات الأولى لقواعد البلاغة العربية، كما أثبت الجاحظ عن رئيس المعتزلة بشر بن المعتمر^(١)، صفحات نثر فيها ملاحظات دقيقة في البلاغة، تلقفها من جاء بعده من العلماء واستعانوا بها على بلورة بعض أصول البلاغة وقواعدها، وأطال وقوفه، عند بلاغة بشر، في صفات الألفاظ والمعاني ووجوب مطابقة الكلام لسامعيه، فوافق «بشراً» في المطابقة، والعبرة، عند الجاحظ، بالمعنى والمقام وأحوال السامعين لا بالألفاظ بحد ذاتها^(٢). وكان أميناً في ذكر ما قيل عن البيان، جريئاً في تعريفه له. قال الجاحظ: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُقْضِيَ السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصله، كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بَلَغْتَ الإفهام وأَوْضَحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»^(٣).

وفي معرض حديثه عن البيان، ذكر أبو عثمان قضايا خارجة عن مباحث هذا العلم، بمفهومه الاصطلاحي المتأخر.

فأحاط بجزالة اللفظ واختياره، واقتران الحروف^(٤)، وساق مثلاً على

تنافر الألفاظ عند العرب:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرِ وليس قَرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ
قال الجاحظ: ولما رأى مَنْ لا علم له أَنَّ أحداً لا يستطيع أن يُشَدَّ هذا البيت ثلاث مرات في نسقٍ واحد فلا يتتبع ولا يَتَلَجَّجُ، وقيل لهم إِنَّ ذلك إنما اعتراه إذا كان من أشعار الجن، صَدَّقُوا بذلك^(٥).

(١) انظر ترجمة بشر في ص ٩٢ حاشية رقم ٢ من هذا الكتاب.

(٢) «البيان والتبيين»: الجاحظ تحق هارون مج ١ ص ١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) نفسه تحق هارون مج ١ ص ٧٦.

(٤) نفسه تحق هارون مج ١ ص ٦٩.

(٥) نفسه تحق هارون مج ١ ص ٦٥.

كما استقبح استعمال الغريب^(١)، واستلطف وجوه التناسب بين اللفظ والمعنى في مواضع السخف والشرف وكره تبرؤ الألفاظ من بعضها وتنافرها، لأن بينها من التنافر ما بين أولاد العلات^(٢).
قال أبو البداء الرياحي^(٣):

وشعر كبر الكبش فرق بينه لسان دعي في القريض دخيل
قال الجاحظ:

وأما قوله «كبر الكبش». فإنما ذهب إلى أن بحر الكبش يقع متفرقاً غير مؤتلف ولا متجاور؛ وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، تراها متفقةً مُلساً وليئةً المعاطف سهلة، وتراها مُختلفةً متباينةً ومتنافرةً مستكرهةً، تشقُّ على اللسان وتكُده، والأخرى تراها سهلة ليئة، ورطبة مواتية، سلسة النظام، خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمةً واحدةً وحتى كأن الكلمة بأسرها حرفاً واحداً^(٤).

ثم ساق مثلاً شاهداً على الشعر الذي يكون لفظة واحدة لخفته وسهولته واللفظة فيه كأنها حرف واحد. قول الثقيفي^(٥).

(١) «البيان والتبيين» تحقق هارون مج ١ ص ٣٧٧ - ٣٨٠.

(٢) نفسه تحقق هارون مج ١ ص ١٤٥.

والعلة: الضرة. وبنو العلات: بنو رجل واحد من أمهات شتى، سُميت بذلك لأن الذي تزوجها على أولى قد كانت قبلها ثم عل من هذه. قال ابن بري: يقال لبني الضرائر بنو علات، ويقال لبني الأم الواحدة بنو أم، ويصير هذا اللفظ يستعمل للجماعة المتفقين، وأبناء علات يستعمل في الجماعة المختلفين. «لسان العرب»: ابن منظور مج ١١ ص ٤٧٠، [علل].

(٣) جاء في الفهرست: إنه الرياحي، زوج أم أبي مالك عمرو بن كركره واسمه أسعد بن عصمة، أعرابي نزل البصرة وكان يعلم الصبيان بأجره. كان شاعراً.

«الفهرست»: لابن النديم. ص ٦٦. «العمدة»: لابن رشيق مج ١ ص ٢٥٧. والشاهد الشعري في «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٦٦ - ٦٧.

(٤) «البيان والتبيين» ٦٧/١.

(٥) من ثقيف واسمه الأجرد الثقيفي، وقد على عبد الملك في قوم من الشعراء فقال ما من شاعر إلا وقد سبق إلينا من شعره، قبل رؤيته فما قلت. قال أنا القائل: من كان. . . والبيتان مثبتان في «الشعر والشعراء»: ابن قتيبة ص ١٧٢.

من كان ذا عَضِدٍ يُذْرِكُ ظِلَامَتَهُ إِنَّ الدَّلِيلَ الذي ليست له عَضِدٌ
 تنبؤ يدها إذا ما قلَّ ناصِرُهُ ويأنف الضيمَ إنْ أثرى له عَدَدُ^(١)
 مع العلم أن هذه المسائل المعالجة وغيرها، وضعت في باب الفصاحة .
 وعرض الجاحظ لأركان البيان العربي من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية،
 إلا أنه لم يورده (أي: البيان) بمعناه الاصطلاحي بل أطلق عليه اسم البديع^(٢) .
 قال الأشهب بن رُمَيْلة^(٣) :

هُم سَاعِدُ الدَّهْرِ الذي يُتَقَى به وما خير كفّ لا تنوء بساعدٍ
 قال الجاحظ: قوله (هم ساعد الدهر)، إنّما هو مثل، وهذا الذي تسميه
 الرواة البديع^(٤) .

كما استعمل المثل مرادفاً للمجاز وجعله مقابلاً للحقيقة، وذلك عند
 حديثه عن نار الحرب ويذكرون ناراً أخرى، وهي على طريق المثل الأعلى
 طريق الحقيقة كقولهم في نار الحرب^(٥) .
 قال ابن ميادة^(٦) :

وناراه: نارَ نارٍ كُلُّ مُدْفَعٍ وأخرى يصيبُ المجرمين سعيُرُها^(٧)

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٦٧. وانظر «العمدة»: ابن رشيق مج ١ ص ٢٥٧.
 (٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤ ص ٥٥.
 (٣) الأشهب بن رُمَيْلة (٨٦هـ / ٧٠٥م). شاعر نجدى: ولد في الجاهلية وأسلم ولم يجتمع
 بالنبي ﷺ. عاش حتى العصر الأموي. هجا أبا الفرزدق، فهجاه الفرزدق فقَصَرَ عن مجاراته.
 سُمِّي رُمَيْلة نسبة إلى أمه التي هي أمة أبيه في الجاهلية.
 «خزانة الأدب»: البغدادي مج ٢ ص ٥٠٩. «الأعلام»: للزركلي مج ١ ص ٣٣٢.
 (٤) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤ ص ٥٥.
 (٥) راجع تعريف نار الحرب في «الحيوان»: الجاحظ تحقق هارون مج ٤ ص ٤٧٤ - ٤٧٥.
 (٦) هو الرّماح بن يزيد (ت ١٤٩هـ / ٧٦٦م). وميادة أُمُّه. وهو من بني مِرَّة بن عوف بن سعد بن
 ذبيان رهط الحرث بن ظالم. وكان يضرب جبين أمه ويقول (أعرز نمي مباد للقوافي). يريد أنه
 يهجو الناس فيهجونه. «الأغاني»: الأصفهاني مج ٢ ص ٢٢٧ - ٣٠٠.
 «الشعر والشعراء»: ابن قتيبة ص ١٧٩. «الأعلام»: الزركلي. ج ٣ ص ٣١.
 (٧) «الحيوان»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٥ ص ١٣٣.

وبهذا يكون الجاحظ أول من قسم اللفظ في «البيان والتبيين» إلى حقيقة ومجاز.

ثم أَلَمَّ الجاحظ بالأساليب البيانية، وخاصة في «البيان والتبيين» فدل عليها عن طريق الأمثلة، لا عن طريق القواعد الاصطلاحية.

ثم استطرد إلى بيان الدلالات على المعنى من لفظ وغير لفظ فحصرها في خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد:

اللفظ، الإشارة، العقد، الخط، الحال أو النصبة^(١).

ونظر إلى أساليب الكتاب الخطباء والمترجمين والشعراء، وتَمَحَّصَ في طباعهم وأقوالهم، وخلص إلى القول بأن الكلام الشريف نافع، يجب حفظه، واللفظ الهجين رديء، والمعنى الحقير فاسد، والدني ساقط يُعشش في القلب ثم يبيض ثم يُفَرِّخ^(٢).

أحب الجاحظ الكلمة الطيبة المعبرة التي تناسب المَقَامَ، لأنها تُبَيِّنُ الخاطر وكثيراً ما تأسر الفؤاد.

ولنر كيف حقق الجاحظ شواهد في البيان.

الحقيقة أن شواهد جاءت ماثلة في تضاعيف كتابه، غير مُكَبَّلة بعنوان أو خطة محددة، لأن الموضوع عنده، كما قيل، وسيلة للاستطراد، تعتمد الشواهد الشعرية وغير الشعرية لهذه الغاية.

وإذا تساءلنا عن السبب الذي من أجله لم يبحث بتفاصيل أركان البيان في (البيان) فلأن الكتاب ليس محاضرات لدروس تفصيلية، بل هو دفاع عن العرب ضد الشعوبية، لذا أبرز الجاحظ بلاغة العرب وبيانهم، في حاضرهم وماضيهم، من خلال نماذج شعرية ونثرية ليفحم بها المشككين في أصالة العربية.

ويؤيدنا في ذلك الدكتور عبد المجيد زراقت، في حديثه عن البلاغة العربية في أساسها ونشأتها، بقوله: «ما يلفت، في الكتاب «البيان والتبيين»،

(١) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٧٥-٧٦.

(٢) نفسه مج ١ ص ٨٣-٨٦.

بداية اسمه الذي يجعلنا نزعّم أن الجاحظ يشير بهذا الاسم إلى جوهر رؤيته للظاهرة الأدبية. فالبيان يعني الإعراب عن الذات والكشف عنه، والتبيين يعني إيصال المُعَرَّب عنه إلى المُتَلَقِّي واضحاً يعني الإعراب عن الذات والكشف عنه، والتبيين يعني إيصال المُعَرَّب عنه إلى المُتَلَقِّي واضحاً مفهوماً . . . وهذا ما ينبغي أن نتبين تفصيلاته من خلال الأمثلة والنماذج التي يقدمها الجاحظ في كتابه، والتي تشكل بحد ذاتها نماذج لذلك النوع الأدبي . . .

والملاحظ أن الجاحظ لا يهتم بإيراد تعريفات واصطلاحات وإنما يُقدِّم أحاديث يتبنى بعضاً منها ويستحسن بعضاً آخر ويناقش الكثير منها مُدلياً برأيه في صدده^(١).

إن هذا البحث يهتم بما في طيات كتاب «البيان والتبيين» من نقاط بلاغية يسري عليها التطبيق وإن لم يعنونها أبو عثمان أو يقصد إليها مباشرة. فدراستنا إذاً ليست دراسة تفصيلية للبلاغة في كتاب «البيان» فضلاً عن أن الغاية الكبرى من ذلك هي البحث عن دور الشعر في تحقيق الغرض البلاغي الذي أراده أبو عثمان.

وهل يرمي شيخنا من وراء شواهد الشعرية أو النثرية إلا توضيح البيان وأساليبه بصورة خاصة، وتوضيح البلاغة العربية بصورة عامة؟ لقد أنزل الأدب من ارسقراطيته إلى العامة، لأنه بسَّطه وشرح مفهومه حتى استوعبته العامة.

والغرض البلاغي ليس بالضرورة اصطلاحياً بقدر ما هو مفهوم بلاغي عام للحياة والكتابة والتصوير، وتحقيق غرض الجاحظ البلاغي في (البيان) أكبر من أن يخضع لمفاهيم البلاغيين واصطلاحاتهم المحددة، ثم إن الجاحظ لم يؤلف كتاباً في البلاغة والبيان بمفهومهما الاصطلاحي، بل كان غرضه بلاغياً بصورة مطلقة بما في ذلك المفهوم الاصطلاحي.

(١) «مجلة الفكر العربي»: ع ٤٦ - س ٩٨٧ - ص ٢٢٧.

فهل جاء أبو عثمان بشواهد شعرية في (البيان) تحوي التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية صراحة ولأجل التطبيق؟ أم خرجت شواهد إلى آفاق أخرى أبعد؟

وربما رأى أبو عثمان أن التفصيل في أركان البيان لا يخدم أغراضه، فاهتم بالهدف الأساسي المشار إليه، بعد أن دَوَّنَ أول لَبِنة البيان العربي. أو ربما بحث بتفاصيل البيان في كتب أخرى، فأعفى نفسه من تكرارها. أو ربما سها عن باله، وهو صاحب الذاكرة العجيبة، أن يسبرغور تفاصيل البيان الدقيقة، لأن النسيان صفة نسبية واجبة ملازمة للإنسان.

وما دفعنا لإبداء هذا الافتراض هو عدم تنظيم الجاحظ التأليفي.

أو ربما بحث بالتفاصيل ولكنها سقطت مع الزمن من جراء النسخ. ويدعم هذا الافتراض مقدمة الطبعة الثانية لكتاب (البيان) الذي حققه عبد السلام محمد هارون القائل:

... إنني عثرت على نسخة خامسة من أصول الكتاب، جلبها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية من مكتبة (فيض الله) الأستانة... وبذلك امتازت هذه الطبعة بكثير من التصحيحات وتعديل في الشروح وبعض الإضافات الحديثة^(١).

ومهما كانت أسباب التعليقات والافتراضات، فإن الجاحظ وضع «البيان والتبيين» على حالته التي وصلتنا، لأنه شاء ذلك.

لقد جاء الجاحظ بشواهد شعرية، على أركان البيان، وعلّق عليها صراحة حيناً أو ترك تذوقها للقارئ ضمناً أحياناً، مما يوضح أنه كان على تعمق بأركان البيان ومواضع حسنه وقبحه وقيمه البلاغية.

وسنعرض بإيجاز، ما جاء به من شواهد شعرية على أركان البيان بادئين بالتشبيه.

(١) «البيان والتبيين»: تحقيق هارون. المقدمة. ص ٢٤.

التشبيه

للتشبيه روعة وجمال، لإظهاره الخفي، وتقريبه البعيد. يُكسِبُ المعاني رفعة ووضوحاً، ويكسوها نبلاً وفخراً، أو ضعة وخسة. مُتَشَعِّبُ الأطراف، دقيق السياق، يدفع الخيال إلى التحليق لجلاء الصورة واستقصاء ملامحها الغامضة.

وهو لغة: التمثيل^(١). وعند التهانوي: الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر^(٢). وعند أهل البيان: هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى، لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد، وكثيراً ما يطلق في اصطلاحهم على الكلام الدال على المشاركة المذكورة أيضاً^(٣).

وفي رأي الجرجاني: «أن التمثيل ضرب من ضروب التشبيه، والتشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً»^(٤).

فالتشبيه يُخرج الغامض المستور إلى الواضح، ويُقَرِّب الواضح إلى صورة أدق وأوضح، وهو ترجمان للعقل، والبصر والبصيرة.

ومن شواهد الجاحظ التشبيهية، التي لم ترد صراحة تحت عنوان التشبيه، في «البيان والتبيين» قول بشار بن برد^(٥) في تشبيه عُتُق واصل بن عطاء^(٦) بِنَقِي الدُّو:

(١) «لسان العرب»: ابن منظور. مادة مج ١٣ ص ٥٠٣.

(٢) «كشاف اصطلاحات الفنون»: التهانوي. مج ٤ ص ١٨٢.

(٣) أركان التشبيه أربعة: المشبه، والمشبّه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه.

والتشبيه عند أهل التصوف، عبارة عن صورة الجمال لأن الجمال الإلهي له معان. وهي الأسماء والأوصاف الإلهية. واعلم أن للحق تشبيهين: تشبيه ذاتي: وهو ما عليه صور الموجودات المحسوسة أو ما يشبه المحسوسة في الخيال.

وتشبيه وصفي وهو ما عليه المعاني الأسماوية المنزهة عما يشبه المحسوس، وهذه الصورة تتعقل في الذهن ولا تتكيف في الحس، فمتى تكيفت إلتحقت بالتشبيه الذاتي، لأن التكيف في كمال التشبيه والكمال بالذات أولى فبقي التشبيه الوصفي وهو ما لا يمكن التكيف فيه بنوع من الأنواع ولا حين يضرب المثل. «كشاف اصطلاحات الفنون»: التهانوي مج ٤ ص ١٨٣ - ١٩٣ - ١٩٤.

(٤) (أسرار البلاغة). عبد القاهر الجرجاني. تحقق رشيد رضا. دار المعرفة بيروت. ص ٧٠ - ٧٥.

(٥) انظر ترجمته في ص ١٢٠ من هذا الكتاب.

(٦) انظر ترجمته في ص ٩٥ من هذا الكتاب.

ما لي أشايحُ غَزَالاً له عُنُقُ كِنْتَنِقِ الدَّوِ إِنْ وَلَّى وَإِنْ مَثَلَا^(١)

وقول عنترة العبسي^(٢) حين جعل نعيب الغراب خبراً للزاجر .

حَرِقُ الجَنَاحِ كَانَ لَخَيِّ رَأْسِهِ جَلَمَانُ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مَوْلَعُ

قال الجاحظ: شَبَّهَ لحييه بالجلمين، لأن الغراب يُخْبِرُ بِالْفُرْقَةِ وَالْغُرْبَةِ ويقطع كما يقطع الجَلَمَانُ. وَالْحَرِقُ: الْأَسْوَدُ^(٣).

وقول أبي الطَّمَحَانِ الْقَيْنِيِّ^(٤) فِي ذِكْرِ لُقْمَانَ^(٥):

(١) التَّنْقِيقُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ: هُوَ ذِكْرُ النِّعَامِ، الظِّلِيمِ. الدَّوِ: الْفَلَاةُ الْوَاسِعَةُ وَقِيلَ الْمُسْتَوِيَّةُ مِنَ الْأَرْضِ. وَقِيلَ: الدَّوِ أَرْضٌ مَسِيرَةُ أَرْبَعِ لَيَالٍ شَبَّهَ تُرْسٍ خَاوِيَةً يَسَارُ فِيهَا بِالنُّجُومِ وَيَخَافُ فِيهَا الضَّلَالُ. «لسان العرب»: ابن منظور مادة دوا. مج ١٤ ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

نفسه: مادة نقق. مج ١٠ ص ٣٦٠. وانظر «البيان والتبيين»: للجاحظ تحقق هارون مج ١ ص ١٦. (٢) عنترة بن شداد. وسبب ادعاء أبيه إياه، أَنَّ بَعْضَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ أَغَارُوا عَلَى قَوْمِهِ. فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ كُتِرَ يَا عَنْتَرَةُ وَأَنْتَ حَرٌّ. كَانَ لَا يَقُولُ مِنَ الشَّعْرِ إِلَّا الْبَيْتَيْنِ أَوْ الثَّلَاثَةَ حَتَّى سَابَّهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ وَذَكَرَ سَوَادَهُ فَجَادَ فِي الْقَصَائِدِ. «الشعر والشعراء»: ابن قتيبة ص ٤٢ - ٤٣. وبيته موجود في «الديوان»: تحقق محمد سعيد مولوي. ط ٢. المكتب الإسلامي بيروت ١٩٨٣ ص ٢٦٣.

(٣) المقصود بالجلمان: المقصص. انظر «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٨٢. و«الحيوان»: للجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٢٤٢ وج ٢ ص ٣١٦.

(٤) أَبُو الطَّمَحَانِ الْقَيْنِيُّ (ت ٣٠٠هـ / ٦٥٠م). واسمه حنظله بن شرقي من قضاة، شاعر، فارس، مُعَمَّرٌ، عاش في الجاهلية ولم ير النبي ﷺ. وقيل إن اسمه ونسبه ربيعة بن عوف. «الأغاني»: الأصفهاني مج ٣ ص ١٣ - ١٢. «خزانة الأدب»: البغدادي ج ٣ ص ٤٢٦. «الإصابة في تمييز الصحابة»: العسقلاني مج ١ ص ٣٨٠ رقم ٢٠٠٧. «الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ٢٨٦.

(٥) اختلف في لقمان هل هو عجمي أم عربي؟ مشتق من اللقم، فمن قال إنه عجمي منعه للتعريف والعجمة، ومن قال إنه عربي منعه للتعريف ولزيادة الألف والنون. واختلفوا أيضاً هو نبي أم رجل صالح؟ فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه ليس بنبي. وحكى الواحدي عن عكرمة والسدي والشعبي أنه كان نبياً. هو لقمان بن باعورا، ابن ناحور بن تارخ، وهو آزر أبو إبراهيم... كان نبياً من أهل أيلة ذكره السهيلي. قال وهب: هو ابن أخت أيوب وقال مقاتل: هو ابن خالته. عاش ألف سنة وأخذ عنه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بُعث داود قطع الفتوى، فقيل له: لِمَ قَطَعْتَ الْفَتَى؟ فَقَالَ أَلَا أَكْتَفِي إِذْ كَفَيْتَ. قال الواقدي. كان قاضياً في بني إسرائيل والحكمة التي آتاه الله هي الفقه والعقل والإصابة. «فتح القدير»: الشوكاني مج ٤ ص ٢٣٧.

أَمَسَتْ بَنُو الْقَيْنِ أَفْرَاقاً مُوزَعَةً كَأَنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا، حَيِّ لُقْمَانَ^(١)
فَشَبَّهَ تَفَرُّقَ بَنِي الْقَيْنِ كَتَفَرُّقَ بَقَايَا، حَيِّ لُقْمَانَ .
وقول الشاعر حين شَبَّهَ صِغَرَ كَفِّ المَهْجُو بِأَصْغَرٍ مِنْ كَفِّ الضَّبِّ، كما
عَابَ صِغَرَ رَأْسِهِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الجَاحِظِ :
فَقَبِّلْتُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَكَفّاً كَكَفِّ الضَّبِّ أَوْهِيَ أَخَقَرُ^(٢)
كما شَبَّهَ الإنسان بالنجم . قال في ذلك ابن عَسَلَةَ الشَّيْبَانِي^(٣) .
فَصَحَوْتُ وَالنُّمْرِيُّ يَحْسِبُهَا عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَةَ النِّجَمِ
قال الجاحظ : النجم واحدٌ وجمعٌ والنَّجْمُ هو الثريا في كلام العرب^(٤) .
وفي «الحيوان» شبه عيون الناس في الحرب والغضب بنبضة الجمر :
وعند الفَزَارِيِّ العِرَاقِيُّ عَارِضٌ كَأَنَّ عُيُونَ الْقَوْمِ فِي نَبْضَةِ الْجَمْرِ^(٥)
وتحت عنوان «استطراد لغوي» نَوَّهَ إلى أداة التشبيه ووجه الشبه :
وليلٍ كَجَلْبَابِ العُرُوسِ ادَّرَغَتْهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ

-
- (١) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ١٨٧ .
(٢) يقول هارون محقق (البيان) إن الشاعر هو فضالة بن شريك (ت بعد ٦٤هـ / ٦٨٤م) . وهو ابن سلمان بن خويلد الأسدي ، شاعر من أهل الكوفة ، أدرك الجاهلية واشتهر في الإسلام ، شعره حُجَّةٌ عند اللغويين .
«البيان والتبيين» : تحت هارون مج ١ ص ٩٤ .
«الأعلام» : الزركلي . مج ٥ ص ١٤٦ .
(٣) هو عبد المسيح بن عَسَلَةَ الشَّيْبَانِي (ت ٥٠هـ / ٥٧٥م) . شاعر جاهلي ، وعسلة اسم أمه ، وحكيم بن عفير بن طارق ، اسم أبيه ، من ذهل بن شيان .
«الأعلام» : الزركلي مج ٤ ص ١٥٣ .
(٤) النُّمْرِيُّ : هو كعب أحد بني النمر بن قاسط . السَّمَاءُ : نجم معروف .
يتكلم الشاعر عن قينة مغنية ، ظلها النمر بن قاسط . السَّمَاءُ : وخالة الثريا لِحُسْنِهَا .
«لسان العرب» : ابن منظور . مادة ج ١٠ ص ٤٤٤ .
وتلطف بالرجوع إلى «البيان والتبيين» : للجاحظ . تحقق هارون مج ١ ص ٢٢٩ .
(٥) الشاعر ابن ميادة . ترجمته في ص ٢٣٥ من هذا الكتاب .
انظر «الحيوان» : تحقق هارون مج ٤ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

قال الجاحظ: فإنه ليس يريد لونَ الجلباب، ولكنه يريد سُبوغه^(١).

وذكر تشبيه شيئين بشيئين في حالتين مختلفتين في بيت واحد:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(٢)
بل ذهب إلى تشبيه أربعة أشياء بأربعة.

له أَيْطَلَا ظَبِيٍّ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْفُلٍ^(٣)
مَثَلُ أَبُو عَثْمَانَ عَلَى التَّشْبِيهِ، وَكَانَ مُوَفَّقًا فِي اخْتِيَارِ شَوَاهِدِهِ الدَّالَّةِ، فِي كِتَابِ «الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ» دُونَ أَنْ يُذَرِّجَهُ تَحْتَ عُنْوَانِ كَعَادَتِهِ، وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَى التَّفَاصِيلِ الشَّامِلَةِ.

وقد سقنا بعض شواهده الجميلة في «الحيوان»^(٤) لنؤكد رأينا: أنه ربما بحث في موضوعات البلاغة في كتب أخرى فأعفى نفسه من تكرارها في «البيان والتبيين»:

(١) سَبَّغَ الشَّيْءَ يَسْبُغُهُ سَبْغًا: طَلَّ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّسَعَ. وَأَدْرَعْتَهُ: لَبَسْتَهُ كَمَا يَلْبَسُ الدَّرْعَ، وَالْأَرْبَعَةُ الَّتِي شَخَّصَهَا وَاحِدٌ فِي الْعَيْنِ: أَيِ الَّتِي يَرَاهَا النَّازِرُ شَخْصًا وَاحِدًا. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة سبغ. ج ٨ - ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

«الحيوان»: تحقق هارون مج ٤ ص ٢٥٠.

(٢) الْقَائِلُ: أَمْرٌ الْقَيْسِ. شَبَّهَ الرُّطْبَ مِنْ قُلُوبِ الطَّيْرِ بِالْعُنَابِ. وَالْيَابَسُ مِنْهَا بِالْحَشَفِ الْبَالِي وَقَدْ أَجَادَ.

انظر «الحيوان»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٤ ص ٥٣.

(٣) الشَّاعِرُ نَفْسَهُ، شَبَّهَ خَاصِرَتِي الْفَرَسِ بِخَاصِرَتِي الظَّبْيِ، وَسَاقِيهِ بِسَاقِي النِّعَامَةِ، وَمَدُّ عُنُقِهِ عِنْدَ سِيرِهِ فِي حَالَةِ الْإِسْتِرْخَاءِ كَحَالَةِ إِسْتِرْخَاءِ عُنُقِ الذَّبِّ، كَمَا شَبَّهَ جَمْعَ يَدَيْهِ وَوُثْبَهُ بِعَمَلِ وَلَدِ الثَّعْلَبِ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ الثَّعْلَبَ بِعَيْنَةٍ مُشَبَّهًا.

انظر «الحيوان»: تحقق هارون ج ٣ ص ٥٣.

(٤) وَمَنْ أَرَادَ الْإِسْتِزَادَةَ مِنْ شَاهِدِ التَّشْبِيهِ عِنْدَ الْجَاحِظِ فَلْيَرَاجِعْ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ لَا الْحَصْرِ إِلَى:

«الحيوان»: مج ٤ - ص ١٦٦ - ٢٤١ - ٣١٨ - ٣٣١ - ٣٥٠ - ٣٥٦.

ج ٥ - ص ٤٣٠ - ٤٧٣ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦١ - ٥٦٨ - ٥٧٦ - ٥٧٧.

ج ٦ - ص ١٧٩ - ٣٤٨.

«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ٣٢٨.

٢ - المجاز

المجاز لغة: الموضع. جُزْتُ الطريق، وجاز الموضع جَوْزاً ومجازاً أي سار فيه وسَلَكَهُ^(١).

وقال السيوطي: المجاز مِنْ جازَ المكان يجوزه إذا تعداه إلى مكان آخر. وسمي بذلك لأنهم جازوا به معناه الأصلي إلى معنى آخر^(٢).

وقال الجرجاني: والمجاز كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز.

وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز^(٣).

ويقول السكاكي: المجاز هو الكلمة المستعملة في معنى معناها بالتحقيق استعمالاً في ذلك بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع^(٤).

وقد قَسَمَ عُلَمَاءُ البلاغة المجاز إلى قسمين: مجاز عقلي ومجاز لغوي.

المجاز العقلي: يكون بإسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له. ولا يكون إلا في التركيب.

والمجاز اللغوي: يكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة ومناسبة.

وهذا المجاز يكون في المفرد، كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له.

(١) «لسان العرب»: ابن منظور مادة جوز مج ٥ ص ٣٢٦.

(٢) «عقود الجمان»: السيوطي. ص ١١٧ الحاشية.

(٣) «أسرار البلاغة»: عبد القاهر الجرجاني. ص ٣٠٤.

(٤) «مفتاح العلوم»: السكاكي. ص ١٥٣.

وهو نوعان : استعارة ومجاز مرسل .

١ - استعارة : وهي مجاز تكون علاقته المُشَابَهة : أي قُصِدَ أن الإطلاق بسبب المشابهة ، فإذا أُطْلِقَ المُشْفَرُّ على شَفَةِ الإنسان فإن قُصِدَ تشبيهها بمشفر الإبل في الغِلْظِ والتَّدْلِي فهو استعارة .

وإن أريد أنه من إطلاق المقيد على المطلق كإطلاق المرسل على الأنف من غير قصد التشبيه فمجاز مرسل .

٢ - والمجاز المرسل : إن كانت العلاقة غير المشابهة ، بين المعنى المجازي والمعنى اللغوي .

وسمي مرسلًا لإرساله أي إطلاقه مع التقييد بعلاقة المشابهة^(١) .

والجاحظ من أوائل العلماء الذين تعرضوا لهذا الموضوع بالبحث والشاهد ، لأن اللغة العربية هي لغة المجاز والإيجاز ، ولكنه لم يدرجه أو يُفَصِّلْهُ تحت عنوان كعاداته في نهج «البيان والتبيين» .

ومن بعض شواهد الضمنية ، في (البيان) ، على المجاز المرسل والتي لم يدرجها تحت عنوان ، قول الشاعر :

أَهْلَكَ طَسْمًا ، وَقَبْلَ طَسْمٍ أَهْلَكَ عَادًا وَذَا جُدُونِ^(٢)
أراد الشاعر بـ (طسم) جميع أفراد قومه ولم يُرِدْ شخصية بحد ذاته .

(١) «شروح التلخيص» : التفتازاني مج ٤ ص ١٩ - ٤٦ .

(٢) جاء في اللسان وأنشد شمر لسليمان بن ربيعة بن دباب بن عامر بن ثعلبة بن السيّد :

أَهْلَكُنْ طَسْمًا وَبَعْدَهُمْ عَذِيٌّ بِهِمْ وَذَاجِدُونِ

والشاعر سليمان بن رهمط أبي بكر الصديق وابنه الحوريث بن دباب وآخرون :

وجاء في التهذيب أن ذاجِدَينِ اسم ملك من ملوك حَمِير .

«لسان العرب» : ابن منظور مادة تقن مج ١٣ ص ٧٣ ومادة جَدَنُ مج ١٣ ص ٨٦ . وانظروا «خزانة الأدب» : للبغدادي مج ٤ ص ٤٥٦ .

و«البيان والتبيين» : الجاحظ تحق هارون مج ١ ص ١٩٠ .

كذلك الأمر بعادٍ، أراد جميع أفراد قوم عاد، وجمع (ذا جدون) التي مفردھا (ذاجدن)، ليدل ويؤكد على مقصده.

وقول الشاعر حين أعطى مقولاً ولم يعط معقولاً:

لِسَانُكَ مَغْسُولٌ وَنَفْسُكَ شُحَّةٌ ودون الثريا من صديقك مَالِكَا^(١)

قصد الشاعر (باللسان المعسول) الخداع، أي التفتيش عن ألفاظ مُنمَّقة بَرّاقة للمدح أو للخروج من المأزق أو غيره. وهذا الأسلوب ينم على شخصية ضعيفة مُتسترة.

وأراد (بالنفس الشحّة). البخل عامّة. والشُّحُّ عارض نسبيّ قد يسخو في مواطن. ثم بيّن بُخْلَ المُخاطب بقوله: إن الثريا وهي النجوم بصورة عامة أقرب لصديقك من أن يَمَسَّ فلساً واحداً مِنْ أموالك. ومن أمثلة الجاحظ وشواهدہ على المجاز العقلي المبنوثة في تضاعيف «البيان والتبيين» قول الصَّعْب بن عليّ الكِنَانِي^(٢) عند إشارته إلى سرعة الجائع، كسرعة أمير النحل المجرب:

أَبْلَغُ فِزَارَةٍ أَنَّ الذُّبَّ أَكَلَهَا وَجَائِعٌ سَغِبَ شَرٌّ مِنَ الذُّبِّ
أَزَلُّ أَطْلَسُ ذُو نَفْسٍ مُحَكَّكَةٍ قد كان طار زماناً في اليعاسيب^(٣)

فالمجاز هنا فزارة، وقصد الشاعر بها أبناء فزارة أي القوم.

(١) جاء في «لسان العرب»: (عند الثريا) بدل (دون الثريا). و(دون) التي وردت عند الجاحظ بمعنى فوق.

وجاء أن (لدون) تسعة معانٍ: تكون بمعنى قبل، وأمام، ووراء، وتحت، وفوق، والساقط من الناس، والشريف، والأمر، والوعيد، والإغراء. ولم يُذكر قائل البيت.

تلطف بالرجوع إلى «لسان العرب»: ابن منظور مادة تشجع مج ٢ ص ٤٩٥.

ومادة دون مج ١٣ ص ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦.

«البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ١٩٥.

و«الحيوان»: تحقّ هارون مج ٥ ص ٤٣٠.

(٢) لم أعثّر على ترجمته ضمن المصادر المتوافرة.

(٣) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ٢٠٤.

وآكلها: يعني أكل مواشي أبناء فزارة.

وَكُنْتُ (بطار زمانا في اليعاسيب) عن مَبْلَغ سرعته.

ونختتم هذه الفقرة بالإحالة إلى كتاب «الحيوان» لمزيد من الشواهد الشعرية على المجاز لِقَلَّة ما جاء في هذا الباب من الشواهد الشعرية في «البيان».

لأن الكتابين متكاملان في الحيز البلاغي الذي نبهت^(١).

الاستعارة

الاستعارة لغة: من قولهم: استعار المال^(٢): طلبه عارية^(٣). واصطلاحاً: هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة^(٤). وهي عند السكاكي: أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول

(١) ومن شواهد الجاحظ الشعرية، على المجاز، في «الحيوان».

أَنْ نار المصباح لا تأكل شيئاً من الدهن ولا تشربه، ولكن الدهن ينقص على قدر ما يخرج من الدخان والنار الكامنين اللذين كانا فيه.

وإذا خرج كل شيء فهو بطلانه.

ويأتي المجاز عنده على المثل وعلى الاشتقاق وعلى التشبيه، فيجود بشواهد شعرية رائعة وفي مواضع مختلفة، حتى قال عن المجاز: هذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم.

«الحيوان»: تحق هارون مج ٤ ص ٣٩٤.

«الحيوان»: مج ٥ ص ٢٣ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٨ - ٣٠ - ٣١ - ٤٢٥ - ٤٢٦.

(٢) أول معنى المال عند العرب كان الأرض لأنها أول شيء يملكه الإنسان... ثم انتقلت إلى النبات وكل ما يظهر على وجهها (الأرض). ثم إلى الحيوان وإلى الإنسان الذي يُقْنى، فإلى كل شيء يُمْتَلَك.

وأصبح في عهد الحضارة والتمدن بمعنى الفضة والذهب أو بمعنى مطلق الورق: أي النقد أياً كان... فالأصل عربي صرف ولا دخل لسائر اللغات الأخوات الساميات في معناه.

«دستور الحكم في الإسلام والمبادئ الأساسية التي قام عليها»: د. محمد الخطيب ملحق رقم ٦ ص ٧٢٧ - ٧٢٨. (فصل من أطروحة دكتوراه نوقشت في جامعة الأزهر)

(٣) العُرْي: خلاف اللُبْس. يقال: رجل عُرْيَانٌ وعار وامرأة عريانة وعارية.

«لسان العرب»: ابن منظور مادة عرا. ج ١٥ - ص ٤٦ - ٤٧.

«جواهر البلاغة»: الهاشمي ص ٣٠٣.

(٤) «عقود الجمان»: للسيوطي ص ١٢٠.

المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به^(١). كقولك رجل أسد: تريد: شجاع.

وعند القزويني: ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له^(٢).

وهي ضرب من المجاز. والمراد بمعناه: ما عني به أي ما استعمل فيه، فلم يتناول ما استعمل فيما وضع له وإن تضمن التشبيه به^(٣).

والاستعارة عند أبي عثمان: تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه^(٤).

فمن شواهد الاستعارية، من غير أن يُسميها، قول الشاعر:

يا دارُ قد غيَّرها بِلاها كأنما بقلمِ مَحَاها
أخربها عُمرانُ مَنْ بَنَّاها وَكُرِّمَساها على مَغناها
وطفقت سَحَابَةً تَغشاها تبكي على عِرامها عَيناها
«قوله: أخربها عمرانُ مَنْ بَنَّاها، يقول: عمَّرها بالخراب. وأصل العمران مأخوذ من العمر، وهو البقاء، فإذا بقي الرجل في داره فقد عمَّرها. فيقول إن مُدَّة بقاءه فيها أبلت منها، لأن الأيام مؤثِّرة في الأشياء بالتَّقصِّ والبلى، فما بقي الخرابُ فيها وقام مقام العمران في غيرها سمي بالعُمران...»^(٥).

وقوله مُمساها، يعني مَساءها. ومغناها: موضعها الذي أقيم فيه.

والمغاني: المنازل التي كان بها أهلوها. وطفقت، يعني ظلت تبكي على

(١) «مفتاح العلوم»: السكاكي ص ١٥٦.

(٢) «شروح التلخيص»: سعد الدين التفتازاني مج ٤ ص ٤٥.

(٣) «الإيضاح في علوم البلاغة»: القزويني ص ٤٠٩.

وانظر «علم البيان»: د. عبد العزيز عتيق. ص ١٧٢ - ١٧٤. وفيه تعريفات شتى للاستعارة.

(٤) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٥٣.

(٥) انتهى كلام الجاحظ، وكأنما أراد أن يقول. تلك هي الاستعارة. ضرب من المجاز يقوم فيه شيء مقام غيره وهو غير موجود... ولا ندري لماذا لم تُذكر الاستعارة صراحة في كتاب الجاحظ؟

عِراصها عيناها، وعيناها ههنا للسحاب. فجعل المطرَ بُكاء من السحاب على طريق الاستعارة.

وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه^(١).

ومن شواهد الاستعارة المكنية في كتاب «البيان والتبيين» قول نُصَيْب^(٢):

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لِقَيْثُهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ
قِفُوا خَبْرُونَا عَنْ سَلِيمَانَ إِنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبُ
فَعَا جُؤَا فَأَتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

فالحقائب تخبر من كثرة انتفاخها أَنَّ صَاحِبَهَا كَرِيم جَوَاد.

يقول الجاحظ: وهذا كثير جداً^(٣).

ومن بليغ شواهد الجاحظ الشعرية على الاستعارة، وقد جعلها تحت عنوان الإشارة، قول الشاعر:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خَيْفَةً أَهْلِهَا إِشَارَةً مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً وَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالْحَبِيبِ الْمُتَيَّمِ^(٤)
لقد أنطق الشاعر الطَّرْفَ، وجعل الإشارة أبعد مبلغ الصوت. ومن بديع الشواهد، استعارة الشاعر صوتاً للعصا. قال جندل الطُّهَوِيُّ^(٥):

(١) «البيان والتبيين»: الجاحظ تحق هارون مج ١ ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) نُصَيْب: (ت ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م). هو ابن رباح وكنيته أبو محجن. يقول ابن قتيبة إنه يكنى أبا الحجناء. شاعر فحل مقدّم في النسيب والمدح. كان عبداً حبشياً أسود لراشد بن العزى من كنانة، ويقول: هو مولى بني كعب بن حمزة من كنانة. وأمه سوداء. والأبيات التي قالها نصيب مثبتة في كتاب ابن قتيبة.

انظر «الشعر والشعراء»: ابن قتيبة. ص ٩٢ - ٩٣.

و«الأعلام»: الزركلي. ج ٨ ص ٣١ - ٣٢.

(٣) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٨٢ - ٨٣.

(٤) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٧٨ و ٢١٩. حيث جاءت لفظة المُسَلَّم بدل المُتَيَّم.

(٥) جندل الطُّهَوِيُّ (ت ٥٩٠ / ٧٠٩ م). ابن المثنى الطُّهَوِيُّ، من تميم، شاعر، راجز، كان معاصراً للراعي الشاعر وكان يهاجيه. نسبته إلى طهية وهي جدته. «الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ١٤٠.

حتى إذا دارت رَحَى لا تجري صاحت عصي من قنأ وسِذر^(١)
من المعروف، في ذلك الزمن، أن قرع العصي يعني حدوث أمر جلل،
وكلما قوي صوتها حمي وطيس الضراب. والعصي الجوفاء كالقنا من الرماح
تصدر أصواتاً مخيفة فإياك بصوت السِدر شجر النبق الصامد؟
والعصا لا تصيح، وصوتها يعني بداية رَحَى حرب، فاستعار لها الصياح
لإبانة الصراع وهي استعارة بليغة.

وفي شبهه يقول أعشى همدان^(٢):

ويركب رأسه في كلِّ وحلٍ وَيَعْشُرُ في الطريق المستقيم^(٣)
الرأس لا يُركب، فكيف بالحيوان أو الإنسان يركب رأس نفسه؟ معنى
ذلك التمسك بالرأي والمعاندة.
وقال بشار^(٤):

وما خيرُ كفٍّ أَمَسَكَ الغُلُّ أختها وما خيرُ سيفٍ لم يُؤَيِّدَ بقائم^(٥)
فالغُلُّ والبخل لا يُمَسِكُ، فاستعار له الشاعر يداً ليمسك بها.
ولئن لم يُصرِّح الجاحظ (بالاستعارة) في «البيان». فقد فعل ذلك صراحة
في «الحيوان».

فتحت عنوان «ما يحتاج إلى معرفته» أورد الجاحظ ألفاظاً أطلق عليها اسم
الاستعارة.

(١) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ١٥.

(٢) أعشى همدان (١ - ٤٣ هـ / ٦٢٢ - ٦٦٣ م) هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي
المدني، أبو محمد، تابعي ثقة، جليل القدر، من أشرف قريش، وهو أحد الأربعة الذين عهدَ
إليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسخ المصاحف، توفي في المدينة.

انظر خبره مع خالد بن عتاب في «الأغاني»: الأصفهاني مج ٦ - ص ٤٣ - ٤٤.

و«الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٣٠٣.

(٣) «البيان والتبيين»: الجاحظ تحق هارون. وبقية الأبيات مج ٤ ص ٥٠.

(٤) انظر ص ١٢٠ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٣.

(٥) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٤. ص ٤٩.

فقال على لسان الفرزدق^(١):

إني أقودُ جملاً مفراحاً في قُبّة موقرةٍ أخراحاً^(٢)
قال الجاحظ: وإنما جمعه على أحراح، لأن الواحد جِرْح. هكذا
أصله. وقد يستعار ذلك وهو قليل^(٣).

وقال الشاعر^(٤):

تراها الضَّبْعُ أعظمهنَّ رأساً جُراهِمةً لها حِرّةٌ وثيلٌ
جاء في «اللسان»: وقوله لها حِرّةٌ وثيلٌ: معناها أن كل ضبع خنثى فيما
زعموا، واستعار الثيل لها وإنما هو للبعير، وعَنَى بالجُراهِمة: الضخمة.

قال الجاحظ: فلم يرضَ الاستعارة حتى ألحق فيها الهاء^(٥).

يَتَبَيَّنُ لنا، أَنَّ الجاحظ سَمَى الاستعارة واعتبرها مجازاً، واستعمالاته لها
كانت على التشبيه، وعلى المثل، وعلى الاشتقاق، وكان يعني بها الاستعارة أو
المجاز بمعناه العام.

كما لَمَّحَ إلى إجراء الاستعارة^(٦).

(١) همام بن غالب انظر ص ١٢٧ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٥.

(٢) ورد البيت في «اللسان»: ومنه «ذا قُبّة»: بدل «في قبة».

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة حرح مج ٢ ص ٤٣٢.

(٣) «الحيوان»: تحق هارون مج ٢ ص ٢٨٠.

(٤) البيت لساعدة بن جويه يصف ضبعاً. وهو شاعر من بني كعب من سعد هذيل من مخضرمي
الجاهلية والإسلام. أسلم وليست له صحبة. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة جره مج ١٢
ص ٩٧. «الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٧٠.

(٥) «الحيوان»: تحق هارون مج ٢ ص ٢٨٠.

(٦) مما يلفت النظر أن هذا الاستعمال من استعارة وتشبيه، سماه البلاغيون فيما بعد «إجراء
الاستعارة».

المقصود بإجراء الاستعارة تحليلها إلى عناصرها الأساسية التي تتألف منها. وهذا التحليل يتطلب
تعيين كل من المشبه والمشبه به في الاستعارة، وعلاقة المشابهة أو الصفة التي تجمع بين طرفي
التشبيه، ونوع الاستعارة، وكذلك نوع القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي والتي تكون
أحياناً لفظية وأحياناً تفهم من سياق الكلام.

ولا يخفى أن الاستعارة هي مجاز مرسل علاقته المشابهة .
وكلمة التشبيه ترد عند تحليل الاستعارة أو إجرائها، ثم هي في حقيقتها
تشبيه حذف أحد طرفيه^(١).

الكناية

الكناية لغة : أن تتكلم بشيء وتريد غيره^(٢).
واصطلاحاً : لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له ، مع جواز إرادة المعنى
لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته^(٣).
أو هي لفظ أُطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى^(٤).
وقد وردت الكناية عرضاً^(٥) بمعناها العام، عند الجاحظ، وهو التعبير عن
المعنى تلميحاً لا تصريحاً كلما اقتضى الحال.
وقد ساق قول أبي دؤاد بن حريز الأيادي^(٦) شارحاً معنى الوحي والإشارة
وهما من مقومات الكناية :

-
- (١) «في تاريخ البلاغة العربية» : د. عتيق ص ١٠٢.
(٢) «لسان العرب» : ابن منظور مادة كنى . ج ١٥ ص ٢٣٣.
(٣) «مفتاح العلوم» : للسكاكي ص ١٧٠.
«جواهر البلاغة» : الهاشمي . ص ٣٤٦.
(٤) «الإيضاح في علوم البلاغة» : القزويني ص ٤٥٦.
«علم البيان» : د. عتيق ص ٢٠١.
(٥) «البيان والتبيين» : تحق هارون مج ١ ص ٤٤.
(٦) أبو دؤاد الأيادي (ت ٥٥٤م) واسمه جارية بن الحجاج قال الأصمعي : هو حنظلة بن الشرفي
وهو أحد نقات الخيل المجيدين . ولفظه ليس بنجدي . ولكن الجاحظ أكد في مكان آخر من
«البيان» : أن قاتل البيت هو أبو دؤاد.
«الشعر والشعراء» ابن قتيبة ص ٣٧ - ٣٨.
«الأعلام» : الزركلي مج ٢ ص ١٠٦.
وانظر «معجم الشعراء في لسان العرب» : د. الأيوبي ص ١٤١ وفيه عدد آخر من المصادر
والمراجع.
و«البيان والتبيين» : تحق هارون مج ١ ص ١٥٥.

يُزْمَنُ بِالْخُطْبِ الطُّوَالِ وَتَارَةً وَخِي الْمَلَا حِظِ خِيْفَةَ الرُّقْبَاءِ
قال الجاحظ: فذكر المبسوط في موضعه، والمحذوف في موضعه،
والموجز، والكناية، والوحي باللحظ، ودلالة الإشارة.

فمدح كما ترى الإطالة في موضعها، والحذف في موضعه، والكلام الذي
هو كالوحي والإشارة^(١). وقال في باب تعريف البلاغة في كتاب «البيان
والتبيين»، قال بعض أهل الهند:

جماعُ البلاغة البصر بالحُجَّة، والمَعْرِفة بمواضع الفُرْصة.

ثم قال: ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع
الإفصاح بها إلى الكناية عنها. إذا كان الإفصاح أوعر طريقةً وربما كان الإضرابُ
عنها صفحاً أبلغ في الدرك وأحقُّ بالظفر^(٢).

فشرح بذلك الكناية، وإن لم يكن قصده تعريفها مستقلة لأنَّ الوقت لم
يحن بعد لتناولها مستقلة . . .

وهذا ما أشار إليه الرمزيون في العصر الحديث بقولهم: الصراحة البلهاء!

وفي باب ذكر البلغاء والخطباء . . . قال الجاحظ . . .

أو ما عَلِمْتَ أَنَّ الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح
والكشف^(٣).

ثم قال: وإذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل. وإذا قالوا للعامل
مستقص فتلك كناية عن الجور . . . وساق شاهداً . . .

وقيل «الجِدَّةُ كناية عن الجهل» وقيل: «العارضة كناية عن البذاء»^(٤).

(١) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٤٤ و ١٥٥.

(٢) نفسه تحق هارون مج ١ ص ٨٨.

(٣) نفسه تحق هارون مج ١ ص ١١٧.

(٤) نفسه تحق هارون مج ١ ص ٢٦٣.

فالكناية عند الجاحظ تقابل الإفصاح والتصريح إذا اقتضى الحال . وساق بعض الشواهد التي لم يُدرجها تحت عنوان كعاداته .

قال صفوان الأنصاري^(١) :

ولا الناطقُ النَّخَّارُ والشيخُ دَغْفَلٌ إذا وَصَلُوا أَيْمانَهُم بالمخاصرِ^(٢)
كَتَى الشاعر بوصل الأيدي بالعصي والإمساك بها عن تأهيبهم للخطابة .

وقال صفوان أيضاً في بشار وأخويه وكان يخاطب أمهم :

وَلَدَتْ خُلْدًا وَذِيخًا فِي تَشْتُمِهِ وَبَعْدَهُ خُزْزًا يَشْتَدُّ فِي الصُّعْدِ^(٣)

فكنى عن عمى بشار بالخلد وبالذئخ والخُزْز عن العرج وقصر اليدين .

قال الجاحظ ؛ الخُلْدُ : ضرب من الجرذان يولد أعمى . والذئخ : ذكر

الضباع وهو أعرج .

والخُزْز : ذكر الأرنب ، وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب في الصُّعْدِ .

ومن أبلغ ما قيل في وصف سرعة الذئب^(٤) :

أَطْلَسُ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ فِي شِدْقِهِ شَفَرَتُهُ وَنَارُهُ^(٥)

كنى الشاعر بأطلس عن الذئب الذي طلسته الغبرة السوداء من سرعته

وكنى بالشفرة والنار ، عن وحشيته وجوعه ، لأنه لا يحتاج لأكل فريسته إلى نار

وسكين .

وقال حارثة بن بدر^(٦) ، لَمَّا تحالفت الأزْد وربيعة :

(١) انظر ص ٢٢٢ من هذا الكتاب . حاشية رقم ٣ .

(٢) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ٢٥ .

(٣) نفسه تحقق هارون مج ١ ص ٣١٠ .

(٤) لم يذكر اسم الشاعر .

(٥) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ١٥٠ .

(٦) حارثة بن بدر : (ت ٦٤هـ / ٦٨٤م) . ابن حصين التميمي : تابعي من أهل البصرة . قيل إنه أدرك

النبي ﷺ وله أخبار في الفتوح وقصة مع عُمر وعلي رضي الله عنهما . أمّر على قتال الخوارج

في العراق فهزموه بنهر (نير) ، فلما أرهقوه دخل سفينة بمن معه ففرقت بهم .

«الإصابة في تمييز الصحابة» : العسقلاني مج ١ ص ٣٧٠ - ٣٧١ رقم ١٩٣٧ .

لا تحسبن قَوَّادي طائراً قَزِعاً إذا تحالفَ ضُبُّ البَرِّ والثُّونُ^(١)
فكُنَى عن الأزْدِ بضِبِّ البرِّ ويربيعة بالنون وهو الحوت البحري، ومن
المعروف أن هذا التحالف مُحال.

هذه عِيُنات من شواهد الكناية عند الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين». لم
يسلكها بعناوين صريحة، وإنما استتجناها واستقرأناها أثناء مطالعتنا الكتاب.

قال الدكتور عتيق عند تعرضه للكناية عند الجاحظ:

فالكناية عند الجاحظ... من الأساليب البلاغية التي قد يتطلبها المعنى
للتعبير عنه ولا يجوز إلا فيها، وإن العدول عنها إلى صريح اللفظ في المواطن
التي تتطلبها أمر مخل بالبلاغة.

والمتتبع لما قاله الجاحظ عن الكناية، ولما أورده من أمثلة لها، يرى أنه
استعملها استعمالاً عاماً يشمل جميع أضرب المجاز والتشبيه والاستعارة
والتعريض دون أن يُفَرِّق بينها وبين هذه الأساليب^(٢).

قال الدكتور شوقي ضيف: «وهو، (أي الجاحظ)، حقاً لم يكن يُعنى
بوضع ملاحظاته في شكل قوانين محددة بالتعريفات الدقيقة، ولكنه صورها في
أمثلة متعددة بحيث تمثلها من خلفه تمثلاً واضحاً^(٣).

ويقول الخطيب القزويني عن كتاب «البيان والتبيين»^(٤):

وهو لذلك آية من آيات الطبع المتمكن والذوق السليم والإحاطة التامة
بالبيان وبلاغته.

وإذا كان الجاحظ فخر التلمذة والرواية... فيجب أن لا ننسى أنه كان
لعلماء الأدب والبيان الذين جاؤوا بعده، هذا الفخر نفسه بالتلمذة عليه وعلى
كتاب «البيان» بخاصة.

(١) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٤ ص ٦٦.

(٢) «علم البيان»: د. عتيق. ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٣) «البلاغة تطور وتاريخ»: د. شوقي ضيف. ص ٥٨.

(٤) «الإيضاح في علوم البلاغة»: القزويني ص ٤٢-٤٣.

الفصل الرابع

الشعر وعلم البديع

الشعر وعلم البديع

جاء في «اللسان» بَدَعَ الشيء يبدِّعه بَدْعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه.
والبديع والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أولاً. وأَبْدَعْتُ الشيء: اخترَعْتُهُ^(١).
والبديع اصطلاحاً: عِلْمٌ يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة
ووضوح الدلالة، وتربو أنواعه على المائتين^(٢).
وقيل: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية مطابقة على
مقتضى الحال ووضوح الدلالة^(٣).
وقيل فيه أيضاً: الجديد، وأصله في الجبال، وذلك أن يُقْتَلَ الحبل جيداً،
أو المُخْتَرَع أو المُبْتَكِر. وثمة فرق بين الاختراع والإبداع، فالاختراع هو خلق
المعاني التي لم يُسبق إليها، والإبداع هو الإتيان بالمعنى المستظرف والذي لم
تجر العادة بمثله ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع^(٤).

(١) «لسان العرب»: ابن منظور. مادة. بدع. ج ٨ ص ٦.

(٢) «مفتاح العلوم»: للسكاكي. ص ٢٣٨. و«التلخيص في علوم البلاغة»: للقزويني ص ٣٤٧.

(٣) «الإيضاح في علوم البلاغة»: للقزويني. ص ٣٧٧.

(٤) «العمدة»: لابن رشيق القيرواني مج ١ ص ٢٦٥.
و«القزويني وشروح التلخيص»: أحمد مطلوب ص ٤٢٤.

وقد جاء لفظ البديع عند حَسَّان بن ثابت^(١) شاعر الرسول ﷺ بمعنى الجديد والمخترع. قال:

قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عَدُوَّهُمْ أو حاولوا النَّفْعَ في أشْيائِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تلكَ منهم غيرُ مُحدثَةٍ إِنَّ الخلائقَ، فاعلمْ، شرُّها البِدْعُ^(٢)
كما وَرَدَ اللَّفْظُ في القرآن الكريم بمعنى حُسْنِ البِدءِ على غيرِ مِثَالٍ.

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣) وتردّت هذه اللفظة في العهد الأموي بمعنى الجديد الطيب. قال الفرزدق^(٤):

أَبَتْ نَاقَتِي إِلَّا زِيَادًا وَرَغْبَتِي وما الجود من أخلاقه ببديع^(٥)
وكانت ألوان البديع تصدر عن الشعراء بفطرة وسليقة لا تكلف فيها ولا
تَعْمَلُ، وقد زَخَرَتْ النصوص القديمة والمخضرمة بتلك الصور دون أن يعرف
أصحابها أسماءها ولا أقسامها وأنواعها^(٦).

(١) حَسَّان: (ت ٥٤هـ / ٦٧٤م). هو حسان بن ثابت المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي المشهور، شاعر النبي ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. من سكان المدينة، اشتهر في مدحة للغساسنة وملوك الحيرة قبل الإسلام، وكان شاعر اليمانيين في الإسلام. عُيِّنَ قبل وفاته.

«خزانة الأدب»: للبغدادي مج ١ ص ١١١ «الشعر والشعراء»: ابن قتيبة ص ٦٠.

«الإصابة في تمييز الصحابة»: العسقلاني مج ١ ص ٣٢٦. «الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ١٧٥.

(٢) «ديوان حسان بن ثابت»: دار صادر. ص ١٤٥.

(٣) بديع (فعل) للمبالغة وهو مبتدأ محذوف: أي هو بديع. أبدع الشيء: أنشأه لا عَنْ مِثَالٍ، وكل من أنشأ ما لم يُسَبِّقْ إليه قيل له مُبْدِعٌ.

«فتح القدير»: الشوكاني ط ٣ دار الفكر. بيروت ١٩٧٣ مج ١ ص ١٣٣.

سورة البقرة، الآية: ١١٧.

(٤) انظر ص ١٢٧ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٥.

(٥) «ديوان الفرزدق»: تحق عبد الله إسماعيل الصاوي. ط ١. مط. الصاوي ١٩٣٦. ج ٢ ص ٤٩٣.

و«البديع في ضوء أساليب القرآن»: د. لاشين. ط ١. دار المعارف القاهرة ١٩٧٩. ص ٥.

(٦) المرجع نفسه ص ٦، ٧.

والشاعر العربي ذوّاق بطبعه وسليقته، حسّاس بفطرته، نطق بما أحسّ
وصوّر ما شاهد وما جاور، فجرب تجويد المعاني واللعب بالألفاظ، ونجح،
فكان ماهراً في استعمالاتها كمهارة الفارس بفروسيته.

«وجاء العصر العباسي، وقد جدت الحضارة المادية والعقلية من رواة
الشعر، فأمدته بالخيال الخصب، والفكر العميق، والمعنى الدقيق، ولوّنته
بالوان زاهية من التشبيه والاستعارة، وبديع التصوير، وجميل التمثيل، وصبغته
بأصباغ طريفة من الثقافة والفلسفة، ومزجته بحكمة الهنود، وأدب الفرس، وقد
تنبه الشعراء العباسيون إلى ما في شِعْرِ القدماء من طرائف الصنعة البديعية،
فتناولوا البديع، تارة مقتصدين كالبحثري^(١) وابن المعتز^(٢)، وتارة مفرطين،
كأبي تمام^(٣)».

وكان البديع عنصراً من عناصر البيان العربي، ثم أخذت مباحثه، في

(١) البحثري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ / ٨٢١ - ٨٩٧ م). هو الوليد بن عبيد بن يحيى . . الطائي، أبو عبادة،
أديب، شاعر فصيح بليغ. ولد بمنبج من أعمال حلب ونشأ بها، وخرج منها إلى العراق فمدح
المتوكل . . . وأقام طويلاً في بغداد ثم عاد إلى منبج وتوفي فيها.

«تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي مج ١٣ ص ٤٤٦ - ٤٥٠ رقم ٧٣٢١.
«الفهرست»: لابن النديم. ص ٢٣٥ و«الأعلام»: للزركلي مج ٨. ص ١٢١.
«معجم المؤلفين»: كحالة مج ١٣ ص ١٧٠ - ١٧٢.

(٢) ابن المعتز (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ / ٨٦٣ - ٩٠٨ م). هو عبد الله بن المعتز بالله . . بن المتوكل بن
هارون الرشيد، أبو العباس، أديب شاعر، ولي الخلافة بعد عزل المقتدر يوماً واحداً وقيل
نصف يوم.

«تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي مج ١٠ ص ٩٥ - ١٠١.
«الأعلام»: للزركلي مج ٤ ص ١٣٩.

(٣) أبو تمام (١٨٨ - ٢٣١ هـ / ٨٠٤ - ٨٤٦ م). هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، شاعر
أديب، أحد أمراء البيان، من قرى حوران بسوريا. رحل إلى مصر فاستقدمه المعتصم إلى بغداد
وقدّمه. واختلّف في المفاضلة بينه وبين المتنبي والبحثري.

«تاريخ بغداد»: للخطيب البغدادي مج ٨ ص ٢٤٨.
«خزانة الأدب»: للبغدادي مج ١ ص ١٧٢.
«الأعلام»: للزركلي مج ٢ ص ١٦٤.
و«البديع في ضوء أساليب القرآن»: د. لاشين. ص ٧٠.

العصور الأولى، تتمحور معالمها شيئاً فشيئاً حتى صارت علماً مستقلاً، ونظر الشعراء والأدباء نظرة غاية، لا وسيلة، يستعان بها على تزويق الأساليب البيانية والارتقاء بها، فأساءوا من حيث أرادوا الإحسان، لأنهم اشتطوا وتوسعوا كثيراً. فالتكلف والتصنع ضدان للفطرة والسليقة التي عرف بها العربي.

«وإذا كان الشعراء والأدباء في العصور المتأخرة قد أسرفوا في استعمال البديع فصارت لهم مدارس، وإذا كان علماء البديع قد توسعوا في مفهومه حتى شمل الصور البيانية وكثيراً من صور المعاني، وقد أضافوا إليه ما ليس فيه، فخلطوا بذلك بديعاً مزيفاً بالبديع الحقيقي، فإن ذلك كله لا يطعن في قيمة البديع بمقدار ما يدل على سوء فهمهم وقصورهم وجمودهم»^(١).

ومهما كان الهدف الحقيقي من تطوير هذا العلم، فإنه يدين بالفضل الأساسي إلى الأوائل الذين تذوقوا الجمال الأدبي، فتفننوا بإبرازه بصور موشاة أشاروا من خلالها إلى مداخل هذا العلم الذي يخدم وجوه تحسين الكلام بعد مراعاة مقتضى الحال.

ومن المعلمين الأدباء الذين لا تخفاهم صورة أدبية، وقل أن يهملوا شيئاً، أبو عثمان الجاحظ الذي ترك لنا في «البيان والتبيين» خيوطاً واضحة ومادة صالحة لهذا الفن البديعي وفروعه.

فما هي شواهد الشعرية التي مثل بها خيوط هذا الفن؟

حتى عصر الجاحظ، كان لفظ البديع يطلق على الأساليب البلاغية التي تبرز الصور الأدبية الفاتنة، من تشبيه ومجاز ومحسنات في الصورة، وتخلع على الألفاظ والمعاني حلة من الجمال اللفظي أو المعنوي.

وكلمة البديع عند الجاحظ تعني الصور والمحسنات اللفظية المعنوية، وإن كان لم يوضحها توضيحاً دقيقاً، ويضع لها تعريفات ومصطلحات، لأن اهتمامه بها عن طريق الشواهد لا عن طريق وضع القواعد.

(١) «علم البديع»: د. عتيق. ط ٢ دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٠-ص ٦٤.

فقد أطلق لفظ البديع على طريق الاستعارة، وروى التسمية عن الرواة التي وردت على لسان الشعراء، عند قول الأشهب بن رميلة^(١):

هُم سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍ لَا تَنْوَأ بِسَاعِدِ^(٢)
أَسْوَدُ شَرَى لَاقَتْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَزْدِ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ^(٣)
قال الجاحظ: قوله: «هُم سَاعِدُ الدَّهْرِ» إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع.

وقد قال الراعي^(٤):

هُم كَاهِلُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ وَمَنْكَبُهُ إِنْ كَانَ لِلدَّهْرِ مَنَكِبُ^(٥)
«والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأريت
عل كل لسان. والراعي كثير البديع في شعره، ويشار^(٦) حسن البديع،

(١) الأشهب بن رُمَيْلة ما بعد سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م. هو شاعر نجدى. ولد في الجاهلية وأسلم. ولم يجتمع بالنبي ﷺ. عاش حتى العصر الأموي. هجا أبا الفرزدق، فهجاه الفرزدق فقَصَرَ عن مجاراته. سُمِّي رُمَيْلة نسبة إلى أمه التي هي أمة سَبِيَّة في الجاهلية.

«خزانة الأدب»: البغدادي مج ٢ ص ٥٠٩.

«الأعلام»: الزركلي مج ١ ص ٣٣٣.

(٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٤ ص ٥٥.

(٣) البيت من الشواهد اللغوية المشهورة. الشرى: جبل بتهامة مشهور بكثرة السباع، خَفِيَّة: أجمة في سواد الكوفة. وَالْحَزْدُ: الغضب، والأساود: جمع أسود وهو ضرب من الحيات السود.

«الكامل في اللغة والأدب»: للمبرد مج ١ ص ٣٣.

«العقد الفريد». لابن عبد ربه مج ١ ص ١٠٣.

«الأمالي»: للقالى مج ١ ص ٩.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة حرد. مج ٣ ص ١٤٦.

(٤) الراعي: (ت ٩٠هـ / ٧٠٩م). عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النمرى، أبو جندل. شاعر المحدثين. لقب بالراعي لكثرة وصفة الإبل، وقيل كان راعي إبل من أهل بادية البصرة. عاصر جريراً والفرزدق. وكان يفصل الفرزدق.

«الأعلام»: الزركلي مج ٤ ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٥) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٤ - ص ٥٥.

(٦) انظر ص ١٢٠ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٣.

والعتابي^(١) يذهب في شعره في البديع مذهب بشار^(٢).

نرى الجاحظ يطلق لفظ البديع في «ساعد الدهر» و«كاهل الدهر»، فيذكر المجاز مثلاً، ثم يعمم التسمية على مثل هذا الأسلوب البلاغي، ويشير إلى من اخترع البديع في معرض حديثه عن العتابي.

يقول الجاحظ «ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن: كلثوم بن عمرو العتابي وكنيته أبو عمرو، وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمري^(٣) ومسلم بن الوليد الأنصاري^(٤) وأشباههما وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع. ولم يكن في المولدين أصوب بديعاً من بشار وابن هرمة^(٥).

يقرر الجاحظ إذاً أن البديع ضرب من التكلف، وإن كان فيه شيء من

(١) انظر ص ١٢٦ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٢.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤. ص ٥٥ و ٥٦.

(٣) النمري: (ت ١٩٠هـ / ٨٠٥م). هو منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النمري، أبو القاسم، شاعر من أهل الجزيرة الفراتية، كان تلميذ العتابي، مدح الرشيد، ومث إليه بقرابته من أم العباس بن عبد المطلب وهي نمرية واسمها ثنية. غضب عليه الرشيد وأرسل من يجيئه برأسه فوصل الرسول في اليوم الذي مات فيه النمري. تجد أخباره في: «تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي مج ١٣ - ص ٦٥ - ٦٩ رقم ٧٠٥٠.

«الأغاني»: الأصفهاني مج ١٣ ص ١٤ - ١٥٨.

«الأعلام»: الزركلي مج ٧ - ص ٢٩٩.

(٤) مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء: ت ٢٠٨هـ / ٨٢٣م. أبو الوليد، المعروف بصريع الغواني شاعر غزل، وهو أول من أكثر من «البديع»: وتبعه الشعراء فيه. من أهل الكوفة، نزل بغداد فأنشد الرشيد:

وما العيش إلا أن تروح مع الصب وتغدو صريع الكأس والأعين النجل
فلقبت بصريع الغواني. دفن في جرجان.

«تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي مج ١٣ ص ٩٦ رقم ٧٠٨٣.

«الأعلام»: الزركلي مج ٧ ص ٢٢٣.

(٥) ترجمة بشار في ص ١٢٠ و ترجمة العتابي في ص ١٢٦ وتجد ترجمة ابن هرمة لاحقاً في ص ٣٢٧. وانظر «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٥١.

السجية والطبع في بعض الأحيان، ويعطينا حكم الناقد المُتَمَكِّن المُلِمَّ بصنوف الشعراء ومادتهم فيرى أنَّ بشاراً وابن هرمة، من الشعراء المولدين، أصوب بديعاً، ولم نسمع بمن خالف هذا الرأي.

يعلق الدكتور لاشين على أحكام الجاحظ بقوله :

«أشار الجاحظ إلى نشأة البديع وإلى أول من اخترعه... وفي قول الجاحظ ما يفيد أن البديع نشأ في الأدب العربي من التفكير المختلط والمجهود المشترك بين العرب والفرس، ولم يكن خالصاً من الفرس وحدهم الذين يعرفون بميلهم إلى التعبير باللون إذ اختلاط الأسماء العربية (العتابي، النمري، ابن هرمة)، مع الأسماء الفارسية، (بشار، مسلم بن الوليد)، يدل على أنه مذهب عباسي تعاونت فيه طوائف من الشعراء العرب مع الشعراء الفرس.

على أن العباسيين الذين عاصروا مولد البديع كانوا يردونه إلى مصادر عربية خالصة كما في قول الجاحظ... والبديع مقصور على العرب»^(١).

وقد قَسَمَ البلاغيون عِلْمَ البديع، أو المحسنات البديعية إلى قسمين :
المُحَسِّنَات المعنوية : وهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، ويتبعه تحسين اللفظ ثانياً وبالعرض .
ويعرف هذا النوع من الآخر بأنه لو غير اللفظ بما يرادفه لبقى المحسن كما كان قبل التغيير .

والمحسنات اللفظية : وهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى اللفظ أولاً وبالذات، ويتبعه تحسين المعنى ثانياً وبالعرض .
ويميز هذا النوع عن الأول بأنه لو غير أحد اللفظين بما يرادفه لزال المحسن .

وهذا التقسيم لتلك الألوان البديعية من لفظية يرجع جمالها إلى اللفظ والصورة والشكل للقسم الأول، وإلى المضمون والمعنى للقسم الثاني، وهو

(١) «البديع في ضوء أساليب القرآن» : د. لاشين . ص ٨ - ٩ .

تقسيم لم يحالفه التوفيق، لأن ذلك فصل للجسم عن الروح، والروح عن الجسم، ولأن جمال الألفاظ في تعلقها بالمعاني، وحسن المعاني في وجودها في التركيب، وتلك النظرة التكاملية الفنية كثيراً ما أكدها الجرجاني.

فالحسن الحقيقي للكلام لا بد أن يكون من اللفظ والمعنى ويشارك فيه كل من اللفظ والمضمون وليس في واحد منهما فقط^(١).

وبالرغم من تعلق موضوع بحثنا بشواهد الجاحظ الشعرية على العلوم البلاغية، فلا بد لنا من بحث كل القضايا البديعية، التي طرحها الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين»، الشعرية والنثرية، لإلقاء الضوء على مفهوم الجاحظ لهذا الفن البلاغي.

١- السَّجْع

لغة: هو الكلام المُقَفَّى، سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن، وصاحبه سَجَاعَةٌ^(٢).

ويقال حمامة ساجعة، وحمام سُجَّع وسواجع. كذلك يقال: سَجَّعت الناقة في حينها^(٣).

واصطلاحاً: هو توافق أو تواطؤ الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر على حرف واحد^(٤).

ومن شروطه أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة، رخمة، تابعة للمعنى، وتؤلف كل واحدة من السجعات على معنى مغاير لأختها. ويأتي على أربعة أضرب:

(١) «البديع في ضوء أساليب القرآن»: د. لاشين. ص ٢٠ - ٢١.

(٢) «لسان العرب»: ابن منظور. مادة. سجع مج ٨ ص ١٥٠.

(٣) «أساس البلاغة»: الزمخشري. مادة سجع. ص ٢٠٣.

(٤) «التلخيص في علوم البلاغة»: القزويني. ص ٣٩٧.

«علم البديع»: د. عتيق. ص ٢٠٦.

المُطَرَّف، والمُرَصَّع، والمُتَوَازي، والمُشَطَّر^(١)

وقد تعرّض الجاحظ للسجع في كتاب «البيان والتبيين». عند إيراده لآراء النبي ﷺ - المختلفة في السجع.

قال الجاحظ: «قالوا: فقد قيل للذي قال: يا رسول الله، أرايت مَنْ لا شربَ ولا أكلَ، ولا صاح واستهلَّ، أليس مثل ذلك يُطلَّ^(٢). فقال رسول الله ﷺ: «أَسَجَّعَ كَسَجَعِ الجاهلية»؟^(٣).

وتعرّض الجاحظ للذين يكرهون الأسجاع، دلالة على أن قول النبي عليه السلام، قد فهم على غير وجه، فمنهم من كرهه، ومنهم من بالغ فحرّمه، ومنهم من ظل محايداً.

قال الجاحظ: «وكان الذي كرهه الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التّكلف والصنعة، أنّ كُهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم، كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع. . . . فوقع النهي في ذلك الدهر لقُرْبِ عهدهم بالجاهلية ولَبَقِيَّتِها منهم وفي صدور كثير منهم، فلما زالت العلة زال التحريم»^(٤).

وعن الذين نفوا تحريم السجع قال الجاحظ: «وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرّقاشي،^(٥) لِمَ تَوَثَّرَ السجع المنشور، وتُلزِمُ نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال: إن كلامي لو كنت لا آملُ فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي

(١) «علم البديع»: د. عتيق. ص ٢٠٨.

(٢) الطَّلُّ: هدر الدم. وطلَّ طلاً وطلولاً فهو مطلولٌ وطليلٌ، وأطلَّه: أي أهدّره.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة. طلل مج ١١ ص ٤٠٥.

(٣) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٨٧.

(٤) نفسه تحقق هارون مج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٥) الرقاشي: (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٣م). شاعر عباسي خبيث اللسان، شديد العارضة. له شقيق شاعر اسمه أحمد، نقيضه في الصفات، فهو عفيف ذو مروءة ودين.

«فوات الوفيات»: والذيل عليها. محمد بن شاكر الكتبي. تحقق إحسان عباس. دار صادر. بيروت ١٩٧٤ مج ٢ ص ٣٣٠.

عليك، ولكنني أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحقُّ بالتقييد وبِقِلَّةِ الثَّقَلِ، وما تكلَّمتُ به العرب من جيد المنثور، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يُحَفَظْ من المنثور عُشره، ولا ضاع من الموزون عُشره^(١).

وقال غير عبد الصمد: «وجدنا الشعر من القصيد والرجز، قد سمعه النبي ﷺ فاستحسنه وأمر به شعراءه، وعامة أصحاب رسول الله ﷺ قد قالوا شعراً قليلاً كان ذلك أم كثيراً واستمعوا واستنشدوا. فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز، فكيف يحلُّ ما هو أكثر ويحرُم ما هو أقل؟»^(٢).

وحُجَّةُ الجاحظ في استحسان السجع مقنعة. قال:

«وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين، فيكونُ في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلا ينهاهونهم»^(٣).

وفي حديثه عن السجع رد على مزاعم من طعن في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(٤) وزعم أنه شعر، لأنه في تقدير (مستفعلن مفاعلتن)، وطعن في قوله في الحديث عنه: «هل أنت إلا إصبغ دُمِيت؟ وفي سبيل الله ما لقيت»^(٥). فيقال له:

اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم، لوجدت فيها مثل (مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ) كثيراً و(مُسْتَفْعِلُنْ مفاعِلُنْ). وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً^(٦).

(١) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٢٨٧.

(٢) نفسه مج ١ ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٣) نفسه مج ١ ص ٢٩٠.

(٤) سورة المسد، الآية: ١١١.

(٥) انظر «لسان العرب»: ابن منظور. مادة صبع مج ٨ ص ١٩٢-١٩٣.

«والعمدة»: مج ١ ص ١٨٥.

(٦) «البيان والتبيين»: للجاحظ تحق هارون مج ١ ص ٢٨٨-٢٨٩.

ثم يبين الجاحظ وجه استعمال السجع بقوله :

«... وكذلك الأسجاع عند المُنَافَرَة والمفاخرة، واستعمال المثنون في خُطَبِ الحَمَالَة، وفي مقامات الصُّلح وسَلِّ السخيمة^(١)، والقول عند المعاقدة والمعاهدة، وترك اللفظ يجري على سَجِيَّتِهِ وعلى سلامته، حتى يخرج على غير صنعة ولا اجتلاب تأليف، ولا التماس قافية، ولا تكلف لوزن^(٢)».

وهكذا نرى أن الجاحظ قد أحاط بالسجع من جوانبه بوصفه فرعاً بلاغياً مهماً، وناقش الآراء التي قيلت حوله ثم خرج بمنطق سلس يُجيز فيه استعماله إذا كان جاء عن سجية وطبع وعدم تكلف.

ومن هنا نرى أن كلام الرسول ﷺ، وإن تضمن بعض السجعات^(٣)، فهي عفوية غير مقصودة، لأنه يتجه بكلامه إلى الوجدان والمشاعر، ولا ينطق عن الهوى؛ وأسجاعه، تتسم بالندرة إذا قيست بما روى وبما خُطِب. فخُطبة الوداع، على كبرها نسبياً، لا تجد فيها سوى سجعة واحدة: «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد»^(٤).

وعندما امتزج العرب بالعجم وضاعت النعرة العربية، فيهم ودب الفساد إلى لغتهم، حتى جاء السجع حائل الصنعة شاحب الأسلوب وظل حتى عصر النهضة الحديثة، وأصبح الشأن كله للمعاني^(٥).

ويلعل الدكتور عتيق احتجاج الصنعة في السجع، بقوله: «كذلك يحتجون بأن الصنعة والتكلف والتعسف ليست أموراً مقصورة على أسلوب السجع، وإنما هي أمور من الجائز أن تلحق بالسجع كما تلحق بغيره من الأساليب. وليس

(١) سَلِّ السخيمة: انتزاع الحقد والضغينة.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة. سخم مج ١٢ ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) «البيان والتبيين»: مج ٢ ص ٣٣.

(٣) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٢٨٤.

(٤) نفسه مج ٢ ص ٣٣.

(٥) «البدیع فی ضوء أساليب القرآن»: د. لاشين. ص ١٢٧-١٢٨.

العيب في السجع ذاته وإنما العيب فيمن يحاوله ثم يعجز عن حسن استخدامه^(١).

٢ - أسلوب الحكيم

المقصود بأسلوب الحكيم: هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد ويريد، إشارة إلى أنه كان ينبغي أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى^(٢).

ولعل الجاحظ أول من فطن إلى هذا النوع من فنون البديع المعنوي، فقد عقد له باباً خاصاً في «البيان والتبيين» وأطلق عليه اسم «اللغز في الجواب»^(٣). قال الجاحظ: «وقد سأل رجل بلالاً^(٤) مولى أبي بكر رحمه الله وقد أقبل من جهة الحلبة، فقال له: مَنْ سَبَق؟ قال: سبق المُقْرَبُونَ. قال إنما أسألك عن الخيل. قال: وأنا أجيبك عن الخير. فترك بلالٌ جواب لفظة إلى خبر هو أنفع له^(٥)».

فهذا الأسلوب، المتضمن لغزاً في الجواب هو أسلوب الحكيم لأنه يُسْمَعُ المخاطب غير ما يتوقعه.

وفي شبيهه قال الجاحظ: «قالوا: كان الحطيئة^(٦) يرعى غنماً له، وفي يده

(١) «علم البديع»: د. عتيق. ص ٢١٤.

(٢) «في تاريخ البلاغة العربية»: د. عتيق. ص ١٢٢. «جواهر البلاغة»: الهاشمي ص ٣٨٨.

(٣) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ١٤٧.

(٤) هو بلال بن رباح، الحبشي: المؤذن، بن حمامة، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد وأعتقه. لزم النبي ﷺ، وخرج بعده مجاهداً إلى أن مات بالشام زمن عُمر سنة ٢٠هـ / ٦٤١م. وقيل إنه دفن في حلب.

«الإصابة في تمييز الصحابة»: مج ١ ص ١٦٩. رقم ٧٣٦.

(٥) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٢٨٢.

(٦) الحطيئة: (ت ٤٥هـ / ٦٦٥م). هو جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكة. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان هجاءً عنيفاً لم يكد يسلم من لسانه أحد. فقد هجا أمه وأباه ونفسه. وجاء في «معجم الشعراء في لسان العرب»: أنه توفي ٣٠هـ / ٦٥٠م. ص ١١٨. رقم ٣١٠. «الأعلام»: للزركلي مج ٢. ص ١١٨.

عصا. فمر به رجل فقال: يا راعي الغنم ما عندك؟ قال: عجواء من سَلَمٍ^(١)،
يعني عصاه.

قال إني ضيف. فقال الحطيئة: للضيفان أعددتُها^(٢).

ومن الأجوبة الدقيقة التي لا ينتظرها السائل قول الحجاج^(٣) لرجل من
الخوارج. قال الحجاج: أَجَمَعْتَ القرآن؟ قال أمتفرقا كان فأجمعه. قال: أتقرأه
ظاهراً؟ قال: بل أقرأه وأنا أنظر إليه. قال: أفتحفظه؟ قال: أَخَشِيتُ فِرَارَه
فأحفظه؟ قال: ما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: لعنه الله ولعنك
معه. قال: إنك مقتول فكيف تلقى الله؟ قال ألقى الله بعملتي وتلقاه أنت
بدمي^(٤).

وفي شبيه هذه الأجوبة المفاجئة. قال الجاحظ: سأل خالد بن الوليد^(٥)
حكيم الحيرة: «من أين أقصي أثرك؟ قال من صُلب أبي. قال: فمن أين
خرجت؟ قال: من بطن أمي. قال: فعلام أنت؟ قال: على الأرض. قال: فقيم
أنت؟ قال: في ثيابي. قال: ما سيئك؟ قال: عَظْمٌ. قال: أتعقل، لا عقلت؟
قال: أي والله وأقيد. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد. قال كم أتى
عليك من الدهر؟ فقال: لو أتى عليّ شيء لقتلني. قال: ما تزيدني مسألتك إلا
غُمى. قال: ما أجبتك إلا عن مسألتك^(٦).

(١) السَلَم: جمع لشجرة السَلَمَة ذات الشوك والتي يدبغ بورقها وقشرها.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة سلم مج ١٢ ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ١٤٧.

(٣) انظر ترجمته في ص ٢٣٢ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٥.

(٤) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٥) خالد بن الوليد: ت ٢١هـ / ٦٤٢م. المخزومي القرشي. سيف الله الفاتح الكبير، الصحابي، من
أشراف قريش في الجاهلية. أسلم قبل فتح مكة هو وعمرو بن العاص سنة ٧هـ. جعله أبو بكر
أميراً على الشام، ولما ولي عمر عزله. رجع إلى المدينة. فدعاه عمر ليوليه فأبى. مات
بحمص.

«الإصابة في تمييز الصحابة»: ابن حجر العسقلاني مج ١ - ص ٤١٢ - ٤١٥.

(٦) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ١٤٧ - ١٤٨.

وفي باب الموسوسين والحفاة والأغبياء قال الجاحظ: «وقدِم آخرُ على صاحب له من فارس، فقال: قد كنت عند الأمير، فأني شيء ولاك؟ قال: ولأني قفاه»^(١).

فأسلوب الحكيم، نوع من أساليب الكلام الذكي الموجز، أطلق عليه الجاحظ، كما رأينا اسم «اللغز في الجواب».

وكان العرب يستعملون هذا الأسلوب لأغراض شتى، منها: حسن التخلص من السائل، أو التطرف والفكاهة، أو التهكم، أو تقديم الأهم عن المهم..

وقد لفت هذا الباب نظر البلاغيين المتأخرين فأسموه «القول بالموجب»^(٢) وليس من الحكمة بمكان أن نفصل إشارات الجاحظ النثرية عن هذا الباب البديعي في «البيان والتبيين».

وسنشير إلى جميع عناصر علم البديع، التي يتيسر لنا استخراجها من «البيان». نثرية كانت أم شعرية، لأن عناصر علم البديع لا يمكن التمثيل على معظمها في النظم كالسجع وأسلوب الحكيم..

٣ - المذهب الكلامي

يقول ابن المعتز: «الباب الخامس من البديع وهو مذهب سمّاه عمرو الجاحظ: المذهب الكلامي. وهذا باب ما أعلم أنني وجدت في القرآن منه شيئاً وهو ينسب إلى التكلف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»^(٣).

وقال العسكري: نَسَبَهُ (أي ابن المعتز) إلى التكلف وجعله من البديع^(٤).

(١) «البيان والتبيين» تحق هارون مج ٤ ص ٦.

(٢) «الإيضاح في علوم البلاغة»: القزويني. ص ٥٣٢ - ٥٣٣.

(٣) «كتاب البديع»: لابن المعتز. تحق المستشرق أغناطيوس كراتشكوفسكي. دار الحكمة. دمشق ص ٥٣.

(٤) «الصناعتين»: لأبي هلال العسكري. ص ٤٦١.

وَعَرَّفَهُ الْقَزْوِينِي: «وهو (أي المذهب الكلامي)، أن يورد المُتَكَلِّم حُجَّةً لِمَا يَدَّعِيهِ عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ الْكَلَامِ»^(١).

وجاء في تعريفه: «هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام»^(٢).

وقيل أيضاً: «هو عبارة عن إثبات الدين بالبراهين العقلية. أو هو احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه»^(٣).

وقال الهاشمي: سمي (بالمذهب الكلامي) لأنه جاء على طريقة (علم الكلام والتوحيد)، وهو عبارة عن إثبات (أصول الدين) بالبراهين العقلية القاطعة^(٤).

من الملاحظ أن تسمية البلاغيين لهذا الركن البديعي اقتبست عن ابن المعتز الذي لم يذكر تحديداً له، حتى أنه لم يشر إلى مفهوم الجاحظ له أيضاً. وجل ما فعله إيراد أمثلة تُوضِّحُ المُراد منه.

وإذا تأملنا أمثلة ابن المعتز رأينا أصحابها يحاولون إيجاد دليل مُقْنِع، أياً كان نوعه، على صحة دعواهم.

يقول الدكتور ضيف:

... غير أن من يرجع إلى الأمثلة التي ساقها ابن المعتز يرى في وضوح أن دلالة المذهب عنده كانت أوسع من ذلك. وأكبر الظن أنه هو والجاحظ جميعاً يريدان به طريقة المتكلمين العقلية في الاحتجاج والجدل والاحتياال للعلل والمعاذير^(٥).

ولعل ما يؤكد هذا المفهوم، اصطناع الجاحظ المذهب العقلي في إيراد

(١) «الإيضاح في علوم البلاغة»: القزويني. ص ٥١٦.

(٢) «التلخيص في علوم البلاغة»: القزويني. ص ٣٧٤.

(٣) «البديع في ضوء أساليب القرآن»: د. لاشين. ص ٧٢.

(٤) «جواهر البلاغة»: الهاشمي ص ٣٧١.

(٥) «البلاغة تطور وتاريخ»: د. شوقي ضيف. ص ٥٧.

الحجج والتماس العِلل، ذكره في «الحيوان» «المعرفة والاستدلال»^(١).

وضمن هذا المفهوم، نرى شواهد الجاحظ ماثورة في تضاعيف (البيان) كقوله: «قال: وتزوج شيخ من الأعراب»^(٢) جارية من رهطه، وطمع أن تلد له غلاماً، فولدت له جارية، فهجرها وهجر منزله، وصار يأوي إلى غير بيتها، فمر بخبائها بعد حول وإذا هي تُرْقَصُ بُنَيْتَها... وهي تقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظلُّ في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا تا الله ما ذلك في أيدينا
ولأما نأخذ ما أُعطينا^(٣)

فلما سمع الأبيات مرَّ الشيخ نحوهما خُضراً حتى ولج عليهما الخباء وقبَّل بُنَيْتَها وقال: ظلمتكما وربُّ الكعبة^(٤).

وهكذا نرى إيراد الحجج والتماس العِلل طريقة عقلية ناجحة للمتكلمين في خلق المعاذير.

وقال الجاحظ في شبيه ذلك: «وكان المنصور»^(٥) داهياً أريباً، مصيباً في

(١) من بعض ما قاله الجاحظ تحت عنوان المعرفة والاستدلال: لولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى، كما أنه لولا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى...

«الحيوان»: تحق هارون مج ٢ ص ١١٥-١١٦.

(٢) عرّف الجاحظ بالشيخ في كتابه الأول بقوله: «لِيُغْضِ البنات هجر أبو حمزة الضبيّ خيمة امرأته...» «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٨٦.

(٣) هنالك تكملة في الجزء الأول لهذا الشعر تقول:

ولأما نأخذ ما أُعطينا ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

(٤) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٤ ص ٤٧-٤٨.

(٥) المنصور: (٩٥هـ - ١٥٨هـ / ٧١٤ - ٧٧٥م). هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب. كان عارفاً بالفقه، مقدماً بالفلسفة والفلك. ولد في الحميرية، ولي الخلافة بعد أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ، وبني مدينة بغداد، والمصيبة، والرافقة، وزاد زيادة ملحوظة في المسجد الحرام، وفي أيامه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، وعمل إسطرلاباً في الإسلام، صنع إبراهيم بن محمد الفزاري. =

رأيه سديداً، وكان مُقَدِّماً في علم الكلام... ولما هَمَّ بقتل أبي مسلم^(١) سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه فَأَرَقَ بذلك ليلته، فلما أصبح، دعا بإسحاق بن العقيلي فقال له: حدثني حديث الملك الذي أَخْبَرْتَنِي عنه، يقصد (سابور الأكبر)^(٢)، الذي عَدَرْتُ به بعض رعيته، فلما استتبَّ له الأمر قضى عليهم، وأذعن له الباقون بالطاعة حتى مات حتف أنفه.

فأطرق المنصور ملياً ثم رفع رأسه وهو يقول:

لِذِي الْجِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرِعُ الْعَصَا وَمَا عُلِّمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا
وَأَمْرَ إِسْحَاقَ بِالْخُرُوجِ وَدَعَا بِأَبِي مُسْلِمٍ، فلما نظر إليه داخلاً قال:

قَدْ اكْتَنَفْتُكَ خَلَاتٌ ثَلَاثٌ جَلَبْنَ عَلَيْكَ مَحْذُورَ الْجِمَامِ
خِلَافُكَ وَامْتِنَانُكَ تَرْتَمِينِي وَقَوْدُكَ لِلْجَمَاهِيرِ الْعِظَامِ

= قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه، توفي في بئر ميمون ودفن في الحجون بمكة. ومدة خلافته اثنان وعشرون عاماً.

«الكامل في التاريخ»: لابن الأثير مج ٥ ص ١٧٢.

«تاريخ الطبري»: محمد بن جرير مج ٩ ص ٢٩٢ - ٣٢٢.

«تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي مج ١٠ ص ٥٣.

«الأعلام»: الزركلي مج ٤ ص ١١٧.

(١) أبو مسلم الخراساني: (١٠٠ - ١٣٧هـ / ٧١٨ - ٧٥٥م). هو عبد الرحمن بن مسلم، مؤسس الدولة العباسية وأحد كبار القادة ولد في ماه البصرة مما يلي أصبهان، اتصل بإبراهيم بن الإمام محمد، فأرسله إلى خراسان داعيته. كسر جيوش مروان في الشام وزالت الدولة الأموية الأولى سنة ١٣٢هـ. رأى المنصور من أبي مسلم ما أخافه أَنْ يطمع بالملك، وكانت بينهما ضغينة فقتله برومة المدائن، وعمر سبعا وثلاثين سنة.

«الكامل في التاريخ»: لابن الأثير مج ٥ ص ١٧٥.

«تاريخ الطبري»: محمد بن جرير مج ٩ ص ١٥٩.

«تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي مج ١ ص ٢٠٧.

«لسان الميزان»: ابن حجر العسقلاني مج ٣ ص ٤٣٦.

(٢) ملك ساساني ورث العرش عن أبيه أردشير، ضم العراق وأرمينيا إلى أملاكه سنة ٢٤٤م.

«في أدب الفرس وحضارتهم»: د. عبد السلام كفاقي. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧ ص ١٧٢ - ١٧٣.

والمقطع المنقول في «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ٣٦٦ - ٣٦٩.

ثم قتله وقال :

اشرب بكأس كنت تُسقى بها أمرٌ في الحلقِ من العَلَقِمِ
زعمت أن الدين لا يُقتضى كذبت فاستوف أبا مُجرِمِ
ولم يفعل المنصور ما فعل إلا بعد أن أوغر، الوُشاة صدره، وأوجدَ لنفسه
الحُجَج. وعلى مثاله أنشدت «جوهراً» المهدي^(١) أبياتاً فيها حجج ودلائل دفعت
بالمهدي زيادة محبتها والرضوخ لما تأمر. فقالت لم تف بوعدك، وجعلتني
هدفاً لألسنة الناس. ولو أن القول يجرح الجسد حقاً، لرأيت في جسمي جراحاً
كثيرة. قالت :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلومُ
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى وأنت سليمُ
فلو أن قولاً يكلمُ الجسمَ قد بدا بجسمي من قولِ الوُشاةِ كُلوم^(٢)
بهذا الأسلوب الكلامي، وحججها، استطاعت جوهر، أن تصل إلى
بُعيتها.

٤ - الاقتباس

في الاصطلاح تضمين الكلام نثراً أو نظماً شيئاً من القرآن أو من حديث
سيد الأنام، لا على أنه منه.

وهو ضربان: ما لم ينقل فيه المُقتبس عن معناه الأصلي. والثاني خلافه :
أي ما نقل فيه المُقتبس عن معناه الأصلي^(٣).

(١) المهدي: (١٢٧ - ١٦٩ هـ / ٧٤٤ - ٧٨٥ م). ويسمى محمد بن عبد الله، المنصور بن محمد بن علي العباسي. من خلفاء الدولة العباسية في العراق. أقام في الخلافة عشر سنين وشهراً. كان محمود العهد والسيرة مُحَبِّباً إلى الرعية، حسن الخلق والخلق وهو الذي بنى جامع الرصافة. والجارية «جوهراً»: قينة أحبها ولقبت بجوهر المهدي. «الأعلام»: للزركلي مج ٦ ص ٢٢١. «تاريخ الإسلام»: د. حسن إبراهيم حسن مج ٢ ص ٤٠ وما بعدها.

(٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ٣٧٠.

(٣) «عقود الجمان»: للسيوطي ص ١٥٤. «شروح التلخيص»: التفتازاني مج ٤ ص ٥٠٩ - ٥١٢.

وقد أشار الجاحظ إلى هذا الركن البديعي في (البيان) عند حديثه عن اقتباس الخطباء من أي الذكر الحكيم. قال: وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع أي من القرآن، فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وسلس الموقع^(١).

وقال: وعلى أن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين بإحسان، ما زالوا يُسمّون الخطبة التي لم تُبتدأ بالتحميد وتُستفتح بالتمجيد (البترء) ويسمّون التي لم تُوشَّح بالقرآن، وتُزيّن بالصلاة على النبي ﷺ (الشوهاء)^(٢). وساق الجاحظ كثيراً من الشواهد على الاقتباس من آيات قرآنية وأحاديث شريفة، نكتفي منها بالنذر اليسير.

فمن شواهد الشعرية على كلمة من آية ذكر قوم (عاد) في قول النابغة^(٣).
أحلامُ عادٍ وأجسادُ مطهرة من المَعَقَّةِ والآفاتِ والأثُمِ^(٤)
وذكر الصفا والمروة، اللذين من شعائر الحج، في تفسير شعر عُثَيَّة الأعرابية^(٥) في شأن ابنها.

(١) «البيان والتبيين»: الجاحظ تحقق هارون مج ١ ص ١١٨.

(٢) نفسه. تحقق هارون مج ٢ ص ٦.

(٣) انظر ص ٢١٩ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٢.

(٤) المعققة: العقوق. والأثم: جمع آثام وهو الإثم. ولم يرد هذا الجمع في المعاجم ولكنه قياسي.

انظر «البيان والتبيين»: الجاحظ تحقق هارون مج ٢ ص ٢٦٥.

وتجد عاد، قوم نوح، في السور التالية:

سورة التوبة، الآية: ٧٠ - إبراهيم، الآية: ٩ - الحج، الآية: ٤٢ - فصلت، الآية: ١٣.

(٥) ذكرها الميداني في مجمعه: قالوا هذا من قول عُثَيَّة الأعرابية لابنها وكان عارماً كثير التلفت إلى الناس مع ضعف أسير ودقة عظم... فلما رأت ما صار عندها من الأبل والغنم والمتاع، وذلك من كسب جوارح ابنها حسن رأيها فيه وذكرته في أرجوزتها فقالت:

أحلفُ بالمَرْوَةِ حقاً والصفَا أُنكَّ خيرٌ من تفاريق العصا

فذكر في الشعر (حقاً) بدل (يوماً). وفسر تفاريق العصا.

«مجمع الأمثال»: الميداني. تحقق محمد محي الدين عبد الحميد مط. السنة المحمدية. ج ١.

ص ٣٧ رقم ١٤٥.

وانظر «سورة البقرة، الآية: ١٥٨» «إن الصفا والمروة من شعائر الله».

أَحْلِفُ بِالْمَرْوَةِ يَوْمًا وَالصُّفَا أَنْكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا^(١)
 وقال محمد بن يسير^(٢) ذاكراً آية، في شعره، من القرآن الكريم (عذاب
 السعير).

عَجِباً لِي وَمِنْ رِضَايَ بِحَالٍ أَنَا مِنْهَا عَلَى شِفَا تَغْرِيرِ
 عَالِماً لَا أَشْكُ أَنِّي إِلَى عَذَابِ إِذَا مُتُّ أَوْ عَذَابِ السَّعِيرِ^(٣)
 وقال أبو العتاهية^(٤) مُضْمِناً قوله غير آية:

لَوْ أَنَّ عَبْدًا لَهُ خَزَائِنُ مَا فِي الْأَرْضِ مَا عَاشَ خَوْفَ إِمْلَاقِ
 يَا عَجِباً كُلَّنَا يَحِيدُ عَنْ الْحَيْنِ وَكُلُّ لِحَيْنِهِ لَا قِي
 كَانَ حَيًّا قَدْ قَامَ نَادِبُهُ وَالتَّفَتِ السَّاقُ مِنْهُ بِالسَّاقِ
 وَاسْتَلَّ مِنْهُ حَيَاتُهُ مَلِكُ الْمَوْتِ خَفِيََا وَقِيلَ: مَنْ رَاقٍ^(٥)

٥ - التقسيم

في اللغة: التفريق، وَقَسَمَهُمُ الدَّهْرُ يَقْسِمُهُمْ فَتَقَسَّمُوا أَي فَرَّقَهُمْ
 فَتَفَرَّقُوا^(٦). واصطلاحاً: هو أن تذكر مُتَعَدِّداً وتضيف ما لِكُلِّ إِلَيْهِ عَلَى
 التَّغْيِينِ^(٧).

- (١) «البيان والتبيين»: الجاحظ تحق هارون مج ٣ ص ٤٩.
- (٢) محمد بن يسير: (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م). البصري، أبو جعفر، شاعر من أهل البصرة كان مولى
 لبني أسد. كان في عصر أبي نواس وعُمَر بعده حيناً. «الأعلام»: للزركلي مج ٧ ص ١٤٤.
- (٣) ورد مضمون البيت في السور الآتية:
 سورة الحج، الآية: ٤ - العنكبوت، الآية: ٢١ - سُبَا، الآية: ١٢ - الملك الآية: ٥ وانظر «البيان
 والتبيين»: الجاحظ. تحق هارون مج ٣ ص ١٧٩.
- (٤) أبو العتاهية: انظر ترجمته في ص ١٧١ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٤.
- (٥) وردت (إملاق) في سورة الأنعام، الآية: ١٥١ والإسراء، الآية ٣١.
 والتفت الساق بالساق: في سورة القلم، الآية: ٤٢ والقيامة، الآية: ٢٩.
 وَمَنْ رَاقٍ: في القيامة، الآية: ٢.
- وانظر «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحق هارون مج ٣ ص ١٨٥.
- (٦) «لسان العرب»: ابن منظور. مادة قسم مج ١٢ ص ٤٨٠.
- (٧) «عقود الجمان»: للسيوطي. ص ١٠٥.

يقول العسكري: التقسيم الصحيح أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه^(١).

ويقول ابن رشيق: اختلف الناس في التقسيم فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع ما ابتدأ به...^(٢).

ويقول السكاكي: هو أن تذكر جزءين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك^(٣).

لقد فطن الجاحظ إلى هذا الأسلوب البلاغي ونوّه بجودته معللاً استحسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لبعض شعر زهير بن أبي سلمى^(٤). وعبدُ بن الطيّب^(٥)، من ذلك قول زهير:

وإن الحقّ مقطّعه ثلاثٌ يمينٌ أو نفاًزٌ أو جلاء^(٦)

وقال عبدُ بن الطيّب من لاميته الطويلة:

-
- (١) «الصناعتين»: أبو هلال العسكري. ص ٣٧٥.
- (٢) «العمدة»: ابن رشيق القيرواني مج ٢ ص ٢٠ - ٢٦.
- (٣) «مفتاح العلوم»: السكاكي ص ١٨٠.
- (٤) زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح المُرَني من مزينة بلاد غطفان، ففطن الناس أنه من غطفان وهو غلط. كأن هذا رد لما قاله ابن قتيبة: زهير بن ربيعة بن فرط، والناس ينسبونه إلى مزينة وإنما نُسبَ إلى غطفان.
- أحد الشعراء الثلاثة الفحول المتقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق: امرؤ القيس - زهير - النابغة الذبياني.
- كان زهير راوية أوس بن حجر. قال عمر بن الخطاب فيه: كان لا يعاقل بين القول ولا يتبع حوشي الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه.
- «خزانة الأدب»: البغدادي مج ١ ص ٣٧٥ - ٣٧٧.
- «الشعر والشعراء»: ابن قتيبة. ص ٢٣.
- «الفهرست»: لابن النديم. ص ٢٢٣.
- (٥) انظر ص ١٥٧ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٢.
- (٦) جلا الأمر: كشفه وأظهره: أراد البيّنه والشهود.
- «لسان العرب»: ابن منظور. مادة جلا مج ١٤ ص ١٥٠.
- «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقّق هارون مج ١ ص ٢٤٠.

والمرء ساع لشيء ليس يُذكره والعيش شُح وإشفاق وتأميل^(١)
ومثله قول أبي قيس بن الأسلت^(٢) :

الكَيْسُ والقُوَّةُ خيرٌ من الإِشفاق والفَهَّةِ والهاع^(٣)
من خلال هذه الشواهد الشعرية القيِّمة، نلمس بوضوح طرح الجاحظ
لمفهوم هذا الركن البديعي، الذي أراد تعليمه من خلال الأمثلة دونما تحديد
لعناصره وقواعده.

٦ - الاحتراس أو التتميم

قال ابن رشيق في باب التتميم: وهو التمام أيضاً وبعضهم يسمي ضرباً منه
احتراساً واحتياطاً. ومعنى التتميم: أن يحاول الشاعر معنى، فلا يدع شيئاً يتم به
حسنه إلا أورده وأتى به: إما مبالغة وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير:
وَيُنْشِدُونَ بَيْتَ طَرْفَةٍ^(٤).

فسقى ديارك غير مُفسِدها صَوْبُ الربيع وديمة تهمني
لأن قوله، غير مُفسِدها، تتميم للمعنى واحتراس للديار من الفساد بكثرة
المطر^(٥). وقال العسكري: هو أن تُوفي المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه
من الصحة ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه، إلا تورده، أو لفظاً يكون فيه
توكيده إلا تذكُّره^(٦).

(١) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٢) هو عامر بن جشم.

انظر ترجمته في ص ١٧٩ من هذا الكتاب. حاشية رقم ١.

(٣) الكَيْسُ: الخِفَّةُ والتوقد والجمع أكياس.

الفَهَّةُ: السَّقْطَةُ. الهاع: شدة الحرص.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة. كيس مج ٦ ص ٢٠٠.

«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٤١.

(٤) انظر ص ٢٢٨ من هذا الكتاب. حاشية رقم ١.

(٥) «العمدة»: لابن رشيق مج ٢ ص ٥٠.

(٦) «الصناعتين»: لأبي هلال العسكري. ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

ومن جملة استشهاده، بيثُ طرفه، وسمى التتميم: التكميل. وقال الدكتور عتيق في تعريفه: وقد عرّفه بعض رجال البديع بقوله:

«والتتميم عبارة عن الإتيان في النظم والنثر بكلمة إذا طُرِحَتْ من الكلام نُقْصَ حُسْنُهُ ومعناه. ويأتي على ضربين: ضرب في المعنى، وضرب في اللفظ.

فالتتميم في المعنى: هو تتميم المعنى، ويجيء للمبالغة والاحتباس.

ويُقْصَدُ بالتتميم اللفظي ما يُؤْتَى به لإقامة الوزن بحيث إنه لو طرحت الكلمة استقل معنى البيت بدونها^(١)...

وقد مثل الجاحظ على هذا الفن البديعي المُسمَّى الاحتباس أو التتميم أو التكميل بصورة عامة، وأطلق عليه اسم: (إصابة المقدار).

وقد طرح في باب الكلام الموزون... وإصابة المقادير بعض الشواهد الشعرية ومنها قول طرفه في المقدار وإصابته:

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي

قال الجاحظ: «طَلَبَ الْغَيْثُ عَلَى قَدَرِ الْحَاجَةِ، لِأَنَّ الْفَاضِلَ ضَارٌّ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي دَعَائِهِ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا سَقِيًّا نَافِعًا».

لأن المطر ربما جاء في غير إتيان الزراعات، وربما جاء والتمر في الجرن، والطعام في البيادر، وربما كان في الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة.

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا»^(٢).

فبالرغم من ذكر رجال البديع لهذا الركن تسميات مختلفة، والاجتهاد في تعريفه وضبطه، نرى تسمية الجاحظ له: «إصابة المقدار»، تسمية أوضح وأجمل، لأن اجتهاد الذين اشتغلوا في هذا المقصد البديعي جاء مُزِيكاً وغير موفق.

(١) «علم البديع»: د. عتيق. ص ١١٠-١١٢.

(٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٢٢٧-٢٢٨.

فقد توسعوا في تفسير (إصابة المقدار) وشرحه، وحاولوا خلع الأسماء عليه.

أطلقوا عليه اسم (التتيم)^(١)، والتتيم يجيب على المعنى الناقص قيمة، وأضاف بعضهم (التكميل)^(٢)، والتكميل يَرُدُّ على المعنى التام فيكمله، والكمال أمر زائد على التمام، وفي عمقه: يكون لشيء ناقص فيكمله. ومنهم من جعله للاحتراس والمبالغة أو الاحتياط^(٣). الخ... فُخِّلَ للقارىء أنهم سيخرجون من مذهبهم عن المعنى الأصلي المقصود.

٧- المزدوج

ضرب من السجع، ويقال أيضاً المزوجة والازدواج. قال العسكري: «لا يحسن مثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج، ولو استغنى كلامٌ عن الازدواج لكان القرآن، لأن في نظمه خارج من كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات فضلاً عما تزوج في الفواصل منه»^(٤). كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٥). ألا ترى في ازدواج السموات والأرض؛ والظلمات والنور جمالاً يزيد في الإيمان ويدفع إلى الشهادة بعظمة الخالق عز وجل؟ وقال العسكري: والسجع على وجوه... فمنها أن يكون الجزءان متوازيين متعادلين لا يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه^(٦).

(١) «كتاب البديع»: ابن المعتز ص ٥٩.

(٢) «الصناعتين»: العسكري. ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

(٣) «العمدة»: لابن رشيق مج ٢ ص ٥٠.

(٤) «الصناعتين»: أبو هلال العسكري. ص ٢٨٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٦) «الصناعتين»: العسكري. ص ٢٨٧.

وقيل أيضاً: المزاوجة: هي أن يجمع بين الشرط والجزاء في ترتيب لازم من اللوازم عليها معاً^(١).

وقد عَدَّ الجرجاني المزاوجة من النظم الذي يتَّحد في الوضع وَيَدِقُّ فيه الصُّنْع^(٢).

وقال القزويني: المزاوجة هي أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء^(٣).

وقد عقد الجاحظ باباً خاصاً لهذا الفن البلاغي البديعي في كتاب «البيان والتبيين» أسماه «من مزدوج الكلام»^(٤). ساق كثيراً من الأمثلة التي توضّحة. «قالوا: قال النبي ﷺ في معاوية: «اللهم علّمه الكتاب والحساب وقه العذاب»^(٥).

والمُتَأَمِّلُ في أسلوب الجاحظ يجد أن مُعْظَمَ كتاباته يشيع فيها الازدواج، الأمر الذي يدل على إعجابه بهذا الفن البديعي اللطيف.

ومن أمثله عليه قوله: وذكرت أعرابية زوجها فقالت: ذهب دَقْرُهُ، وأقبل بَخَرُهُ^(٦)..

وكان مالك بن الأخطل قد بعثه أبوه ليسمع شعر جرير والفرزدق^(٧)،

(١) «البديع في ضوء أساليب القرآن»: د. لاشين. ص ١١٤.

(٢) «دلائل الإعجاز»: ص ٧٣ - ٧٤.

(٣) «شروح التلخيص»: التفتازاني مج ٤ ص ٣١٦.

و«التلخيص في علوم البلاغة»: القزويني ص ٣٥٨.

والإيضاح في علوم البلاغة: القزويني. ص ٤٩٧.

(٤) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ١١٦.

(٥) المصدر نفسه. تحق هارون مج ٢ ص ١١٦.

(٦) المصدر نفسه. تحق هارون مج ٢ ص ١١٧.

(٧) انظر ترجمته الأخطل. ص ٢٢٥ والفرزدق ص ١٢٧ من هذا الكتاب.

وجرير ص ١٣٦ من هذا الكتاب.

فسأله أبوه عنهما فقال: جرير يَعْرِفُ من بحر والفرزدق ينحْتُ من صخر. فقال: الذي يَعْرِفُ من بحر أشعرهما^(١).

كما ذكر الجاحظ بعض الشعراء، ممَّن أجادوا هذا الفن. قال: «ومن خطباء الأمصار وشُعرائهم والمولدين منهم: بشارُ الأعمى...»^(٢).

وكان شاعراً راجزاً، وسجّاعاً خطيباً، وصاحب منشور ومزدوج. وله رسائلُ معروفة^(٣). قال شوقي ضيف عن حديث الجاحظ في «البيان».

... وأيضاً نراه يتحدث عن الازدواج، وكان يلهج به في كلامه، كما كان يلهج به كثير من معاصريه^(٤).

٨- الهزلُ يُرادُ به الجِدُّ

هو ضرب من علم البديع كما أورده القزويني، ولفظة يُغني عن تعريفه^(٥). فإذا أراد المدح أو القدح خرج عن مقصده إلى الهزل والمجون اللائق بحالة المخاطب، وهذا ضرب من المقدرة الكتابية، والذكاء المُفْرِط، لا يقدر عليه إلا من كانت عنده سرعة بديهة، فتحرّكت نفسه، ونضج قلمه، مستعيناً بملكته على التصوير الساخر المؤثر.

ومَنْ أَجَدَرُ بهذه المهمة، وأَقْوَمُ على التعبير والتصوير من الجاحظ؟ قال في «البيان والتبيين»:

وقال إبراهيم بن هانئ^(٦)، وكان ماجناً خليعاً، كثير العبث متمرداً،

(١) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٢ ص ١١٧.

(٢) انظر ص ١٢٠ من هذا الكتاب.

(٣) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٤٩.

(٤) «البلاغة تطور وتاريخ»: شوقي ضيف ص ٥٣.

(٥) «الإيضاح في علوم البلاغة»: القزويني ص ٥٣٠.

«التلخيص في علوم البلاغة»: القزويني. ص ٣٨٥.

(٦) من معاصري الجاحظ، له خبر في (البخلاء): للجاحظ. تحقق الحاجري. ص ١٢٦ وترجم له في ص ٣٧٠-٣٧١.

ولولا أن كلامه هذا الذي أراد به الهزل يدخل في باب الجِدِّ، لما جعلته صلة الكلام الماضي . . .

من تمام آلة القصص أن يكون القاصُّ أعمى ويكون شيخاً بعيد مدى الصوت، ومن تمام آلة الزَّمَر أن تكون الزامرة سوداء، ومن تمام آلة المُنْغِي أن يكون قَارَةَ البرذون، بَرَّاقَ الثياب، عظيم الكِبَر، سيِّء الخُلُق، وتمام آلة الخَمَّار أن يكون ذِمِّيًّا ويكون اسمه أذِين أو شَلُومًا . . . ويكون أرقط الثياب مختوم العنق. ومن تمام آلة الشُّعر أن يكون الشاعر أعرايياً، ويكون الداعي إلى الله صوفياً.

ومن تمام آلة السُّؤْدِدِ^(١) أن يكون السيّد ثقیل السمع عظيم الرأس (٢)

قال الجاحظ: وقال إبراهيم بن هانيء: من تمام آلة الشيعي أن يكون وافر الجُمَّة، صاحب بازِيْكَنْد^(٣). ومن تمام آلة صاحب الحرس أن يكون زِمِّيًّا قطوباً، أبيض اللحية، أقنى أجنى^(٤) ويتكلم بالفارسية^(٥) . . .

٩ - السرقاتُ الشُّعْريَّةُ

قال الجرجاني: «واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يَتَّبِدَىء الشاعر في معنى له وغرض أسلوباً - والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه - فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به

(١) يجوز القول السُّؤْدِد برفع الدال الأولى، ويجوز القول بالسُّؤْدِد بفتح الدال الأولى.

«لسان العرب»: ابن منظور مج ٣ ص ٢٢٨.

(٢) انظر مثلاً على الشواهد الشعرية لهذا الجزء في «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٩٤.

(٣) هي نوع من الثياب الفارسية، والجُمَّة بالضم: مجتمع شعر الرأس وهي أكثر من الوفرة.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة جمم مج ١٢ ص ١٠٧.

(٤) الأقنى: أي محني الأنف طويله، وأحدب، والزِّميت الحليم الساكن القليل الكلام. يقال: رجل زमित إذا تَوَقَّر في مجلسه.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة زمت. مج ٢ ص ٣٥.

(٥) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٩٥.

في شعره فيشبه بمن يقطع من أديمه نعلًا على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال قد احتذى على مثاله»^(١).

وقال ابن رشيق في باب السرقات: «وهذا باب متسع جداً لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه، وفيه أشياء غامضة، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وآخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل...»

وقال عن رأي الجرجاني بأنه أصبح مذهباً^(٢).

ومن أبرز الموضوعات التي عنيت بها كتب البلاغة والنقد موضوع السرقات الشعرية وقد قسموها إلى أقسام. منها:

التسْنُخُ: وهو أخذ اللفظ والمعنى جميعاً.

والسَّلْخُ: وهو أخذ المعنى وحده، وهي أدق السرقات مذهباً وأحسنها

صورة.

والمُسْنُخُ أو الإغارة: وهو أن يأخذ بعض اللفظ أو يُغيّر بعض النظم، فإن امتاز الثاني بحسن السبك فممدوح^(٣).

والسرقات الشعرية، عَدَّها البلاغيون، باباً من علم البديع، مع أنها في النقد الأدبي أكثر مما يدخل في باب البلاغة، وشيخ النقاد الجاحظ، عقد في «الحيوان»، فصلاً خاصاً أسماه: (أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض) قال فيه: «ولا يعلم في الأرض شاعر تَقَدَّمَ في تشبيه مُصِيب تام، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلا وكلُّ مَنْ جاء مِنْ

(١) «دلائل الإعجاز»: عبد القاهر الجرجاني ص ٣٦١.

(٢) جاء في (العمدة): وقال الجرجاني وهو أصبح مذهباً... ولست تعد من جهابذة الكلام، ولا من نقاد الشعر، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علماً برتبه ومنازله، فتفصل بين السَّرْق والغصب وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة، وفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه والمبتذل الذي ليس واحد أحق به من الآخر.

«العمدة»: ابن رشيق مج ٢ ص ٢٨٠.

(٣) «المثل السائر»: ابن الأثير مج ٣ ص ٢٢ وما بعدها.

«البديع في ضوء أساليب القرآن»: د. لاشين. ص ١٧٨ - ١٩٠.

الشعراء مِنْ بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدّعيه بأسره، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه، كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه. أو لعله يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط، وقال إنه خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الأول...

ومثله يقول عنتره في ضعة الذباب، فإنه وَصَفَهُ فَأَجَادَ صِفَتَهُ، فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرض له أحد منهم. قال:

غَرِداً يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلُ الْمِكْبِ عَلَى الزِّنَادِ الْأَجْذَمِ
قال: يريد فعل الأقطع المكب على الزناد. والأجذم: المقطوع اليدين. فوصف الذباب إذا كان واقعاً ثم حَكَّ إحدى يديه بالأخرى، فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدح بعودين. ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك. ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنتره^(١).

ولم يخل كتاب «البيان والتبيين» من ذكر الجاحظ للسرقات الشعرية. قال حميد بن ثور الهلالي^(٢):

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِيحَ وَتَسْلَمَ^(٣)

وقال الجاحظ: ولعل حميداً أن يكون أخذه عن النمر بن تولب^(٤) فإن النمر قال:

(١) «الحيوان»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٣ ص ٣١١-٣١٢.

(٢) حميد بن ثور: (ت ٢٣٠هـ / ٦٥٠م). وهو ابن حزن الهلالي العامري، أبو المثنى، شاعر مخضرم عاش زمناً في الجاهلية وشهد حُثِيناً مع المشركين. أسلم ووفد على النبي ﷺ ومات في خلافة عثمان.

«الشعر والشعراء»: لابن قتيبة ٨٧-٨٨. «الأغاني»: الأصفهاني مج ٤ ص ٣٥٦-٣٥٨.

«الأعلام»: للزركلي مج ٢ ص ٢٨٣.

(٣) صدر البيت موجود في ديوان حميد وهو: أرى بصري قد رابني بعد صحة... عن محقق «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ١٥٤.

(٤) انظر ص ١٧٤ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٣.

يُحِبُّ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى فَكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ^(١)
وبعد أن ساق شواهد في التحذير من ميسم الشعر ومن شدة وقع
اللسان... أورد الجاحظ قول طَرْفَةَ^(٢):

رَأَيْتُ الْقَوَافِي يَتَلَجَّنُ مَوَالِجَا تَضَايِقُ عَنْهَا أَنْ تَوَلَّجَهَا الْإِبْرُ
وقول الأخطل^(٣):

حَتَّى أَقْرَوا وَهَمُّ مَنِي عَلَى مَضَضٍ وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ^(٤)
فالشعراء أسرق من الصاغة.

هذا ما أمكننا استخراجَه، من علم البديع في «البيان والتبيين» ذلك المعين
الذي لا ينضب.

وعلى الجملة، فلعل أول محاولة علمية جادة في ميدان «علم البديع» هي
التي قام بها عبد الله بن المعتز (٢٤٧-٢٩٦ هـ / ٨٦٣-٩٠٨ م)^(٥). في القرن
الثالث الهجري أي بعد موت الجاحظ بمدة وجيزة.

وقد ظهر تأثيره بالجاحظ، خاصة في الباب الخامس والأخير من كتابه
«البديع»^(٦).

ويعني ذلك أن الجاحظ أول من دون مقاصد علوم البديع، ولكنه لم يكثر
من شواهد الشعرية والنثرية عليها، خوف الإطالة والملل، أو حتى لا ينحرف
عن الهدف الذي من أجله أصدر كتابه «البيان». ومع ذلك نرى أنه ذكر قسماً منها
ومثل عليها نثراً وشعراً بصورة واضحة.

(١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٥٣-١٥٤.

(٢) انظر ص ٢٢٨ من هذا الكتاب. حاشية رقم ١.

(٣) انظر ص ٢٢٥ من هذا الكتاب. حاشية رقم ١.

(٤) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ١٥٧، ١٥٨.

(٥) انظر ص ٢٥٧ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٢.

(٦) في «البيان والتبيين» من كتاب «البديع»: وهو مذهب سماه عمرو بن بحر الجاحظ، المذهب
الكلامي. «كتاب البديع»: لابن المعتز. ص ٥٣.

ونرى من جهتنا أنَّ ما وُفِّقنا في جَمْعِهِ من شواهد كتابه غير شاف، لضيق
المقام وخوف تَسْرُبِ الملل، ولأنَّ الرجل قلما عني بتوضيح دلالة المثل على
القاعدة وخصوصاً في الشعر.

وحبذا لو بقي الأمر على حاله، لسلم «البديع» من التكلّف والمبالغة في
تشعيب وجوهه وتفريعاتها إلى ما لا نهاية ولا سيما في قصائد «البديعيات» في
المدح النبوي التي استبّدت بالشعر العربي منذ أواسط القرن السابع الهجري إلى
القرن الرابع عشر... ، وأوردته موارد التكلّف... وجرّدته من روائعه وروعته.
ومن ناحيتها العلمية: فإنها ذهبت بالبديع مذاهب التشعيب فعاد عليه بالضعة
والهوان...

فقد عَدّوا من البديع ما لا يصح أن يكون منه وأكثروا منه إلى حد
الإملال، وقد غرست في كثير من الأذهان أن أنواع البديع لا تقف عند حد.
فقد كتب عليها الإخفاق من ناحيتها الأدبية والعلمية فلم تصل إلى غايتها
ولم تؤد رسالتها^(١).

(١) راجع «البديع في ضوء أساليب القرآن»: د. لاشين. ص ٢٠٥-٢٠٦.

الفصل الخامس

الشعر وبعض غايات الجاحظ الأخرى

سبق أن ذكرنا في غير موقع من هذا البحث أن «البيان والتبيين» عرض واسع لمعالم البلاغة العربية والآيات القرآنية والحديث الشريف، ومعرض للشعر والأدب والحكمة والخطابة والأدعية والزهد والنسك، والحمق والجنون. وتاريخ لما كان يُستعمل في ذلك العصر من اللباس والنعال، وما كان يحمل من المخاصر والعصي... ومزيج عجيب من المسائل المذهبية والمواقف الاجتماعية والنقدية والفكاهية، حتى المجون.

فهو بحد ذاته موسوعة أدبية وإنسانية موجزة، استوعبت كثيراً من العلوم والقضايا، مما يدهش القارئ وينهك الباحث.

فإذا كان الشعر قد حقق في «البيان» كثيراً من غايات الجاحظ البلاغية، فهل هناك غايات أخرى حققها الشعر في الكتاب؟

إن الأسلوب الجاحظي هو أس العرض البلاغي الذي طغى على الكتاب متضمناً الشواهد الشعرية التي لا غنى عنها.

ولم تُغن هذه الموسوعة الجامعة بالبلاغة فقط، بل تضمنت أغراضاً أدبية أخرى. وبما أن «البيان» اسم على مسمى، فقد استخدم الجاحظ، الشعر فيه لتحقيق معظم غاياته، فكان بذلك حجة في سعة العلم، ومعلماً للأدب والبلاغة والبيان.

وبما أن موضوعنا لا يتعدى الإطار الشعري فلن نتعرض لغيره حتى لا
نبعد عن هدفنا وخطنا.

فما هي هذه الغايات؟

وما هي شواهد الشعرية التي نثرها الجاحظ تبياناً في «البيان»؟

١ - الخطابة

عني الجاحظ في كتاب «البيان» بالخطابة، فجاء سجلاً لماضيها وحاضرها
حتى عصره، ربما، لأنه رأى فيها الدعامة التي يلجأ إليها المعترلة^(١) والوسيلة
الناجحة لتأييد أمرهم وبيان مذهبهم. فتكلم على مقوماتها والتهيب لها^(٢) وعلى
الأمم التي اشتهرت بها^(٣). فدرس أحوال الخطيب وعرض عيوب الخطابة
والخطباء: فمنهم الأشقى والأشدق والأزوق والأضجَم والأفقم^(٤). والذي
يمتع عليه البيان^(٥)...

ومن شواهد الجاحظ على عيوب الخطيب التي تمنعه من البيان قول
عُبيدة بن هلال اليشكري^(٦) في هجاء جندب^(٧):

-
- (١) «الملل والنحل»: للشهرستاني مج ١ ص ٤٣ - ٤٦.
 - (٢) الاستعداد مع المقومات التي يجب أن تتوافر في من يريد ممارسة الخطابة.
 - (٣) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ١٣٥ - ١٤٤.
 - (٤) نفسه. الجاحظ. تحقق هارون مج ٣ ص ١٢ - ١٣.
 - (٥) انظر شروحاً أخرى عن الخطابة وعيوب الخطابة ص ١١٩ - ١٢١ من كتابنا.
 - (٦) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٥٥.
 - (٧) نفسه. الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٤٠ - ٤٢.
 - (٨) عُبيدة بن هلال اليشكري: (ت ٧٧هـ / ٦٩٦م). من رؤساء الأزارقة وشعرائهم وخطبائهم. انظر
خبر مقتله في «الكامل في التاريخ»: لابن الأثير مج ٤ ص ٦٨ - ٦٩.
 - (٩) «الأعلام»: للزركلي مج ٤ ص ١٩٩. وانظر ص ١٩١ من هذا الكتاب.
 - (١٠) هو زيد بن جندب الأيادي الأزرقى مجهول الولادة والوفاة، خطيب الأزارقة وأحد شعرائهم.
وكان يُنعت بالمنطيق. قال الجاحظ كان أشقى أفلح، أي مختلف الأسنان مشقوق الشفة العليا
ولولا ذلك لكان أخطب العرب.
 - (١١) «الأعلام»: للزركلي مج ٣ ص ٥٧.

وَلَفُوكَ أَشْنَعُ حِينَ تَنْطِقُ فَاغْرَأَ مِنْ فِي قَرِيحٍ قَدْ أَصَابَ بَرِيرًا^(١)

وقال الكميت^(٢) مُشَبَّهًا مَشَاغِرَ الْخَطِيبِ بِمَشَاغِرِ دَابَّةٍ أَكَلَتْ مِنْ ثَمَرِ الْأَرَاكِ :

تُشَبِّهُ فِي الْهَامِ آثَارُهَا مَشَاغِرَ قَرْحَى أَكَلْنَ الْبَرِيرَا^(٣)

وذم الجاحظ في الخطب البُهر والارتعاش والعرق قال :

وَأَغْيَبُ عِنْدَهُمْ مِنْ دَقَّةِ الصَّوْتِ وَضِيقِ مَخْرَجِهِ وَضَعْفِ قُوَّتِهِ أَنْ يَعْتَرِي
الْخَطِيبَ الْبُهْرُ وَالْارْتِعَاشُ وَالرُّعْدَةُ وَالْعَرَقُ^(٤).

قال أبو مِسمارِ الْعُكَلِيِّ^(٥) مادحاً.

للهِ دُرٌّ عَامِرٌ إِذَا نَطَقَ فِي حَفْلِ إِمْلَاكِ وَفِي تِلْكَ الْحَلَقِ

(١) البرير ثمر الأراك، عامة أعظم حباً من الكبّات وأصغر عنقوداً منه وقيل إذا أَكَلَتْهُ الإبل قرح مشفرها.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة برر مج ٤ ص ٥٥.

و«البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٥٥.

(٢) الكميت الأسدي: (٦٠ - ١٢٦ هـ / ٦٨٠ - ٧٤٤ م). هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، أبو المستهل، شاعر الهاشمية من أهل الكوفة اشتهر في العصر الأموي، وكان عالماً بالأدب واللغة، مضري من أصحاب الملحقات.

«الشعر والشعراء»: لابن قتيبة. ص ١٣٩.

«خزانة الأدب»: للبغدادي مج ١ ص ٦٩ - ٧٧ - ٨٦ - ٨٧.

«الأعلام»: للزركلي مج ٥ ص ٢٣٣.

(٣) الهامة: الدابة.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة همم مج ١٢ ص ٦٢١.

«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٥٥.

(٤) نفسه مج ١ ص ١٣٣.

(٥) هو كهمس بن قصب: (ت ١٠٠ هـ / ٧١٨ م). ابن عطية العكلي، أعشى بني عكل. شاعر عاصر جريراً والمراجع الآتية لم تُكَنَّهُ.

انظر ص ٢٣١ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٥.

«الأعلام»: للزركلي مج ٥ ص ٢٣٦.

«معجم المؤلفين»: كحالة مج ٨ ص ١٤٧.

«معجم الشعراء في لسان العرب»: ص ٢٤٨. رقم ٨٥٤.

ليس كقوم يُعرفون بالسَّرِقِ من خُطِبِ الناسِ ومِمَّا في الوَرَقِ
يُلْفَقُونَ القَوْلَ تَلْفِيقَ الخَلْقِ مِنْ كُلِّ نَضَّاحِ الذُّفَارِى بِالْعَرَقِ
إِذَا رَمَتْهُ الخُطْبَاءُ بِالْحَدَقِ

قال الجاحظ: والذُّفَارِى هنا: يعني بدن الخطيب. والذُّفَارِىان للبعير هما اللحمتان في قفاه^(١).

وقال بشر بن المعتمر^(٢) يعيب الخطيب المكثار الذي يتتبع في كلامه فيتعب وينقطع نفسه ثم يعجز عن الكلام:

ومن الكبائرِ مِقْوَلٌ مُتَتَّعِجٌ جَمُّ التَّنَخُّجِ مُتَعَبٌ مَبْهُورٌ^(٣)
وقال طحلاء^(٤) يمدح معاوية بن أبي سفيان بالجهرارة وبجودة الخطبة:

رَكُوبُ المَنَابِرِ وَثَائِبُهَا مِعْنٌ بِخُطْبَتِهِ مِجْهَرُ
تَرِيْعٌ إِلَيْهِ هَوَادِي الكَلَامِ إِذَا ضَلَّ خُطْبَتَهُ المِهْذَرُ
وَعَقَّبَ الجاحظ بقوله: مِعْنٌ: تَعِنٌ له الخطبة فيخطبها مقتضياً لها. تريع: ترجع إليه. هَوَادِي الكَلَامِ: أوائله: فأراد أن معاوية يخطب في الوقت الذي يذهب كلام المِهْذَرِ فيه. والمِهْذَرُ: المِكْثَارُ^(٥).

وفي تفضيل الجهرارة في الخطب يقول شُبَّةُ بْنُ عِقَالٍ^(٦) بعقب خطبته عند سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس:

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٣٣ - ١٣٤.
(٢) انظر ترجمته في ص ٩٢ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٢.
(٣) البُهِرُ: الرُّبُو: تتابع النفس من الإعياء. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة. بهر. مج ٤ ص ٨٢.
«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٤١.
(٤) لم أعثر على ترجمته. كذلك لم أجد عند محقق «البيان والتبيين»: السندوبي وهارون شيئاً عنه.
(٥) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ١٢٧.
(٦) يقول هارون. محقق (البيان): هو شُبَّةُ بْنُ عِقَالٍ المجاشعي، من مجاشع رهط الفرزدق، وهو زوج جعثن أخت الفرزدق، وروى عن ابن سلام: أنه بعث بدراهم وحملان وكسوة وخمر إلى الأختل وذلك ليفضل الفرزدق على جرير ونسبه.
«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٢٧ (الحاشية ١).

ألا ليت أمّ الجهم والله سامعٌ ترى حيث كانت بالعراق، مقامي
عشيّة بدّ الناس جهري ومنطقي وبَدُّ كلام الناطقين كلامي^(١)
وقال العُجَيْرُ السُّلُولِي^(٢) في شدة الصوت :

.... جَهِيرٌ وممتدُّ العِنانِ مُناقِلٌ بصيرٌ بعورات الكلام خبيرٌ^(٣)
ولبيان قيمة جهارة الصوت عند الخطيب الناجح قال الجاحظ : وزعموا أن
أبا عطيةً عُفِيْفاً النَّصْرِيَّ ، في الحرب التي كانت بين ثقيف وبين بني نصر ، لما
رأى الخيل بِعَقْوَتِهِ يومئذ دوائسٌ نادى : يا صباحاه! أتَيْتُم يا بني نصر . فألقت
الحَبَالِي أولادها من شدة صوته .

قالوا : فقال ربيعةُ بن مسعود^(٤) يصف تلك الحرب وصوت عُفَيْفٍ :
عُقَاماً ضروساً بين عوفٍ ومالك شديداً لظاها تترك الطفل أشيباً
وكانت جُعَيْلٌ يوم عَمَرُو أراكَةَ أسودَ الغَضَى غادرنَ لحماً مُتَرَبّاً
ويوم بَمَكْزُوْثَاءَ شَدَّتْ مُعْتَبٌ بغاراتها قد كان يوماً عَصَبَنْصَباً
فأسقطَ أحبالَ النِّساء بصوته عُفَيْفٌ وقد نادى بنصرٍ فَطَرَباً^(٥)
وأنشد خلف^(٦) ، هاجياً خطيباً ، مُعِيّاً تشادقه وحَصْرَه :

وما في يديه غيرُ شِدْقٍ يميله وشقشقةٍ خُرُساءَ ليس لها نَعْبُ

(١) نفسه . تحقق هارون مج ١ ص ١٢٧ .

(٢) العُجَيْرُ بن عبد الله بن عبيدة بن كعب بن عائشة . . . بن سلول . وينتهي نسبه إلى اليزيدي إلى
مرة بن صعصعة أخي عامر بن صعصعة ، وكنيته أبو الفرزدق . شاعر إسلامي مُقِلٌّ من شعراء
الدولة الأموية .

«الأغاني» : الأصفهاني مج ١٣ ص ٥٦ .

«خزانة الأدب» : للبغدادي مج ٢ ص ٢٩٨ .

(٣) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ١٢٣ .

(٤) انظر ذكر غلبة ثقيف على الطائف والحرب بين الأحلاف وبني مالك وإلى ذكر ابن مسعود
وعُفَيْفٍ ، والقِصَّة في «الكامل في التاريخ» : لابن الأثير مج ١ ص ٤٢٠ - ٤٢٢ .

(٥) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٦) انظر ص ١٨١ من هذا الكتاب حاشية رقم ٣ .

وقال :

إذا كان صوت المرء خلفَ لهاتِهِ وأنحى بأشداقِ لَهْنٍ شقاشقُ
وقَبَقَبَ يحكي مُقرماً في هِبَابِهِ فليس بمسبوقٍ ولا هو سابقُ^(١)
كما ذكر الجاحظ أوصاف المتكلمين فقال :

ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم . فإذا أشاروا
بالعصي فكأنهم وصلوا بأيديهم أيدياً آخر .

ويدل على ذلك قول الأنصاري^(٢) في المجامع :

وصارت بنا سَيَّارَةٌ ذاتُ سَوْرَةٍ يَكُومُ المطايا والخيول الجماهيرِ
يُؤْمِنُونَ فُلُكَ الشام حتى تمكنوا ملوكاً بأرض الشام فوق المنابرِ
يُصَيِّبُونَ فصل القول في كُلِّ خطبةٍ إذا وصلوا أيماهم بالمخاصرِ^(٣)

كما ذكر استعمال المخاصر والعصي في الخطابة، كأداة يعتمد عليها
الخطيب . قال : «وكانت العرب تخطب بالمخاصر، وتعتمد على الأرض
بالقسي، وتشير بالعصي والقنا . نعم حتى كانت المخاصر لا تفارق أيدي الملوك
في مجالسها، ولذلك قال الفرزدق :

في كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقُ بكفٍ أروغٍ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حِيَاءً وَيُغْضِي من مهابته فما يُكَلِّمُ إلا حينَ يَبْتَسِمُ^(٤)

(١) «البيان والتبيين» : الجاحظ . تحقق هارون مج ١ ص ١٢٩ .

(٢) هو صفوان الأنصاري . انظر ص ٢٢٢ من هذا الكتاب . حاشية رقم ٣ .

(٣) روى الجاحظ الأبيات في «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ٣ ص ١١٦ - ١١٧ مُبْدَلاً «سورة»
(بِسُودِدٍ) .

والكوم : جمع كوما وهي الناقة العالية السنام .

والمخاصر : جمع مخرصة ، وهي ما يختصره الإنسان فيمسه يده ، من عصا أو مقرعة أو عَنَزَة
أو عكازة أو قضيب .

«لسان العرب» : ابن منظور . مادة كوم مج ١٢ ص ٥٢٩ . نفسه مادة خصر . ج ٤ ص ٢٤٢ .

«البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ٣٧١ .

(٤) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ٣٧٠ .

ولم ينس أبو عثمان أن يبسط أسماء كثيرة ممن جمع بين الخطابة والشعر، فقال مثلاً: «ومن الشعراء الخطباء عمران بن عصام العنزي^(١)، هو الذي أشار على عبد الملك بِخَلْعِ عبد العزيز أخيه، والبيعة للوليد بن عبد الملك في خطبته المشهورة...»

وهو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان قَتْلَ الحجاج له قال: ولم قَتَلَهُ وَيْلَهُ؟ أَلَا رَعَى له قوله فيه:

وَبَعَثْتَ مِنْ وَلَدِ الْأَغْرُ مُعْتَبٍ صَقْرًا يَلُوذُ حَمَاهُ بِالْعَرْفَجِ^(٢)
وإذا بدأ الجاحظ بالكلام عن شيء فلا ينتهي منه حتى يُشْرِّحَهُ تشريحاً، ولا يترك فيه استفهاماً، ولا ينسى دقائقه، فيُشَبِّعُ بذلك نهم القارىء ويزيده تعليماً وعلماً.

لذلك عندما تكلم عن تقديم الشاعر في الجاهلية على الخطيب أفاض في ذكر فضائل الشاعر وفي الأسباب التي جعلتهم يحطون من قدره (الشاعر) فقال:

كان الشاعر في الجاهلية يُقَدَّمُ على الخطيب، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يُقَيِّدُ عليهم مآثرهم وَيُفَخِّمُ شأنهم، وَيُهَوِّلُ على عدوهم وَمَنْ غزاهم، وَيُهَيِّبُ من فرسانهم، وَيُخَوِّفُ من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم. فلما كَثُرَ الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبةً ورحلوا إلى السُّوقِ، وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر^(٣).

(١) عمران بن عصام العنزي: (ت ٨٥هـ / ٧٠٤م). خطيب، شاعر من الشجعان في أيام عبد الملك بن مروان، ولما أمر المهلب صنع الركب من الحديد بدل الخشب مدحه وفضّل ضرب الحديد للركاب بدل ضرب الدراهم. وعندما نشبت فتنة ابن الأشعث اتهمه الحجاج بالانحياز إليه وطلبه حتى قتله.

«الأعلام»: للزركلي مج ٥ ص ٧١.

(٢) مُعْتَبٌ من أجداد الحجاج.

انظر بقية الأبيات في «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ٤٨.

وراجع أسماء الخطباء الشعراء فيه من ٤٧ - ٥١.

(٣) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ٢٤١.

من هنا نرى مقام الخطابة والخطيب وأهميته في ذلك العصر، فقد كان أول أهداف الخطابة الإقناع والحجة. أنشد أحدهم:

فَجِئْتُ وَوَهَبْتُ كَالْخَلَاةِ يَضُمُّهَا إِلَى الشُّذُقِ أَنْيَابٌ لَهْنٌ صَرِيفُ
فَقَعَّقْتُ لَخَيِّ خَالِدٍ وَاهْتَضَمْتُهُ بِحُجَّةٍ خَصِمٍ بِالْخَصُومِ عَنِيفِ^(١)
وجال أبو عثمان حتى البصرة، فذكر خطباءها، واستشهد بقول رؤبة^(٢)
في أحد قضاة البصرة وأمرائها وخطبائها:

فَأَنْتَ يَا ابْنَ الْقَاضِيَيْنِ قَاضِي مُعْتَزَمٌ عَلَى الطَّرِيقِ مَاضِي^(٣)
وضرب الشاعر^(٤) المثل بخطباء إياد فقال:

كَفَسُ^(٥) إِيَادٍ أَوْ لَقِيطِ بْنِ مَغْبِدِ^(٦) وَعُذْرَةُ^(٧) وَالْمِنْطِيقِ زَيْدِ بْنِ جُنْدُبِ^(٨)

(١) في البيت الثاني أقواء.

انظر «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٣٠.

(٢) انظر ص ١٨٢ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٤.

(٣) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٩٤.

(٤) هو الأَثَلُ الأَزْرَقِي، أبو سماك وقيل أبو شهاب. واسمه عمران بن حطان. تابعي مشهور من رؤوس الخوارج القَعْدِيَّة (بفتحيتين) وكان من الصفريَّة خطيبهم وشاعرهم مات سنة أربع وثمانين من الهجرة.

«الإصابة في تمييز الصحابة»: ابن حجر العسقلاني مج ٣ ص ١٧٧. ١٧٨. رقم ٦٨٧٧.

(٥) قُسُ بْنُ سَاعِدَةَ: (ت ٢٣ ق هـ / ٦٠٠ م). ابن عمرو بن عدي بن مالك من بني إياد. أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية. كان أسقف نجران ويقال أنه أول عربي خطب متوكلًا على عصاه أو على سيفه. «الأغاني»: الأصفهاني مج ١٥ ص ١٩٢.

«خزانة الأدب»: للبغدادي مج ١ ص ٢٦٧. «الأعلام»: للزركلي مج ٥ ص ١٩٦.

(٦) لم نثر على ترجمة له. ويقول محقق البيان إنه لقيط بن معمر. وذكر في الأعلام لقيط بن عامر شاعر جاهلي. انظر «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤ فهرس الأعلام. ص ٣٣٢. و«الأعلام»: للزركلي مج ٥ ص ٢٤٤.

(٧) عُذْرَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ اللَّاتِ بْنِ وَفِيدَةَ بْنِ بَنِي كَلْبٍ. جد جاهلي من بطون بني عامر وكاهل وإياس وعوف ورفاعة انتقلت جماعة منه إلى الأندلس في عصر الفتوح وهم معروفون بشدة العشق. «الأعلام»: للزركلي مج ٤ ص ٢٢٢.

(٨) سبقت ترجمة المنطيق في كتابنا وهو زيد بن جندب.

وانظر «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٤٢.

ومدح معاوية خطباء تميم بقوله: لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشي
الكلم وأنشأ يقول:

يا أيها السائل عما مضى وعلم هذا الزمن العائب
إن كنت تبغي العلم أو أهله أو شاهداً يُخبر عن غائب
فاعتبر الأرض بسكّانها واعتبر الصاحب بالصاحب^(١)
ومن خطباء بني ضبة وعلمائهم: مشجور بن غيلان بن خرشة^(٢).

وكان مقدماً في المنطق وهو الذي كتب إلى الحجاج: «إنهم قد عرضوا
عليّ الذهب والفضة، فما ترى أن آخذ؟ قال: أرى أن تأخذ الذهب، فذهب عنه
هارباً ثم قتله بعد.

وذكره القلاخ بن حزن المنقري^(٣) فقال:

أمثال مشجور قليل ومثله فتى الصدق إن صفقته كل مضفّق^(٤)
ومن خطباء الخوارج: الضحّاك بن قيس الشيباني^(٥) ويكنى أبا سعيد وهو

(١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٥٢.

(٢) مشجور بن غيلان: ت ٨٨ هـ / ٧٠٥ م.

الضبي. خطيب من العلماء بالأنساب ومن أشرف البصرة. كان مقدماً في المنطق.

«الأعلام»: للزركلي مج ٥ ص ٢٧٥.

(٣) هو القلاخ بن حزن، وقيل، بن جناب، بن منقر بن عبيد من بني كعب بن سعد. ولعله ابن
عمر اللعين المنقري وهو معدود من الرّجّاز. ومعنى القلاخ، من قلخ يقلخ: أن يردد الفحل من
الإبل صوته في جوفه. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة قلخ. مج ٣ ص ٤٨.

«معجم الشعراء»: في لسان العرب د. الأيوبي ص ٢٨٤ رقم ١٠٢.

«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٣٤١.

(٤) انظر بقية الأبيات في «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٣٤١.

(٥) هو الضحّاك بن قيس (٥ - ٦٥ هـ / ٦٢٤ - ٦٨٤ م). ابن خالد الفهري القرشي، أبو أمية. سيد بني
فهر في عصره، وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق وتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته
قتل في مرج راهط. «الإصابة في تمييز الصحابة»: العسقلاني. باب الضحّاك. ص ١٩٧ - ١٩٨.

«تاريخ الطبري»: محمد بن جرير مج ٦. ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

«الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٢١٤ - ٢١٥.

الذي مَلَكَ العراق، وسار في خمسين ألفاً وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز
وسليمان بن هشام وصلياً خلفه. وقال شاعرهم^(١):

ألم تر أن الله أظهر دينه وصَلَّت قريش خلف بكر بن وائل^(٢)
ومما قالوا في الخطب قول ثابت قُطنة^(٣):

فإلاً أكن منهم خطيباً فإنني بسُمر القنا والسيف جدُّ خطيب^(٤)
وكان في بني السَّمين من بني شيبان خطباء العرب، وكان ذلك فيهم
فاشياً، ولذلك قال الأخطل^(٥):

فأين السَّمين لا يقوم خطيبها وأين ابن ذي الجَدَّين لا يتكلَّم^(٦)
ومن خطباء الأنصار: سعد بن الربيع^(٧)، وهو الذي اعترضت ابنته
النبي ﷺ، فقال لها: من أنت؟ قالت: ابنة الخطيب النقيب الشهيد: سعد بن
الربيع.

ومنهم خال حسان بن ثابت وفيه يقول حسان^(٨).

إن خالي خطيب جابية الجو لأن عند النُعمان، حين يقوم^(٩)

(١) هو شُبيل بن عَزْرة ت ١٤٠هـ / ٧٥٧م. ابن عمير الضُّبَعي. راوية، خطيب، شاعر، نَسابة، من
أهل البصرة.

«الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ١٥٧.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٣٤٣. وج ٣ ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٣) انظر ص ٢١٦ من هذا الكتاب حاشية رقم ١.

(٤) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٢٣١.

(٥) انظر ص ٢٢٥ من هذا الكتاب. حاشية رقم ١.

(٦) ذو الجَدَّين هو قيس بن مسعود الشيباني.

«البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٣٤٨. الحاشية.

(٧) سعد بن الربيع بن عمرو (ت ٣هـ / ٦٢٥م). من بني الحارث بن الخزرج. من كبار الصحابة.

استشهد يوم أحد. «الإصابة في تمييز الصحابة»: العسقلاني ج ٢ ص ٢٤ رقم ٣١٥٣.

«الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٨٥.

(٨) انظر ص ٢٥٦ من هذا الكتاب. حاشية رقم ١.

(٩) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ٣٦٠.

وإياه يعني حسان بقوله :

رُبَّ خَالٍ لِيَّ لَوْ أَبْصَرْتَهُ سَبَطَ الْمِشْيَةِ فِي الْيَوْمِ الْخَصِيرِ^(١)

وبعد هذه الجولة الموجزة في عالم الخطابة والخطباء مع الجاحظ، اتضح لنا أن له غايات كثيرة، غير البلاغة، فهو يعرض معنى الخطابة، وصفات الخطباء لذلك العصر. وكل ما يتعلق بها. وتشعر كأنه يستعرض ذاكرته العجيبة ليظهر معرفته بفن الخطابة، مُثْبِتاً خُطْباً للنبي عليه الصلاة والسلام، وللخلفاء الراشدين، ولكبار الصحابة رضوان الله عليهم، وكأن هدف، «البيان»، الأوحد الخطابة بعينها.

٢ - المخاصر والعصيّ

ومن غايات الجاحظ في «البيان» إظهار منافع المخاصر والعصيّ، تلك الأداة المهمة التي تعود العرب على استعمالها ومرافقتها، مُضْمِناً عرضه، في الوقت عينه، شواهد الشعرية والنثرية التي تظهر فوائدها ووجوهها وما قيل فيها.

لذا أفرد لها أكثر من جانب ليظهر أهميتها وحقيقتها^(٢).

قال في تفاريق العصا: العصا تُقَطَّعُ ساجوراً^(٣) وتَقَطَّعُ عصا الساجور فتصير أوتاداً، ويُفَرَّقُ الوتد فيصير كلُّ قطعة شِظَاطاً^(٤). فإذا كان رأس الشِّظَاط

(١) نفسه «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٣٦٠.

(٢) ولعل الأمير أسامة بن المنقذ: (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ / ١٠٩٤ - ١١٨٧ م). كتب مؤلفه الفخم (العصا) اقتباساً مما كتبه الجاحظ أو زاد عليه ليستعرض مسائل العصا. «العصا»: أسامة بن المنقذ. طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م. فرع الإسكندرية. تحق حسن عباس. سبط الكفين: كريم. الخَصِير: البارد. (راجع حسان بن ثابت: الديوان. دار صادر بيروت. ص ١١٦)

(٣) الساجور: هو القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة مج ٤ ص ٣٤٧.

(٤) الشِّظَاط: حُشْنِيَّة غَفَاء محدَّدة الطَّرَف توضع في الجوارق أو بين الأونين يُشد بها الوعاء.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة شظظ. ج ٧ ص ٤٤٥.

كالفُلْكة صار لِلْبُخْتِي مِهَاراً، وهو العود الذي يُدخل في أنف البُخْتِي، وإذا فُرِّق المِهَارُ جاءت منه تَوَادٍ^(١).

ولم يكتف أبو عثمان بتفصيله الدقيق حتى استطرد قائلاً: فإذا كانت العصا صحيحة ففيها من المنافع الكبار والمرافق الأوساط والصغار ما لا يُخصيه أحد، وإن فُرِّقت ففيها مثلُ الذي ذكرنا وأكثر. فأَيُّ شيء يبلغ في المرفق. ساق الجاحظ كثيراً من الشواهد الشعرية على هذه الغاية. وسنذكر بعضاً من نماذجه الشعرية، لأن الكلام عن العصا والمخاصر يحتاج إلى كتاب مستقل.

يقال للراعي «إنه لضعيف العصا» إذا كان قليل الضرب بها للإبل شديد الإشفاق عليها. وقال الراعي النميري^(٢):

ضعيف العَصَا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجذب الناس إصبعاً^(٣)
فإذا كان الراعي جَلْداً قوياً عليها قالوا: صلب العصا. ولذلك قال
الراجز:

صُلْبُ العصا باق على أذاتها^(٤)

ويقال «ضُرِبَ فلان ضرب غرائب الإبل». وهي تُضْرَبُ عند الهرب،
وعند الخِلاط، وعند الحوض، أشد الضرب.
وقال الحارث بن صخر^(٥):

(١) قال الأزهري: وأما التوادي فواحدتها تَوْدِيَّة: وهي الخشبات التي توضع على أخلاف الناقة إذا صُرَّت لثلاً يرضعها الفصيل. وقال: ولم أسمع لها بفعل.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة مج ٣ ص ١٠١.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ٤٩.

(٢) انظر ص ٢١٤ من هذا الكتاب. حاشية رقم ١٠.

(٣) ضعيف العصا أي حاذق الرعية لا يضرب ضرباً شديداً. يصفه بحسن قيامه على الإبل في أيام الجذب. واصبعاً أي أثراً.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة مج ٨ ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٤) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٥٢.

(٥) لم أجد ترجمة له.

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سُكْنَاتِهِ كما ذيدَ عن ماء الحياض الغرائب^(١)
وفي جواهر العصا تفاوت، وكانوا يُشَبِّهون القامة الممشوقة بجسمها، كما
استعملوها كمحراث نافع، وتكون مِخْصرة وعوداً وقوساً. . .

قال ابن أحمر^(٢) في تشبيه قامة الحبيب بالغصن المُقَوِّم:

رُودُ الشَّبابِ كَأَنَّهَا غُصْنٌ بِجَرَامِ مَكَّةَ نَاعِمٌ نَضْرُ^(٣)
قال الجاحظ: لأهل المدينة عِصِيٌّ في رؤوسها عُجْرُ^(٤) لا تكاد أَكْفُهُم
تُفَارِقُهَا إِذَا خَرَجُوا إِلَى ضِيَاعِهِمْ وَمُنْتَزَهَاتِهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا أَحَادِيثُ حَسَنَةٌ وَأَخْبَارُ
طَيِّبَةٌ^(٥). وقال الشاعر^(٦):

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمُخْبُونُ هَلْ لَكُمْ بِأَخْتِ بَنِي هَنْدٍ عَتِيبَةٌ مِنْ عَهْدِ
أَلَلَّتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النُّوَى بِأَرْضِ بَنِي قَابُوسَ أُمَ ظَعْنَتْ بَعْدِي^(٧)
كما تُسْتَعْمَلُ لِدَقِّ الْجِصَصِ وَالْجَبْسِينَ وَالسَّمْسِمِ وَسَفُوداً لِلشَّوَاءِ.
قال الشَّماخُ بْنُ ضَرَّارٍ^(٨):

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ٥٥.
(٢) هو عمرو بن أحمر بن فراص بن معن بن أعصر. وكان رماه رجل اسمه (مخشر) فذهبت
عينه. عُمَرُ تسعين سنة كما في «الشعر والشعراء»: ابن قتيبة ص ٧٧.
(٣) قال محقق «البيان» في رُود إنها الشابة الحسنة وأصلها الهمز.
انظر «لسان العرب»: ابن منظور. مادة رُود. مج ٣ ص ١١٨ - ١٩٠.
الجَرَامُ: التوى أي التمر اليابس. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة جرم. مج ١٢ ص ٩٠.
وانظر «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٣ ص ٥٦.
(٤) الْعُجْرُ: عُقْدٌ فِي الْخَشَبِ. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة عجر. مج ٤ ص ٥٤٣.
ولعلها المعروفة ببلادنا (بالمعكيلة).
(٥) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ٥٨.
(٦) لم يذكر اسمه.
(٧) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ٦٣.
(٨) الشَّماخُ بْنُ ضَرَّارٍ: (ت ٢٢٢هـ / ٦٤٣م). المازني الديلمي... شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية
والإسلام وهو من طبقة لبيد والنابعة. توفي في غزوة موقان.
«الأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ١٧٥.

وأشعثَ قَدْ قَدْ السُّفَارَ قَمِيصَهُ يَجُرُّ شِوَاءَ بالعصا غيرَ مُنْضَجٍ (١)
والعصا تكون سوطاً وسلاحاً. وكان رسول الله ﷺ يخطُبُ بالقضيب،
وكفى بذلك دليلاً على عِظَمِ غَنَائِهَا وَشَرَفِ حَالِهَا. وعلى ذلك الخلفاء وكبراء
العرب من الخطباء (٢).

وتكون وتداً أو مظلة وإن شئت جعلتها رجلاً مكان الرجل المقطوعة. قال
أبو ضَبَّة في رجله:

وقد جعلتُ إذا ما نِمْتُ أوجعني ظهري وقُمْتُ قيام الشارق الظَّهرِ
وكنْتُ أمشي على رجلين مُعْتَدِلاً فصرتُ أمشي على رجلٍ من الشجرِ (٣)
وقال رَجُلٌ من بني عَجَلٍ:

رشي بي واشٍ عند ليلي سفاهةً فقالت له ليلي مقالة ذي عقلٍ
وخبَّرها أني عَرِجْتُ فلم تكن كورهاء تجترُ الملامة للبعلي
وما بي من عيبِ الفتى غير أنني جعلتُ العصا رجلاً أقيم بها رجلي (٤)
وإذا توكأ المُسِنَّ على عصاه دلَّ على عجزه ولذلك قال عُروة بن
الورد (٥):

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ٦٨.
(٢) نفسه. تحقق هارون مج ٣ ص ٦٩.
(٣) وردت الأبيات في «الحيوان»: للجاحظ. وقال محقق الكتاب: إن هذا الشعر يُروى أيضاً
لعمر بن أحمد الباهلي كما في الموشح ص ٨٠. ووردت في كتاب «العرجان...»: للجاحظ،
لأبي الدهماء. ووردت في «خزانة الأدب»: لأبي حية النمري.
«انظر»: «الحيوان»: للجاحظ. تحقق هارون مج ٦ ص ٤٨٣.
و«البرصان والعميان والحوالان»: للجاحظ. تحقق هارون. ص ٤٠٣ - ٤٠٤.
و«خزانة الأدب»: البغدادي مج ٤ ص ٦٥. و«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ٧٦.
(٤) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ٧٦.
(٥) عُروَةُ بن الورد: ت ٣٠٠ هـ / ٥٩٤ م. من غطفان. شاعر من الجاهلية ومن فرسانها وأجوادها.
كان يلقب بعروة الصعاليك، لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم.
«الشعر والشعراء»: لابن قتيبة. ص ١٥٩ - ١٦٠.

أليس ورائي أن أدب على العصا فيأمن أعدائي ويسأمني أهلي^(١)
وألهمت العصا الشعراء التشبية الجيد. قال المؤمل بن أميل^(٢):

كانت تقيّد حين تنزل منزلاً فاليوم صار لها الكلال قيودا
والناس كالعيدان يفضّل بغضهم بعضاً كذاك يفوق عوداً^(٣)

قال الجاحظ: وجعل الله تبارك وتعالى أكبر آداب النبي عليه السلام في
السّواك، وحض عليه ﷺ. والمِسْواك لا يكون إلا عصا^(٤).

ثم قال: ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم.
فإذا أشاروا بالعصي فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيدياً آخر. ويدل على ذلك قول
الأنصاري^(٥) حيث يقول:

... يُصيبون فصل القول في كل خطبة إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر^(٦)
وقال الكُميت بن زيد^(٧).

... أهل التجاوب في المحا فل والمقاول بالمخاصر^(٨)
واستطرد الجاحظ بقوله: «وأيضاً إنَّ حَمَلَ العصا والمخصرة دليل على
التأهب للخطبة، والتّهيوء للإطّباب والإطالة، وذلك شيء خاص في خطباء
العرب، ومقصود عليهم، ومنسوب إليهم. حتى إنهم ليذهبون في حوائجهم

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ٨٣.
(٢) المؤمل بن أميل: (ت ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م). المحاريبي. شاعر من أهل الكوفة، أدرك العصر الأموي واشتهر في العصر العباسي. وكان من رجال الحديث.
«الأعلام»: الزركلي مج ٧ ص ٣٣٤.
(٣) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ٨٩.
(٤) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ١١٣.
(٥) هو صفوان الأنصاري سبقت ترجمته في ص ٢٢٢ من هذا الكتاب حاشية رقم ٣.
(٦) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٣ ص ١١٧.
(٧) انظر ص ٢٨٩ من هذا الكتاب. حاشية رقم ١.
(٨) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ١١٧.

والمخاصر بأيديهم، إلفاً لها، وتوقعاً لبعض ما يوجب حملها والإشارة بها^(١).
والدليل على أن العصا رفيق الشيخ ومعتمده، قول الأصمعي^(٢) عن بعض
الأعراب:

ألا قالت الخنساء يوم لقيتها كبرت ولم تجزغ من الشئب مجزعاً
رأت ذا عصا يمشي عليها وشيبة تقنع منها رأسه ما تقنعا
فقلت لها لا تهزئي بي فقلما يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا^(٣)
وقال إسحاق بن سويد^(٤):

في رداء النبي أقوى دليل ثم في القعب والعصا والقضيب^(٥)
ثم تذكر الجاحظ قول جرير^(٦) في العصا، فعز عليه تركه. قال جرير:
وقد سلبت عصاك بنو تميم فما تدري بأي عصا تذود^(٧)
فالعصا أداة شرقية مهمة، كثر استعمالها وامتد حتى انعكس في حاضرتنا
على العجز لتساعدتهم وتسندهم، وعلى الشباب للتباهي دون معرفة تاريخها
المجيد.

ونلاحظ امتدادها إلى أوروبة حيث استعمالها، حملة الألقاب، المتباهون،
واستعاض البعض عنها بالمظلات دون أن يدروا من يقلدون.
فهي غاية جليلة في «البيان». مقصورة على العرب، وأحسن الجاحظ
عرضها وبسط وجوها وما قيل فيها.

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ١١٧.
(٢) انظر ص ٣١ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٨.
(٣) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ١٢٢.
(٤) هو إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي التميمي البصري. كان ثقة فاضلاً يقول الشعر. توفي في
الطاعون، أول خلافة العباس سنة ١٣١هـ.
عن محقق كتاب «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ١٢٢. الحاشية: ص ٢٤ - ٢٥.
(٥) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ١٢٣.
(٦) انظر ص ١٣٦ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٢.
(٧) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ٢٤٨.

٣- الرسائل

الرسائل مظهر من مظاهر البيان العربي، نثرها الجاحظ، في تضاعيف «البيان» لتكون مثلاً يُحتذى به على مرّ الدهور، ضَمَّنْ قالب بلاغي تعليمي، يعكس صياغة القول في أدب ذلك العصر.

وقد نَوَّه بعدم كُزِّه الشعر فيها إلا أن تكون إلى الخلفاء. قال: «كان أكثر الخطباء لا يتمثلون في خطبهم الطوال بشيء من الشعر ولا يكرهونه في الرسائل إلا أن تكون إلى الخلفاء»^(١).

لذا نجد الشعر في الرسائل قليلاً. وسنعرض نموذجاً أثبتته الجاحظ في «البيان» يوضح لنا دور الشعر في الرسائل.

«كتب إبراهيم بن سيّابة^(٢) إلى يحيى بن خالد بن برمك^(٣):

أما بعدُ فاغنم واسلم واعلم إن كنت تعلم، أَنَّهُ مَنْ يَزَحَمُ يُزَحَمُ وَمَنْ يَحْرِمُ يُحْرَمُ وَمَنْ يُخْسِنُ يَغْنَمُ وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ لَا يَعْدَمُ وَقَدْ سَبَقَ إِلَيَّ تَغَضُّبُكَ عَلَيَّ وَاطْرَاحُكَ لِي، وَغَفْلَتُكَ عَنِّي بِمَا لَا أَقُومُ لَهُ وَلَا أَقْعُدُ وَلَا أَنْتَبِهَ وَلَا أَرْقُدُ، فَلَسْتُ بِذِي حَيَاةٍ صَحِيحٍ وَلَا بِمَيِّتٍ مُسْتَرِيحٍ، فَفَرَرْتُ بَعْدَ اللَّهِ فَيْكَ إِلَيْكَ وَتَحَمَّلْتُ بِكَ عَلَيْكَ وَلِذَلِكَ قُلْتُ:

أَسْرَعْتُ بِي حَتًّا إِلَيْكَ خِطَائِي (فَأَنَاخْتُ) بِمُذْنِبٍ ذِي رَجَاءٍ
رَاغِبٍ رَاهِبٍ إِلَيْكَ يُرْجِي مِنْكَ عَفْوَاً عَنْهُ وَفَضْلَ عَطَاءٍ
وَلَعْمَرِي مَا مَنْ أَصْرٌ وَمَنْ تَابَ بَ مُقِرّاً بِذَنْبِهِ بِسَوَاءٍ
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ قَبُولَ تَضَرُّعِهِ وَتَخَشُّعِهِ وَتَذَلُّلِهِ مُذَكِّراً إِيَّاهُ بِأَنَّ هَذَا التَّضَرُّعَ هُوَ
عِزٌّ وَرَفْعَةٌ وَشَرَفٌ لَهُ.

(١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١١٨.

(٢) كان خليعاً ماجناً يُزَمَّى بالأبنة: وهي العيب في الكلام.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة ابن مج ١٣ ص ٤.

وانظر ترجمة إبراهيم في ١٢٤ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٤.

(٣) انظر ص ١٣٤ من هذا الكتاب حاشية. رقم ٨.

قال الجاحظ : وبلغني أن عامة أهل بغداد يحفظونها (أي الرسالة) في تلك الأيام»^(١).

٤ - الزُّهْد والنُّسْك

أفرد الجاحظ في «البيان والتبيين» كتاباً أسماه «كتاب الزهد» ذكر فيه شيئاً من أقوال الزُّهاد وكلام النُّسك التي تعكس أخلاقهم وأفعالهم ومواقفهم ومواعظهم.

وسنقصر كلامنا على ما قيل فيهم شعراً، أو على نماذج مما قالوه من الشعر.

فهل خدم الشعر غاياتهم؟ وتالياً، هل حقق الشعر في الزهد والنسك غاية من غايات أبي عثمان في «البيان والتبيين»؟

قال تعالى : ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام : «لا رهبانية في الإسلام» : ومعنى ذلك عدم انقطاع المرء عن الناس وانصرافه للعبادة بعيداً منفرداً.

بل حَضُّ على الانخراط في المجتمع في سبيل العمل الصالح والكسب الحلال ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣).

ومعلوم أن الزهد قد انحرف عن معناه الحقيقي وتطوَّر كثيراً حتى شطَّ بعضهم عن هدفه ومثاله، فأَدْخِلَتْ فيه البدع^(٤).

(١) «البيان والتبيين» : تحق هارون مج ٣ ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٢) سورة التوبة، الآية : ١٠٥.

(٣) سورة الحجرات، الآية : ١٣.

(٤) لن نبحت في كيفية تطورات مفاهيم الزهد، ولكننا سنشير إلى حقيقة معنى الزهد الإسلامي وحقيقة الرهبانية المسيحية.

(الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، ولا يقال الزُّهد إلا في الدين خاصة) وأصل مفهومه الإعراض عن زخرف الدنيا ومباهجها لأنها غرارة، والاهتمام بطاعة الله ومرضاته لدخول جنته . من هنا أتى مفهوم الزهد الإسلامي اقتداء بالسلف الصالح . =

فكيف كانت صورة الزهد والنسك في عصر الجاحظ؟

وما هي شواهد «البيان والتبيين» الشعرية التي بلورته؟

الزهد عامة: ترك زخرف الحياة ومباهجها، والتوجه بالعمل الصالح والرجاء والتوسل إلى الله تعالى للدخول في جنات تجري من تحتها الأنهار. لذا سارع الصالحون في نفص غبار الزيف الدنيوي.

قال الجاحظ: وركب سليمان بن عبد الملك^(١) في زي عجيب، فنظرت إليه جارية له فقالت: إِنَّكَ لَمَعْنِي بِبَيْتِي الشاعر. قال: وما هما؟ فأنشدته:

= (أما الرهبانية، فهي مصدر الراهب والاسم الرهبانية. ورهب: خاف. والراهب: المتعبد في الصومعة وفي التنزيل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، ما فرضناها عليهم، والرهبانية بفتح الراء هي الخوف من الرهب، وبضم الراء منسوبة إلى الرهبان: وذلك لأنهم خلوا في العبادة وحملوا على أنفسهم المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والمنكح، وتعلقوا بالكهوف والصوامع لأن ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي منهم نفر قليل فترهبوا أو تبتلوا. وبعد (إلا)، هنا الاستثناء منقطع: أي هذه الرهبانية ما كتبناها نحن عليهم رأساً، ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله. وقال الزجاج: ما كتبناه عليهم معناه: لم نكتب عليهم شيئاً البتة. قال: ويكون إلا ابتغاء رضوان الله بدلاً من الهاء والألف في كتبناها. والمعنى ما كتبنا عليهم إلا ابتغاء رضوان الله. فلم يرعوا هذه الرهبانية التي ابتدعوها من جهة أنفسهم بل صنعوها وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين الملوك الذين غيروا وبدلوا وتركوا الترهيب. ولم يبق على دين عيسى إلا قليل منهم وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿فَتَأْتِيَنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَّمْ أَجْرَهُمْ﴾ الذي يستحقونه بالإيمان وذلك لأنهم آمنوا بعيسى وثبتوا على دينه حتى آمنوا بمحمد ﷺ لما بعثه الله. والآية المذكورة من سورة الحديد الآية: ٢٧.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة. رب مج ١ ص ٣٦ - ٤٣٨.

ومادة. زهد مج ٣ ص ١٩٦ - ١٩٧.

«فتح القدير»: الشوكاني مج ٥ ص ١٧٨ - ١٧٩.

وفيها تفسير الآية: ٢٧ من سورة الحديد.

(١) سليمان بن عبد الملك: (٥٤ - ٩٩ هـ / ٦٧٤ - ٧١٧ م). هو ابن مروان، أبو أيوب، الخليفة الأموي. ولد في دمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة ٦٩ هـ. وكان بالرملة فلم يتخلف عن مبايعته أحد. فأطلق الأسرى وأخلى السجون وعفا عن المجرمين وأحسن إلى الناس وكان عاملاً طموحاً إلى الفتح. جهّز جيشاً لحصار القسطنطينية. وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان. وكانت عاصمته دمشق ومدة خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا أياماً.

«تاريخ الإسلام»: حسن إبراهيم حسن مج ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

«الأعلام»: للزركلي مج ٣ ص ١٣٠.

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ليس في ما بدا لنا منك عيب كان في الناس غير أنك فإن
قال: وَيْلَكَ نَعَيْتَ إِلَيَّ نَفْسِي^(١).

وقال ابن شبرمة^(٢) في زوال الدنيا:

فإن كانت الدنيا تُحِبُّ فإنها سحابة صيفٍ عن قليل تَقْشَعُ^(٣)
وقال مساورُ الرَّاقِ^(٤) لابنه ينصحه بمجالسة الأتقياء:

شَمِّرْ قَمِيصَكَ واستعدَّ لقائلٍ واحكك جبينك للقضاء بثوم^(٥)
واجعل أصحابك كلَّ حَبْرٍ ناسكٍ حسنَ التعهد للصلاة صؤومٍ
مِنْ ضَرْبِ حَمَادٍ هناكَ ومِسْعَرٍ وسماكِ العبسيِّ، وابن حَكِيمٍ
وعليك بالغنوي فاجلس عنده حتى تصيب وديعةً لیتيم^(٦)

-
- (١) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٣ ص ١٤٤.
- (٢) عبد الله بن شبرمة: (٧٢ - ١٤٤هـ / ٦٩٠ - ٧٥٩م). ابن حسان الضبي، أبو شبرمة الكوفي القاضي. ولده أبو جعفر المنصور على قضاء الكوفة. «الكامل في التاريخ»: لابن الأثير مج ٤ ص ٣٧٦. «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ٩٨ ومج ٣ ص ١٤٦.
- (٣) نفسه. تحقق هارون مج ٣ ص ١٤٦.
- (٤) هو مساور بن سوار بن الحميد من آل قيس بن عيلان بن مضر ويقال له مولى خويلد من عدنان، كوفي قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته.
- «الأغاني»: الأصفهاني مج ١٨ ص ٨٥ - ٨٩.
- (٥) إذا حَكَّ الجبين بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم أن صاحبها عريق التقوى من أثر السجود. وكثير من المتظاهرين بالتقوى يفعلون ذلك اليوم.
- (٦) حماد من رجال الحديث: كثيرون وهم حماد بن يزيد، أو حماد بن أسامة، أو ابن سلمة، أو ابن أبي سليمان. ومسعر ربما مسعر بن حبيب روى عنه حماد بن يزيد أو مسعر بن كدام. وسماك: لعله سماك بن حرب، أو ابن الفضل أو ابن الوليد أو سماك البستي وروي في الأغاني سماك العتكي. والغنوي لعله أبو سوار.
- «الفهرست»: لابن النديم. ص ٢٨٥ و ٦٧. «الشعر والشعراء»: لابن قتيبة ص ١٠٤.
- «الأغاني»: الأصفهاني مج ١٨ ص ٨٦ - ٨٧ الحاشية.
- «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ١٧٥ - ١٧٦. وج ١ ص ٤٠٠ الحاشية.

وقال آخر في التزود للآخرة من هذه الدنيا الفانية :

فاعملْ على مهلٍ فإنَّك مَيِّتٌ واكدُخْ لنفسك أيها الإنسانُ
فكأنَّ ما قد كان لم يكْ إذ مضى وكأنَّ ما هو كائنٌ قد كان^(١)

وهكذا نرى شواهد الجاحظ الشعرية قواعد عامة في الزهد في كل زمان
ومكان، وتسجيلاً تاريخياً لما كان يفكر به بعض أبناء ذلك العصر .

والنُّسكُ توأمُ الزهد، فيه الورع والتَّقَى، ومن شواهد في «البيان والتبيين»
قول أعرابي :

يعيش الفتى بالفقر يوماً وبالغنى وكلاً كأن لم يلقَ حين يُزايِلُه^(٢)
وقال الآخر :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينَه فما فاتَه منها فليس بضائرٍ
فلن تعدِلَ الدنيا جَنَاحَ بعوضةٍ ولا وَزْنَ زِفٍ من جناحٍ لِطائرٍ
فلا رضيَ الدنيا ثواباً لمؤمنٍ ولا رضيَ الدنيا عِقَاباً لكافرٍ^(٣)
وقال أبو العتاهية^(٤) .

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تَنَحَّ عن خِطبتِها تَسْلَمِ
إن التي تخطب غرارةً قريبة العُرسِ من المأتمِ^(٥)
وقال الآخر :

كلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ في أهلهِ والموتُ أدنى من شِراكِ نَعْلِهِ^(٦)

(١) نفسه مج ٣ ص ١٧٦ .

(٢) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ٣ ص ١٧٨ .

(٣) نفسه مج ٣ ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٤) انظر ص ١٢٨ من هذا الكتاب . حاشية رقم ٣ .

(٥) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ٣ ص ١٨١ .

(٦) نفسه مج ٣ ص ١٨٣ .

وأنشد سعيدُ بنُ عبد الرحمن بن حسان^(١) :

حَسْبُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ زَادَ يَبْلُغُهُ الْمَحَلُّ
خَبِرُ وَمَاءٌ بَارِدٌ وَالظِّلُّ حِينَ يَرِيدُ ظِلًّا^(٢)
وأنشد أيضاً :

وما العيشُ إلا شُبْعَةٌ وَتَشْرِقُ وَتَمُرُّ كَأَخْفَاقِ الرَّبَاعِ وَمَاءٌ^(٣)
ومن جميل القول في مخاطبة النفس ومحاسبتها، قول الحسن بن
هانيء^(٤) في نهاية عمره :

يَا نُوَاسِيُّ تَفَكَّرْ وَتَعَزَّزْ وَتَصَبَّرْ
سَاءَكَ الدَّهْرُ بِشَيْءٍ وَلِمَا سَرَّكَ أَكْثَرُ
يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر
أكبر الأشياء في أصغر عفو الله يَصْغُرُ^(٥)

٥- الدُّعَاءُ

غاية أخرى من غايات «البيان» يعرضها الجاحظ من خلال بلاغة القول
وهي الأدعية التي يتقرب بها الأتقياء إلى الله تعالى.
فما هي الشواهد الشعرية التي أثبتتها الجاحظ في «البيان» لكشف أدعيتهم
وتضرعهم لخالق الأكوان؟

(١) سعيد بن عبد الرحمن: (ت ١١٥هـ / ٧٣٤م). ابن حسان بن ثابت، من شعراء الحماسة الشجرية
ومن سكان المدينة المنورة.

«الأغاني»: الأصفهاني مج ٨ ص ٢٦٨ - ٢٧٥.

«والأعلام»: الزركلي مج ٣ ص ٩٧.

(٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ١٨٧.

(٣) نفسه مج ٣ ص ١٨٨.

(٤) انظر ص ١٦٩ من كتابنا.

(٥) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ١٩٩ - ٢٠٠.

ساق أبو عثمان دعاء أعرابي يطلب من ربه، مالك الدنيا ووارثها، أَنْ يُنْزَلَ
الْغَيْثَ، فالماء أصل الحياة. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (١).

الغيث إذا تأخر، عَمَّ الجفاف ومات الزرع والضرع. قال أعرابي:

لَا هُمْ أَنْتَ الرَّبُّ تُسْتَغَاثُ لَكَ الْحَيَاةُ وَلَكَ الْمِيرَاثُ
وَقَدْ دَعَاكَ النَّاسُ فَاسْتَغَاثُوا غِيَاثَهُمْ وَعِنْدَكَ الْغِيَاثُ
وَلَمْ يَكُنْ سَيْبُكَ يُسْتَرَاثُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا عِكْرِشُ أَنْكَاثُ
وَشَيْجَةٌ أَصُولُهَا مُثَاثُ وَطَاحَتْ الْأَلْبَانُ وَالْأَرْمَاثُ (٢)

وقال الكذاب الجرمازي (٣) يهجو رهط «الثلب» (٤) لأنهم يدعون نسباً كاذباً
فيرجو الله أَنْ تَأْتِيَهُمْ سَنَةٌ مُجْدِبَةٌ تَأْخُذُهُمْ وَإِبْلَهُمْ وَمَا يَمْلِكُونَ جَمِيعاً:

لَا هُمْ إِنْ كَانَتْ بَنُو عَمِيرَةٍ رَهْطُ الثَّلْبِ دَعْوَةٌ مُسْتَوْرَةٌ
قَدْ أَجْمَعُوا لِجِلْفَةٍ مَضْبُورَةٍ وَاجْتَمَعُوا كَأَنَّهُمْ قَارُورَةٌ
فِي غَنَمٍ وَ إِبِلٍ كَثِيرَةٍ فَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سَنَةً قَاشُورَةٍ
تَحْتَلِقُ الْمَالَ احْتِلَاقَ الثُّورَةِ (٥)

ورجا أعرابي ربه الغفور الرحيم، العفو عن ذنوبه، فَقَدْ بَشَّرَهُ رَهْطُهُ بِسُكْنَى
جَهَنَّمَ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ جَاهِلُونَ عَفْوَ اللَّهِ وَكْرَمَهُ وَرَحْمَتَهُ وَغَفْرَانَهُ:

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٢) سَيْبُكَ: عطاؤك. يَسْتَرَاثُ أي يستبطأ والريث: البطء. الْعِكْرِشُ: نبات خشن وفي أطراف ورقه
شوك. وَالْأَنْكَاثُ: متفرقة: كما ينكث الحبل، وهو أَنْ يَنْقُضَ وَيَنْكُثَ خِيوطه بعد إِبْرَامِهَا.

الرُشَيْجَةُ: المشتبكة. وَالْمُثَاثُ: النَّدِيَّةُ. وَالْأَرْمَاثُ: مراعي الإبل.

انظر «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٣) هو عبد الله بن الأعور، وقيل له الكذاب لكذبه كما في «الشعر والشعراء»: لابن قتيبة ص ١٦٢.

(٤) الثَّلْبُ: رجل من بني العنبر كما في «لسان العرب»: ابن منظور. مادة تلب. مج ١ ص ٢٣٢.
وانظر الأبيات. مادة. حلق. مج ١٠ ص ٥٩.

(٥) مصبورة: يمين الصبر، والقارورة: وعاء زجاج، قاشورة: مُجْدِبَةٌ.

تَحْتَلِقُ الْمَالَ: تذهب به والمال هنا الإبل، والثورة: حجر يحرق ويسوى منه الكلس.

انظر. «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ٢٧٦.

يا ربّ قد حَلَفَ الأقوامُ واجتهدوا أيمانَهُمْ أَنَّنِي من ساكني النارِ
 أَيُخْلِفُونَ على عمياءَ ويلُهُمْ جهلاً بعفو عظيم العفو غَفَّارٍ^(١)
 وسأل عبيد العنبري^(٢)، وهو أحد اللصوص، رَبَّهُ تعالى توبة نصوحاً
 وغفراناً عن الذنوب التي ارتكبها أيام جهله واتباعه هواه وفُقدانه عقله فقال:
 يا ربّ عَفْوِكَ عن ذي توبةٍ وَجِلٍ كأنَّهُ مِنْ حِذارِ الناسِ مجنونٌ
 قد كان قَدَمَ أعمالا مُقارِبَةً أيامَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينٌ^(٣)

٦- النُّعَال

النُّعْلُ، والنُّعْلَةُ، ما وُقِيتْ به القدمُ من الأرض، مؤنثة.
 قال ابن الأثير: النُّعْلُ مؤنثة وهي التي تلبس في المشي تسمى الآن
 تاسومة، ووصفها بالمفرد وهو مذكر لأن تأنيثها غير حقيقي. والفردُ هي التي لم
 تُخَصَّف ولم تُطَارِق وإنما هي طاقٌ واحد.
 والعرب تمدح برقة النُّعَال وتجعلها من لباس الملوك^(٤).
 قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾^(٥).

-
- (١) المصدر نفسه «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤ ص ٦٢.
 (٢) عُبيد بن أيوب، من بني العنبر، وكان جنى جناية فهرب في مجاهل الأرض وأبعد في الهرب
 حذراً على نفسه، وكان السلطان أباح دمه، وكان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة
 ويُبَايِت الذئاب والأفاعي ويأكل الظباء والوحوش.
 «الشعرا والشعراء»: لابن قتيبة. ص ١٨٢-١٨٣.
 (٣) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤ ص ٦٢.
 (٤) ولعل الأمير أسامة بن المنقذ: (٤٨٨ - ٥٨٤هـ) كان كتابه الضخم (العصا) اقتباساً مما كتبه
 الجاحظ، زاد عليه واستوفى مسائل العصا.
 «لسان العرب»: ابن منظور. مادة نعل مج ١ ص ٦٦٧.
 «العصا»: أسامة بن المنقذ. تحقق حسن عباس. تقديم الدكتور محمد مصطفى هدارة. طبع
 الهيئة المصرية للكتاب. الإسكندرية ١٩٧٧م.
 (٥) سورة طه، الآية: ١٢.

أمره الله سبحانه بخلع نعليه (والأمر موجه إلى موسى عليه السلام)، لأن ذلك أبلغ في التواضع وأقرب إلى التشريف والتكريم وحسن التأدب، وقيل إنهما كانا من جلد حمار غير مدبوغ. وقيل معنى الخلع للنعلين: تفريغ القلب من الأهل والمال وهو من بدع التفاسير.

ثم علل سبحانه الأمر بالخلع فقال: (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى) المقدّس: المطهر.

والقدس: الطهارة. والأرض المقدّسة: المطهّرة، سميت بذلك لأن الله أخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين. وطوى: اسم للوادي. قال الجوهري: طوى يصرف ولا يصرف. فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة، ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة^(١).

والنعال سلعة فرضتها حاجة الإنسان إليها لحماية قدميه وسلامة مَشْيِهِ، وأكثر ما كانت تُصنَعُ من جلود الحيوانات.

تفتن العرب في صنعها، فضربت بها الأمثال، وصيغت فيها الأقوال، فما هي شواهدا في «البيان»؟

قال علي بن أبي طالب^(٢) رضي الله عنه: جمال الرجل في عَمَّتِهِ، وجمال المرأة في خُفِّهَا. وقال الأحنف^(٣): استجيدوا النعال فإنها خلاخيل الرِّجال^(٤).

قال الجاحظ: العرب تلهج بذكر النعال، والفُرسُ تلهج بذكر الخفاف...

وفي الحديث المأثور: «أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ينهون نساءهم

(١) «فتح القدير»: الشوكاني مج ٣ ص ٣٥٨.

(٢) انظر حاشية ص ١٣١ من هذا الكتاب حاشية رقم ٥.

(٣) هو الأحنف بن قيس، أبو بحر. انظر ترجمته في ص ١٣٢ من هذا الكتاب حاشية رقم ٤.

(٤) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ٨٨.

عن ثُبَسِّ الخِفافِ الحُمْرِ والصُّفْرِ ويقولون هو من زينة نساء آل فرعون». وأما قول شاعرهم.

إذا اخضرتُ نِعالَ بني عُرابٍ بَغَوْا ووجدتَهُمْ أَشْرَى لئاما
فلم يرد صفة النعل وإنما أراد أنه إذا اخضرت الأرض وأخصبوا، طَعَوْا
وبَغَوْا^(١).

وقال النابغة^(٢) مادحاً:

رِقاقُ النُّعالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ يُحَيُّونَ بالرَّيحانِ يومَ السَّباسِبِ^(٣)
وبنو الحارث بن سدوس^(٤) لم ترتبط جِماراً قط، ولم تلبس نعلأ قط إذا
نَقَبَتْ. وقد قال قائلهم:

وُلِّقِي النِّعالَ إذا نُقِّبَتْ ولا نستعينُ بأخلاقها^(٥)
وقال عُتَيْبَةُ بنِ مُرداس^(٦)، وهو ابن فسوة، في قوم يخصصون النعل ولا
يخصصونه.

(١) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٣ ص ١٠٦.

(٢) انظر ص ٢١٩ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٣.

(٣) السباسب: يوم الشعانين من أعياد النصارى.

«البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٣ ص ١٠٧.

(٤) السُدوسُ: الطُّيْلِيُّ، وسدوس اسم رجل. وزعم ابن حمزة أن الأمر عكس ذلك.

وسدوس موضعين من تميم وربيعة والثاني في سعد بن نبهان.

وقيل: كل سدوس في العرب مفتوح السين إلا سدوس بن أصمع.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة سدس مج ٦ ص ١٠٥.

(٥) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ١٠٧.

(٦) عُتَيْبَةُ بن مرداس من بني كعب، ابن عمرو بن تميم. شاعر هجاء، مقل، مخضرم. أدرك
الجاهلية والإسلام وشهد حُنيناً مع المشركين وأسلم بعدها.

قال الأصمعي: أنعت الناس للإبل عُتَيْبَةُ. وكان له مولى يغضب إذا قيل له ابن فسوة. فقال له
عتبة ذلك يوماً، فغضب فقال أعطني عنزاً وانتقل إلي هذا الاسم فأعطاه عنزاً وأشهد عليه أنه قد
اشتري هذا الاسم فلا يُعَيَّرَ به فلزمه الاسم.

«الشعر والشعراء»: لابن قتيبة. ص ٨١ - ٨٢.

«الأعلام»: الزركلي مج ٤ ص ٢٠١.

إلى معشرٍ لا يَخْصِفُونَ نَعَالَهُمْ ولا يلبسون السُّبَّتَ ما لم يُخَصِّرِ^(١)
وقال الشاعر^(٢):

يا ليت لي نعلين من جلد الضَّبُعِ وشُرْكَاً من اسْتِيها لا تَنْقَطِعُ
كُلَّ الحذاء يحتذي الحافي الوقِعِ^(٣)

قال الجاحظ: فهذا كلام محتاج، والمحتاج يتَجَوَّز.

وقال الشاعر^(٤) يصف ضرب صدور بناته، وهُنَّ مكشوفات الرؤوس،
بالنعال:

وقام بناتي بالنُّعال حواسراً وألصقن وقَعَ السُّبَّتِ تحت القلائدِ
قال الجاحظ: فإن النساء ذوات المصائب إذا قمن في المَنَاحَاتِ كُنَّ
يَضْرِبْنَ صُدُورَهُنَّ بالنُّعال^(٥).

٧- التُّوكى والحمقى

التُّوكى جمع الأتوك أو الأَحْمَقُ^(٦)، من بدع العصر العباسي بل من بدع

(١) خصف النعل يخفضها خصفاً: ظاهر بعضها على بعض خرزها، وكل ما طوق بعضه على
بعض فقد خُصِفَ.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة خصف. مج ٩ ص ٧١.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ١٠٩.

والسُّبَّتُ: بالكسر كل جلد مدبوغ ومنه النعال السبتية. لا شعر عليها.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة سبت. مج ٢ ص ٣٦-٣٧.

(٢) ذكره الجاحظ في البخلاء. وجاء في «لسان العرب»: أن هذا الشعر لجسّاس بن قطيب ويكنى
أبا المقدام. قال الأزهرى: معناه أن الحاجة تحمل صاحبها على التعلق بكل شيء قَدَر عليه.

«البخلاء»: تحق الحاجري ص ١٨٨. «لسان العرب»: ابن منظور. مادة وقع مج ٨ ص ٤٠٧.

(٣) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ١٠٨-١٠٩.

(٤) الشاعر هو أبو ذؤيب الهذلي كما في «لسان العرب»: ابن منظور، مادة حسر مج ٤ ص ١٨٨.

(٥) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٣ ص ١١١.

(٦) الأتوك: الأحمق وجمعه التُّوكى. أجري مجرى هكلى لأنه شيء أصيبوا به في عقولهم. والتُّوك
عند العرب العَجْزُ والجَهْلُ.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة نوك. مج ١٠ ص ٥٠١.

كل عصر، فلم يَفْتِ الجاحظ الإشارة إلى أفعالهم وأقوالهم في «البيان» حتى لا تكون لوحته ناقصة. ومن التُّوكي: أبو الربيع العامري^(١)، واسمه عبد الله، وكان ولي بعض منابر اليمامة وفيه يقول الشاعر:

شهدتُ بأنَّ الله حقٌّ لقاءُهُ وأنَّ الربيعَ العامريَّ رقيعُ
أقاد لنا كلباً بكلب ولم يدغ دماء كلابِ المُسلمينَ تضيغُ^(٢)

وروى الجاحظ ما دار بين معاوية وربيعة. قال: وفد ربيعة بن عسل على معاوية - وهو من بني عمرو بن يربوع - فقال لمعاوية: أعنني بعشرة آلاف جذع في بناء داري بالبصرة. فقال له معاوية: كم دارك؟ قال: فرسخان في فرسخين. قال معاوية: هي في البصرة أم البصرة فيها؟ قال: بل هي في البصرة. قال فإن البصرة تكون هذا^(٣).

وقال أبو الأحوص الرياحي^(٤):

ليس بـيربوع إلى العقل حاجة سوى دَنَس تَسوَدُّ منه ثيابُها
فكيف بنوكي مالك إن كفرتُم لهم هذه أم كيف بعدُ خطابُها^(٥)
ومن التُّوكي كلاب بن ربيعة^(٦) وهو الذي قتل الجُشميَّ قاتل أبيه دون إخوته وهو القاتل:

ألم تَرني ثأزتُ بشَنيخِ صِدقٍ وقد أخذ الإدارة فاحتساها

(١) وردت الأبيات في العقد، وقد سماه صاحبه «الربيع العامري».

«العقد الفريد»: لابن عبد ربه مج ٦ ص ١٥٨.

(٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٢٥٩.

(٣) نفسه مج ٢ ص ٢٦٠.

(٤) الأحوص تحريف والأصح الأخوص الرياحي اليربوعي: أي الغائر العينين. واسمه زيد بن عمرو بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع... شاعر إسلامي.

«خزانة الأدب»: البغدادى مج ٢ ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٥) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٦) كلاب بن ربيعة: بن عامر بن صعصعة بن قيس عيلان من عدنان. جدُّ جاهلي غير معروف الولادة. «الأعلام»: الزركلي مج ٥ ص ٢٢٩.

ثَارَتْ بِشَيْخِهِ شَيْخاً كَرِيماً شِفَاءَ النَّفْسِ إِنْ شَيْءٌ شَفَاهَا^(١)
وَمِنْهُمْ نَعَامَةٌ، وَهُوَ بَيْهَسُ^(٢)، الشَّاعِرُ الَّذِي قَالَ: مُكْرَةٌ أَخَاكَ لَا بَطْلَ.
وَلِيَاةٌ يَعْنِي الشَّاعِرَ^(٣):

وَمَنْ حَذَرَ الْأَيَّامَ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَلَاقَى الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسُ
نَعَامَةٌ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ^(٤)
وَأَنْشَدُوا:

أَرَى زَمَنًا نَوَكَاهُ أَسْعَدُ أَهْلِهِ وَلَكِنَّمَا يَشْقَى بِهِ كُلُّ عَاقِلٍ^(٥)
قَالَ الْجَاحِظُ «صَالِحُ بْنُ سَلِيمَانَ»^(٦) قَالَ: مِنْ أَحْمَقِ الشُّعْرِ قَوْلُ الَّذِي
يَقُولُ:

أَهِيْمِ بِدَعْدٍ مَا حَيْثُ فَإِنْ أُمْتُ أُوكُلُ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي^(٧)

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤ ص ١٦ - ١٧.
- (٢) بيهس بن صهيب بن عامر: (ت ١٠٠هـ / ٧٢٠م). يكنى أبا المقدم. شاعر، فارس، شجاع من شعراء الدولة الأموية ومن خبره أنَّ قوماً أغاروا على أهله وقتلوه، فجمع جمعاً وغزا المعتدي وأدرك ثأره. وكان يحب امرأة من قومه يقال لها صفراء، وكان يكتنم وجده لأنه صعلوك ولا مال له. رآته صفراء ونساء الحي يتعرضن له، فهجرته زماناً. ماتت وهي عذراء. وسمي نعاماً لأنه كان جسيماً طويلاً. «الأغاني»: الأصفهاني مج ٢٢ ص ١٢٩ - ١٣٤.
- «الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ٨١.
- (٣) هو الْمُتَلَمَّسُ، لَقَّبَ غَلَبَ عَلَيْهِ لَبِيتَ شَعْرَ قَالَهُ، واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن... ابن ربيعة بن نزار.
- انظر حديث بيهس في «الأغاني»: الأصفهاني مج ٢٣ ص ٥٣١ - ٥٤١.
- (٤) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤ ص ١٧.
- (٥) نفسه. مج ٤ ص ٢٠.
- (٦) لعله أبو محمد ابن غلام الزهري.
- انظر «لسان الميزان»: العسقلاني مج ٣ ص ١٧٠ رقم ٦٩٠.
- (٧) ذكر الأصمعي عن حماد أنه قال: أطرف الناس النمر بن ربيعة بن النمر وهو القائل أهيم بدعد... .
- كما في «الشعر والشعراء»: لابن قتيبة ص ٦٢.
- وانظر «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٤ ص ١٠.

وقال حبيب بن أوس^(١) :

ما وَلَدْتُ حَوَاءَ أَحْمَقَ لِحِيَةٍ مِنْ سَائِلٍ يَرْجُو الْغِنَى مِنْ سَائِلٍ^(٢)
وقال بشر بن الْمُعْتَمِر^(٣) :

وَإِذَا الْغَيْبِيُّ رَأَيْتَهُ مُسْتَغْنِيًّا أَعْيَا الطَّبِيبَ وَحِيلَةَ الْمُخْتَالِ^(٤)
ومن غرائب الْحَقِّقِ: المذهب الذي ذهب إليه الكميت بن زيد^(٥) في
مدح النبي ﷺ :

إِلَى السُّرَاجِ الْمَنِيرِ أَحْمَدُ لَا تَعْدِلُنِي رَغْبَةً وَلَا زَهَبُ
عَنهُ إِلَى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ النَّاسُ سَإِلِيَّ الْعَيُونَ وَارْتَقَبُوا
وَقِيلَ أَفْرَطْتُ بَلْ قَصِدْتُ وَلَوْ عَنَّفَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنْتَ الْأَرْضَ ضُؤْ وَلَوْ عَابَ قَوْلِي الْغُيُوبُ
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فَيْكَ اللَّجَاجُ وَاللَّجَبُ
قال الجاحظ: فمن رأى شاعراً مدح النبي ﷺ فاعترض عليه واحداً من
جميع أصناف الناس، حتى يزعم هو أن ناساً يعيونه ويثلبونه ويُعَتِّفونه؟ .

وقد مدح النبي ﷺ، فما زاد على قوله:

وَبُورِكَ قَبْرُ أَنْتَ فِيهِ وَبُورَكَتْ بِهِ وَلَهُ أَهْلٌ بِذَلِكَ يَثْرِبُ
يعني قبر النبي ﷺ. ويثرب يعني المدينة.

لَقَدْ غَيَّبُوا بِرّاً وَحَزْماً وَنَائِلاً عَشِيَّةً وَارَاهُ الصَّفِيحُ الْمُنْصَبُ
وهذا شعرٌ يَضْلُحُ في عامة الناس^(٦).

(١) انظر ص ٢٥٧ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٣.

(٢) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤ ص ٢٠.

(٣) سبقت ترجمته في ص ٩٢ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٢.

(٤) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤ ص ٢٢.

(٥) انظر ص ٢٨٩ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٢.

(٦) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

ومن الحمقى كُثِيرُ عَزَّة^(١) مدح عبد العزيز بن مروان، ولما خرج لم ينل شيئاً. قال في ذلك.

عَجِبْتُ لأَخْذِي خُطَّةَ الْغَيِّ بعدما تَبَيَّنَ من عبد العزيز قَبُولُهَا
فإن عاد لي عبد العزيز بِمِثْلِهَا وأمكنني منها إذا لا أَقِيلُهَا^(٢)
قال الجاحظ: وأنشد بعض أصحابنا:

أَلِكْنِي إِلَى مَوْلَى أَكْنِمْهَ وَأَنْهَهُ وهل ينتهي عن أول الزجر أحمق^(٣)
وقال الجاحظ: ولما دخل خالد بن طليق^(٤) على المهدي مع خصومه،
أنشد قول شاعرهم:

إذا الْقَرَشِيُّ لَمْ يَضْرِبْ بِعَرَقٍ خَزَاعِي فليس من الصميم^(٥)
فغضب المهدي وقال: أحمق.

وقال الشاعر يمدح نفسه:
أَعْلَلُ نَفْسِي بِمَا لَا يَكُونُ كما يفعل المائق الأحمق^(٦)
وهكذا نرى أَنَّ الحماقة عيب من عيوب الإنسان، يتجنبها العاقل،
وينغمس بها الجاهل.

وقد مثَّلَ عليها الجاحظ، شعراً، بدقة وكفاءة.

(١) كُثِيرُ: (ت ١٠٥هـ / ٧٢٣م). هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من خزاعة، ويكنى أبا صخر، أحد عشاق العرب المشهورين وصاحبه عَزَّةٌ وعُرفَ بها وهي في ضميره. أقبل على عبد الملك بن مروان فازدري منظره، وكان مفراط القصر دميماً، في نفسه شمم وترفع، ولما عرف أدبه رفع مجلسه. شاعر أهل الحجاز في الإسلام، وقيل إنه من غلاة الشيعة وينسبون إليه القول بالتناسخ. «الشعر والشعراء»: لابن قُتَيْبَةَ. ص ١٢١ - ١٢٤. «الأعلام»: الزركلي مج ٥ ص ٢١٩.

(٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٢٤١.

(٣) نفسه مج ٢ ص ٢٤٩.

(٤) خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين الخزاعي.
ولاه المهدي قضاء البصرة وكان معجباً بآهائه.

«الفهرست»: لابن النديم ص ١٣٩.

(٥) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٦) نفسه مج ٢ ص ٣٥٤.

٨ - المجانين

الجنون إنما هو من نقصان العقل^(١).

والمجنون هو الذي سلب عقله، فلا يَعْقِلُ شيئاً أصلاً ولا يفيق بحال.

أما الذي يعقل بعض الأشياء دون بعض ويكون قليل الفهم مختلط الكلام فاسد التدبير إلا أنه لا يَشْتُم ولا يَضْرِب، فإنه يُسَمَّى معتوهاً.

أما المجنون الذي يفيق أحياناً بحيث يزول ما به بالكلية فإنه في حال إفاقته كالبالغ العاقل فلا يُحَجَرُ عليه وَيَتَّقَدُ تصرفه في هذه الحالة^(٢).

وذكرُ المجانين في «البيان» والتمثيل عليهم شعراً، نوع من البراعة الأدبية، وتصوير لحالة غير طبيعية، بل تأريخ للعقلاء.

وهذا الداء ذَكَرَهُ اللهُ تعالى في مُحْكَمِ تنزيله: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّمَا لَمْجُنُونٌ﴾^(٣) ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾^(٤) فالمجنون خلاف العاقل، والجنون مرض يفقد به الإنسان أهليته في الشرع والقانون. وعَرَضُ الجاحظ لبعض أنواعه في «البيان» لافت للنظر، وعبرة لمن اعتبر، لأنه قَلَّ أَنْ تَرَى أو تَقْرَأ أو تسمع، شاعراً مجنوناً. وهذه من غايات الجاحظ المقصودة في «البيان». فكيف مثل بشواهده الشعرية عليها؟.

يقول الجاحظ: ومن المجانين المُوسوسين جُعيفران^(٥) الشاعر، فشهدتْ

(١) «لسان العرب»: ابن منظور. مادة جنن مج ١٣ ص ٩٦.

(٢) «الفقه على المذاهب الأربعة»: عبد الرحمن الجزيري ط ٧. دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٨٦ مج ٢ ص ٣٦٦.

(٣) سورة القلم، الآية: ٥١.

(٤) سورة التكوين، الآية: ٢٢.

(٥) هو جُعيفران بن علي بن أصفر بن السري بن عبد الرحمن الأبنائي من ساكني (سر من رأى) ومسكنه ومولده ومنشؤه ببغداد. أديب شاعر مطبوع. غلبت عليه المرأة السوداء فاختلف وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله. ثم كان إذا أفاق تاب إلى عقله فقال الشعر المجيد.

«الأغاني»: الأصفهاني مج ٢٠ ص ١٤٧.

«العقد الفريد»: ابن عبد ربه مج ٦ ص ١٦٥.

رَجُلًا أَعْطَاهُ دِرْهَمًا وَقَالَ لَهُ قُلْ شِعْرًا عَلَى الْجِيمِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

عَادَنِي الْهَمُّ فَاعْتَلَجَ كُلُّ هَمٍّ إِلَى فَرْجِ
سَلِّ عَنْكَ الْهُمُومَ بِالْكَاسِ وَبِالِرَّاحِ تَنْفَرِجُ^(١)
وَكَانَ يَتَشَيَّعُ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : أَتَشْتُمُ فَاطِمَةَ وَتَأْخُذُ دِرْهَمًا؟ قَالَ : لَا بَلْ أَشْتُمُ
عَائِشَةَ وَأَخُذُ نِصْفَ دِرْهَمٍ . وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

مَا جَعَفَرُ لِأَبِيهِ وَلَا لَهُ بِشَبِيهِ
أَضْحَى لِقَوْمٍ كَثِيرٍ فَكُلُّهُمْ يَدَّعِيهِ
فَذَا يَقُولُ بُنَيٌّ وَذَا يَخَاصِمُ فِيهِ
وَالْأُمُّ تَضْحَكُ مِنْهُمْ لِعِلْمِهَا بِأَبِيهِ^(٢)
وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُو حَيَّةَ الثَّمِيرِي^(٣) ، أَجَنٌّ مِنْ جُعَيْفِرَانَ وَكَانَ أَشْعَرُ النَّاسِ
وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

أَلَا حَيٌّ أَطْلَالَ الرَّسُومِ الْبَوَالِيَا لِبَسْنِ الْبَلَى مِمَّا لِبَسْنَ اللَّيَالِيَا
وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَقُولُ :
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمْلُ التَّقَاضِيَا
وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

فَارْخَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولِينَ كَفٍ وَمِغْصَمٍ^(٤)

(١) القصة برمتها في «الأغاني» : الأصفهاني مج ٢٠ ص ١٤٧ .

وانظر «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ٢ ص ٢٢٧ .

(٢) نفسه تحقق هارون مج ٢ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٣) أبو حية الثميري هو الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير . . . شاعر جيد مقدّم من مخضرمي
الدولتين الأموية والعباسية . وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً . من سكان البصرة . كان أهوج جباناً
بخيلاً كذاباً . وقيل إنه كان يصرع .

«الأغاني» : للأصفهاني مج ١٦ ص ٢٣٦ - ٢٣٩ .

«العقد الفريد» : لابن عبد ربه مج ٦ ص ١٦٤ - ١٦٥ .

«خزانة الأدب» : البغدادي مج ٣ ص ١٥٤ .

(٤) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ٢ ص ٢٢٩ .

وبباب المسجد مجنونة تصفق لقاض وتقول:

أَرْقَ عَيْنِي ضُرَاطُ الْقَاضِي هَذَا الْمَقِيمُ لَيْسَ ذَاكَ الْمَاضِي^(١)
كما أورد الجاحظ قول مجنون بني عامر^(٢):

أَغْقِرْ مِنْ جَرًّا كَرِيمَةً نَاقَتِي وَوَضِلِّي مَفْرُوشَ لِيَوْضِلِ مُنَازِلِ
إِذَا جَاءَ قَعْقَعَنَ الْحُلِيِّ وَلَمْ أَكُنْ إِذَا جِئْتَ أَرْجُو صَوْتَ تِلْكَ الصَّلَاحِلِ
وَلَمْ تُغْنِ سَيْجَانُ الْعِرَاقَيْنِ نُفْرَةً وَرُقُشُ الْقَلْنَسِيِّ بِالرُّجَالِ الْأَطَاوِلِ^(٣)

نكتفي بهذا القدر من غايات الجاحظ في «البيان» التي صورها بشواهد الشعرية أحسن تصوير ليظهر أهميتها، فجاء كتابه موسوعة، وصورة عن عصر، وتاريخاً للأجيال، نقرأ فيها حوادث وأحوالاً يعجز المرء في عصرنا عن تخيلها. فما بالك بما سيقرأ عن عصرنا في المستقبل؟

فشاهد الجاحظ الشعرية وسيلة من وسائل عرض غايات أبي عثمان، خدمت أهدافه وطبعته في الأذهان ليكون «البيان والتبيين» مرجعاً متداولاً عبر العصور.

(١) نفسه «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ٢٣١.

(٢) هو قيس بن الملوّح وقيل ابن معاذ، لم يكن مجنوناً ولكن كانت فيه لومة كلومة أبي حية التميمي ولكنها لومة العشق لليلي. وسبب عشقه أنه أقبل على ناقة كريمة فمر بامرأة من قومه يقال لها كريمة، وكانت ليلي بين جماعة النسوة التي يتحدثن إليها.

نزل قيس ونحر لهنّ ناقته وحدثهن طيلة النهار فَمَالَ قلبه لليلي، ثم أتى فتى عليه بُزْدَةٌ من بُرود الأعراب فترك قيساً والتحقن به. فغضب وقال تلك الأبيات.

«الأغاني»: الأصفهاني مج ٢ ص ٥ - ١٤.

(٣) السيجان: الطيالة وأحدها ساج السود، مفردها طيلسان.

والرُقش جمع أرقش ورقشاء وهو ما فيه نقط من بياض وسواد. والقَلْنَسِي بكسر السين وفتحها: جمع قَلْنَسَةٍ.

انظر «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ٩٨ - ٩٩.

الشعر والشعراء في البيان والتبيين

لَهَجَ «البيان» بذكر الشعر والشعراء، لأنهما مُرْتَكِزُهُ وَمُخَوِّرُهُ الذي من خلاله أنار الجاحظ طريقه وَعَبَّأَهُ، لهذا كان دور الشعر هاماً في «البيان» وشاهداً أساسياً على غايات الجاحظ.

فكيف تعامل معهما في كتابه^(١)؟

غَصَّبَت الجاهلية بالشعراء، حتى جِئْتَ حولهم الخرافات، ولم يصلنا إلا أخبار القليل لانعدام التدوين والاعتماد على الرواية.

«ولم يزل الشعر ديوان العرب في الجاهلية لأنهم كانوا أميين، ولم تكن الكتابة إلا لأهل الحيرة ومن تعلم منهم. فإنما حفظت مآثرها وأخبار أوائلها ومذكور أحسابها ووقائعها ومستحسن أفعالها ومكارمها بالشعر الذي قيل فيها ونقله الرواة عن شعرائها».

وللشاعر مقام رفيع، وكان مقدماً، في الجاهلية، على الخطيب.

قال الجاحظ: «وكان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب...»^(٢).

من هنا نفهم اهتمام العرب بأسواقهم الشعرية في الجاهلية والإسلام، وما

(١) «نقد النثر»: قدامة بن جعفر. ص ٧٩.

(٢) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون ج ٤ ص ٨٣.

سوق عُكاظ والمِرْبَد والكِنَاسَة في الكوفة إلا منتديات للتباري والتباهي في توليد المعاني واستخراج رقيق الألفاظ، مع حفظ جوهرها، وبيان العيوب والمزايا، والمفاخرة والمدح والهجاء والرثاء وغير ذلك من فنون الشعر وأغراضه المتنوعة.

قال ابن سلام: وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم لسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تَثَقَّفُهُ العين، ومنها ما تَثَقَّفُهُ الأذن، ومنها ما تَثَقَّفُهُ اليد، ومنها ما يَثَقَّفُهُ اللسان، من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصفة ولا وزن دون المُعَايَنَة ممن يبصره^(١).

وتَعَامَلُ الجاحظ مع الشعر والشعراء في «البيان والتبيين» نهج في التاريخ^(٢) والتعليم.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان الشعر عِلْمَ قومٍ لم يكن لهم عِلْمٌ أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولَهَيْت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يَثْلُوا إلى ديوان مُدَوِّن ولا كِتَاب مَكْتُوب فَأَلْغَوْا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه أكثره^(٣).

ومن أسباب فتور الشعر إبان الدعوة الإسلامية، تحدي القرآن الكريم الشعراء والبلغاء والفصحاء بأن يأتوا بسورة من مثله.

فلمسوا أن القرآن الكريم ليس بشعر، بل معجزة أعجزت الشعراء

(١) «طبقات فحول الشعراء»: محمد بن سلام الجمحي. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٠ ص ٦.

(٢) تدوين الأشعار وذكر الشعراء خلود لهم جميعاً وكشف عن مواقفهم وآرائهم وطريقة عيشتهم وتقاليدهم، وإظهار لمقدرتهم اللغوية، وعرض لأذواقهم وأخلاقهم. فهو تاريخ لحالات ذلك العصر.

(٣) «طبقات فحول الشعراء»: محمد بن سلام الجمحي ص ١٧.

وغيرهم. عند ذلك أَوَّلَ البعض ما جاء في التنزيل وحَسِبُوا أَنَّ الشعر مكروه أو مُحَرَّم فاعرضوا عن الشعر والشعراء^(١).

وسرعان ما عادوا إليه واستعملوه سلاحاً للذود عن الدعوة الإسلامية رداً على السفهاء والمشركين، وللذود عن شخص النبي الكريم، بما تعرض له من الأذى، ومما شجعهم على استعماله، رؤيتهم ارتياح نبيهم له واستحسانه.

روى الجاحظ أَنَّ ليلَى بنت النضر بن الحارث بن كلدة^(٢) عرضت للنبي ﷺ وهو يطوف بالبيت. استوقفته وجذبت رداءه، وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها: من أبياتها:

قسراً يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَباً رَشَفَ الْمُقَيَّدُ وَهُوَ عَانٍ مُوثِقُ
أَمَحَمْدُهَا أَنْتَ ضَنْءٌ نَجِيَّةٍ فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُغْرِقُ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْمُخْنَقُ
فَالنُّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ تَرَكْتَ قَرَابَةً وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِشْقٌ يُغْتَقُ
قال رسول الله ﷺ: «لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته»^(٣).

وقال الجرجاني: وأما ارتياحه ﷺ للشعر واستحسانه له فقد جاء فيه الخبر، من وجوه ذلك حديث النابغة الجعدي^(٤). قال أنشدت رسول الله ﷺ قولي:

بلغنا السماء مجدنا ووجدودنا وإننا لنرجو فوق ذلك مظهرا

(١) «العمدة»: لابن رشيق مج ١ ص ٣١.

(٢) انفرد الجاحظ في «البيان والتبيين»: من بين المصادر بتسمية ابنة النضر بن الحارث باسم ليلَى. وقد ذكرت باسم قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة... قال الواقدي: هي التي قالت الأبيات في رسول الله ﷺ لما قَتَلَ أباهَا، النضر بن الحارث، يوم بدر.

«العقد الفريد»: لابن عبد ربه. ج ٣ ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

«الإصابة في تمييز الصحابة»: ابن حجر ج ٤ ص ٣٧٨ رقم ٨٨٩.

(٣) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٤ ص ٤٣ - ٤٤.

(٤) انظر ترجمته في ص ٢١٩ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٣.

فقال النبي عليه السلام : أين المظهر يا أبا ليلى؟

فقلت : الجَنَّة يا رسول الله .

قال أجل إن شاء الله . ثم قال أنشدني : فأنشدته من قولي :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادِرُ تحمي صفوه أن يُكَدِّرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلِيم إذا ما أورد الأمر أضدرا

قال عليه السلام : أجدت ، لا يَفْضُضُ الله فاك... (١) .

وقال معاوية بن أبي سفيان : يجب على الرجل تأديب ولده ، والشعر
أعلى مراتب الأدب (٢) .

وكان ابن عباس يقول : إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في
أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب (٣) .

والذي اضطرنا إلى الإطالة في الكلام على الشعر وتأثيره في الجاهلية
والإسلام أهميته البالغة لأنه ديوان العرب ، ومن بليغ اهتمام الجاحظ به ، جعل
كتابه «البيان والتبيين» . مزبداً آخر يطوف به مع الشعر والشعراء ، فيطلق لذاكرته
العنان لتصدق بشواهد تبلور غاياته .

فهل من وسيلة أفضل وأشرف؟

كيف طرق الجاحظ الشعر؟ وكيف تعامل مع الشعراء في كتاب «البيان»؟

قال الجاحظ : وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام (٤) .

فالشعر وزن ، والوزن لحن ونغمة ، ومن هذه الموسيقى يعزف الشاعر
مقطوعته في الحقل الذي يرتثيه ، حتى إذا تم له ذلك وشئف الأسماع حُكِمَ له

(١) «دلائل الإعجاز» : الجرجاني ص ١٧ - ١٨ .

(٢) «العمدة» : ابن رشيق مج ١ ص ٢٩ .

(٣) نفسه مج ١ ص ٣٠ .

(٤) «البيان والتبيين» : تحق هارون مج ٣ ص ٢٨ .

بالتقدم. والشاعر إنما يأتي بقوله رغبة وشهوة، وعندما تفيض نفسه وتتحرك مشاعره يصدر لحنه ويشفي النفوس.

وللشعر وقع خاص في الضمير، وتأثير فاضح في النفس، ولا يجبر الشاعر على قوله حتى لا يفقد رونقه وتموت موسيقاه لذلك قال الفرزدق^(١):
«أنا عند الناس أشعر العرب ولربما كان نزغ ضرس أيسر عليّ من أن أقول بيت شعر»^(٢).

انتقى أبو عثمان شعراءه في «البيان»، فلم يدع للغث منهم مكاناً عنده، وجاء كتابه لخاصتهم ولبلوغ قولهم حتى لا تعلقوا على شواهد شواهد. فذكر ما يُستحب في زيّ الشاعر عند مواجهة بعض الخلفاء: «دخل العُماني^(٣) الراجز على الرشيد لينشده شعراً، وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج فقال:
إياك أن تشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور، وخفان دمالقان»^(٤).

ووصف بدقة كيف بنى بعض الشعراء قصائدهم: «ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كزيتاً»^(٥) وزمناً طويلاً يردد فيها نظره ويُجبل فيها عقله، ويُقلب فيها رأيه، اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه فيجعل عقله، زماناً على رأيه، ورأيه عياراً على شعره، إشفاقاً على أدبه وإحرازاً لما خوله الله تعالى من نعمته^(٦)، ثم صنفهم إلى طبقات أربع:

-
- (١) انظر ترجمته في ص ١٢٧ من هذا الكتاب.
 - (٢) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ١٣٠.
 - (٣) العماني الفقيمي: هو محمد بن ذؤيب. ولم يكن من أهل عمان، ولكن نظر إليه دكين الراجز فقال: من هذا العماني؟ وذلك أنه كان مصفراً مطحولاً وكذلك أهل عمان.
 - انظر بقية أخباره في «الشعر والشعراء»: ابن قتيبة ص ١٧٦.
 - (٤) الدمالق: المستدير. والمدملق من الحجر ومن الحافر: الأملس المدور.
 - «لسان العرب»: ابن منظور. مادة مدق ج ١ ص ١٠٥.
 - «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٩٥.
 - (٥) سنة كزيت وحول كزيت أي تام العدد وكذلك اليوم والشهر.
 - «لسان العرب»: ابن منظور. مادة كرت مج ٢ ص ٧٨.
 - (٦) «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ٢ ص ٩.

«والشعراء عندهم أربع طبقات: فأولهم الفحل الخنديذ^(١)، والخنديذ هو التام، ودون الفحل الخنديذ: الشاعر المُفْلِقُ، ودون ذلك الشاعرُ فقط، والرابع الشُّعْرُور^(٢)».

وسمعت بعض العلماء يقول: طبقات الشعراء ثلاث: شاعر وشويعر وشُّعْرُور^(٣).

ومَثَّل بالشويعر بمحمد بن حُمران بن أبي حُمران^(٤) ولم يُمَثَّل بالشعروور، ومعظم شواهد الجاحظ في «البيان» للفحول.

قال الجاحظ: وزعم ناس أن الخنديذ من الخيل هو الخصي، قال البرجمي^(٥): وخناديذ خصيةٌ وفُحُولًا^(٦).

وكشف الجاحظ عن معاني كلامهم فأطلق أحكامه فيهم. قال في معاني ثُمَامَة^(٧): وما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي، كان بلغ من حُسْنِ الإفهام مع قِلَّةِ عدد الحروف، ولا من سُهولة المخرج مع السلامة من التكلُّف، ما كان بلغه.

-
- (١) الخنديذ: هو الشاعر المجيد، المُتَّقِح المُفْلِق.
- «لسان العرب»: ابن منظور. مادة خند مج ٣ ص ٤٨٩.
- (٢) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ٩.
- (٣) الشعارير واحدها شُعرور وهي صغار القِثَاء. والقِثَاء: الخيار، وقيل لعب الأطفال.
- «لسان العرب»: ابن منظور. مادة. قثأ مج ١ ص ١٢٨.
- ومادة. شعر مج ٤ ص ٤١٦.
- وتلطف بالرجوع إلى «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ١٠.
- (٤) محمد بن حُمران بن أبي حُمران، هو ربيعة بن مالك الجعفي المعروف بالشويعر.
- «خزانة الأدب»: البغدادي مج ٢ ص ٢٤ - ٢٥.
- «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ١٠.
- (٥) هو خُفاف بن ندبة، وندبة أمه، وهي امرأة سوداء، وخُفاف أحد فرسان قيس ومن شعرائها المشهورين وأحد أغربة العرب أي سودانهم لأنه كان أسود حالكاً.
- «خزانة الأدب»: للبغدادي مج ٢ ص ٤٧٢ - ٤٧٣.
- (٦) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ١١.
- (٧) انظر ص ٩٣ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٣.

وكان لفظه في وزن إشارته، ومعناه في طبقة لفظه، ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك^(١).

وكان يقال عن الخطيئة^(٢): عبدٌ لشعره. فعاب شعره حين وجده كله متخيراً منتخباً مستويّاً لمكان الصنعة والتكليف والقيام عليه^(٣).

ثم ذكّر كثيراً من الشعراء المطبوعين من المولّدين وقال إن بشاراً أطبعهم كلهم^(٤). كما سُمّي من كان يجمع بين الخطابة والشعر والبيان، ككُلثوم بن عمرو العتّابي^(٥) وعلى حدّوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلّف مثل ذلك من شعراء المولّدين كنحو منصور الثمريّ ومُسلم بن الوليد الأنصاري^(٦).

وكان العتّابي يحتذي حذو بشار في البديع. ولم يكن من المولّدين أصوب بديعاً من بشار^(٧) وابن هرمة^(٨).

ثم يوزع الجاحظ أحكامه على الشعر والشعراء: قال: «ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب»^(٩) وكالحُلّ والمعاطف والديباج والوشي وأشباه ذلك^(١٠)، وضرب الأمثال.

(١) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ١١١.

(٢) انظر ص ٢٦٦ من هذا الكتاب. حاشية رقم ١.

(٣) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ٢٠٦.

(٤) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ٥٠.

(٥) انظر ص ١٢٦ من هذه الرسالة. حاشية رقم ٢.

(٦) انظر ترجمتها في ص ٢٦٠ هذا الكتاب حاشية رقم ١ و ٢.

(٧) انظر حاشية رقم ٣ في ص ١٢٠ من كتابنا.

وتلطف بالرجوع إلى «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ٥١.

(٨) إبراهيم بن علي: (ت ١٠٨٣هـ / ١٦٧١م). أبو إسحاق. شاعر غزل من سكان المدينة ومن

مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. «الأعلام»: الزركلي مج ١ ص ٥٠.

(٩) البُرود من الثياب. قال ابن سيده: البُرود ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي. والجمع أبرادٌ وبُرود. والعَصَب: الطيّ الشديد.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة. برد مج ٣ ص ٨٧.

ومادة. عصب مج ١ ص ٦٠٢.

(١٠) «البيان والتبيين»: تحقّ هارون مج ١ ص ٢٢٢-٢٢٦.

ويرى أن بعضهم أصاب مقادير الكلام. ومن تشابهه الرائعة في إصابة مقادير الكلام: ليس طيبُ الطعام بكثرة الإنفاق وجودة التوابل، وإنما الشأن في إصابة القدر^(١).

ويتحدث عن الشعر بصورة عامة، فيُبين الطرق التي يتميز بها الشعر الجيد من الشعر الرديء، كأنه صائغ ينقد الدينار:

إذا كان الشعر مُستكرهاً، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات^(٢). وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مُرضياً موافقاً كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة.

وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان^(٣).

ويتنقل إلى تأثير الشعر في النفوس، فيظهر تأثيره على الأعراب وخوف القبائل والأشراف من الهجاء.

«كان الرجل من بني نُمَيْر إذا قيل له ممن الرجل؟ قال نميري كما ترى. . .
فما هو إلا أن قال جرير^(٤)»:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

-
- (١) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٢٢٧.
(٢) العلة: الضرة. وأبناء علات: يُستعمل في الجماعة المختلفين.
«لسان العرب»: ابن منظور. مادة علل. مج ١١ ص ٤٧٠.
(٣) الدهن معروف: دهن دهناً: بله.
والاسم الدهن والجمع دهان وأذهان.
«لسان العرب»: ابن منظور. مادة دهن مج ١٣ ص ١٦٠ - ١٦١.
«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ٦٦ - ٦٧.
(٤) انظر ترجمته في ص ١٣٦ حاشية رقم ٢ من كتابنا.

حتى صار الرجل من بني ثُمير إذا قيل له ممن الرجل؟

قال: من بني عامر^(١)؟

قال الجاحظ: وهذه القبائل فيها فضل كثير وبعض النقص. فمحق ذلك الفضل كله هجاء الشعراء^(٢).

ثم يستطرد بقوله: ومما يدل على قدر الشعر عندهم بكاء سيّد بني مازن: مخارق بن شهاب^(٣) حين أتاه محرز بن المكعبر العنبري^(٤) الشاعر فقال: إن بني يربوع أغاروا على إبلي فاسع لي فيها؟

فقال: وكيف وأنت جار وزدان بن مخرمة؟ فلما ولّى محرز محزوناً بكى مخارق حتى بل لحيته، فقالت له ابنته: ما يبكيك؟ فقال وكيف لا أبكي وقد استغاثني شاعر من شعراء العرب ولم أغثه؟

والله لئن هجاني ليفضّحني قوله، ولئن كف عني ليقْتُلَنِي شُكْرُهُ!

ثم نهض فصاح في بني مازن فرُدّت عليه إبله^(٥).

(١) عامر: اسم وقد سُمّي به الحي والقبيلة. وعُمَرَ معدول عنه في التسمية ونمير أبو قبيلة من قيس وهو نمير بن عامر بن صعصعة.

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة. عمر مج ٤ ص ٦٠٨. وج ٥ ص ٢٣٦.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٤ ص ٣٥ وص ٣٨.

(٢) نفسه مج ٤ ص ٣٦.

(٣) مخارق بن شهاب: أحد بني خزاعة بن مالك... وقيل ابن قيس التميمي. ذكره المرزباني ونقل عنه دعبل أنه شاعر إسلامي وأبوه أيضاً شاعر.

كانت بكر بن وائل أغارت في الجاهلية على بني ضبة فاستأقت إبلها، فاستنجدت بمخارق، فاستصرخ قومه واستنقذ الإبل.

«ذيل الإمالي»: القالي ص ٥٠ «الإصابة في تمييز الصحابة»: العسقلاني ص ٤٥٥ رقم ٨٣١٨.

«الحيوان»: للجاحظ. تحق هارون مج ١ ص ٣٦٤.

«معجم الشعراء»: في لسان العرب للأيوبي ص ٣٢١ رقم ١١٤٧.

(٤) هو محرز الضبي، شاعر جاهلي من بني ربيعة بن كعب بن ضبة.

«الأعلام»: الزركلي مج ٥ ص ٢٨٤.

(٥) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٤ ص ٤١ - ٤٢.

وعن مكانة الشعر، وخوف الأسياد من الهجاء، لأن وقعته على النفس أشد من ضرب الحسام، قالوا في التحذير من ميسم الشعر ومن شدة وقع اللسان، ومن بقاء أثره على الممدوح والمهجو، قال امرؤ القيس بن حجر^(١):

ولو عن ثثا غيره جاءني وجرح اللسان كجرح اليد^(٢)
وقال طرفة بن العبد^(٣):

بحسام سيفك أو لسانك والـ كليم الأصيل كأزغب الكلم^(٤)
وبعد تشريح الشعر والتفقه في معانيه، خرج بمعادلة تشمل أغراضه وأهدافه، فقسّمه طبقاً لمعاني الشعراء وذكر القول المحمود والشعر الجيد فقال:
«وفي بيوت الشعر الأمثال والأوابد، ومنها الشواهد ومنها الشوارد»^(٥).

قال ابن سلام: «ولم يكن لأوائل العرب من الشعراء إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم»^(٦).

-
- (١) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي، من الطبقة الأولى.
وأمر شعراء الجاهلية كان يأخذ شيئاً معلوماً من بني أسد فامتنعوا عليه، سار عليهم وأخذ سرواتهم وقتلهم بالعصي فسموا عبيد العصي.
طرده أبوه، لشعره الفاضح بفاطمة، التي كان يعشقها، ولما قُتل أبوه قال: ضيّعني صغيراً وخمّلني دمه كبيراً، لأضحو اليوم ولأسكر غداً.
اليوم خمر وغداً أمر. ثم آلى على نفسه الامتناع عن اللحم والخمر حتى يثار لأبيه.
«الشعر والشعراء»: لابن قتيبة ص ١٦ - ٢٠.
«الفهرست»: لابن النديم ص ٢٢٣.
«شرح المعلقات السبع»: للزرزني ص ٥.
«طبقات فحول الشعراء»: لابن سلام الجمحي ص ٢٠.
(٢) «الثثا: الخبر الحسن أو السيء».
(٣) انظر «البيان والتبيين»: الجاحظ. تحقق هارون مج ١ ص ١٥٦.
(٤) انظر ص ٢٢٨ من هذا الكتاب. حاشية رقم ١.
(٥) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ١٥٦.
(٦) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٢ ص ٩.
(٦) «طبقات الشعراء»: لابن سلام ص ٨.

وقال الجاحظ: «إنما الشعر المحمود كشعر النابغة الجعدي ورؤية». و«خير الشعر الحولي المُحَكَّك»^(١).

ونرى أحكامه تتوالى عن طبيعة الشعر ووظيفته ونوعه ومعاني أبياته إلى أهدافه وأغراضه ونقده، لأن التصنع والتكسب به، وإن كان الشعر صنعة، يحط من قدر الشاعر وشعره:

«ومن تكسب بشعره التمس به صلات الأشراف والقادة، وجوائز الملوك والسادة، في قصائد السَّمَاطِين»^(٢)، وبالأطوال التي تُنشد يومَ الحفل، لم يجذُ بدأ من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما^(٣)...

(١) المُحَكَّك من الحُكَاك: ما حَكَّ من شيء على شيء فخرجت منه حُكاكة.

(والشعر المُحَكَّك: المُخْرَجُ منه ما يُبْهِتُ جَمَالُهُ).

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة حَكَك مج ١٠ ص ٤١٣.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ١٣.

(٢) والمُسَمَّط من الشعر: أبيات مشطورة تجمعها قافية واحدة. وقيل: المُسَمَّط من الشعر ما قُفِّي

أرباع بيوته وسَمَّط في قافية مخالفة، يقال قصيدة مُسَمَّطَةٌ وبِمِطَاطٍ كقول الشاعر:

وشبيهه كالقَسِيمِ غَيْرُ سُودَ اللَّمَمِ
داوَيْتُهَا بِالكَثْمِ زُوراً وبُهْتَاناً

وقال الليث: الشعر المُسَمَّط الذي يكون في صدر البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مُقفاة،

ويجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيدة، حتى تنقضي... وأورد ابن بري مُسَمَّط امرئ القيس:

توهمت من هند معالم أطلال
عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي
مربع من هند خلث ومصايف،
يصيح بمغناها صدى وعواذف
وغيرها هوج. الرياح العواصف،
وكل مسيف ثم آخر رادف
بأسخم من نوء السماكين هطال

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة سمط. مج ٧ ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٣) وتمة كلام الجاحظ في «البيان»: فإذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود،

ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثل تديبرهم في طوال القصائد في صنعة طوال الخطب، بل كان

الكلام البائت عندهم كالمفتضب (المرتجل) اقتداراً عليه، وثقة بحسن عاده الله عندهم فيه.

وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معازم التدبير ومهمات الأمور ميثوه في صدورهم=

وأغراض الشعر وغاياته كثيرة، فتح الجاحظ بابها في «البيان» وساق أمثلة وشواهد على مختلف أنواعها.

ومن أهدافه المدح. قال الشاعر:

فإن في المجد همتي وفي لغتي غلويةً ولساني غير لحن^(١)
وفيما مدحوا به الأعرابي إذا كان أديباً، أنشدني ابن أبي كريمة، أو ابن كريمة واسمه الأسود:

ألا زعمت عفراء بالشام أني غلامٌ جوارٍ لا غلامٌ حروبٍ
واني لأهذي بالأوانس كالدمى واني بأطراف القنا للعبوبٍ
واني على ما كان من عنجبهيتي ولؤثة أعرابيَّتي لأديب^(٢)
قال الجاحظ: والذين هَجَّوا فوضعوا مِنْ قَدْرِ من هجوه، ومدحوا فرفعوا مِنْ قَدْرِ مَنْ مدحوا، وهَجَّاهم قومٌ فَرَدَّوا عليهم فأفحموهم، وسكت عنهم بعضٌ مَنْ هجَّاهم مخافة التعرُّض لهم، وسكتوا عن بعض مَنْ هجَّاهم رغبةً بأنفسهم عن الرد عليهم^(٣)..

وذكر رثلاً من الشعراء الإسلاميين والجاهليين، مُطْلِقاً فيهم حُكْمَهُ^(٤) ومثَّل لشعرهم.

= (ذلوله ولينوه وقيل يتيوه) وقيدوا على أنفسهم، فإذا قومه الثُقات وأدخل الكبير وقام على الخِلاص (الفعل الذي يكون أسفل) أبرزوه مُحَكَّكاً مُتَّفَاحاً، ومُصَفَّى من الأدناس مُهَذَّباً.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٢ ص ١٣ - ١٤.

(١) لم يذكر اسمه. «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٦٧.

(٢) في البيتين الأخيرين إقواء ظاهر. واللؤثة بالضم: الاسترخاء والبطء. ورجل فيه لؤثة: أي استرخاء وحمق وهو رجل ألوث. والمقصود بالأديب هنا: المهذب.

لم أعر على ترجمة الشاعر، كذلك لم ينوه المحقق إليه في «البيان».

«لسان العرب»: ابن منظور. مادة لوث. مج ٢ ص ١٨٥.

«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٣) نفسه. مج ٤ ص ٨٣.

(٤) نفسه. مج ٤ ص ٨٣ - ٨٧.

وقال الشاعر يهجو قوماً آخرين :

وسوف يزيدكم ضعة هجائي كما وَضَعَ الهجاءُ بني ثَمِير^(١)
أُسِرَ رُؤبة^(٢) في بعض حروب تميم فَمُنِعَ من الكلام - وقيل إنهم شذُّوا
لسانه بُسْعَةً خوفاً من شعره - فجعل يصرخ يا بني تميم أطلقوا من لساني^(٣) . لم
يطلب إطلاق سراحه ، لأن لسانه في الشعر أخطر .

وقال بعض المولدين :

وللشعر أَلْسِنَةٌ جِدَادٌ على العَوْرَاتِ مُوفِيَةٌ دليلاً^(٤)
وعَبَّرَ ابن هَرَمَةَ^(٥) عن قيمة الشعر ووزنه بقوله :

إني امرؤ لا أصوغ الحلي تَعْمَلُهُ كَفَّاي ، لكن لساني صائغُ الكَلِمِ^(٦)
وفي الرثاء قال الحُسين بن مُطَيْرِ الأَسدي^(٧) :

فيا قبرَ معنٍ كنت أَوَّلَ حُفْرَةٍ من الأرض خُطَّتْ للمكارم مَضْجَعَا
فلما مضى معن مضى الجودُ وانقضى وأصبح عَرْنينُ المكارمِ أَجْدَعَا^(٨)

(١) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ٤ ص ٣٥ .

(٢) انظر ص ١٨٩ من هذا الكتاب . حاشية رقم ٤ .

(٣) النسخ : سير يُضْفَرُ على هيئة أَعْنَةِ الثَّعَالِ تُشَدُّ به الرُّحَالُ والجمع أُنْسَاعٌ ونُسُوعٌ والقطعة منه نُسْعَةٌ .

«لسان العرب» : ابن منظور . مادة . نسع مج ٨ ص ٣٥٢ .

وانظر «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ٤ ص ٨ . وج ١ ص ٢١٤ .

(٤) نفسه مج ١ ص ١٥٩ .

(٥) انظر ص ٣٨٢ من هذا الكتاب حاشية رقم ٥ .

(٦) «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ١ ص ١٦٠ .

(٧) الحسين بن مُطَيْرِ : (ت ١٦٩هـ / ٧٨٥م) . الأَسدي ، ابن مُكَمَّل مولى بني أسد من خزيمة ثم لبني

سعد . كان جدُّه مُكَمَّل عبداً فأعتقه مولاؤه . والحسين شاعر متقدم في القصيد والرجز ، من

مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . وكان زِيَّه وكلامه كزِّي أهل البادية وكلامهم .

«الأغاني» : الأصفهاني مج ١٥ ص ٣٣١ - ٣٣٨ . «خزانة الأدب» : للبغدادي مج ٢ ص ٤٨٥ - ٤٨٨ .

«الأعلام» : الزركلي مج ٢ ص ٢٦٠ .

(٨) تجد قصة هذه الأبيات «الأغاني» : الأصفهاني مج ١٥ ص ٣٣٦ .

وتلطف بالرجوع إلى «البيان والتبيين» : تحقق هارون مج ٤ ص ٨٤ .

ومن الشعر الحكيم قول الشاعر:

وَمَنْ يُبْقِ مَالاً غُدَّةً وَصِيَانَةً فلا الْبُخْلُ مُبْقِيهِ ولا الدهرُ وإِفره
ومن يكُ ذا عودٍ صليب يُعْدُهُ ليكسرَ عود الدهر فالدَّهرُ كاسِرُهُ^(١)

وقال الشاعر:

الرِّزْقُ يَأْتِي قَدْرًا عَلَى مَهْلٍ والمرءُ مطبوعٌ عَلَى حُبِّ الْعَجَلِ^(٢)

ومن التَّطَرُّفِ والفكاهة قول أبي نواس^(٣):

أَتَتَّبِعُ الظُّرَفَاءَ أَكْتُبُ عَنْهُمْ كيما أُحَدِّثَ مَنْ أُحِبُّ فيضحك^(٤)

ووصف الشاعر ناقة فقال:

خرقاء إلا أنها صَنَاعِ^(٥)

وقال ذو الرُّمَّة^(٦) واصفاً مُتَغَزِّلًا:

حوراءُ في دَعَجٍ، صفراءُ في نَعَجٍ كأنها فضة قد مَسَّها ذهبُ^(٧)

كما استشهد بالشعر الوُعَاظُ^(٨) والثُّسَاكُ^(٩).

وذكر أبيات شعر تصلح للرواية والمذاكرة^(١٠).

(١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون، . مج ٤ ص ٩١.

(٢) نفسه. تحقق هارون مج ٤ ص ٦٤.

(٣) انظر ص ١٧٣ من هذا الكتاب حاشية رقم ٢.

(٤) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤ ص ٧٥.

(٥) نفسه مج ١ ص ١٥٠ وما بعدها.

(٦) هو غيلان بن عقبة (٧٧ - ١١٧ هـ / ٦٩٦ - ٧٣٥ م). أبو الحارث. ذو الرُّمَّة من مُضَرَ. أكثر شعره

تشبيب وبكاء على الأطلال. امتاز بإجادة التشبيه. توفي بأصبهان.

«الأعلام»: الزركلي مج ٥ ص ١٢٤.

(٧) الْحَوْرُ: شِدَّةُ بياض العين. والدَّعَجُ: شِدَّةُ سواد الحدقة. والتَّعَجُ: اللين قالوا لأن المرأة الرقيقة

اللون يكون بياضها بالغداة يضرب إلى الحمرة، وبالعشي يضرب إلى الصفرة.

«البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ١ ص ٢٢٥.

(٨) نفسه: تحقق هارون مج ١ ص ١١٩ - ١٢٠.

(٩) نفسه مج ١ ص ٢١٠.

(١٠) نفسه مج ٢ ص ١٨٦ - ١٩٦.

وباب شعر فيه تشبيه الشيء بالشيء^(١).

ومن فضل الشعر وأهميته قال أبو تمام^(٢).

احفظ رسائل شعر فيك ما ذهبت خواطر البرق إلا دون ما ذهب
ولا تُضغها فما في الأرض أحسن من نظم القوافي إذا ما صادفت أدبا^(٣)
ومن الأبيات الجامعة ذكر قول امرئ القيس^(٤):

أفادَ وجادَ وسادَ وزادَ وقادَ وذادَ وعادَ وأفضَلَ^(٥)
وساق أبياتاً في الخمر^(٦)، والنساء^(٧)، والشيب^(٨)، وغير ذلك من أخلاط
الشعر ومُتَخَّبه. قال الجاحظ: وقد يتملَّحُ الأعرابي بأن يُدخل في شعره شيئاً من
كلام الفارسية^(٩)، وقال أيضاً: ولم أر غاية النحويين إلا كلُّ شعرٍ فيه إعراب.

(١) «البيان والتبيين»: تحقق هارون. مج ٢ ص ٣٢٨ - ٣٣٢.

(٢) انظر ص ٢٥٧ من هذا الكتاب. حاشية رقم ٣.

(٣) جاء في الديوان: وسائل بدل رسائل في البيت الأول. و(حُبّاً) بدل أدباً في البيت الثاني.

«ديوان أبي تمام»: تحقق محمد عبده عزام مج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨. وتلطف بالرجوع إلى «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤ ص ٨٠.

(٤) امرؤ القيس (١٣٠ - ٨٠ ق هـ / ٤٩٧ - ٥٤٥ م). ابن الحارث الكندي من بني آكل المرار. يمني

الأصل من أشهر شعراء العرب الجاهليين. «الأغاني»: للأصفهاني مج ٩ ص ٧٦ - ١٠٣.

«الشعر والشعراء»: لابن قتيبة، ص ١٦ - ٢٠. «الأعلام»: الزركلي مج ٢ ص ١١ - ١٢.

(٥) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٤ ص ٥٣.

(٦) «البيان والتبيين»: تحقق هارون مج ٣ ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٧) نفسه مج ٣ ص ٣٢٨.

(٨) نفسه مج ٣ ص ٣٢٧.

(٩) تملَّح الأعرابي يدفعنا للتساؤل. هل وشى شعره بكلام الفارسية للتندر والفكاهة؟ أم للتباهي بمعرفة لغة أخرى غير لغته؟ أم هناك غاية أخرى؟

جل ما نعرف أن الأعرابي قد يُسرُّ بتوشيح شعره بكلام الفارسية، على حد قول الجاحظ. ولكن هل كل ما ورد في كلام الأعراب من ألفاظ فارسية أصبحت عربية فصيحة كما يقال؟ الحقيقة أن ألفاظاً يستخدمها الفرس في لغتهم لا نعرف بأعجميتها لأنها وردت في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ سورة يوسف، الآية: ٢. وانظر سورة طه الآية ٣ وسورة الشورى الآية ٧ وسورة الزخرف الآية ٣.

فهي إذاً من ناحيتنا عربية صرفة. وعلى سبيل المثال لا الحصر. =

ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كُلُّ شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج. ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كُلُّ شعر فيه الشاهد والمثل. ورأيت عامتهم، فقد طالت مشاهدتي لهم، لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة، وعلى الطبع المُتَمَكِّن... .

ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكُتَابِ أعم، وعلى ألسنة حُذّاق الشعراء أظهر^(١).

وخلاصة القول إنَّ الجاحظ شرح غايات الشعر عامة، وصنّف نفسه من رواة الجوهر من الكلام، ونحن نوافقه رأيه، رأي الخبير الناقد المتمكّن، واضع أسس البيان والبلاغة العربية.

وجاءت شواهد الشعرية في «البيان والتبيين» اسماً على مسمى، لأنها سَكَبَتْ سكباً أو أفرغت إفراغاً وكأنها لم تصنع إلا لتكون الشاهد الرفيع والمثل الأوحد على غاياته.

والمدّ هَش تلك الذاكرة العجيبة التي نخلت منتخب القول للمشاهير الخالدين، لتبني مُتَحَفاً أدبياً شعرياً خالداً.

ولم يَخُلْ «البيان» من استطرادات ولفطات غنية، وُضعت أيضاً لغاية، هي تثقيف القارئ وتعليمه وتسليته.

وعلى الجملة، حقق الشعر معظم غايات الجاحظ في «البيان»، بعد أن تكلم عن تاريخه وفوائده وأنواعه، وتعامل مع الشعراء تعامل الصائغ مع ذهبه،

= الزخرف: اسم سورة من القرآن الكريم (مأخوذ من زيور الفارسية بمعنى زينة) الفعل زخرف والمصدر زُخِرَف. أباريق: مفردا إبريق. قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ يَأْكُلُونَ وَأَبْرِقُونَ﴾ من سورة الواقعة وهي في الفارسية أبريز «آب ريز»: أي ما يصب الماء.

انظر «الأدب المقارن»: د. طه. ندا. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٥ ص ٧٢ - ٨١. و«البيان والتبيين»: تحق هارون مج ١ ص ١٤١ - ١٤٤.

(١) «البيان والتبيين»: تحق هارون مج ٤ ص ٢٤.

ففضل الشاعر المطبوع ونقد المصنوع. ثم صنّفهم طبقات وبيّن أهميتهم في المجتمع العربي.

انتقى نُخبة النّخبة، حتى يمثل بأقوالهم على غاياته وبذلك يكون قد حقق رسالته ليأتي بيانه في «البيان» بلاغة صرفة.

الخاتمة

بعد هذه الجولات المتأنيّة مع شواهد أبي عثمان الشعرية البلاغية، لا يسعنا إلا الشهادة بِسَمُوِّ مقامه وندرة نوعيته.

عاش الرجل حقبة طويلة من الزمن قاربت القرن، تم خلالها للدولة الإسلامية الاستقرار والازدهار والانتشار، فنهضت فيها العلوم والفنون، وظهرت الترجمة والتدوين، وأثبت الجاحظ فيها عربيته الأصيلة ومعتزليته المُرّة.

ترجم قلمه كل ما طاولته عيناه، وسمعت أذناه، حتى غدا مدون علوم البلاغة ومرجع المحدثين.

ترك إرثاً لا تقدّر قيمته، فحاز قصب السبق في مضماره لأن غاياته كانت سامية، فاستحق حسد الحاقدين على العرب.

هو مدرسة بحدّ ذاتها، عمّ ذكره الآفاق، فأحبه كل من عرفه أو سمع به أو قرأ له، وسارع أهل المعرفة للاغتراف من بحره.

ونخلص إلى أن دور الشعر في «البيان والتبيين» للجاحظ، دور مستحدث وطريقة مبتكرة، من حيث المضمون، لأنه عوّل عليه لتحقيق غاياته البلاغية وغير البلاغية.

استفتح كتابه «البيان والتبيين» بدعاء الاستعاذة كما أسمىناه، استعاذ بالله مما يمنع البيان، ثم أخذ بالشرح والتحليل مشفوعين بالشواهد الشعرية.

ولم نقع على مصنف قبل «البيان»، على حد علمنا، اعتمد دور الشعر بمعظمه، وكل ما وصل إلينا من المؤلفات، كانت نثراً صرفاً أو شعراً، إيازة هوميروس مثلاً على ضخامتها، شعرٌ، وخطابة أرسطو، نثرٌ.

والشعر ضئيل في التصانيف النثرية لم يؤد الدور المطلوب ولم يحقق مجمل أغراض الكاتب، كما حققت الشواهد الشعرية في «البيان» غايات الجاحظ البلاغية.

فإذا كان الشعر «ديوان العرب» كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فمن الطبيعي أن يُستخدم سلاحاً لمن نازل الشعرية ويُن فضل العرب عليها! ومما يلفت النظر نعت أحمد أمين لكتاب «البيان» بالفوضى التأليفية^(١).

ربما كان ذلك صحيحاً، من حيث الشكل، ولكننا نعذره ولمكانته العالية من المصنفات العربية.

هل غاب عن ذهنه أن هذه العلوم، كانت متداخلة في زمن الجاحظ، تؤدي بعضها إلى بعض في شرح أي الذكر الحكيم؟ أم أراد التغاضي عن هذه الحقيقة واتباع سنن الغرب في كل شيء؟

كان أبو عثمان يتنقل في «البيان» من غصن إلى غصن ضمن الشجرة الواحدة، ليغرد ويطرب ويعطي طابعاً شمولياً عن وحدة العلوم الإسلامية في عصره^(٢).

(١) وفي كل فصل من فصول الكتاب «البيان والتبيين»: فوضى لا تضبط واستطراداً لا يحد. «ضحى الإسلام»: أحمد أمين مج ١ ص ٣٩٢.

(٢) انظر الفصل الرابع من «مقدمة ابن خلدون»: تحقق حجر عاصي. بعنوان في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

حتى الذين تأثروا به، وهم كثير، اتبعوا طريقته في التأليف، إيماناً منهم بوحدة العلوم الإسلامية، وأكثروا من الشواهد الشعرية في تصانيفهم اعتماداً على نهجه الناجح.

كذلك المفسرون كالزمخشري والرازي والقرطبي، اعتمدوا على الشواهد الشعرية في شرح معاني بعض ألفاظ آي الذكر الحكيم.

لم تعرف الآداب العالمية القديمة استخدام الشواهد الشعرية كما استخدمها الجاحظ في «البيان». فقد فتح باباً واسعاً لمن أتى بعده، في هذا المضمار، حتى استشهدوا بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلاً
فَمِنْ أَبْدَعِ ما جودته ألمعية عمرو بن بحر «ديوان العرب». فقد أبان في كلمات قليلة ما يعتري اللسان من أمراض تخفي البلاغة وتطمس معالمها.

هذه هي الناحية الدقيقة التي دفعني للتأثر بالموضوع، حيث لم أجد أحداً قبل أبي عثمان ألف على هذا النحو.

وجملة القول في دور الشواهد الشعرية في «البيان والتبيين». أنها أدت خدمة رائدة في الكتاب لا يمكن تجاهلها أو الاستغناء عنها، لأنها وسيلة فعالة لغايات النقد والبلاغة العربية بصورة خاصة. لقد أربت الشواهد الشعرية في «البيان» على الثلاثة آلاف بيت، رسم الجاحظ خلالها لوحة خالدة لتراث الشرق وحضارته، ترجمت أحاسيسه وفنه وذوقه، وبرهنت على أن العرب ليسوا أصحاب خيم في الصحاري فقط، بل قدّموا، بعد الإسلام حضارة أدهشت العالم، لأنها ضمت ركائز العلوم والفنون والآداب والبلاغة فكانوا معلمي العالم.

من هنا موقف الجاحظ السليم في «البيان والتبيين» في وجه الشعبية، لاقتناعه بمناصرة الحق العربي المتمثل بلغة بليغة لامثيل لها.

واللافت للنظر المستوى الرفيع لهذه الشواهد الكثيرة، فقد اختارها الجاحظ كاختيار الصائغ لحلاه، شعراء مشهورين ومصنفين، وشعراً يذوب حلاوة وجمالاً، ومن كان بينهم أقل شهرة أو رتبة، فقد اقتضت الضرورة ذكره مع الشاهد والمثل وأضدادها. فلولا سواد الليل ما طلع الفجر.

رسخ الجاحظ، مع شواهد الشعرية مفهوم الأدب، كما أصّل ركائز البلاغة العربية، لأنه شرح بواسطتها أغراضاً كثيرة ظاهرة ومستترة، عوّلتنا عليها في توضيحاته البلاغية السبّاقة.

وأجاد في التمثيل على عيوب اللفظ موضحاً ومفسّراً ومؤرخاً للأدب والشعر، كما كان حكيماً معلماً في التمثيل على علوم البلاغة وأقسامها، ولكنه رسم إطارها ولم يتوسع فيها، كما عللنا ذلك في موضعه.

تمنينا عليه شروحات أوفر في «البيان والتبيين» عن علم المعاني وعلم البديع لتكتمل صورة فروع البلاغة فيه، وحتى نستغني عن الاستعانة «بالحيوان» الرديف، فلم نحظ بذلك.

ولكننا في الوقت نفسه نتفهم جيداً ظروف من تجاوز التسعين، ويشكو من النقرس والفالج، وكيف أتحف العالم بأسره بذاكرة لم يجد الزمان بمثلها.

ونعترف بأن قارئ «البيان» لا يستطيع أن يضع يده منذ الوهلة الأولى على غايات الجاحظ البلاغية، لأنها مبثوثة في «البيان» غير مكبلة بعنوان، فلا بد من التمحيص والرؤية والصبر للوصول إلى المبتغى.

وزيادة في أهمية الموضوع أفردنا فصلاً شرحنا فيه رأي أبي عثمان في الشعر والشعراء.

لقد قام الشعر بدور بارز في «البيان» فكان شاهداً حياً على أغراض الجاحظ.

ولو خلا الكتاب منه لفقد قيمته برغم أسلوبه المعجز البليغ وفكاهته، ولكان كغيره من الكتب الإخبارية التقليدية.

فالشعر موهبة وتحفة أدبية، مترامية الأطراف، يبحث في أعماق الأشياء وأسرارها، تسلح به الجاحظ في عمله الرائد ودافع عن غاياته البلاغية وغير البلاغية، فصوّر به تقاليد أمته، ورسم أطر لغته، ورَسَخ قواعدها وشرح أفكار رجالاتها، فكان كريماً جواداً، حيناً، رحب النفس، فسيح الأرجاء.

وجهدنا في عملنا لنزيد من بريق شواهد الجاحظ الشعرية في «البيان» التي تخدم أغراضه عامة، مؤمنين بنفع كل علم يوصل إلى اليقين، متوخّين الهدى والثّقى، طامعين بغفران يوم الدين.

تم بحمد الله وعونه في طرابلس ١٩٨٩/١/٣٠

محمد علي زكي صباغ

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية
- ٢ - فهرس الأحاديث الشريفة
- ٣ - فهرس الأعلام
- ٤ - فهرس الأشعار
- ٥ - فهرس الأرجاز
- ٦ - فهرس أنصاف الأبيات
- ٧ - فهرس الأماكن والبلدان
- ٨ - فهرس الأيام والوقائع
- ٩ - فهرس المصطلحات البلاغية
- ١٠ - فهرس المصادر
- ١١ - فهرس المراجع
- ١٢ - فهرس الفهارس
- ١٣ - فهرس الموضوعات

١ - فهرس الآيات القرآنية

السورة	رقمها	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	٢	بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاِذَا قُضِيَ اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ	١١٧	٢٥٦
البقرة	٢	اِنَّ الصَّٰفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللّٰهِ	١٥٨	٢٧٣
آل عمران	٣	هٰذَا بَيٰٰنٌ لِلنَّاسِ	١٣٨	٢٣١
آل عمران	٣	وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُوْنَ اِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ	١٠٤	٩٩
آل عمران	٣	فَاِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِيْنَ	١٥٩	٦٢
آل عمران	٣	اِنَّ اللّٰهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ	٤٥	٩٧
النساء	٤	فَرِيضَةٌ مِنَ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيْمًا حَكِيْمًا	١١	٧٧
الأنعام	٦	الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمٰتِ وَالنُّوْرَ	١	٢٧٨
الأنعام	٦	وَلَا تَقْتُلُوا اَوْلَادَكُمْ مِنْ اِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَاِیَّاهُمْ	١٥١	٢٧٤

السورة	رقمها	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
التوبة	٩	أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ	٧٠	٢٧٣
التوبة	٩	وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ	١٠٥	٣٠٤
هود	١١	وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ	١٠٢	١١٧
يوسف	١٢	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٢	٣٣٥
إبراهيم	١٤	وَلِإِنْ مَكَرَهُمْ لِتُرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ	٤٦	١١٩
إبراهيم	١٤	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ	٤	١١٩
إبراهيم	١٤	أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ	٩	٢٧٣
النحل	١٦	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ	٨٩	١١٩
النحل	١٦	لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ	١٠٣	١٦٤
الإسراء	١٧	وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ	٣١	٢٧٤
الإسراء	١٧	تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا	٤٤	١٦٤
طه	٢٠	إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى	٣	٣٣٥
طه	٢٠	إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى	١٢	٣١٠
طه	٢٠	وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي	٢٨	١٦٥
الأنبياء	٢١	وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ	٣٠	٣٠٩

السورة	رقمها	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الحج	٢٢	كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ	٤	٢٧٤
الحج	٢٢	وَأَن يَكْذُوبَكَ فَقَدْ كَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ	٤٢	٢٧٣
النمل	٢٧	وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ	١٦	٥٤
النمل	٢٧	وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ	١٦	١٦٣ - ١٦٤
النمل	٢٧	قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ	٣٤	٢٠
العنكبوت	٢٩	يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ	٢١	٢٧٤
الأحزاب	٣٣	فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقَوْكُمْ بِالْحَسَنَةِ جِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ	١٩	١١٩
سبا	٣٤	وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ	١٢	٢٧٤
الزمر	٣٩	إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ	٣٠	١٧٤
فصلت	٤١	فَإِن أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ	١٣	٢٧٣
الشورى	٤٢	وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ	٧	٩٩
الشورى	٤٢	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا	٧	٣٣٥
الزخرف	٤٣	إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٣	٩٧
الزخرف	٤٣	أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ	١٨	١٧٥
الزخرف	٤٣	أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ	١٨	١١٩
محمد	٤٧	وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ	٣٠	١٣٣ - ١٩٤

السورة	رقمها	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الحجرات	٤٩	إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ	١٣	٣٠٤
الرحمن	٥٥	الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ	١ - ٤	١١٨
الرحمن	٥٥	الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ	٤	٢٣١
الواقعة	٥٦	لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ	١٩	٤٥
الواقعة	٥٦	يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بأكوابٍ وأباريقٍ وكأسٍ مِنْ مَعِينٍ	١٧ - ١٨	٣٣٦
الواقعة	٥٦	لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ	٣٢	٤٦
الحديد	٥٧	وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا	٢٧	٣٠٥
الملك	٦٧	وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَاعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ	٦٧	٢٧٤
القلم	٦٨	قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ	٢٨	٢٢٧
القلم	٦٨	يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ	٤٢	٢٧٤
القلم	٦٨	وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٍ	٥١	٣١٨
القيامة	٧٥	والتفت الساق بالساق	٤٢	٢٧٤
القيامة	٧٥	وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ	٢٧	٢٧٤
التكوير	٨١	وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ	٢٢	٣١٨
المسد	١١	تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ	١	٢٦٤

٢ - فهرس الأحاديث الشريفة

رقم الصفحة	نص الحديث كما ورد
٣٢٤	أَجَدْتُ، لَا يَفْضُضُ اللَّهَ فَالْكَ .
٢٦٣	أَسْجَعُ كَسَجْعِ الْجَاهِلِيَّةِ !
٢٦٥	إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ .
٩٤	إِفْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً .
٩٤	إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتِ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ .
١٢١	إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا .
٣٢٤	أَيُّنَ الْمَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى؟ قَالَ أَجَلٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
٩٤	سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، تَزِيدُ عَلَيْهِمْ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ، إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمِلَّةُ الَّتِي تَتَغَلَّبُ؟ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي .
٩٥	سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى بَضْعٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً أَبْرَها وَأَتَقَاهَا الْفِتْنَةُ الْمَعْتَزَلَةُ .
٣٢٣	لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ شَيْعَرَهَا هَذَا مَا قَتَلْتُهُ .
٢٧٧	اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا .

رقم الصفحة	نص الحديث كما ورد
------------	-------------------

- ٢٧٩ اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَفِيهِ الْعَذَابُ .
- ٣٠٤ لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ .
- ٢٩٦ مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ: ابْنَةُ الْخَطِيبِ النَّقِيبِ الشَّهِيدِ: سَعْدُ بْنُ الرَّيِّعِ .
- ٥٤ نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ .
- ٢٦٤ هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ .

٣ - فهرس الأعلام^(١)

- الهمزة -

- إبراهيم بن المهدي : ١٦٨ .
 إبراهيم بن محمد الفزاري : ٢٧٠ .
 إبراهيم بن هانيء : ٢٨٠ - ٢٨١ .
 إبراهيم الصولي : ٦٨ .
 ابن أبي أمية : انظر حرف (م) .
 ابن أبي كريمة (الأسود) : ٣٣٢ .
 ابن أحمر : انظر حرف (ع) .
 ابن الأثير : ٢٨٨ - ٣١٠ .
 ابن الأعرابي : انظر حرف (م) .
 ابن بري : ١٩٤ - ٢١٩ .
 ابن حريز الأيادي : ٢١٨ .
 ابن خلدون : انظر حرف (ع) .
 ابن خلكان : ٤٧ .
 ابن دريد : انظر حرف (م) .
- آل المُدَبِّر : أحمد ومحمد وإبراهيم : ٤٧(*) .
 آل فرعون : ٣١٢ .
 إبراهيم (عليه السلام) : ٢٢٢ .
 إبراهيم الإمام : ١٢٤(*) - ٢٧١ .
 إبراهيم بن أدهم : ١٩٧(*) .
 إبراهيم بن سيابة : ١٣٤(*) - ٣٠٣ .
 إبراهيم بن الأشتر : ٢٠٤ .
 إبراهيم بن سيار (النظام) : ٣٢(*) - ٣٥ - ٤٥ - ٦٧ - ٩٢ - ١٠١ - ١٠٧ .
 إبراهيم بن عباس الصولي : ٦٨ .
 إبراهيم بن علي (ابن هزيمة) : ١٧٨ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٣٢٧(*) - ٣٣٣ .

(١) النجمة الموضوعة فوق الرقم تشير إلى الصفحة التي ترجم فيها العلم، والحرف الموضوع بين قوسين أمام الاسم أو الكنية... إحالة إلى قائمة الحرف الذي رتب فيه الاسم الكامل.

- ابن رشيق القيرواني : ١١٣ - ١٤٦ - الأجرد الثقفي : ٢٣٤(*) .
- ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٨٢ .
- ابن الزيات : انظر حرف (م) .
- ابن سيدة : ٢١٠ .
- ابن سلام الجمحي : ٣٢٢ - ٣٣٠ .
- ابن شبرمة : ٣٠٥ .
- ابن عباس : ٣٢٤ .
- ابن عبد قيس العنبري : انظر حرف (ع) .
- ابن عسلة الشيباني : انظر حرف (ع) .
- ابن عمر : انظر حرف (ع) .
- ابن قتيبة : انظر حرف (ع) .
- ابن كلاب : ٩٧ .
- ابن مسعود : انظر حرف (ع) .
- ابن المعتز : انظر حرف (ع) .
- ابن المقفع : انظر حرف (ع) .
- ابن ميادة : انظر حرف (ر) .
- ابن منظور : انظر حرف (م) .
- ابن النديم : ٩٦ .
- ابن وهب : انظر حرف (ح) .
- أبو الأحوص الرياحي : انظر حرف (ز) .
- أبو الأسود الدؤلي : انظر حرف (ظ) .
- أبو الأعور السلمي : انظر حرف (ع) .
- أبو بكر الصديق : انظر حرف (ع) .
- أبو البيداء الرياحي (أسعد بن عصمة) : ٢٣٤(*) .
- أبو تمام : انظر حرف (ح) .
- أبو ثمامة الضبي : ١٨٢ .
- أبو جعفر المنصور : انظر حرف (ع) .
- أبو جناح : ٣٢ .
- أبو حسان : ٥٨ .
- أبو حذيفة : ١٨٥ .
- أبو حرب الصفار البصري : ٧٦ .
- أبو حمزة : انظر حرف (م) .
- أبو حنيفة النعمان : انظر حرف (ن) .
- أبو حية النمري : انظر حرف (هـ) .
- أبو خراش الهذلي : ٢١٨ .
- أبو دبدوبة الزنجي : ١٢٣ .
- أبو دؤاد الأيادي : انظر حرف (ج) .
- أبو ذؤيب الهذلي : ٢١٨ .
- أبو الربيع العامري : انظر حرف (ع) .
- أبو رمادة : ١٩١ .
- أبو الزحف (ابن عطاء الخطفي) : ١٨٨(*) .
- أبو زيد الأنصاري : انظر حرف (س) .
- أبو ضبة : ٣٠٠ .
- أبو الطمحان القيني : انظر حرف (ح) .
- أبو العاصي : ١٩٥ .
- أبو عبيدة : انظر حرف (م) .
- أبو العباس الأعمى : انظر حرف (س) .
- أبو العباس البغوي : ٩٧ .
- أبو العباس السفاح : انظر حرف (ع) .
- أبو العباس المبرّد : انظر حرف (م) .
- أبو عثمان : انظر حرف (ع) .

- أبو عدنان: ٣٠.
- أبو علي البغدادي: ٢٢١.
- أبو عمرو (ابن علاء): انظر حرف (ز).
- أبو العيال الهذلي (أبو عتتر): ١٨٢ (*).
- أبو العيناء: انظر حرف (م).
- أبو الفرج بن نجاح بن سلمة: ٥٠ - ٧٥ - ٨٠.
- أبو الفضل (ابن العميد): انظر حرف (م).
- أبو القاسم الإسكافي: انظر حرف (ع).
- أبو قطن الغنوي: ٢١٣ (*).
- أبو قيس الأسلت: انظر حرف (ع).
- أبو منصور الأزهري: انظر حرف (م).
- أبو مسلم الخراساني: انظر حرف (ع).
- أبو مسمار العكلي (كهمس): ٢٨٩ (*).
- أبو معاذ: ٤٠.
- أبو المقدام: انظر حرف (ب).
- أبو منصور الأزهري: انظر حرف (م).
- أبو المنهال: انظر حرف (ع).
- أبو النجم: انظر حرف (ه).
- أبو نخيلة: ٢١٤ (*).
- أبو نواس: انظر حرف (ح).
- أبو الهذيل: انظر حرف (م).
- أبو هفان: ٣٣ - ٥٨.
- أبو هلال العسكري: ٢٦٨ - ٢٧٥ - ٢٧٨ - ٢٧٦.
- أبو الهندي: انظر حرف (ع).
- أبو وجزة السعدي: انظر حرف (ي).
- أبو الوزير: ٣٠.
- الأجرد الثقفي: ٢٥٥ (*).
- أحمد بن أبي دؤاد: ٣٩ - ١٠٦ (*).
- ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١٤٥ - ١٧٢.
- أحمد أمين: ٢٦ - ٨٤ - ٨٥ - ١٤٤ - ٣٤٠.
- أحمد أبو ملحمة: ٢٣٠.
- أحمد البغوي (أبو العباس): ٩٧ (*).
- ٢٠٣.
- أحمد بن حنبل: ٦٣ (*).
- أحمد بن عبد الوهاب: ٥٧.
- أحمد بن محمد بن عمر (شهاب الدين الخفاجي): ٥١ (*).
- ٦١ - ١٠٩ (*).
- أحمد بن يحيى (ثعلب): ١٠٩ (*).
- أحمد بن يحيى بن إسحاق (ابن الراوندي): ٤٩ (*).
- أحمد الرقاشي: ٢٧٥.
- أحمد الشايب: ٨٣.
- أحمد مطلوب: ٢٢٠.
- الأحنف بن قيس (أبو بحر): ١٣٢ (*).
- ١٦٧ - ٣١١.
- الأحوص الرياحي: ٣١٤.
- الأخطل: انظر حرف (غ).
- الأخفش: انظر حرف (س).
- أردشير: ٢٧١.
- أرسطو: ٣٤٠.

أزدانقاذاز : ٢٠٣.

أسامة بن المنقذ : ٢٩٧ - ٣١٠.

أسامة بن زيد : ٥٤.

إسحاق بن سويد : ٣٠٢(*).

إسحاق بن مسلم العقيلي : ٢٧١.

إسحاق الموصلي : ١١٦(*).

أسعد داغر : ٢٦.

إسماعيل (عليه السلام) : ١٣٥.

إسماعيل بن القاسم (القالبي) : ١١٤(*).

إسماعيل بن القاسم (أبو العتاهية) : ١٤٧.

١٦٨ - ١٧١ - ٢١٨ - ٢٧٤ -

٣٠٧.

الأشهب بن رميلة : ٢٣٥(*) - ٢٥٩.

الأشل الأزرق : ٢٩٤(*).

الأصمعي : انظر حرف (ع).

أعشى همدان : انظر حرف (ع).

الأعور السلمي : انظر حرف (ع).

الأعور الشنّي : انظر حرف (ب).

أغسطس قيصر : ١٧٠.

أغناطيوس كراتشقوفسكي : ٢٦٨.

أفلاطون : ١٤١.

أم أيمن : انظر حرف (ب).

امرؤ القيس : ١٣٨ - ٢٧٥ - ٣٣٠(*) -

٣٣٥.

أمية بن أبي الصلت : ١٩١.

الأمين : انظر حرف (م).

أوس بن حجر : ٢٧٥.

إياس (القاضي) : ٢١٢(*).

- ب -

الباقلاني : ٤٥.

البحثري : ١١٠ - ٢٥٧.

بديع الزمان الهمداني : ٩٠ - ١٤٦.

البرجمي : انظر حرف (خ).

البرذخت : ١٩٨(*).

بركة (أم أيمن) : ٥٤.

بشار بن برد : ١٢٠(*) - ١٤٨ - ١٥٧ -

١٦٦ - ١٧٥ - ١٨٧ - ٢٢٢ - ٢٣٩ -

٢٥٣ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٨٠ -

٣٢٧.

بشر بن غياث المريسي : ١٩٧(*) -

١٩٨.

بشر بن المعتمر : ٩٢(*) - ١٢٥ - ١٥٠ -

٢٢٦ - ٢٣٣ - ٢٩٠ - ٣١٦.

بشر بن المنقذ (الأعور الشنّي) :

١٧١(*).

بلال بن رباح الحبشي : ٢٦٦(*).

البغدادي : ٩٤ - ٩٥.

بلبع : انظر حرف (ع).

بلا (شارل) : ٤٧ - ٥٦ - ٥٨.

بيهس بن صهيب : ٣١٥(*).

- ت -

الثلب : ٣٠٩(*).

التفتازاني: ١٥٠ - ٢٠٨ - ٢٢٧.

تماضر (الخنساء): ٢١٣ (*).

التهانوني: ٢٤٥ - ٢٦٠.

تيمورلنك: ١١٣.

التمي: ١٨٩.

- ث -

ثابت بن قرة: ٩١ - ١٠٦ (*).

ثابت قطنة: ٢١٦ (*).

ثعلب: انظر حرف (الهمزة).

الثقفي (الأجرد): ٢٣٤ (*).

ثمارة بن أشرس: ٩٣ (*).

ثمود: ٢٢٢.

- ج -

الجاحظ^(١).

جارم: ٥٦.

جارية بن الحجاج (أبو دؤاد الأيادي):

٢٥١ (*).

الجرجاني: انظر حرف (ع).

الجرجاني (الشريف الحنفي).

جرجي زيدان: ٢٧ - ٤٧ - ٧٦.

جروول بن أبي أوس (الحطيئة): ٢٦٦ -

٢٦٧ - ٣٢٧ - ٣٣١.

جرير بن عبد المسيح (المتلمس):

٣١٥ (*).

جرير بن عطية: ١٣٦ (*).

١٩٨ - ٢٠٣ - ٢١٤ - ٢١٦ - ٢٢٤.

٢٢٥ - ٢٨٠ - ٢٩٠ - ٣٠٢ -

٣٢٨.

جساس بن قطيب (أبو المقدام): ٣١٣.

الجشمي: ٣١٤.

جعفر البرمكي: ٢١٥ (*).

جعيفران بن علي: ٣١٨ - ٣١٩.

جميل جبر: ٢٧ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٧ - ٦٧

- ١٤٣.

جندب: ٢٨٨ (*).

جندل الطخوي: ٢٤٨ (*).

جوهر (المهدي): ٢٧٢.

الجوهري: ٣١١.

جهم بن صفوان: ٦٦.

- ح -

الحاجري: انظر حرف (ط).

الحارث بن أسد المحاسبي: ٦٥.

الحارث بن ربيعة (القُبَاع): ٢٢٤ (*).

الحارث بن سدوس: ٣١٢ (*).

الحارث بن صخر: ٢٩٨.

حارثة بن بدر: ٢٥٣ (*).

حازم: ١٤١.

حبيب بن أوس (أبو تمام): ١٧ - ٣٩ -

(١) لم نُحَصِّ مواضعه لوروده في معظم صفحات هذا الكتاب.

- ٤٣ - ٢٥٧ - ٣١٦ - ٣٣٥(*) .
الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٣٢(*) -
١٩٠ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٦٧ -
٢٩٣ - ٢٩٥ .
حذيفة بن بدر (عوف جد جرير) : ١٦٩ .
حسان بن ثابت : ٢٥٦(*) - ٢٩٦ -
٢٩٧ .
الحسن البصري : ٩١ - ٩٥(*) - ٩٩ .
الحسن بن هانئ (أبو النواس) : ٢٦ -
١٤٨ - ١٦٩(*) - ١٩١ - ٢٧٤ -
٣٠٨ - ٣٣٨ .
الحسن بن وهب : ٣٢(*) - ١٤٦ .
حسن السندوبي : ٢٧ - ٤١ - ٤٢ - ٤٤ -
٤٥ - ٥٨ - ٦٢ - ٦٣ - ١١٥ .
حسن (أفندي) الفاكهاني : ١١٤ .
الحسين بن مطير الأسدي : ٣٣٣(*) .
الحسين بن علي : ١٣٢ .
حميد بن ثور الهلالي : ١٧٨ - ٢١٨ -
٢٨٣(*) .
حنظلة بن شرفي (أبو الطمحان القيني) :
٢٤٠(*) .
- د -
داود (عليه السلام) : ١٦٣ .
درويش : انظر حرف (م) .
دريد بن الصمة : ٢١٣(*) .
دغفل بن حنظلة : ١٢٩(*) .
ديكارت : ١٠٤ .
- ذ -
ذا جدن : ٢٤٤ - ٢٤٥ .
ذو الرمة : ٣٣٤(*) .
- ر -
الرازي : ٣٤١ .
الراعي : انظر حرف (ع) .
ربيعة بن عسل : ٣١٤ .
ربيعة بن مالك الجعفي (محمد بن
- خ -
خالد بن طليق : ٣١٧(*) .
خالد بن الوليد : ٢٦٧(*) .
خالد القسري : ١٩٨(*) .
خديجة بنت خويلد : ١٣١ .

عمران): ٣٢٦(*) .

ربيعة بن مسعود: ٢٩١(*) .

ربيعة الرأي: ١٦٥(*) - ٢٢٣ .

الرشيد: انظر حرف (هـ) .

الرقاشي: انظر حرف (ع) .

الرماح بن يزيد (ابن ميادة): ٢٣٥(*) .

رميلة: ٢٣٥ .

رؤبة بن العجاج: ١٨٢(*) - ١٨٨ -

١٨٩ - ٢٩٤ - ٣٣١ - ٣٣٣ .

ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب:

٢١٣ .

رينان: ١٠٦ .

- ز -

زبان بن عمار (أبو عمرو بن علاء):

١٢٨(*) .

زبان بن سيار: ١٧٦(*) .

الزجاج: ١٤٢ .

زكي باشا: ٤٧ .

الزمخشري: ٣٤١ .

زهير بن أبي سلمى: ١٧١ - ٢٢٦ -

٢٧٥(*) - ٣٣١ .

زياد الأعجم: ٢٠٢(*) .

زياد بن أبيه: ١٣١(*) .

زيد بن جندب: ٢٩٤(*) .

زياد بن سلمى: ٢٠١(*) - ٢٠٤ .

زيد بن عمرو (الأحوص الرياحي):

٣١٤(*) .

زيد بن الخطاب: ١٩٧ .

- س -

السائب بن فروخ (أبو العباس الأعمى):

١٧٠(*) .

سابور الأكبر: ٢٧١ .

سالم بن وابصة: ٢٢٥(*) .

ساعدة بن جويه: ٢٥٠(*) .

سانت بوث St. Beuve: ٨٥ .

سبط بن الجوزي: ٤٣(*) .

سحبان بن وائل: ١٠٦(*) .

سحيم بن حفص: انظر حرف (ع) .

سحيم عبد بني الحسحاس: ٢٠٣(*) .

سدتي: ٢٤٠ .

سعد بن الربيع: ٢٩٦(*) .

سعد بن بكر: ٢١٦ .

سعيد بن أوس (أبو زيد الأنصاري):

٣١(*) - ١٤٢ .

سعيد بن عبد الرحمن بن حسان:

٣٠٨(*) .

سعيد بن مسعدة (الأخفش): ٣١(*) -

١٤٦ .

السفاح: انظر حرف (الهمزة) .

سفيان بن الأجرد الكلبي: ١٩٠ .

سفيان بن عيينة: ٢١٥(*) .

السكاكي: ٢٤٣ - ٢٤٦ - ٢٧٥ .

- سلمان بن ربيعة .
- سلم بن قتيبة : ٢١٥ (*) .
- سلم الخاسر : ١٥ (*) .
- السندوبي : انظر حرف (ح) .
- سليمان (عليه السلام) : ١٦٤ - ١٦٤ .
- سليمان بن عبد الملك : ١٣٠ - ٣٠٥ (*) .
- سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس : ٢٩٠ .
- سليمان بن ربيعة : ٢٤٤ .
- سليمان بن هشام : ٢٩٦ .
- السمعاني : ٢٦ .
- سيمك بن حرب .
- سهل بن هارون : ٣٨ .
- سورق : ٢٠١ .
- سيبويه : ٩٢ .
- السيوطي - : ٢٢٧ - ٢٤٣ .
- ش -
- شبة بن عقال : ٢٩٠ (*) .
- شبيب بن شيبة : ١٤٩ (*) .
- شليل بن عذرة : ٢٩٦ (*) .
- الشريف الجرجاني : ٩٢ .
- شريف النشاشيبي : ١١٤ .
- شريك بن عبد الله : ١٧٢ .
- الشعبي : ٢٤٠ .
- شعيب (عليه السلام) : ٢٢٢ .
- الشماخ بن ضرار : ٢٩٩ (*) .
- شمر : ٢٤٤ .
- شهاب الدين الخفاجي : انظر حرف (الهمزة) .
- الشهابي : ٦٥ .
- الشهرستاني : ١٠١ .
- شوشي : ٢١٣ .
- شوقي ضيف : ٢١١ - ٢٥٤ - ٢٦٩ - ٢٨٠ .
- شيرويه الإسواري : ٢٠٤ .
- ص -
- صالح بن بشير المري : ١٣٥ (*) .
- صالح بن جناح (أبو جناح) : ٣٢ (*) .
- صالح بن سليمان : ٣١٥ .
- صحار العبدي : ١٤٨ (*) .
- صريع الغواني : انظر حرف (م) .
- الصعب بن علي الكنائي : ٢٤٥ .
- صفوان الأنصاري : ١٢٠ - ٢٢٢ (*) - ٢٥٣ - ٢٩٢ .
- صهيب بن سنان النمري : ٢٠٣ (*) .
- ض -
- الضبي : انظر حرف (م) .
- الضحاك بن قيس الشيباني : ٢٩٥ (*) .
- ضرار بن عمر : ١٨٥ .

ط -

عبد الجبار الإسكاف (أبو القاسم

الإسكافي): ١٠٩(*) .

عبد الحميد الأكبر: ١٢٧(*) .

عبد الرحمن بن الحارث (أعشى

همدان): ٢٤٩(*) - ٢٧٥ .

عبد الرحمن بن محمد (ابن خلدون):

٨٤ - ١١٣(*) - ١٤٢ .

عبد الرحمن بن ملجم: ١٣١ .

عبد الحكيم بليغ: ٢٠ .

عبد الرحمن بن مسلم الخراساني:

١٧١ - ٢٧١(*) .

عبد السلام محمد هارون: ٦٤ - ١١٣ -

١١٥ - ٢٣٨ .

عبد الصمد الرقاشي: ٢٦٣(*) - ٢٦٤ .

عبد العزيز بن مروان: ٢٩٣ - ٣١٧ .

عبد العزيز عتيق: ١٥٠ - ١٥٢ - ١٥٤ -

٢٥٤ - ٢٦٥ - ٢٧٧ .

عبد القاهر الجرجاني: ٢٠٨ - ٢٠٩(*) .

٢٣٢ - ٢٣٩ - ٢٤٣ - ٢٦٢ - ٢٧٩ -

٢٨١ - ٣٢٣ .

عبد الله (أبو بديع العامري): ٣١٤ .

عبد الله بن أبي قحافة (أبو بكر

الصدّيق): ٥٣(*) - ٥٤ - ١٣٠ -

١٣١ - ٢٢٢ - ٢٦٦ - ٢٦٧ .

عبد الله بن زياد: ١٣٢ - ٢٠٤ .

عبد الله بن الأعور (الكذاب

الحرمازي): ٣٠٩(*) .

طحلاء: ٢٩٠(*) .

طرفة بن العبد: ٢٢٨(*) - ٢٧٦ - ٢٧٧ -

٢٨٤ - ٣٣٠ .

طفيل الغنوي: ١٣٥ .

طه الحاجري: ٢٥ - ٣٠ - ٣٤ - ٥٦ -

١١٢ .

طه حسين: ١٤٢ - ١٤٤ - ٢٣٢ .

ظ -

ظالم بن عمرو (أبو الأسود الدؤلي):

١٤٩(*) - ٢٢٤ .

ع -

عائشة .

عاد: ٢٧٣ .

عامر بن جشم (أبو قيس بن الأسلت):

١٧٩(*) - ٢٧٦ .

عامر بن حفص (سحيم): ١٧٤(*) .

عامر بن عبد قيس: ١٠٧(*) - ١٢٤ -

٣٢٩ .

عباد بن سليمان: ٩٦ .

العباس بن عبد المطلب: ٥٣(*) .

عبدة بن الطبيب: ١٥٧(*) - ٢٧٥ .

عبد الجبار البغدادي: ٦١ .

- عبد الله بن شبرمة : ٣٠٦(*) .
- عبد الله بن عمر : ٢٢٣(*) .
- عبد الله بن عمر بن عبد العزيز : ٢٩٦ .
- عبد الله بن قيس الرقيات : ٢١٨(*) .
- عبد الله بن محمد بن العباس (المنصور) : ١٤ - ١٥ - ١٦ - ٣٠ - ١٣٢ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢٧٠(*) .
- ٢٧١ - ٢٧٢ .
- عبد الله بن محمد بن كلاب القطان : ٩٦ - ٩٧ .
- عبد الله بن محمد (السفاح) أبو العباس : ١٣ - ٢٦٥ - ٢٧٠ .
- عبد الله بن مروان .
- عبد الله بن مسعود الهذلي : ١٣١(*) .
- عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) : ١١٣(*) .
- عبد الله بن معاوية (أبو جعفر) : ١٧١(*) - ١٩١ .
- عبد الله بن المعتز : ٢٠٩ - ٢٥٧(*) .
- ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٨٤ .
- عبد الله بن المقفع : ١٢٧(*) - ١٤٣ - ١٤٩ .
- عبد الله القسري .
- عبد الله القطان : ٩٦ - ٩٧ .
- عبد الله بن يزيد الهلالي : ٢١٥ .
- عبد الحميد الأكبر : ١٢٧ .
- عبد المجيد زراقط : ٢٣٦ .
- عبد المسيح بن عسلة الشيباني : ٢٤١(*) .
- عبد المطلب : ٣٣٠ .
- عبد الملك بن قريب (الأصمعي) : ٣١(*) - ١٢٢ - ١٣١ - ١٦٨ - ١٨٠ - ١٨٨ .
- عبد الملك بن مروان : ٢٠١ - ٢٦٧ - ٢٩٣ .
- عبد المنعم خفاجي : ٤٤ - ٤٥ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٦٢ - ١٤٥ .
- عبد المؤمن (أبو الهندي) : ١٩١(*) .
- عبد يغوث : ١٨١(*) .
- عبيد بن أيوب العنبري : ٣١٠(*) .
- عبيد بن حصين (الراعي) : ١٥٧ - ٢١٤(*) - ٢٥٩ - ٢٩٨ .
- عبيدة بن هلال الشكري : ١٩٠(*) - ٢٨٨ .
- عبيد الله بن زياد بن أبيه : ١٣٢(*) - ٢٠٣ - ٢٠٤ .
- العتابي : انظر حرف (ك) .
- عتبة بن غزوان : ٢٣(*) - ١٣١ .
- عتيبة بن مرواس (ابن فسوة) : ٣١٢(*) .
- عثمان بن عفان : ٦٨ - ١٣١ - ٢٠٣ .
- العجاج : ٢١٨ .
- العجير السلولي : ٢٩١(*) .
- عذرة : ٢٩٤(*) .
- العرجي : ٢٢٥ .

- عروة بن الورد: ٣٠٠(*) .
العسكري: ٢٢٧ .
عفيف النصري (أبو عطية): ٢٩١ .
عكرمة: ٢٤٠ .
العكلي: انظر حرف (ك) .
علي بن أبي طالب: ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ -
٥٨ - ٥٩ - ٦٦ - ٧٠ - ٧٧ - ٨٨ -
٩٣ - ٩٥ - ١٣١(*) - ١٣٢ - ١٤٩ -
١٧١ - ١٧٢ - ٢٠٣ - ٢٢٤ - ٢٥٣ -
٣١١ .
علي بن الحسين (المسعودي): ٥٢ -
٥٤ - ١٠٦(*) - ١٠٨ .
علي بن محمد الجرجاني: ٩٢ .
علي بن حمزة (الكسائي): ١٦٤ - ١٩٤ .
علي بن هشام: ١٦٨ .
العماني: انظر حرف (م) .
عمران بن حطان (الأشل الأزرقى) .
عمران بن عصام العنزي: ٢٩٣(*) .
عمر بن أبي ربيعة: ١٨٦(*) .
عمر بن الخطاب: ٢٣(*) - ٢٤ - ٥٧ -
٩١ - ١٣١ - ١٤٩ - ١٧٩ - ٢٠٣ -
٢١٦ - ٢٥٣ - ٢٧٥ - ٣٢٢ - ٣٤٠ .
عمر بن عبد العزيز: ١٢٨(*) .
عمر بن لجأ: ١٩٦ .
عمرو بن بحر الجاحظ: انظر حرف
(ج) .
عمرو بن أحمر: ٢٩٩(*) .
عمرو بن سفيان (الأعور السلمي):
٢١٧(*) .
عمرو بن الشريد: ٢١٣ .
عمرو بن العاصي: ٩٣ .
عمرو بن عبيد: ٩٥(*) - ٢١٥(*) .
عمرو بن قلع الكنانى: ٢٦ .
عمرو بن كلثوم: ١٦٦(*) .
عمرو بن هند: ٢٢٨ .
عترة بن شداد العبسي: ١٤٧ - ٢٤٠(*) -
٢٨٣ .
العوامري: ٥٦ .
عوف بن عوف (جد جرير بن عطية):
انظر حرف (ح) .
عوف بن ملحمة الخزاعي: ٤٠ .
عيسى ابن مريم (عليه السلام): ٩٧ -
٣٠٥ .
- غ -
الغنوي: انظر حرف (ط) .
غنية الأعرابية: ٢٧٣(*) .
غياث بن غوث (الأخطل): ١٣٦ -
٢١٤ - ٢٢٥(*) - ٢٨٤ - ٢٩٦ -
٣٤١ .
غيلان بن عقبة .
- ف -
فاطمة الزهراء: ٥٣ .

فان فلوطن Van. Flouten : ٥٦ - ٥٨.

فخر الدين الرازي : ٨.

الفرزدق : انظر حرف (هـ).

فرعون : ١١٨.

فزارة : ٢٦.

فضالة بن شريك : ٢٤١(*).

الفضل بن عباس اللّهي : ١٨٩(*).

فيثون : ٩٧.

ق -

قاسم التمار : ١٩٧ - ١٩٨.

القاضي الفاضل : ١٠٥.

القاضي الهمداني : ٩٦ - ٩٨.

القاللي : انظر حرف (الهمزة).

القُبَاع : انظر حرف (ح).

قتيلة بنت النضر : ٣٢٣.

قتيبة بن مسلم الباهلي : ١٣٢(*).

قدامة بن ضرار القريعي : ١٢٩.

القرطبي : ٣٤١.

القزويني : ٢٤٧ - ٢٥٤ - ٢٦٩ - ٢٧٩ -

٢٨٠.

قس بن ساعدة : ٢٩٤(*).

قطري بن الفجاءة : (أبو نعام) : ١٣٢(*).

- ١٩٠.

القلاح بن حزن المنقري : ٢٩٥(*).

قيس بن مسعود الشيباني.

قيس بن الملوّح (مجنون عامر) :

٣٢٠(*).

قيصر (إمبراطور الروم).

ك -

كارادي فو : ١٠٦.

كاروند : ١٣٤.

كثير عزة : ٣١٧(*).

الكذاب الحرمازي : انظر حرف (ع).

الكسائي : انظر حرف (ع).

كعب النمرى : ٢٤١(*).

كلاب بن ربيعة : ٣١٤(*).

كلثوم بن عمرو (العتابي) : ١٢٦(*) -

١٢٨ - ١٥٤ - ١٥٧ - ٢٦٠ - ٢٦١ -

٣٢٧.

الكميت : ١٤٧ - ٢٨٩(*) - ٣١٦.

الكندي : انظر حرف (ي).

كهس (العكلي) : ٢١٦(*).

ل -

ليد : ٢٩٩.

لقمان : ٢٤٠ - ٢٤١.

لقيط بن معبد : ٢٩٤.

اللّهي : انظر حرف (ف).

لوط (عليه السّلام) : ٢٢٢.

ليلى بنت النضر : ٣٢٣.

الليث بن بكر : ٢٧.

الليث بن بكر: ٢٧.

محمد بن زياد (ابن الأعرابي): ١٦٦(*)

١٦٧ - ١٧٨ - ١٩١.

- م -

المأمون: ١٧ - ١٩ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩.

محمد بن سلمان الجوهري: ٣٣.

محمد بن سليمان: ١٣٢(*).

٦٨ - ٩٧ - ١٧١.

محمد بن عبد الله (المهدي): ١٥ - ١٦.

٢١ - ٣٠ - ١٣٢ - ١٥٠ - ١٧١ -

مارسية: ٤٥.

١٧٢(*) - ٣١٧.

مالك بن الأخطل: ٢٧٩.

محمد بن عبد الملك الزيات: ٣٢(*) -

مالك بن أسماء: ١٩٩(*) - ٢٠٠.

٣٩ - ٦٣ - ١١٦ - ١٤٦.

المتلمس: انظر حرف (ج).

محمد بن عمران (المرزباني).

المتوكل: ١٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٢٥٧.

محمد بن العميد: ١٠٧(*).

المتنبى: ٧٤ - ٢٥٧.

محمد بن القاسم (أبو العيناء): ١١٠(*) -

مجنون: انظر حرف (ق).

١١٦ -

محب الدين الخطيب: ١١٤.

محمد بن المنصور: ١٠٦.

محبوب: ٢٦.

محمد بن يزداد بن المروزي (المبرّد):

محرز بن علقمة: ١٧٢.

٢٧ - ٤٠ - ١١٣(*) - ٢٠١.

محرز بن المكعب الضبي العنبري:

محمد بن يسير: ٢٧٤(*).

٣٢٧.

محمد الخطيب: ١٠ - ٢١ - ٦١ - ١٠٠ -

محمد الأمين: ١٧ - ١٩ - ٣٧.

٢٤٦ -

محمد الأزهري (أبو منصور):

محمد راغب الطباخ الحلبي: ٦٥.

١٠٩(*).

محمد الزهري الغمراوي: ١١٤.

محمد بن أبي أمية: ١٦٨(*).

محمد طاهر درويش: ١٤٢.

محمد بن أبي حمران: انظر حرف (ر).

محمد الطالقاني: ٩٧.

محمد بن إسحاق الطلقاني: ٩٧.

محمد العبدى (أبو الهذيل): ١٠٧(*).

محمد بن الحسن (ابن دريد): ١١٠(*).

محمد عبد السلام هارون: ٦٤ - ٧١.

محمد بن حمران: ٣٢٦.

محمد كرد علي: ١٥٥.

محمد بن ذؤيب (العماني الفقيمي):

محمد مرسي الخولي: ٧١.

٣٢٥.

- محيي الدين بن عربي : ٦٠ .
مخارق بن شهاب : ٣٢٩ .
المختار بن عوف (أبو حمزة) : ١٣٢ (*) - ٢٧٠ .
المرتضى : ٤٦ - ٩٤ .
مرجانة : ٢٠٤ .
المرزباني : ١١٦ (*) .
مروان بن الحكم : ٥٣ .
مروان بن محمد : ١٧١ - ٢١٥ .
المريسي : انظر حرف (ب) .
مريم : ٩٣ .
مزيد بن الديان : ١٠٧ (*) .
مساور بن سوار : ٣٠٦ (*) .
المستعين : ٤٠ .
مسعر بن كدام .
المسعودي : انظر حرف (ع) .
مسلم بن الوليد (صرع الغواني) :
٢٦٠ (*) - ٢٦١ - ٣٢٧ .
المسيح (عليه السلام) : انظر حرف
(ع) .
معاوية بن أبي سفيان : ٢٠ - ٥٢ (*) -
٥٣ - ٦٧ - ٨٨ - ٩٣ - ١٢١ - ١٢٩ -
١٣١ - ١٤٨ - ٢٠٤ - ٢١٧ - ٢٧٩ -
٢٩٠ - ٢٩٥ - ٣١٤ - ٣٢٤ .
المقتدر : ٢٥٧ .
معتب : ٢٩٣ .
مشجور بن غيلان : ٢٩٥ (*) .
- المعتز بالله : ٤٠ .
المعتصم بالله : ١٧ - ٢١ - ٣٨ - ٧٧ -
٢٥٧ .
معمر بن المثنى (أبو عبيدة) : ٣١ (*) -
١٤٦ - ٢٠٢ .
المُفرغ : انظر حرف (ز) .
المُفضل بن لهب : ٢١٦ .
المُفضل الضبي : ١٥٠ (*) .
مكي بن سودة : ١٨٠ .
المكعبر : ٢٢٨ .
المنتصر : ٤٠ .
المنصور : انظر حرف (ع) .
منصور بن الزربقان النمري : ٢٦٠ (*) -
٢٦١ - ٣٢٧ .
المنطيق : انظر حرف (ز) .
المهلب بن أبي صفرة : ٢٠٢ .
موسى (عليه السلام) : ١١٨ - ١٣٤ -
١٦٥ - ٢٢٢ - ٣١١ .
مويس بن عمران : ٣٥ .
المؤمل بن أميل : ٣٠١ (*) .
ميادة : ٢٣٥ .
- ن -
- النابغة الجعدي : ٢١٩ (*) - ٢٧٣ - ٣٢٣ -
٣٣١ .
النابغة الذبياني : ٢٧٥ - ٢٩٩ .
النبي (محمد رسول الله ﷺ) : ٧ - ٨ -

١٨٥ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٩٣ - ٢٣٩.

وردان بن مخرمة : ٣٢٩.

الوليد بن عبد الملك : ١٩٨ - ٢٩٣.

الوليد بن عبيد (البحتري) : ٢٥٧ (*).

وليم مارسيه Wiliame. Marcier : ٥٦.

- لا -

لاشين : ٢٦١.

- ي -

ياسين الأيوبي : ١٠ - ٨٤ - ١٧١ - ١٧٦.

٢٠٩ - ٢١٦ - ٢١٩ - ٢٦٦.

ياقوت : ٢٦ - ٢٨ - ٤٠ - ٤٥ - ٤٦ -

٤٩ - ٥٠ - ٥٤ - ٥٨ - ٦٢ - ٦٦ -

٦٨ - ٧٠ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٧ - ٨١ -

١١٦ - ١١٨ - ١٤٥ - ١٧٢.

يحيى البرمكي : ١٣٤ (*) - ٣٠٣.

يحيى بن سعيد : ١٧٦.

يحيى بن نوفل : ١٩٨ (*).

يزيد بن زياد بن ربيعة (المُفرغ) :
٢٠٥ (*).

يزيد بن عبيد (أبو وجزة السعدي) :
٢١٦ (*).

يزيد بن معاوية : ٩٣ - ٢٠٤.

يزيد بن الوليد (أبو خالد) : ١٣٢ (*).

اليزيدي (يحيى بن المبارك) : ٣٨ (*).
١٩٢.

يموت بن المزرع : ٢٦ - ٤٠ - ٤١.

يوسف أسعد داغر : ٢٦.

يوسف بن إسحاق (الكندي).

يوسف بن عمر الثقفي : ١٣٣ (*).

يوسف سبط بن الجوزي.

٤ - فهرس الأشعار

أول البيت	قائمه	البحر	الشاعر	الصفحة	عدد الآيات
-----------	-------	-------	--------	--------	---------------

- الهمزة (١) -

وإن الحق	جلاء	الوافر	زهير بن أبي سلمى	٢٧٥	١
وما العيش إلا	ماء	الطويل	المكعبر الضبي	٣٠٨	١
يرمون بالخطب	الرُقْبَاء	الكامل	ابن حريز الأيادي	٢٢٣ - ٢٥٢	١
ولعمري ما من	بسواء	الخفيف	إبراهيم بن سبابة	٣٠٣	٣

- ب -

فكيف بنوكى	خطابها	الطويل	أبو الأحوص الرياحي	٣١٤	٢
متى رام	الشُعْب	الطويل	خلف الأحمر	١٨١	٢
ولا خَصِرُ	الخطب	مجزوء الوافر	أبو العيال الهذلي	١٨٢	١
وقد يُقرضُ	خطيب	الطويل	-	١٧٨	١
يكفي قليل	مصيب	الكامل	أبو وجزة السعدي	٢١٦	١
فعاوجوا فأنثوا	الحقائب	الطويل	نُصيب	٢٤٨	٣
هُم كاهِلُ	مَنكِبُ	الطويل	الراعي	٢٥٩	١

(١) راعينا في ترتيب الشواهد الشعرية حركات الإعراب الآتية: (الضم، فالفتح، فالكسر، فالسكون)

أول البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات
وما في يديه	نَعْبُ	الطويل	خلف الأحمر	٢٩١ - ١٨١	٢
لج بتفضيلك	اللَّجْبُ	المنسرح	الكميت بن زيد	٣١٦	٥
وبورك قبر	يثرُبُ	الطويل	الكميت بن زيد	٣١٦ - ١٤٧	٢
لقد غيوا براً	المُنْصَبُ	الطويل	الكميت بن زيد	٣١٦	١
واتي على ما كان	لأديبُ	الطويل	ابن أبو كريمة (الأسود)	٣٣٢	٣
حوراءُ	ذهبُ	البسيط	ذو الرُّمة	٣٣٤	١
ولا ذي قلازم	الشَّربا	المتقارب	ابن الأعرابي	١٦٦	٢
عليك بأوسط	صَنَبا	الطويل	-	٢٢٦	١
فأسقط	فَطْرُبَا	الطويل	ربيعة بن مسعود	٢٩١	٤
ففض الطرف	كِلابا	الوافر	جرير	٣٢٨	١
ولا تضعها في	أدبا	البسيط	أبو تمام	٣٣٥	٢
السيفُ أصدقُ	اللَّعِبُ	البسيط	أبو تمام	١٧	١
لقد كذبتك	التيابُ	الوافر	المُبرِّد	٤٠	٢
أبوك مُعِمُّ	الخُطْبُ	الطويل	-	١٥١	٢
صموتاً في	بالصوابِ	الوافر	محرز بن علقمة	١٧٢	١
والحن الناسِ	الخُطْبُ	البسيط	يحيى بن نوفل	١٩٨	٢
مبتذلاً	الثَّقْبُ	الكامل	دريد بن الصِّمة	٢١٣	٢
أزل أطلُسُ	اليعاسيبُ	البسيط	الصعب بن علي الكناني	٢٤٥	٢
كقسٍ إِيادٍ	جَنْدَبُ	الطويل	الأشل الأزرقى	٢٩٤	١
فاعتبر	بالصاحبِ	السريع	معاوية	٢٩٥	٣
فإلا أكنَّ منهم	خُطيبُ	الطويل	ثابت قطنه	٢٩٦	١
في رداء	والقضيبي	الخفيف	إسحاق بن سويد	٣٠١	١
رقاقُ النُّعال	السباسبُ	الطويل	النابعة	٣١٢	١
بضربِ يزيل	الغرائبُ	الطويل	الحارث بن صخر	٢٩٩	١
جمعتُ صنوفَ	كَثَبُ	الطويل	-	١٨١	١

أول البيت	قالبته	البحر	الشاعر	الصفحة	عدد الآيات
-----------	--------	-------	--------	--------	---------------

أوسكت القوم وُجَابَ الكامل ابن الأعرابي ١٦٧ ٣

- ت -

أبى لي ذلك ربيث الوافر - (١٦٨ - ١٦٩) ٤
فقال اقترح السكوتا المتقارب ابن أبي أمية ١٨٦ ٢
حصيرٌ مُشَهَّبُ السكوت الخفيف مكى بن سودة ١٨٠ ١
العبد يقرع الإشارة مجزوء الكامل - ٢٠٥ ١

- ج -

أعذني ربي علاجا الوافر النمر بن تولب ١٧٤ ١
وأشعت قد مُنْضَجِ الطويل الشماخ بن ضرار ٣٠٠ ١
وبعثت من ولد بالعرفج الكامل عمران بن عصام العتري ٢٩٣ ١
سَلَّ عَنْكَ تنفرج مجزوء الخفيف جعيفران ٣١٩ ٢

- ح -

شرابا تهرب الفصيح الوافر أبو الهندي (عبد المؤمن) ١٩٢ ٢

- د -

إذا المرء شديد الطويل - ١٧٨ ١
تنبويده عدد البسيط الأجرد الثقفي ٢٣٥ ٢
وليل كجلباب واحد الطويل - ٢٤١ ١
وقد سلبت تذود الوافر جرير ٣٠٢ ١
والناس كالعيدان عودا الكامل المؤمل بن أميل ٣٠١ ٢
ولا خير في جهل أصدر الطويل النابغة الجعدي ٣٢٤ ٢
أزف الترحل قيد الكامل النابغة الجعدي ٢١٩ ١

أول البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة	عدد الآيات
وسميته	مُردي	الطويل	صفوان الأنصاري	٢٢٣	١
ولدت خُلدا	الصُّعْد	البسيط	صفوان الأنصاري	٢٥٣	١
أسود الشرى	الأساود	التهأبو طويل	الأشهب بن رميلة	٢٥٩	٢
هُم ساعِدُ	بساعِد	الطويل	الأشهب بن رميلة	٢٣٥	١
أَأَلَقْتُ	بعدي	الطويل	-	٢٩٩	٢
وقام بناتي	القلائد	الطويل	أبو ذؤيب	٣١٣	١
أهيم بدعد	بعدي	الطويل	صالح بن سليمان	٣١٥	١
ولو عَنْ نَثَاغِيرِهِ	اليَد	المُتقارب	امرؤ القيس	٣٣٠	١
واستبدت	لا يَسْتَبِدُّ	الرَّمَل	عمر بن أبي ربيعة	١٨٦	١
ليت هنداً	تَجِدُ	الرَّمَل	عمر بن أبي ربيعة	١٨٦	١

- ر -

ومن يَكُ	كاسِرُهُ	الطويل	-	٣٣٤	٢
وناراه	سَعِيرُهَا	الطويل	ابن ميادة	١٥٦ - ٢٣٥	١
ثم من بعدُ	موفورُ	الخفيف	الجاحظ	١١٧ - ١١٨ - ١٧٢	٢
فلإذا رام	مبهورُ	الخفيف	الجاحظ	١١٨	٥
إن الحديث	ولا كئارُ	البسيط	ابن هرمة	١٧٨	١
قَلْتُ قَوادِحُهَا	لا تُنْكَرُ	الكامل	عبد الله بن معاوية	١٩١	١
وقبرُ حربٍ	قبرُ	السريع	-	٢٣٣	١
فقبلتُ رأساً	أَخْقَرُ	الطويل	فضالة بن شريك	٢٤١	١
حتى أقروا	الإبرُ	البسيط	الأخطل	٢٨٤	١
ومن الكبائرِ	مبهورُ	الكامل	بشر بن المعتمر	٢٩٠	١
تريغُ	المِهْدُرُ	المتقارب	طحلاء	٢٩٠	٢
جهيرُ	خبيرُ	الطويل	العُجير السلولي	٢٩١	١
رودُ الشباب	نَضْرُ	الكامل	ابن أحمر	٢٩٩	١

أول البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات
ما أن ندمت	مرارا	الكامل	-	١٧٠	١
ولفوك أشنع	بريرا	الكامل	عبدة بن هلال الشكري	٢٨٩	١
تُشبهه	البريرا	المتقارب	الكميت	٢٨٩	١
بلغنا السماء	مظهرا	الطويل	النابعة	(٣٢٤-٣٢٣)	٢
على أن الفتى	كثيره	الوافر	أبو الأسود الدؤلي	٢٢٤ - ٢٢٥	٣
من للقنا	بن عمار	البسيط	جرير	١٨٠	١
ولم يُطق	المطر	البسيط	-	١٨٥	٢
وقد كان	يفري	الطويل	-	١٩٩	١
فطبقن عُرض	جازر	الطويل	الراعي	٢١٤	١
ضفادع	البحر	الطويل	الأخطل	٢٢٦	٢
وعند الفزاري	الجمر	الطويل	ابن ميادة	٢٤١	١
ولا الناطق النخار	بالمخاصر	الطويل	صفوان الأنصاري	٢٥٣	١
عالمًا لا أشك	السعير	الخفيف	محمد بن يسير	٢٧٤	٢
يصيبون	بالمخاصر	الطويل	صفوان الأنصاري	٢٩٢ - ٣٠١	٣
وكنت أمشي	من الشجر	البسيط	أبو ضبة	٣٠٠	٢
أهل التجاوب	بالمخاصر	مجزوء الكامل	الكميت بن زيد	٣٠١	١
فلا رضي	لكافر	الطويل	-	٣٠٧	٣
أيحلفون	عفار	البسيط	-	٣١٠	٢
وسوف يزيدكم	نمير	الوافر	-	٣٣٣	١
إلى معشر	يخصر	الطويل	عتبة بن مرداس (ابن فسوة)	٣١٣	١
رأيت القوافي	الإبر	الطويل	طرفة بن العبد	٢٨٤	١
رُبّ خال	الخصير	الزمل	حسان بن ثابت	٢٩٧	١
أكبر الأشياء	يضعز	مجزوء الخفيف	أبو النواس	٣٠٨	٤

أول البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات
-----------	--------	-------	--------	--------	-------------

- س -

نعامة لما	يَلْبَسُ	الطويل	المتلمس (جرير بن عبد المسيح)	٣١٥	٢
بحلوم إذا	مُلْسِ	الخفيف	أبو العباس الأعمى	١٧٠	٣
ولكن حُكْلا	البرانسُ	الطويل	التيمي	١٩٠	١

- ص -

لكل هلالي	قميصُ	الطويل	-	٢١٥	١
احلف بالمروءة	العصا	المتقارب	غنية الأعرابية	٢٧٤	١

- ع -

هب من له	الأضْلَعُ	السريع	الجاحظ	١٤٥	٢
كم ضربة	شَنَعُ	البسيط	النمر بن تولب	١٩٠	١
نَرْقَع دنيانا	ما نَرْقَعُ	الطويل	إبراهيم بن أدهم	١٩٧	١
فعنيك إقواء	مَرْقَعُ	الطويل	البردخت	١٩٩	٣
حرق الجناح	مولعُ	الكامل	عترة	٢٤٠	١
سجية تلك	البَدْعُ	البسيط	حسان بن ثابت	٢٥٦	٢
فإن كانت	تَقْشَعُ	الطويل	ابن شبرمة	٣٠٦	١
أقاد لنا كلبا	تضيغُ	الطويل	-	٣١٤	٢
صفيف العصا	إصبعاً	الطويل	الراعي النمري	٢٩٨	١
فقلت لها	ويصلعا	الطويل	الأصمعي	٣٠٢	٣
فلما مضى	أجدعا	الطويل	الحسين بن مطير	٣٣٣	٢
الكَيْسُ	والهاعِ	السريع	أبو قيس بن الأسلت	١٧٩ - ٢٧٦	١
مليء ببهرٍ	أصابعِ	الطويل	-	١٧٧	١
ويوم فتحتُ	للضياحِ	الوافر	يزيد بن المُفَرِّغِ	٢٠٥	١
أبت ناقتي	بديع	الطويل	الفرزدق	٢٥٦	١

أول البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات
-----------	--------	-------	--------	--------	-------------

الكيس (الهاع) السريع أبو قيس بن الأسلت ٢٧٦

- ف -

طباقاء تُعَكْفُ الطويل جميل بن معمر ١٧٩ ١
وَحَلَّةُ اللَّفْظِ والْأَلْفِ البسيط يحيى (أبو محمد اليزيدي) ١٩٢ ١
فَقَعَقَعْتُ لِحْيِي عَنِيفِ الطويل - ٢٩٤ ٢

- ق -

يا رابعَ لا أنطقُ الكامل - ١٦٨ ١
وقبقب يحكي سابقُ الطويل خلف الأحمر ٢٩٢ ٢
الكني إلى مولى أحمقُ الطويل الجاحظ ٣١٧ ١
أعلل نفسي الأحمقُ المتقارب - ٣١٧ ١
فالنضر أقرب يعتقُ الكامل النضر بن حارثة ٣٢٣ ٤
واستل منه مَنْ راقِ البسيط أبو العتاهية ٢٧٤ ٤
أمثال مُصَفِّقِ الطويل القلاح بن حزن المنقري ٢٩٥ ١
ونلقي النعال بأخلاقها المتقارب الحارث بن سدوس ٣١٢ ١
وكلّ خليل مَلِئُ المتقارب النمر بن تولب ١٧٥ ١
يا أيها المتحلي المَلِئُ البسيط سالم بن وابصة ٢٢٥ ١
على المرء موفقا الطويل - ١٨٦ ١

- ك -

اتبع الظرفاء فيضحكا الكامل أبو النواس ٣٣٤ ١
لسانك مالكا الطويل - ٢٤٥ ١

- ل -

يعيش الفتى يزايله الطويل - ٣٠٧ ١

أول البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات
والمرء ساع	وتأميلُ	البسيط	عبد بن الطبيب	٢٧٦ - ١٥٨	١
وما بي من عي	مَحْفِلُ	الطويل	يحيى بن سعيد	١٧٦	١
يرغون	هُزَالُهَا	الطويل	زيان بن سيار	١٧٦	٢
وقلنا بلا عي	اشتعالها	الطويل	زيان بن سيار	١٧٦	١
فما زال	بأقِلُ	الطويل	حميد بن ثور الهلالي	١٧٨	٢
يحبُ الفتى	يفعلُ	الطويل	النمر بن تولب	٢٨٤	١
فإن عاد لي	لا أقِيلُهَا	الطويل	كثير عزة	٣١٧	٢
وللشعر	دليله	الوافر	-	٣٣٣	١
فأقسمتُ	وكامله	الطويل	الفرزدق	٢٢٤	٢
تراها الضبُعُ	وثيلُ	الوافر	مساعدة بن جويه	٢٥٠	١
واعلم بأن	خَبَالَا	الكامل	-	(١٧١ - ١٧٠)	٢
تلك منه	خَبَلَا	الزمل	الكسائي	١٩٦	٥
ما لي أشايح	مَثَلَا	البسيط	بشار بن برد	٢٤٠	١
إنَّ الكلامَ	دليلا	الكامل	الأخطل	٣٤١	١
وإذا الضبيُّ	المحتالِ	الكامل	-	٣١٦	١
غداثه مستشزرات ومُرسلِ	الطويل	الطويل	امرؤ القيس	١٣٨	٢
فتى زاده	خليلِ	الطويل	أبو عبيدة (معر بن المثنى)	٢٠٢	١
وشعر كبر	دخيلِ	الطويل	أبو البيداء الرياحي	٢٢٤	١
له أبطلا	تَنَقَّلِ	الطويل	امرؤ القيس	٢٤٢	١
وما العيش	النجلِ	الطويل	مسلم بن الوليد	٢٦٠	١
ألم تر أنَّ الله	وائِلِ	الطويل	شيبيل بن عذرة	٢٩٦	١
وما بي من عيب	رجلي	الطويل	-	٣٠٠	٣
أليس ورائي	أهلي	الطويل	عروة بن الورد	٣٠١	١
أرى زمنا	عاقِلِ	الطويل	-	٣١٥	١
ما ولدت حواء	سائلِ	الكامل	حبيب بن أوس	٣١٦	١

عدد الآيات	الصفحة	الشاعر	البحر	قافيته	أول البيت
---------------	--------	--------	-------	--------	-----------

٣	٣٢٠	مجنون بني عامر	الطويل	الأطاول	ولم تُفن
١	٣٣١	-	الطويل	هَطَال	بأسحم
١	٢٤٢	امرؤ القيس	الطويل	البالي	كان قلوب
١	٣٣٤	-	السريع	العَجَل	الرزق
١	٣٣٥	امرؤ القيس	المتقارب	وأفضل	أفاد وجاد
١	٨٩	-	الرمل	وأكل	سألتني

- م -

١	٩١	ثابت بن قرة	الكامل	عُقْم	عقم النساء
٢	١٦٧	الأحنف بن قيس	الوافر	الخصوم	أتممتي فلم
٢	٢٩٢	الفرزدق	البسيط	يبتسم	يفضي
١	٢٩٦	الأخطل	الطويل	لا يتكلم	فأين السمين
١	٢٩٦	حسان بن ثابت	الخفيف	يقوم	إن خالي خطيب
١	١٥٧	عبد بن الطبيب	الطويل	تهدأ	وما كان قيس
٢	١٦٩	-	الطويل	يتكلما	وفي الصمت
١	٢١٤	أبو قطن الغنوي (شاهد الكرام)	الطويل	تخدأ	جفاة المحز
١	٢٧١	المنصور	الطويل	ليعلم	لذي الحلم
١	٣١٢	-	الوافر	لثاما	إذا اخضرت
٢	١٦٩	أبو النواس	مجزوء الرمل	بلجام	إنما المسلم
٢	١٧١	الأعور الشني	الطويل	الدم	لسان الفتى
١	٢٦٣	ابن عسلة الشيباني (عبد المسيح)	الكامل	النجم	فصحوت والنمري
٢	٢٤٨	-	الطويل	المُتِم	فأيقنت أن
١	٢٤٩	أعشى همدان	الوافر	المستقيم	ويركب رأسه
١	٢٤٩	بشار بن برد	الطويل	بقائم	وما خير كف
٢	٢٧١	المنصور	الوافر	العظام	خلافك

أول البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات
زعمت	مُجرِم	السريع	-	٢٧٢	٢
فلو أن قولا	كلوم	الطويل	جوهري (المهدي)	٢٧٢	٣
أحلام عاد	والأثم	البسيط	النابغة	٢٧٣	١
غرداً	الأجذم	الكامل	عترة	٢٨٣	١
فسقى ديارك	تهمي	الكامل	طرفة بن العبد	٢٢٩ - ٢٧٦ - ٢٧٧	١
ومنا حصين	مُتكلِّم	الطويل	أبو ثمامة الضبي	١٨٢	١
عشية بدّ	كلامي	الطويل	شبه بن عقال	٢٩١	٢
وعليك بالغنوي	ليتيم	الكامل	مساور الوراق	٣٠٦	٤
إنّ التي	المأتم	السريع	أبو العتاهية	٣٠٧	٢
إذا القرشي	الصميم	الوافر	-	٣١٧	١
فأرخت قناعاً	ومغصم	الطويل	أبو حية النمري	٣١٩	١
لجسام	الكلم	الكامل	طرفة بن العبد	٣٣٠ - ٣٣٣	١
إني امرؤ	الكلم	البسيط	الله بن نهرمة	٣٣٣	١
وشبيه	اللمم	مجزوء الخفيف	-	٣٣١	١ مسقط
وعى الفعال	الكلم	المتقارب	بشار بن برد	١٦٦	١

- ن -

لا تحسبنّ فؤادي	والثون	البسيط	حارثة بن بدر	٢٥٤	١
قد كان قدّم	ولا دين	البسيط	عبيد العنبري	٣١٠	٢
كل امرئ	قرينه	الكامل	أبو العتاهية	١٧١	١
ونشرب إن	وطينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	١٦٧	١
لسان الشر	تخونا	الوافر	-	١٦٤	١
منطق صائب	لحنا	الخفيف	مالك بن أسماء	٢٠٠	٣
ويفلن شيب	إنه	مجزوء الكامل	عبد الله بن قيس	٢١٩	٢
داويتها	بهتاناً	-	-	٣٣١	٢ مسقط

أول البيت	قافيته	البحر	الشاعر	الصفحة	عدد الأبيات
أين ربّ	واثنتان	الخفيف	سَلَمُ الخاسر	١٥	١
إنّ الثمانين	ترجمان	مجزوء البسيط	عوف بن ملحَم الخزاعي	٤٠	١
عليل	الدين	الهمز	يموت بن المزرع	٤٠	١
زمان صار	السنان	الوافر	البرْدُخْت	١٩٨	٢
إني تذكرت	دونى	البسيط	ثابت قُطْنة	٢١٦	٣
أمسّت بنو القين	لقمان	البسيط	أبو الطمّحان القَيْنِي (حنظلة)	٢٤١	١
أهلك	جدون	مخلع البسيط	سليمان بن ربيعة	٢٤٤	١
ليس فيما	فان	الخفيف	-	٣٠٦	٢
فإن في المجد	لَحَّان	البسيط	-	٣٣٢	١
عجباً للذي	الشفّتان	الخفيف	سَلَمُ الخاسر	١٥	١
إلزم الصمت	فَزْنُه	الخفيف	عبد الله بن معاوية	١٧٢	١
كان ما	قَدْ كَانَ	الطويل	-	٣٠٧	٢
- ه -					
ثارت بشيخه	شَفَاها	الوافر	كلاب بن ربيعة	٣١٤ - ٣١٥	٢
ولام تضحك	بأبيه	المجث	-	٣١٩	٤
- ي -					
وعين الرضى	المساويا	الطويل	-	٢٩ - ٢٠٠	١
أقول وقد	لسانيا	الطويل	عبد يغوث	١٨١	١
ألا لا تلوماني	بداليا	الطويل	-	٤٢	١
تطاولتُ كي	بداليا	الطويل	-	٤٢	١
عميرة ودع	ناها	الطويل	سحيم عبد بني الحسحاس	٢٠٣	١
ألا حيّ أطلال	اللياليا	الطويل	أبو حية النمري	٣١٩	١
إذا ما تقاضى	التقاضيا	الطويل	أبو حية النمري	٣١٩	١
كان قلوب	البالي	الطويل	امرؤ القيس	٢٤٢	١

٥- فهرس الأرجاز

القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأشعار
- ب -			
وطيها	أبو العرماس	٢١٤	٤
- ت -			
أذاتها	-	٢٩٨	١
النورة	الكذاب الحرمازي	٣٠٩	٧
- ث -			
الأرماث	-	٣٠٩	٨
- ج -			
وما نجا	-	٢١٧	١
كالهلباج	اللّهي	١٨٩	٢
حبّاج	-	٥٧	٢
- ح -			
صحيحا	-	٢١٧	٢

القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأشعار
---------	--------	--------	-------------

- د -

المجد	-	١٧٧	٣
بالأشد	-	٢١٨	١

- ر -

مزداره	-	٢١٧	٤
حافره	أبو الأعور السلمي	٢١٨	٣
وناره	-	١٥٦	١
وناره	-	٢٥٣	٢
سندر	جندل الطهوي	٢٤٩	٢
القمر	-	٢٠٤	٣

- ض -

ماضي	رؤية	٢٩٤	٢
الماضي	-	٣٢٠	٢

- ط -

قط	-	٢١٩	٢
واقط	-	٢١٩	٢

- ظ -

الجاحظ	-	٢٨	١
--------	---	----	---

- ع -

جزوع	العكلي	٢١٦	٢
صناع	-	٣٣٤ - ٢١٧	١

القافية	الشاعر	الصفحة	عدد الأشعار
المُصَبِّحِ	أبو رمادة	١٩١	٢
الوَقْعِ	أبو المقدام	٣١٣	٣
- ق -			
بالحدقِ	أبو مسمار العكلي (كهمس)	٢٨٩ - ٢٩٠	٧
وما نهقِ	رؤبة بن العجاج	١٨٢	٢
وأرقِ	أبو الزحف	١٨٨	٢
- ل -			
ظِلا	سعيد بن عبد الرحمن بن حسان	٣٠٨	٤
السعالِ	سحيم بن حفص	١٧٥	٣
النملِ	رؤبة	١٨٩	٢
نعلِه	-	٣٠٧	٢
نَصَلِ	عبدة بن هلال اليشكري	١٩٠	٢
- م -			
أضجُمُ	-	١٨٢	٢
تَمَامُه	أبو العتاهية	٢١٨	١
هَنَامِ	رؤبة	١٨٨	٣
الكلامِ	أبو الزحف	١٨٨	٢
- ن -			
بِهَتَانَا	-	٣٣١	٤
ما أُعْطِينَا	-	٢٧٠	٥
فِينَا	-	٢٧٠	٣

القائبة	الشاعر	الصفحة	عدد الأشعار
---------	--------	--------	-------------

— ه —

يرزؤها	قاسم التمار	١٩٨	٢
عينها	—	٢٤٧	٣
أحراها	الفرزدق	٢٥٠	٢

— ي —

العيّ	ابن الأعرابي	١٧٨	١
-------	--------------	-----	---

٦ - فهرس أنصاف الأبيات

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة	عدد الأَشطر
- د -				
تَهَمَّدِ	الطويل	طرفة بن العبد	٢٢٨	١
- ض -				
ما يمضي	الطويل	أبو خراش الهذلي	٢١٨	١
- ع -				
تَقْنَعُ	الكامل	أبو ذؤيب الهذلي	٢١٨	١
- م -				
وَتَسْلَمَا	الطويل	حميد بن ثور الهلالي	٢٨٣	١

٧ - فهرس الأماكن والبلدان

- الهمزة -

الأبلة أرض البصرة أرض الهند: ٢٣.

الأردن: ٥٢.

أرض السواد العراق: ٢٣.

أرمينية: ٢١٥ - ٢٧١.

الآستانة: ٢٣٨.

إسطنبول: ٥٨ - ٦٦.

الإسكندرية: ٩٣.

أسواق البصرة: ٣٤ - ٣٥.

آسيا الصغرى: ٢١.

أصبهان: ١٩٩ - ٣٣٤.

إصطخر: ٢٠٢.

أفريقية: ٢٢٣.

أميركا: ١٠٥.

الأنبار: ١٦٥.

إنكلترا: ١٠٥.

الأندلس: ٢٩٤.

أوروبا: ١٠٥.

آيا صوفيا: ٧٣.

- ب -

بئر ميمون: ٢٧١.

بادية البحرين: ٢٢٨.

بادية العرب: ١٨.

البحرين: ١٩٢ - ٢٢٨.

بدر: ٢٣.

بديدون: ١٧ - ١٦٩.

البصرة: ١٩ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ -

٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٧ - ٣٩ - ٤٠ -

٥٥ - ٩٢ - ٩٥ - ٩٦ - ١٢٠ - ١٢٧ -

١٢٨ - ١٣٢ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٦٩ -

١٨١ - ١٨٢ - ١٩٨ - ٢٠٤ - ٢٠٥ -

٢١٢ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢٢٤ - ٢٣٤ -

٢٥٣ - ٢٥٩ - ٢٧١ - ٢٩٤ - ٣١٤ -

- جزيرة العرب: ١٦٦.
- بغداد: دار السلام مدينة السلام وادي السلام: ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٨ - ١٩ - ٣٠ - ٣٧ - ٣٩ - ٥٥ - ٩٦ - ١٠٤ - ١١٣ - ١٦٩ - ١٩٦ - ١٩٧ - ٢١٥ - ٢٥٧ - ٢٦٠ - ٢٧٠ - ٣٠٤ - ٣١٨.
- بلاد ربيعة: ١٦٦.
- بلاد الروم: ١٥ - ١٧.
- بلاد الروملي: ٣١.
- بلاد العرب: ١٩١.
- بلخ: ١٩٧.
- بيت المقدس: ١٠٧.
- بيروت: ٥٢ - ٥٦ - ٧١.
- ت -
- تبالة: ٢٠٥.
- تونس: ١١٣.
- ج -
- جامع البصرة: ٣٤.
- جامع الرصافة: ٢٧٢.
- جامعة الدول العربية.
- جبل: ١٩٧.
- جبيل: ٥٢.
- جرجان: ٢٠٩ - ٣٠٥.
- الجزيرة الفراتية: ١٦٦ - ٢٦٠.
- ح -
- الحجاز: ١٩٧.
- الحجون: ٢٧١.
- حران: ١٢٤ - ٢١٥.
- الحصن (جبل بنجد).
- حلب: ٢٥٧ - ٢٦٦.
- حمص: ٢٦٧.
- الحميمية: ٢٧٠.
- حنين (موقعة): ٢١٢ - ٣١٣.
- حوران: ٢٥٦.
- الحيرة: ٢٥٦.
- خ -
- خراسان: ١٨ - ١٢٤ - ١٣٢ - ١٧١ - ٢٠٩ - ٢١٤ - ٢١٦ - ٢٧١.
- الخيزرانة: ١١٠.
- د -
- دار الروم: ٩٧.
- دار الاعتصام: ٧١.
- دجلة (نهر): ٢٤.
- دمشق الشامات الديار الشامية الشام:
- انظر حرف (ش).

دير سمعان : ١٢٨ .
دينور : ١١٣ .
١٣١ - ١٣٣ - ١٦٦ - ١٩٧ - ١٩٨ -
٢٠٤ - ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ -
٢٦٨ - ٢٧١ - ٢٩٥ - ٣٠٥ .

- ر -

الرافقة : ٢٧٠ .
الزقة : ٢٢٥ .
الزقة : ١٣٤ - ٣٠٥ .
الزملة : ٣٠٥ .
رومة : ٢٧٠ .
الري : ١٩٦ - ٢١٥ .
الرافقة : ٢٧٠ .
الزقة : ٢٢٥ .
الزقة : ١٣٤ - ٣٠٥ .
الزملة : ٣٠٥ .
رومة : ٢٧٠ .
الري : ١٩٦ - ٢١٥ .

- ط -

الطائف : ١٣١ .
طبرستان : ٢٠٩ - ٣٠٥ .
طخارستان : ١٢٠ .
طرابلس : ١٠ .
طرس : ١٧ .
طوى (واد) : ٣١١ .
طوانة : ٢١ .
طوس : ١٦ .

- ز -

- س -

سامراء سر من رأى : ١٧ - ٣٩ - ٤٠ -
١١٣ - ١٦٦ .
سجستان : ١٩١ .
السند : ١٩٢ .
سوريا : ٢٥٧ .
سوق البادية (في العراق) : ٢٧ .
سيحان (نهر) : ٢٩ .
العراق (السواد - أرض السواد) : ١٤ -
١٨ - ٢٣ - ٢٤ - ١٢٧ - ١٣٢ -
١٦٦ - ١٩٢ - ١٩٧ - ٢٠٤ - ٢٢٣ -
٢٢٥ - ٢٥٣ - ٢٥٧ - ٢٧١ - ٢٧٢ -
٢٩٢ .
الشام - دمشق - الشامات : ١٥ - ١٨ -
٥٢ - ٥٩ - ٦٠ - ١٢٦ - ١٢٧ -
عزقة : ٥٢ .

- ع -

- ش -

شاطيء دجلة .
الشام - دمشق - الشامات : ١٥ - ١٨ -
٥٢ - ٥٩ - ٦٠ - ١٢٦ - ١٢٧ -
عزقة : ٥٢ .

العسكر : ٢٧.	قطر : ١٣١.
عكاظ : ٣٢٢.	قنسرين : ١٢٦.
عمان : ١٩٢ - ٢٢٨.	قوس (حصن) : ١٩٠.
عمورية : ١٧ - ٢١.	القيروان : ٢٢٣.
عنزة : ١٧٥.	قيسارية : ١٢٧.

- غ -

- ك -

غرناطة : ١١٣.	الكناسة : ٣٢٢.
غطفان : ٢٧٥.	الكنانة : ٢٤٨.
	كوبريلي : ٥٦.
	الكوفة : ١٩ - ٢٤ - ٢٥ - ٣٧ - ١٢٢ -
	١٢٨ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٥٠ - ١٧١ -
	١٩٦ - ١٩٨ - ٢٠٥ - ٢١٥ - ٢٢٥ -
	٢٤١ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٨٩ - ٣٠٦ -
	٣٢٢.
فارس : ١٢٧.	
فاس : ١١٣.	
فدك : ٥٣.	
فرغانة : ١٨١.	
فم الصلح : ١٢٢.	

- ف -

- ل -

- ق -

القادسية : ١١.	لبنان : ١٠.
القاهرة مصر : ٤٧ - ٥١ - ٥٢ - ٥٨ -	لندن : ٥٨.
٥٩ - ٦١ - ٦٤ - ٦٨ - ٧١ - ١١٤ -	ليدن : ٧٠.
٢١٧ - ١١٥.	
قبرص : ٢١٧.	
قرطبة : ١١٤.	
القسطنطينية : ١١٤ - ٣٠٥.	
قضاء سلانيك : ٥٧.	
قضاء مصر : ٥١.	
	ماسبدان : ١٦.
	المتحف البريطاني : ٥١ - ٦٨ - ٨٠.
	المدائن : ٢٤ - ١٥٧ - ٢٧١.
	المدينة المنورة : ٥١ - ٢٠٣ - ٢١٦ -
	٢٢٤ - ٢٥٦ - ٢٦٧ - ٣٠٨ - ٣١٦.

- م -

- مران : ٩٥ . مكتبة الموصل : ٥٦ .
- المربد : ١٩ - ٢٤ - ٣٠ - ٣٣ - ٣٤ - المعرة : ١٢٨ .
- ٣٢٢ - ١٣٥ . منبج : ١٢٢ - ٢٥٧ .
- مَرْج راهط : ٢٩٥ . المنصورية : ١٤ .
- المروة : ٢٧٣ . موقان (غزوة) : ٢٩٩ .
- المريسة : ١٩٧ . مكتبة الفاتح : ٦٦ .
- مزينه : ٢٧٥ . مكتبة نور الدين بك المصطفى : ٦٤ .
- مسجد البصرة : ٣٠ - ٣٣ - ٣٤ - ٩٦ . مكتبة فيض الله : ٢٣٨ .
- مسجد دمشق : ١٢٨ .
- الموصل : ٣٩ . - ن -
- مطبعة بيت المقدس : ١١٥ . نجد : ٢٢٨ .
- مطبعة الاستقامة : ١١٥ . نجران : ٢٩٤ .
- المطبعة الجمالية : ١١٤ . النبط : ١٩٢ .
- مطبعة الفتوح : ١١٤ . - ه -
- مطبعة الرغائب : ١١٤ . الهاشمية : ١٤ - ١٦٥ - ٢٨٩ .
- المطبعة العلمية : ١١٤ . هجر : ٢٢٨ .
- مطابع الأهرام : ٧١ . هذيل .
- المطبعة السلفية : ٦٥ - ٦٨ . هرقله : ٢١ .
- المسجد الحرام : ٢٧٠ . الهند : ٢٣٣ - ٢٥٢ .
- المصبيصة : ٢٧٠ .
- مطبعة الجوائب : ٦٩ - ١١٤ . - و -
- مَكَّة : ٥١ - ٩٥ - ١٢٠ - ١٢٨ - ١٣١ . واسط : ١٢٢ - ١٣٢ - ٢١٢ .
- ١٩٨ - ٢١٥ - ٢٦٧ - ٢٧١ .

٨ - فهرس الأيام والوقائع

يوم الأحد: ٢٩٦.	يوم الكلاب الثاني: ١٨١.
يوم الجمل: ١٣٢.	يوم اللوى: ٢١٣.
يوم سقيفة: ٥٣.	اليمن: ١٣٣ - ٢٠٥.
يوم الشعانين: ٣١٢.	اليمامة: ١٣٦.
يوم عقبة: ٥٣.	يرينون: ١٩٦.
يوم الغدير: ٢١٢.	اليونان: ٢٣٢..

٩ - فهرس المصطلحات البلاغية

١٨٠ - ٢٢٦ - ٢٣٢ - ٢٣٦ - ٢٤٥ -	- الهمزة -
٢٥٢ - ٢٥٨ - ٢٦٠ - ٢٦٥ - ٢٦٦ -	إجراء الاستعارة: ٢٥٠.
٢٦٨ - ٢٧٢ - ٢٧٥ - ٢٨٢ - ٢٨٧.	الإحتراس: ١٥٨ - ١٦٠ - ٢٧٦ - ٢٧٧
أسلوب الحكيم / اللغز في الجواب:	- ٢٧٨.
٨٧ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٩ -	الاحتراز: ١٤١.
٢٦٦ - ٢٦٨.	الاحتياط: ٢٧٨.
الإسهاب: ١٢٥ - ١٢٧ - ٢٠٨ - ٢٢١ -	الاستعارة: ٤٥ - ٨٩ - ٩٠ - ١٤٤ -
٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥.	١٥٦ - ١٥٩.
الإشارات: ٩٠ - ٢٦٨.	الاستعارات: ٢٣٥ - ٢٣٨ - ٢٤٤ -
الإشارة: ١٢٤ - ١٢٥ - ١٥٦ - ١٥٧ -	٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ -
٢٠٨ - ٢٣٦ - ٢٤٨ - ٢٦٦ - ٢٦٨ -	٢٥٤ - ٢٥٧ - ٢٥٩.
٣٠٢ - ٣١٤.	الاستعارة البليغة: ٢٤٩.
الاشتقاق: ٢٥٠.	الاستعارة التحقيقية: ٢٣٩.
إصابة المقدار الإصابة: المقدار: ١٢٢	الاستعارة بالكناية: ٢٣٩ - ٢٤٨.
١٢٨ - ١٥٨ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢٢٨ -	الأسجاع: ١٢٩ - ١٣٠ - ١٥٥.
٢٢٩ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٣٢٨.	الأسلوب: ٨٤ - ٨٥ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ -
الإطالة: ١٢٥ - ٢٢١ - ٢٨٤.	١٤٢ - ١٤٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٣ -

- الإطناب: ١٢٥ - ١٥٠ - ١٥٩ - ٢٠٨ - ٢١٠ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٣٠١.
- الإعجاز: ٥٦ - ١٤٠ - ١٥٥ - ٢٠٧ - ٢٠٨.
- الاقْتِباس: ١٥٧ - ٢٧٢ - ٢٧٣.
- الأمر.
- الإنشاء: ٨٤ - ٩٠ - ١٥٥ - ٢١٠ - ٢٢٩ - ٢٣٢.
- الإيجاز/ الموجز ٤٥ - ٨٧ - ٨٩ - ١٢١ - ١٢٥ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٧ - ١٥٩ - ٢٠٥ - ٢٠٨ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٤٤ - ٢٦٨.
- إيجاز الحذف: ٢١٢ - ٢١٨.
- إيجاز القصر: ٢١٢ - ٢١٩.
- ب -
- البدیع: ٩ - ٨٩ - ١٤١ - ١٤٧ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٨٣ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٥ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٦ - ٢٦٨ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٩ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٣٢٧.
- البيان: ٨ - ٩ - ٢١ - ٣٤ - ٨٦ - ٨٩ - ٩١ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٣٠ - ١٣٣ - ١٣٧ - ١٤١ - ١٤٣ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٥ - ١٦٨ - ١٧٣ - ١٧٥ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ٢٠١ - ٢٠٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٦ - ٢٣٠ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٤٦ - ٢٤٩ - ٢٥٤ - ٢٥٧ - ٢٦٠ - ٢٧٢ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٣٠٣ - ٣١٨ - ٣٢١ - ٣٣٧.
- البلاغة/ البليغ: ٨ - ٩ - ١١ - ٥٦ - ٦٩ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٠ - ١١١ - ١١٥ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٨ - ١٣٢ - ١٣٧ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٤ - ١٤٦ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٧٠ - ١٧٣ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ٢٠٢ - ٢٠٥ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٥ - ٢١٧ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١.

٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١	٣٢٦ - ٢٦٥
٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٦ - ٢٤٢ - ٢٥٢	التكميل : ٢٧٧ - ٢٧٨
٢٥٤ - ٢٧٩ - ٢٨٢ - ٢٨٧ - ٣٠٨	تنافر الألفاظ : ٢٣٣ - ٢٣٤
٣٢٢ - ٣٣٧ - ٣٤١ - ٣٤٢	تنافر الحروف : ٨٩ - ١٣٨ - ١٤٠

- ت -

- ج -

التبيين : ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤	الجهورة : ١٩٥ - ٢٠٦
١١٧ - ١١٩ - ١٢٧ - ١٣٣ - ١٤١	
١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٧ - ١٥٨	
١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٨٤	الحال : ٨٧ - ١٢٤ - ١٤٠ - ١٥٦
١٩٤ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٤٢	٢٣٦
التميم : ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨	الحذف : ٤٥ - ١٢٩ - ٢١٩ - ٢٥٢
التجريد : ٢٣٩	الحصر : ١١٨ - ١٢١ - ١٥٩ - ١٦٢
التخييل : ١٠٨	١٦٥ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٨٠ - ١٨١
التشبيه : ١٣٣ - ١٤٧ - ١٥٦ - ١٥٩	١٨٢ - ١٨٣ - ٢٠٥ - ٢٠٧ - ٢٩١
٢٣٥ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤١ - ٢٤٢	الحقيقة : ٨٧ - ١٣٩ - ١٥٤ - ١٥٦
٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٤	٢١٢ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٣٤٠
٢٥٧ - ٢٥٨ - ٣٢٨	

- خ -

التصريح : ٢٥٤	الخبر : ١٠٠ - ١٠١ - ٢٠٨ - ٢١٠
التعريض : ٢٥٤	٢٦٦ - ٣٢٣
التعقيب : ١٩٥	الخطابة/ خطب : ٨٦ - ١٠٩ - ١١١
التفخيم : ١٩٥	١٢١ - ١٢٥ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠
التقسيم : ٨٩ - ١٥٧ - ١٦٠ - ٢٧٤	١٣١ - ١٣٢ - ١٤٢ - ١٥١ - ١٦٠
٢٧٥	١٨٠ - ١٨٢ - ٢٠٢ - ٢١٨ - ٢٢٥
التقصير : ٢١١ - ٢٢٦ - ٢٧٦	٢٢٦ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٥٣ - ٢٦٠
التقير : ١٩٥	٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٧٢ - ٢٨٠ - ٢٨٧
التكلف : ١٤٧ - ١٦١ - ١٦٢ - ٢٦٣	

علم الأدب: ٢١ - ١١١ - ١١٣ - ٢٥٤.
علم البديع: ٩ - ١٥٠ - ٢٠٩ - ٢٥٥ -
٢٦١ - ٢٦٨ - ٢٨٠ - ٢٨٢ - ٢٨٤ -

- د -

علم المعاني - المعاني: ٩ - ٤٥ - ٨٦ -
٨٧ - ١٠٨ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ -

- س -

السجع ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ٢٦٢ -
٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٨ -
السرقات الشعرية: ٨٧ - ١٤٧ - ١٥٨ -
١٦٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ -
السكوت: ١٠٠ - ١٢٥ - ١٦٥ - ١٦٨ -
١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٨٠ -
السلخ.

علم البيان: ٩ - ١٤١ - ١٥٠ - ٢٠٩ -
٢٣١.

- ص -

العلوم البلاغية: ٩ - ٢٦٢ -
علم البلاغة: ٨ - ٩ - ٨٦ - ٢٠٩ -
الغريب والغرابة: ١٣٤ - ١٣٧ - ١٣٨ -
١٤٠ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٥٦ - ٢٣٤ -
٢٨٢ - ٣٣٦ -
صور البيان: ١١٢ - ٢٥٨ -
الصور البلاغية: ٨٦ - ٨٩ - ٢٠٧ -
صور المعاني: ٢٥٨ -

- ف -

الفصاحة - إفصاح - فصيح - فصحاء: ٨ -
١١ - ٣٠ - ٨٤ - ٨٩ - ١٠٧ -

- ع -

العقد: ١٢٤ - ١٥٦ -

١١٢ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٥ -

١٢٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ -

١٤١ - ١٤٥ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٧ -

١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٧ - ١٦٩ - ١٧٣ -

١٧٦ - ١٨٠ - ١٩٢ - ٢٠٢ - ٢٠٨ -

٢١٥ - ٢١٩ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٥ -

٢٥٢ - ٢٥٣ - ٣٢٢ -

الفصل والوصل : ٢١٠ - ٢٢٩ -

- ق -

القصر : ٩١ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢٢٩ -

القول بالموجب : ٢٦٨ -

- ك -

الكذب : ١٠٠ - ١٠١ - ١٢٩ - ٢٠٨ - ٢١٠ -

الكناية : ١٢١ - ١٢٥ - ١٥٣ - ١٥٧ -

١٥٩ - ٢٣٥ - ٢٣٨ - ٢٥١ - ٢٥٢ -

٢٥٣ - ٢٥٤ -

- ل -

اللحن : ٨٧ - ١٢٦ - ١٣٣ - ١٥٩ -

١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ -

١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٥ -

اللغز في الجواب : ١٣٣ - ٢٦٦ - ٢٦٨ -

اللفف : ١٨٨ -

- م -

المبالغة : ٢٧٥ -

متعلقات الفعل : ٢١٠ - ٢٢٩ -

المثل : ١٥٦ - ١٥٧ - ٢٣٥ - ٢٥٠ -

٢٥٩ - ٣٢٧ -

المجاز : ٨٩ - ١٥٦ - ٢٣٥ - ٢٣٦ -

٢٣٨ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٧ -

٢٥٠ - ٢٥٤ - ٢٥٨ - ٢٦٠ -

المجاز العقلي : ٢٤٣ - ٢٤٥ -

مجاز لغوي : ٢٤٣ -

مجاز مرسل : ٢٤٤ - ٢٥١ - ٢٧٧ -

المحذوف : ١٣٣ - ٢٧٨ -

المذهب الكلامي : ١٦٠ - ٢٦٨ - ٢٦٩ -

المزدوج - المزاوجة - الازدواج مزدوج

الكلام : ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٨ - ١٦٠ -

٢٦٤ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ -

المساواة : ١٤٩ - ١٥٤ - ١٥٩ - ٢١٠ -

٢١١ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ -

المسخ والإغارة : ٢٨٣ -

المسند : ٢١٠ - ٢٢٩ -

المشبه : ٢٤٧ -

المشبه به : ٢٤٧ -

مطابقة الكلام : ١٠١ - ١٤٠ - ١٥٢ -

٢٠٨ - ٢١٠ - ٢٣٣ - ٢٥٥ -

الموازنة : ١٤٧ - ٢٢٨ -

المشاكلة : ١٦٨ -

الموجز: ١٢١ - ١٢٥ - ١٢٧ - ١٢٨ - النهي: ٢١١.

١٢٩ - ١٤٩ - ١٥٠ - ٢٥٢.

- ه -

الهزل الذي يراد به الجد: ١٥٨ - ١٦٠ -
٢٨٠.

- ن -

النسبة: ١٢٤ - ١٥٦ - ٢٣٦.

- و -

نسبة الشيء إلى الشيء: ١٣٣ - ٢٥٩ -
٢٦٠.

الوحي باللحظ: ١٢١ - ٢٥١ - ٢٥٢.

الوصل والفصل: ٢٧٨.

النسخ: ٢٨٢.

١٠ - فهرس المصادر

- الهمزة -

- ١ - الأمالي في لغة العرب: إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٧٨. (٢ مج). ص ٢٠٠.
- ٢ - أساس البلاغة: الزمخشري (جار الله، أبو القاسم، محمود بن عمر). تحقق. عبد الرحيم حمود. دار المعرفة. بيروت ١٩٨٢. ص ١٣٧.
- ٣ - أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني. تحقق. رشيد رضا. دار المعرفة. بيروت. ص ٢٣٩.
- ٤ - الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني. دار الكتاب العربي. بيروت. (٤ مج). ص ٢٣.
- ٥ - الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين) تحقق. عبد الستار أحمد فراج. دار الثقافة. بيروت ١٩٦٠. (٢٣ مج). ص ١٥.
- ٦ - الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني. تحقق. محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتاب العربي. بيروت ط ٤. ص ٢١٢.

- ب -

- ٧ - باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل: أحمد بن يحيى المرتضى. تحقق. توماس أرنولد. دار صادر. بيروت عن مطابع حيدرآباد. ص ٩٥.

- ٨ - البخلاء: الجاحظ. تحقق. طه الحاجري. دار المعارف. مصر. ١٩٦٣. ص٥٦.
- ٩ - البديع: عبد الله بن المعتز. تحقق. المستشرق أغناطيوس كراتشكوفسكي. دار الحكمة. دمشق. ص٢٦٨.
- ١٠ - البُرصان والعرجان والعميان والحولان: الجاحظ. تحقق. عبد السلام محمّد هارون. منشورات دار الثقافة والإعلام. الجمهورية العراقية. دار الرشيد. بغداد. ودار الطليعة. بيروت. ص١٤٩.
- ١١ - البيان والتبيين: عمرو بن بحر. الجاحظ. تحقق. عبد السلام محمّد هارون. دار الفكر. بيروت. ط٤. (٢مج). ص١٦.
- ١٢ - البيان والتبيين: عمرو بن بحر. الجاحظ. تحقق. حسن السندوي. مط الاستقامة. القاهرة. ط٤. ١٩٥٦. (٣ج). ص٣٦.

- ت -

- ١٣ - تاريخ بغداد: الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي. دار الكتاب العربي. بيروت. (١٨ج). ص١٤.
- ١٤ - تاريخ الخلفاء: السيوطي. تحقق. محيي الدين عبد الحميد. مط السعادة. مصر. ط١. ١٩٥٢. ص٣٩.
- ١٥ - تاريخ الطبري: محمّد بن جرير الطبري. تحقق. محمّد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. مصر. ط٤. ١٩٦٧. (١٠ج). ص١٣.
- ١٦ - التعريفات: السيد الشريف علي بن محمّد الجرجاني. مط القسطنطينية. ١٣٠٠هـ. ص٩٢.
- ١٧ - تفسير الجلالين: جلال الدين بن محمّد بن أحمد. وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. مكتبة الملاح. دمشق. ص١٣٣.
- ١٨ - التلخيص في علوم البلاغة: الإمام جلال الدين القزويني. تحقق. عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي. بيروت. ط٢. ١٩٣٢م. ص١٠١.
- ١٩ - التنبيه والاشراف: أبو الحسن المسعودي. دار التراث. بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م. (ج).

- ح -

- ٢٠ - الحيوان: الجاحظ. تحقق. عبد السلام هارون. مط البابي الحلبي. القاهرة. ط٢. ١٩٤٩ (٨ مج.) ص٢٥.

- خ -

- ٢١ - خزانة الأدب ولب لسان العرب: الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي. دار صادر. بيروت ط١. (٤ مج.) ص٣٩.

- د -

- ٢٢ - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني. تحقق. رشيد رضا. دار المعرفة. بيروت ١٩٨٤. ص٢٠٨.
- ٢٣ - ديوان أبي تمام: شرح الخطيب التبريزي. تحقق. محمد عبده عزّام. دار المعارف مصر. ط٤ (٤ ج.) ص١٧.
- ٢٤ - ديوان أبي نواس: تحقق. أحمد بن عبد الحميد الغزالي. دار الكتاب العربي. بيروت ١٩٨٢. ص١٦٩.
- ٢٥ - ديوان جرير: تحقق. محمد الصاوي. دار الأندلس بيروت. ص١٨٠.
- ٢٦ - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: دار صادر. بيروت. ٢٥٦.
- ٢٧ - ديوان رؤبة بن العجاج. عني به وليم بن الورد. دار الآفاق الجديدة. بيروت ١٩٧٩.
- ٢٨ - ديوان عنترة: تحقق. محمد سعيد مولوي. المكتب الإسلامي. بيروت ط٢. ١٩٨٣. ص٢٤٠.
- ٢٩ - ديوان الفرزدق: تحقق. عبد الله إسماعيل الصاوي. مط. الصاوي. ط١. ١٩٣٦. (٢ ج.) ص٢٥٦.

- ش -

- ٣٠ - شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار أحمد الهمذاني. القاهرة. ص٩٨.
- ٣١ - شرح المعلقات السبع: الزوزني. دار القاموس الحديث. بيروت. ص١٦٧.

- ٣٢ - شرح ديوان الحماسة: التبريزي. عالم الكتب. بيروت. ص٢١٤.
- ٣٣ - شروح التخليص: هي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على الأصول الخمسة. الخطيب القزويني وابن يعقوب المغربي وبهاء الدين السبكي. ومختصر الإيضاح لمؤلف التلخيص مع حاشية الدسوقي. مط عيسى البابي الحلبي. القاهرة ١٩٣٧. ص١٣٧.
- ٣٤ - الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري. طبع في القسطنطينية ط١. صورته عالم الكتب. بيروت ١٨٦٥. ص١٢٧.
- ٣٥ - الصناعتين: أبو هلال العسكري. تحقق. مفيد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٧١. ص٢١٢.

- ط -

- ٣٦ - طبقات الشعراء: محمد بن سلام الجمحي. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٠. ص٣٢٢.

- ع -

- ٣٧ - العصا: أسامة بن المنقذ. تحقق. حسن عباس. طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب. فرع الإسكندرية ١٩٧٧. ص٢٩٧.
- ٣٨ - العقد الفريد: ابن عبد ربّه الأندلسي. تحقق. أحمد أمين وغيره. دار الكتاب العربي. بيروت. ط٣ (٧مج). ص٧١.
- ٣٩ - عقود الجمان في علم المعاني والبيان: عبد الرحمن السيوطي. مط. الشرقية مصر ١٣٠٥هـ. ص١٠١.
- ٤٠ - العمدة: ابن رشيق القيرواني. تحقق. محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل. بيروت. ط٥. ١٩٨١. ص١١٣.
- ٤١ - عيون الأخبار: عبد الله بن قتيبة. دار الكتاب العربي. بيروت. ص١٩١.

- ف -

- ٤٢ - فتح القدير: محمد علي بن محمد الشوكاني. دار الفكر بيروت. ط٣. ١٩٧٢. ص١٣٣.

- ٤٣ - الفرق بين الفرق: عبد القاهر الجرجاني. تحقق. محيي الدين عبد الحميد. مط. المدني. القاهرة. ص٦٢.
- ٤٤ - فرق طبقات المعتزلة: القاضي عبد الجبار الهمداني. تحقق. النشار وغيره. دار المطبوعات الجامعية. القاهرة ١٩٧٢م. ص٤٩.
- ٤٥ - الفقه على المذاهب الأربعة: عبد الرَّحْمَن الجزيري. دار إحياء التراث العربي. بيروت ط٧. ١٩٨٦ (٤مج). ص٣١٨.
- ٤٦ - فوات الوفيات والذيل عليها: محمّد بن شاکر الکتبي. تحقق. إحسان عباس. دار صادر بيروت ١٩٧٤. ص٢٦٣.
- ٤٧ - الفهرست: ابن النديم. دار المعرفة. بيروت ١٩٧٨. ص٩٧.

- ك -

- ٤٨ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير. تحقق. نخبة من العلماء. دار الكتاب العربي. بيروت. ط٣. ١٩٨٠ (٩مج). ص١٣.
- ٤٩ - الكامل في اللغة والأدب: المُبرّد. أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد. مكتبة المعارف. بيروت. ص٢٧.
- ٥٠ - كشف اصطلاحات الفنون: محمّد علي التهانوني. تحقق. د. لطفي عبد البديع ود. عبد المنعم محمّد حسنين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر ١٩٧٧. ص١٤٣.
- ٥١ - كلیلة ودمنة: عبد الله بن المقفع. تحقق. أحمد حسن طبارة. مط. الوطنية. بيروت. ط٤. ١٩٣٣. ص١٢٧.

- ل -

- ٥٢ - معجم لسان العرب: ابن منظور الإفريقي المصري. دار صادر بيروت. (١٥ح). ص٢٤.
- ٥٣ - لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني. منشورات الأعلمي. بيروت ط٢. ١٩٧١ (٧ج). ص٣٢.

- م -

- ٥٤ - مآثر الانافة في تاريخ الخلافة: القلقشندي. تحقق. عبد الستار فرج. عالم الكتب. بيروت ١٩٦٤ (٣ ج.). ص ١٤.
- ٥٥ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين بن الأثير. تحقق. الحوفي ود. طبانة. دار نهضة مصر. القاهرة، سنة ١٩٦٢. ص ٢٨٢.
- ٥٦ - مجمع الأمثال: الميداني. تحقق. محيي الدين عبد الحميد. مط السنة المحمدية. (٢ ج.). ص ٢٧٣.
- ٥٧ - مروج الذهب: لأبي الحسن المسعودي. تحقق. محيي الدين عبد الحميد. المكتبة التجارية الكبرى. مصر ط ٤. ١٩٦٥. ص ٤١.
- ٥٨ - معجم الأدباء: ياقوت الحموي. دار المأمون. القاهرة. (٢٠ مج.). ص ٢٩.
- ٥٩ - معجم البلدان: ياقوت الحموي. دار صادر. بيروت ١٩٥٧. ص ١٤.
- ٦٠ - مفتاح العلوم: السكاكي. تحقق. محمد كامل الأزهرى. دار الكتب العلمية. بيروت. ص ٢١٢.
- ٦١ - مقامات بديع الزمان الهمداني: تحقق. الشيخ محمد عبده. مط الكاثوليكية. بيروت ١٩٥٨. ص ٩٠.
- ٦٢ - مقدمة ابن خلدون: تحقق. حجر عاصي. دار الهلال. بيروت ١٩٨٣. ص ٢٢.
- ٦٣ - الملل والنحل: الشهرستاني. تحقق. محمد سيد كيلاني. دار المعرفة. بيروت ١٩٨٠. (٢ ج.). ص ٦٦.

- ن -

- ٦٤ - نقد النثر: قدامة بن جعفر البغدادي. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠. ص ٩٠.
- ٦٥ - النوادر في اللغة: أبو زيد الأنصاري. تحقق. محمد عبد القادر أحمد. دار الشروق بيروت ١٩٨١. ص ١٦٦.

١١ - فهرس المراجع

- الهمزة -

- ١ - أبو حنيفة: الإمام أبو زهرة. دار الفكر العربي. ط ٢. ١٩٤٧. ص ١٠٧.
- ٢ - أبو عثمان الجاحظ: محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتاب اللبناني. بيروت ط ١. ١٩٧٣. ص ١٨.
- ٣ - أدب الجاحظ: حسن السندوي. مط الرحمانية القاهرة ط ١. ١٩٣١. ص ٢٩.
- ٤ - الأدب المقارن: طه ندا. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٥. ص ٣٣٦.
- ٥ - الأدب والنقد: المجموعة الكاملة: طه حسين، دار الكتاب اللبناني بيروت. ص ٥٥. ط ١. ١٩٧٣ (١٦ مج).
- ٦ - الأعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت. ط ٦. ١٩٨٤ (٨ مج). ص ١٥.
- ٧ - أمراء البيان: محمد كرد علي. مط لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٣٧. ص ٢٦.
- ٨ - أهم الفرق السياسية والكلامية: البير نصري نادر. مط. الكاثوليكية بيروت ط ٢. ص ٦٢.

- ب -

- ٩ - البديع في ضوء أساليب القرآن: د. عبد الفتاح لاشين. دار المعارف. مصر ط ١. ١٩٧٩. ص ٢٥٦.

- ١٠ - البلاغة والنقد بين التاريخ والفن: مصطفى الصاوي الجويني. الهيئة المصرية العامة للكتاب. فرع الإسكندرية ١٩٧٥. ص ٩١.
- ١١ - البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف. دار المعارف. مصر. ط ٤. ١٩٧٧. ص ٢٨٠.

- ت -

- ١٢ - تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان. تحقق. شوقي ضيف. دار الهلال مصر ١٩٥٧ (٤ مج). ص ١٨.
- ١٣ - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: حسن إبراهيم حسن. دار إحياء التراث العربي. القاهرة. ط ٧. ١٩٦٤ (٤ مج). ص ١٤.
- ١٤ - تاريخ الشعوب الإسلامية: بروكلمان - نقله إلى العربية نبيه فارس ومير بعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت ط ١. ١٩٨٤. ص ١٨.
- ١٥ - التاريخ العباسي والأندلسي: سعد زغلول عبد الحميد. مكتب كريدية إخوان. بيروت ١٩٧٦. ص ١٣.
- ١٦ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب: عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية بيروت ط ٣. ١٩٧٤. ص ٨٧.
- ١٧ - تطور الأساليب النقدية في الأدب العربي: أنيس المقدسي. دار العلم للملايين. بيروت. ط ٦. ١٩٧٩. ص ٩١.

- ج -

- ١٨ - الجاحظ حياته وآثاره: طه الحاجري. دار المعارف. مصر. ط ٣، ١٩٧٦. ص ٢٣.
- ١٩ - الجاحظ في حياته وأدبه وفكره: جميل جبر. دار الكتاب اللبناني. بيروت. ١٩٥٩. ص ١٩.
- ٢٠ - جواهر الأدب: أحمد الهاشمي. تحقق لجنة من الجامعيين. مؤسسة المعارف. بيروت. ص ١٠٩.
- ٢١ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي. مؤسسة المعارف. بيروت. ط ١٢. ص ١٣٩.

- خ -

الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم: د. عثمان قوافي. دار
المعرفة الجامعية. القاهرة. ط ٢. ١٩٨٤. ص ٨٨.

- د -

٢٢ - دراسات في الفلسفة الإسلامية: محمود قاسم. دار المعارف. مصر ط ٥.
١٩٧٣. ص ١٠٤.

٢٣ - دستور الحكم في الإسلام والمبادئ الأساسية التي قام عليها: رسالة دكتوراه
إعداد محمد محمد أكرم الخطيب. جامعة الأزهر. القاهرة ١٩٨٠. ص ١٠٠.

- ش -

٢٤ - الشعر والشعراء في العصر العباسي: د. مصطفى الشكعة. دار العلم للملايين.
بيروت ١٩٧٣. ص ١٩.

- ص -

٢٥ - صفى الدين الحلبي: ياسين الأيوبي. دار الكتاب اللبناني. بيروت ط ١. ١٩٧١.
ص ٨٤.

- ض -

٢٦ - ضحى الإسلام: أحمد أمين. دار الكتاب العربي. بيروت ط ١٠. ص ٢٦.

- ع -

٢٧ - علم البديع: عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٠. ص ٢٥٨.

٢٨ - علم البيان: عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية. بيروت ط ٣. ١٩٧٠.
ص ١٥٠.

٢٩ - علم العروض والقافية: عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية. بيروت ط ٨.
١٩٦٩.

٣٠ - علم المعاني: عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧١. ص ١٠١.

- ف -

٣١ - الفن ومذاهبه في النثر العربي: شوقي ضيف. دار المعارف. مصر. ط ٥. ص ٥٧.

٣٢ - في الأدب العباسي: الرؤية والفن: عز الدين إسماعيل. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٥. ص ١٠٨.

٣٣ - في أدب الفرس وحضارتهم: عبد السلام كفاقي. دار النهضة العربية. بيروت. ١٩٧٠.

٣٤ - في تاريخ البلاغة العربية: عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية. بيروت. ١٩٧٠. ص ١٥٢.

٣٥ - في النقد الأدبي عند العرب: درويش. دار المعارف. مصر ١٩٧٩. ص ٨٦.

- ق -

٣٦ - القاضي الجرجاني والنقد الأدبي: عبده قليقة. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣. ص ٨٧.

٣٧ - القزويني وشروح التلخيص: أحمد مطلوب. مط دار التضامن بغداد. ط ١، ١٩٦٧. ص ٢٢٠.

- م -

٣٨ - مجلة الفكر العربي: أحمد أبو ملححم العدد ٤٦. السنة الثامنة. ص ٢٣٠.

٣٩ - محاضرة للدكتور محمد أكرم الخطيب: في كلية الآداب. الفرع الثالث. ص ٢١ (قسم دبلوم الدراسات العليا) في طرابلس. لبنان في ١٩٨٦/٦/٧.

٤٠ - محاضرة للدكتور ياسين الأيوبي: في كلية الآداب. الفرع الثالث. (قسم دبلوم الدراسات العليا) في طرابلس. لبنان في ١٩٨٦/٢/٢٧. ص ٢٠٩.

٤١ - مصادر الدراسة الأدبية: يوسف أسعد داغر. مط دير المخلص صيدا. لبنان ١٩٦٢. ص ٢٦.

- ٤٢ - معجم الشعراء في لسان العرب: ياسين الأيوبي. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٨٧. ص ١٧٦.
- ٤٣ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ص ٢٠.
- ٤٤ - معجم المؤرخين الدمشقيين: صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد. بيروت. ط ١. ١٩٧٨. ص ٤٣.
- ٤٥ - معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة. دار إحياء التراث العربي. بيروت (١٥ مج). ص ١٧.
- ٤٦ - المنجد في اللغة والاعلام: دار المشرق. ط ٢٢. بيروت ١٩٧٣. ص ٥٠.

- ن -

- ٤٧ - النثر الفني وأثر الجاحظ فيه: عبد الحكيم بلبع. مكتبة وهبي. مط الاستقلال الكبرى. مصر ط ٣. ١٩٧٥. ص ٢٠.
- ٤٨ - النقد الأدبي: المجموعة الكاملة. طه حسين. دار الكتاب اللبناني. بيروت ط ١٠. ١٩٧٣. ص ٩٠.
- ٤٩ - النقد الأدبي: أحمد أمين. دار الكتاب العربي. بيروت ط ٤. ١٩٦٧. ص ٨٤.

- و -

- ٥٠ - الوسيط في القانون الدستوري: إدمون رباط. دار العلم للملايين. ١٩٦٤ (٢ مج). ص ٢٠.

١٢ - فهرس الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية ٣٤٧
- ٢ - فهرس الأحاديث الشريفة ٣٥١
- ٣ - فهرس الأعلام ٣٥٣
- ٤ - فهرس الأشعار ٣٦٩
- ٥ - فهرس الأرجاز ٣٨١
- ٦ - فهرس أنصاف الآيات ٣٨٥
- ٧ - فهرس الأماكن والبلدان ٣٨٧
- ٨ - فهرس الأيام والوقائع ٣٩٣
- ٩ - فهرس المصطلحات البلاغية ٣٩٥
- ١٠ - فهرس المصادر ٤٠١
- ١١ - فهرس المراجع ٤٠٧
- ١٢ - فهرس الفهارس ٤١٢
- ١٣ - فهرس الموضوعات ٤١٣

١٣ - فهرس الموضوعات

الإهداء	٥
المقدمة	٧

الباب الأول

الجاحظ في عصره وسيرته وحضوره

الفصل الأول: ترجمة للجاحظ وعصره

١ - صورة عن عصره	١٣
٢ - سيرته وحياته	٢٣
٣ - نشأته	٢٨
٤ - آثاره	٤٢
٥ - أسلوبه ونقده	٨٣
٦ - مذهبه وآراؤه	٩٢
٧ - آراء في الجاحظ	١٠٥

الفصل الثاني: كتاب البيان والتبيين

١ - التعريف بكتاب البيان والتبيين	١١١
---	-----

٢ - الغاية من تأليفه ١١٥

٣ - مضمونه ١١٨

الفصل الثالث: مفهوم الجاحظ للأدب والبلاغة وعلومها

١ - بين الفصاحة والبلاغة ١٣٧

٢ - مفهوم الجاحظ للأدب والشعر والبلاغة وعلومها ١٤١

اصطلاح البلاغة - النشأة والتطور ١٤٨

الباب الثاني

الشعر والبلاغة في «البيان والتبيين»

الفصل الأول: الشعر وعيوب اللفظ ١٦١

١ - الشعر والصمت ١٦٣

٢ - العيِّ والحَصْرُ في الشعر ١٧٣

٣ - اللُّثْغَةُ في الشعر ١٨٣

٤ - الشعر واللَّحْن ١٩٣

٥ - الشعر واللُّكْنَةُ ٢٠١

الفصل الثاني: الشعرُ وعلم المعاني

١ - تمهيد

٢ - الإيجاز والإطناب والمساواة في الشعر ٢٠٧

أ - الإيجاز في الشعر ٢١٠

ب - الإطناب في الشعر ٢٢٠

ج - المساواة في الشعر ٢٢٧

٣ - الشعر وبقية أركان علم المعاني ٢٢٩

٢٣١	الفصل الثالث: الشعر وعلم البيان
٢٣٩	١ - التشبيه
٢٤٣	٢ - المجاز
٢٤٦	٣ - الاستعارة
٢٥١	٤ - الكناية
٢٥٥	الفصل الرابع: الشعر وعلم البديع
٢٦٢	١ - السجع
٢٦٦	٢ - أسلوب الحكيم
٢٦٨	٣ - المذهب الكلامي
٢٧٢	٤ - الاقتباس
٢٧٤	٥ - التقسيم
٢٧٦	٦ - الاحتراس أو التميم
٢٧٨	٧ - المزدوج
٢٨٠	٨ - الهزل الذي يراد به الجد
٢٨١	٩ - السرقات الشعرية
٢٨٧	الفصل الخامس: الشعر وبعض غايات الجاحظ الأخرى
٢٨٨	١ - الخطابة
٢٩٧	٢ - المخاصر والعصي
٣٠٣	٣ - الرسائل
٣٠٤	٤ - الزهد والنسك
٣٠٨	٥ - الدعاء
٣١٠	٦ - النعال
٣١٣	٧ - التوكي والحمقى

٣١٨	٨ - المجانين
٣٢١	الفصل السادس : الشعر والشُعراء في البيان والتبيين
٣٣٩	الخاتمة
٣٤٥	الفهارس العامة

